

إشكاليات في مسيرة الحياة

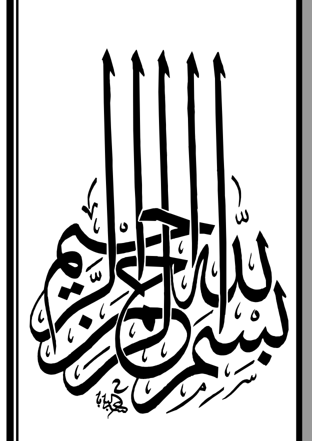
الشّيخُ الدُّكْتُورُ

جَاسِمُ بْنُ مُحَمَّد بْنِ مُهَلْهِل اليَاسِين

إشكاليات

في

مسيرة الحياة



الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بطاقة الكتاب

اسم الكتاب : إشكاليات في مسيرة الحياة

موضوع الكتاب : تربوية - اجتماعية - سياسية - ثقافية

اسم المؤلف : د.جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين

الناشر : شركة السماحة للنشر والتوزيع
الكويت

الصف والإخراج : مركز بدور للثقافة والترجمة

عدد الصفحات : ٤١٢

مقاس الكتاب : ١٧× ٢٤

عدد الملازم : ٢٥,٧٥

رقم الإيداع : ٢٥٠٦ / ٢٠١٢

شركة السماحة للطباعة والنشر والتوزيع
الكويت

إشكاليات
في
مسيرة الحياة

(تربوية ـ اجتماعية ـ سياسية ـ ثقافية)

تأليف

الشيخ الدكتور

جاسم بن محمد بن مهلهِل الياسِين

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

تطلب منشوراتنا

في الكويت من: شركة السماحة

ت/ ٩٩٥٥٧٤٧١

الرمز البريدي : ٤٣٧٥٦

ص. ب : ٦٦٥٢٠ بيان

في مصر من: مؤسسة شروق للنشر والتوزيع

المنصورة/ شارع جيهان– أمام مستشفى الطوارئ–ت: ٢٢٥٢٨٦٠/ ٠٥٠

الإهْدَاءُ نَثْراً

إِلَى وَالِدَتِي مُنِيرَةَ، الَّتِي لَهَا مِن اسْمِهَا نَصِيبٌ، فَقَدْ أَنَارَتْ لِي طَرِيقَ حَيَاتِي، فَعَرَفْتُ رَبِّي، وَسَلَكْتُ مَنْهَجَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ .

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي أَرْضَعَتْنِي مَعَانِيَ الْخَيْرِ كُلَّهَا، فَكَانَتْ مَدْرَسَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَهِيَ الَّتِي عَلَّمَتْنِي كَيْفَ يَكُونُ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ، وَعَلَّمَتْنِي الإِحْسَانَ إِلَى الآخَرِينَ وإِنْ أَسَاؤُوا، وأَرْضَعَتْنِي مَعَانِيَ الصَّبْرِ الَّتِي قَرَأْنَا فِي المجَلَّدَاتِ وَكَتَبْنَاهَا. لَقَدْ عَلَّمَتْنِي مَعْنَى الإِنْفَاقِ مِمَّا كَانَ فِي يَدهَا لِتُدْخِلَ بِهِ السُّرُورَ عَلَى الآخَرِينَ.

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي لَمْ تَعْرِفِ الشَّكْوَى فِي حَيَاتِهَا، وَلَمْ تَئِنّ مَعَ كَثْرَةِ أَمْرَاضِهَا.

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي كُنَّا قَبْلَ وَفَاتِها – رَحِمَهَا اللهُ – بِدُعَائِهَا نَتَنَعَّمُ، وَإِنِّي لأَذْكُرُ قَوْلَ أَحَدِ الأَصْدِقَاءِ عَنْ أُمِّهِ بَعْدَ وَفَاتِهَا: لَقَدْ ذَهَبَتْ مَنْ كُنَّا بِدُعَائِهَا نَتَنَعَّمُ. وَإِنِّي لأَقُولُ: لَئِنْ تَنَعَّمْتُ بِدُعَاءِ أُمِّي فِي حَيَاتِهَا، فَإِنِّي أَتَنَعَّمُ بالدُّعَاءِ لَهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، وَكُلَّمَا ازْدَدْتُ لَهَا دُعَاءً، ازْدَادَتْ نَفْسِي إِحْسَاساً بِالنَّعِيمِ، فَقَدْ كُنْتُ أَتَنَعَّمُ بِدُعَائِهَا فِي حَيَاتِهَا وَأَتَنَعَّمُ بِالدُّعَاءِ لَهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا، وَفِي الْحَالَتَيْنِ، فَإِنِّي أَتَنَعَّمُ بِخَيْرِهَا فِي الْحَيَاةِ وَالمَمَاتِ.

وَلَسْتُ أَعْرِفُ لإِنْسَانٍ فَضْلاً عَلَيَّ – فِيمَا أَنْعَمُ بِهِ مِنْ فَضْلٍ – خَيْراً يُعَادِلُ أَوْ يُقَارِبُ فَضْلَ وَالِدَتِي – رَحِمَهَا اللهُ تَعَالَى. وَأَسْأَلُ الله – سُبْحَانَهُ – أَنْ يَسْتَجِيبَ دُعَاءَهَا لِي، وَيَسْتَجِيبَ دُعَائِي لَهَا.

لَقَدْ تَعَلَّمْتُ مِنْهَا الصَّبْرَ وَالتَّجَلُّدَ؛ فَقَدْ شَطَبَتْ مِنْ حَيَاتِهَا مَا يُسَمَّى

بِالإيذَاءِ، فَكَانَتْ لاَ تُؤْذِي أَحَداً وَلا شَيْئاً، حَتَّى الأَرْضَ الَّتِي كَانَتْ تَمْشِي عَلَيْهَا، عَلَّمَتْنِي مَعَانِيَ كَثِيرَةً، قَدَّمَتْهَا وَهِيَ تُضَحِّي بِصِحَّتِها وَوَقْتِهَا وَسَعَادَتِهَا.

إِلَى وَالِدَتِي الَّتِي أَعْرِفُ مِنْ مَدْرَسَتِهَا الْكَثِيرَ، وَلاَ يَسَعُنِي ذِكْرُهُ فِي هَذَا الإِهْدَاءِ، وَسَأُفْرِدُ لَهُ رِسَالَةً خَاصَّةً، إِنْ شَاءَ اللهُ.

إِلَى وَالِدَتِي أُهْدِي ثَوَابَ هَذِهِ الرَّسَائِلِ، لَعَلِّي أُؤَدِّي زَفْرَةً مِنْ زَفرَاتِهَا فِي وِلادَتِي.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى وَالِدِي – رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى رَفِيقَةَ الدَّرْبِ أُمّ مُعَاذٍ، الَّتِي كَانَتْ لِي عَوْناً فِي صَبْرِهَا عَلَى سَهَرِي وَسَفَرِي.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى أَوْلادِي جَمِيعاً، ذُكُوراً وَإِنَاثاً.

وَأَهْدِي هَذِهِ الرَّسَائِلَ إِلَى كُلّ مَنْ أَسْهَمَ فِي إِخْرَاجِهَا، وَجَعَلَهَا بَيْنَ يَدَي النَّاسِ فِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

وَإِنَّنِي إِذْ أَكْتُبُ هَذَا الإِهْدَاءَ، أَرْجُو مِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ يَكُونُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ هَذَا الْكِتَابُ أَلاَّ يَنْسُونَا جَمِيعاً مِنْ صَالِحِ دُعَائِهِمْ.

الشَّيخُ الدّكتُور
جَاسِمُ بْنُ مُحَمدِ بْنِ مُهَلْهِل الْيَاسِين

الإهْدَاءُ شعْراً

أمَّــاهُ كُنْــتِ مُنِيــرَةً وَمَنَــارَةً ... عُلْيَـا وَصَـــرْحاً ثابـتَ الأَرْكَـانِ

قَـدْ كُنْـتِ مَدْرَسَـةً تُعِـدُّ نُفُوسَنَـا ... لِـصَنَائِعِ المَعْــرُوفِ وَالإِحْـسَانِ

قــَدْ كُنْــتِ لِلأَيْتَــامِ أُمَّــاً بَــرَّةً ... وَالجَــارِ وَالمِسْكِينِ أَرْأَفَ حَــانِ

أَرْضَعْتِنَا الأَخْلاق شَـهْدَاً سَلْسَلاً ... تَـدْنُو ثِمَــارُ قُطُـوفِهَــا لِلْجَـانِي

عَلَّمْتِنَــا الـصَّبْرَ الجَـمِيلَ خَـلِيقَةً ... وَالقَوْلَ لِلحُسْنَى وَكَفَّ لِسَانِ

* * *

أبَتَــاهُ قَــدْ رَبَّيْتَنِــي وَأَحَـطْتَنِي ... بِرِعَايَــةٍ فِــي غِبْطَــةٍ وَأَمَــانِ

وَفَّـرْتَ أَسْـبَابَ الـسَّعَادَةِ وَالهَنَـا ... فَجَعَلْتَنِي أَسْمُو عَلَى الأَقْرَانِ

فَجَزَاكَ رَبُّ العَـرْشِ خَـيْرَ جَزَائِهِ ... وَأُسْــكِنْتَ فِي رَوْحٍ وَفي رَيْحَــانِ

* * *

نَوَّرْتَ **يَا بَدْرَ** الدُّجَا سُبُلَ العُلا ... بالفَــضْـلِ لاَ فَــظٍّ وَلاَ مَنَّــانِ

كَـمْ ذَا تُقَابِـلُ بِالـسُّـرورِ تَـدَلُّلِي ... بمَـحَبَّـــةٍ وَبرَأْفَـــةٍ وَحَنَــانِ

أَحْبَبْتَنِــي قَـرَّبْتَنِــي رَبَّيْتَنِــي ... بالعِــزِّ فِي ثِقَــةٍ وَفِــي اطْمِئْنَـانِ

* * *

أرَفيقَتِـي كُنْـتِ الـشُّعَاعَ إِذا دَجَـا ... لَيْـلُ الحَيَـاةِ بِمُظْـلِمِ الحِـدْثَانِ

قَـدْ كُنْـتِ خَـيْرَ شَرِيكَــةٍ وَمُعِينَـةٍ ... فِي الـبِرِّ عِنْـدَ تَقَـاعُسِ الأَعْـوَانِ

الـصَّبْرُ فِيـكِ مَـعَ الوَفَـاءِ سَـجِيَّةٌ ... بتَعَـاقُبِ الأَفْـرَاحِ وَالأَحْـزَانِ

* * *

يَـا حَبَّـذَا **أفْــلاذ أَكْبَـادٍ** بِهَـا ... كَـمُلَ المُــرَادُ وَقَـرَّتِ العَيْنَـانِ

فَاحْفَـظْ **مُعَـاذاً** وَاحْفَظَـنَّ **مُهَلْهِلاً** ... أَمَــدَ الزَّمَــانِ **وَعَابِــدَ الـرَّحْمَنِ**

لاَ زَالَ **عَبْدُ الله** فِي حِفْظٍ وَلاَ زَالُــوا جَمِيعــاً غُــرَّةَ الفِتْيَــانِ

وَلْتَــحْظَ **عَـائِـشَـةٌ وَفَـاطِـمَةٌ** بِـهَا قَــدْ شَــاءَتَا مِـنْ بُغْيَــةٍ وَأَمَــانِ

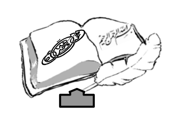
وَاحْـفَـظْ هَـيَـا **وَمُنِيـرَةً** يَـا رَبَّـنَـا مِــنْ مُبْطِــنِ البَغْـضَـاءِ وَالـشَّنَآنِ

* * *

يَـا رَبِّ لاَ زَالَ الجَمِيـعُ بِنِـعْمَةٍ وَقِــهِمْ شُرُورَ الحَاسِــدِ المِعْيَـانِ

صَلَّى الإِلـهُ عَـلَى **النَّبِيِّ مُحَـمَّدٍ** وَالآلِ وَالأَصْحَــابِ كُلَّ أَوَانِ

الشيْخُ الدُّكْتُور
جَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُهَلْهِل الياسين



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمدا كثيراً طيباً مباركاً فيه، وتحياته الطيبات المباركات على رسوله وخليله وصفوته من خلقه محمد الأمين، خاتم النبيين وسيد المرسلين، وإمام الموحدين، والتحية والإكرام لأهل بيته الطاهرين الطيبين الكرام، ورضي الله عن صحابته الغر الميامين الأبرار الصادقين السابقين في كل مضمار، وعن الذين جاؤوا من بعدهم من التابعين لهم بإحسان إلى أن نلقى العزيز الغفار .

أما بعد:

الإشكاليات فن من الفنون وعلم من العلوم، فكما الاستماع فن والكتابة فن والقراءة فن والتجويد فن، فإن فن الإشكاليات ودراستها فن من الفنون العلمية المهمة في الحياة والتي لا غنى عنها ولا بد منها لكل دارس أو قارئ.

والإشكاليات فن قام به الأصوليون من علماء هذه الأمة بطرح بعض المواضيع المحددة والتي كانوا يعطونها إشارات ليتنبه لها المفكرون والعلماء.

ونحن في كتابنا هذا نطرح عدة مواضيع وقضايا ونكتب فيها شذرات القلم لتبقى حية في حياتنا من خلال تناولها، فهي جوانب تناولها المفكرون في حواراتهم والباحثون في أبحاثهم.

وإن إدارة الإشكاليات وإثارتها ليس غريبا وليس بالأمر الجديد، فهو نظام قديم تعرض له عمالقة العلم، بتعليم العلم من خلال إثارة الأسئلة، والإجابة عليها فن معمول به عند علماء الأمة- رحمهم الله تعالى- وعلى سبيل المثال لو نظرنا في كتاب (الفروق) للإمام القرافي لرأينا هذا المنهج واضحا، حيث يأتي بالمسألة والنازلة التي تثار في حياة الناس ومعاملاتهم ليضعها بصيغة سؤال ثم يبدأ بالإجابة عليه مبينا ومعلما للسائل ما يتعلق من أحكام في المسألة والنازلة التي يسأل الناس عنها، والتي جاءت في إطار المنهج الإسلامي في التعرف على

الأحكام الشرعية كما في قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1] وهذا هو الأصل: الناس يسألون والعلماء يجيبون ويعلمون، ولكن هناك مسائل قد تعترض العالم الإمام فيشكل عليه أمرها فيعمد على إثارة المسألة بإثارة إشكاليات النازلة والموضوع الذي تم السؤال عنه، ثم يعمد إلى ذكر أقوال العلماء في المسألة لا من باب الإفتاء والبيان ولكن بغية تنشيط الحوار في المسألة بين العلماء في اتجاه المسألة المطروحة للنقاش ليصل أهل الرأي والعلم والتخصص إلى معرفة الحكم الأقرب للصواب، ولكي تتضح المسألة أكثر ولبيان إن الإشكاليات علم من العلوم سنذكر ما بينه أئمة وعلماء كبار، فهذا الإمام القرافي في كتاب الفروق كان يذكر السؤال والإجابة وعندما تأتي مسألة فيها إشكالية يقول ما نصه:

(وهذه مواضيع شاقة الضبط عسيرة التحرير وفيها غوامض صعبة على الفقيه والمفتي عند حلول النوازل في الفتاوى والأقضية واعتبار حال الشهود في التخريج وعدمه، وأنا ألخص من ذلك ما تيسر وما لا أعرفه وعجزت قدرتي عنه، فحظي منه معرفة إشكاله، فإن معرفة الإشكال علم في نفسه، وفتح من الله تعالى).

ثم يوضح الإشكال المطروح وهو موضوع الكبائر والصغائر فيقول ما نصه:

إن الكبيرة قد اختلف فيها، هل تختص ببعض الذنوب والمعاصي أم لا ؟ فقال إمام الحرمين وغيره: إن كل معصية كبيرة نظر إلى من عصى بها، وكأنهم كرهوا أن تسمى معصية الله- تعالى- صغيرة، إجلالا له -تعالى- وتعظيما لحدوده، مع أنهم وافقوا في الجرح أنه لا يكون بمطلق المعصية، وإن من الذنوب ما يكون قادحا في العدالة ومنها ما لا يكون قادحا، وهذا مجمع عليه وإنما الخلاف في التسمية والإطلاق، قال جماعة: بل الذنوب منقسمة إلى

---

(١) النحل: ٤٣.

صغائر وكبائر، ثم قال- رحمه الله تعالى: وهذا هو الأظهر من جهة الكتاب والسنة والقواعد، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[(١)] فجعل الكفر رتبة، والفسوق رتبة ثانية، والعصيان يلي الفسوق، وهو الصغائر، فجمعت الآية بين الكفر والكبائر والصغائر، وتسمى بعض المعاصي فسقا عند البعض، وأما السنة فقوله ﷺ: «**الكبائر سبع**»[(٢)]، وعدها إلى آخرها فخص الكبائر ببعض الذنوب، وأما القواعد فلأن ما عظمت مفسدته ينبغي أن يسمى كبيرة، تخصيصا له باسم يخصه[(٣)].

ومسألة الإشكاليات كباب من أبواب العلم فصله العلامة الشنقيطي الشيخ محمد الماجي المتوفى سنة (١٢٨٢) في كتابه[(٤)] (البادية) والذي سماه (التلميحات) فقال ما نصه: (سنذكر بعض الكلام في التخريج، وإن لم يزدنا إلا استشكالا فقد قال العلماء: الاستشكال علم).

وقال: (ومن أراد الغاية... فعليه بمطالعة الطوال: القرافي، وابن السبكي وليستعن بحاشية وضعتها على قياسه، تمرينا وتدريبا، لا يفيد المطالع أولا، إلا استشكالا، ثم يزيده آخرا إيضاحا، وسنذكرها إن شاء الله تعالى).

وقال في تطبيقه على مسائل الضرورة: فانظر فعلى ما قررناه، إما أن تكون الإجارة على اللبن العامي، جائزة للضرورة العامة بها البلوى، وإما أن يستشكل تحريمها مع تحليل ما هو أكثر منها ربا، كالمسائل الماضية، لا سيما بيع النجاسات، فإنه حرام لذاته، ولا يحل مفردا ولا تبعا، بخلاف اللبن، فإنه يحل تبعا، إجماعا، وثمرة الاستشكال، الذي هو علم من العلوم، كما في التاج

---

(١) الحجرات: ٧.

(٢) أخرجه البيهقي (١/ ٢٧٣)، وحسنه الألباني عن أبى سعيد ﷺ في صحيح الجامع (٤٦٠٦).

(٣) انظر: الفروق للعلامة الإمام شهاب الدين أبي العباس الصنهاجي المشهور بالقرافي ـ منشورات دار المعرفة ـ بيروت ـ مع فهارس تحليلية لقواعد الفروق للإسناد والدكتور محمد رواس قلعجي ص١٢٠، ١٢١.

(٤) المرجع كتاب البادية وسماه كتاب التلميحات أصوف الكلاب.

والإكليل، أنه يصير المسألة شبهة بعد ظهـور تحريمهـا أو تحليلهـا، إن اختلـف فيها فقهاء العصر، أو سكتوا عنها على بعض حـدود الـشبهة مما اختلـف فيـه العلماء أو سكتوا عنه، فإذا صارت المسألة شبهة، فتارة يكون ذلك الاستشكال تخفيفا، كما لو كان ظاهرها قبل الاستشكال، التحريم.

واعلم أنهم نصوا على ارتكاب الشبهة لبر الوالدين، مع النص عـلى أنهـما لا يطاعان في معصية، فدل ذلك على أن ارتكاب الشبهة ليس معصية.

وقد قال سفيان الثوري: (العالم من يوسع على الناس وأما التطبيـق فيعلمـه كل أحد).

وقال- رحمه الله تعـالى: فمـن هنـا، تعلـم معنـى قـول (الـوراق) في التـاج والإكليل: أن الاستشكال علم، مع نصهم على أن استـشكال الـسنة لا يجـوز، لأنه مصادرة للشارع.

فالأول هو استشكال أقوال العلماء المجتهدين، وقد نـصوا عـلى أنـه علـم، ومن ثمرته طلب نص يحله، وعدم حرمة ارتكاب خلافـه، إن لم يوجـد ذلـك النص، لأنه صار شبهة بعدم النص، والشبهة لا يحرم ارتكابها، بل نـصوا عـلى كراهيتها، واستدلوا على ذلك بأنها ترتكب لبر الوالدين ولا يطاعان في معصية انظر شروح الرسالة في باب شروح الرسالة في باب جمل من الفرائض.

وفي التاج والإكليل لمختصر خليل قال أبو عبد الله العبدري الشهير بـالوراق في شرحه لمختصر خليل عنـد قولـه: (وأرض بئـر وعـين وغـرس وبنـاء) قـال العبدري ما نصه: (قال اللخمي: أما الـدور والأرضـون فيفيتهـا الهـدم والبنـاء والغرس وشق العيون وحفر الآبار وخروجها عن اليد والتحبيس . اهـ، وهـذا الذي ذكره اللخمي هو ما في المدونة ولم ينقل ابن بشير ولا ابـن شـاس ولا ابـن الحاجب غيره فما نقل خليل بعد هـذا فهـو زيـادة عـلى مـا في المدونـة والكتـب

المذكورة وغيرها كالتفريع وغيره فيستفيد الإنسان مزيد علم وإن لم يفهم لفظ خليل فقد قال العلماء: الاستشكال علم ولننقل المسألة التي أشار إليها خليل بلفظها وبعد ذلك أنقل لفظ خليل قال أصبغ: من اشترى أرضا بيعا فاسدا فغرس حولها شجرا أحاطت بها وعظمت فيها لمؤنة وأكثرها بياض لم يحدث فيه شيء ما، فهو فوت ويجب فيه القيمة).

ثم نقل كلام ابن رشد في قوله: (هذه مسألة حسنة وتفصيلية فيها صواب)[1] .

هذه جملة من النقولات العلمية أخذناها من كلام السادة المالكية وفيها بيان واضح أن الاستشكال علم، وما نكتبه اليوم هي مجموعة من المسائل السياسية والاجتماعية فيها نوع من الاستشكال نطرحها اليوم كعناوين واستطرادات فكرية لعل أحد من طلبة العلم يأخذ ببعضها تفصيلا وبيانا.

وفي كتابنا هذا سنتناول الإشكاليات التي سنتحدث من خلالها عن عدة اتجاهات:

الاتجاه الأول: ويشمل الإشكاليات التي تتناول الأحداث السياسية التي عصفت في المنطقة، وذلك بتناول الدولة والمقاومة بين الواجب والواقع ومنهج أمريكا بين الخليج العربي والخليج الفارسي وأحداث غزة / والثلاثة ركب (مصر، والسعودية، وسورية)، ثم نعرج على حماس ومرحلة جديدة في حربها مع إسرائيل.

وسيكون لنا حديث عن الحكام والشعوب ومعاشر المسلمين، النجاحات الإسرائيلية العشر، والمشهد العربي بين الارتباك والاشتباك .

وسنذكر في هذه الإشكاليات سبيكة ذهبية وحكمة أبوية صاغتها ذهنية

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري الشهير بالوراق والمتوفى في رجب (٨٩٧) طبعة دار الفكر بهامش كتاب : مواهب الخليل لشرح مختصر خليل (٤/ ٣٨٤) .

أَبية، ونداءات إيمانية لأصحاب المشاريع الإسلامية السياسية .

ونختم ذلك بالحديث عن أما آن للأمة أن يكون لها قضايا تجتمع عليها بعد هذا التشرذم؟!

الاتجاه الثاني: وسنتناول فيه أهم ما يتعلق بالهجوم على مبادئنا وقيمنا ، ذلك من خلال الحديث عن الحرب المعلنة على الأسرة المسلمة ، والصراع السياسي والخلط بين ثوابت الدين والاختلاف السياسي المصلحي، وثوابت الأمة ومبادئها بين التأصيل من جهة والممارسات اليومية من جهة أخرى.

ثم نعرج على الحديث عن الدولة والمواطن بين النصح والنصيحة ، وحدة المسلمين أحلام.. وعقبات ،وضوابط العمل الإسلامي .

ثم نهتم في الخاتمة بذكر إشكالية تعامل الحركات الشعبية مع الأنظمة الحاكمة والتبصر والتثبت قبل إنكار المنكر .

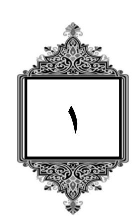
الاتجاه الثالث: وسنتناول فيه أهم ما يتعلق بالعولمة وخطرها على الفكر الإسلامي وذلك من خلال طرح رايات الثبات في حياة الدعاة، وخطر العولمة هو الاستعمار بأشكال جديدة، و(العولمة) نوع من الغزو الجديد .

ثم نذكر أنه لا بد من أسس علمية ومعايير موضوعية للحكم على الأشخاص، وأن جمال الإسلام أن يعيش المسلم بين الشمولية والجزئية، وأن نحذر الاختراق الفكري الإسلامي.

فهي حوارات مهمة رأينا أن تكون حوارا حيا له أهداف واضحة متناسبة مع إشكاليات الأمة ومشاكلها وهمومها بدل أن نحيي مجالسنا بأمور لا فائدة منها وإن كان هناك فائدة فهي قليلة.

فالأمة اليوم بحاجة إلى إحياء الفكر والعلم في الأمور الحياتية المهمة والعموميات .

وهي إشكاليات على عجالة من أجل إثراء الحوار وهي ملك لكل كاتب ولكل محاور.



الدولة والمقاومة بين الواجب والواقع [(١)]

الأحداث الساخنة فجرت كل الأسئلة:

عندما نتحدث اليوم عن الصراع مع اليهود على أرض الواقع في غزة وجنوب لبنان، ودور المقاومة في التعامل مع الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة وهنا سأنحى بعيداً عن أن يكون كلامي مظاهرة كلامية أو تحشيدا للإدانة والاستنكار للعدوان الإسرائيلي على لبنان أو فلسطين، لا لأن الموضوع لا يستحق هذا التحشيد، ولا لأن إسرائيل لا تستحق تلك الإدانة وأكثر منها..

بل لأن الوضع بمجمله يستحق أكثر من مجرد التعليق على ما يحدث على أرض الواقع، ولأن المعطيات الحالية تتطلب استدعاء بعض الحقائق من خلف كواليس ما يحدث على الأرض الآن.

نعم بإمكاننا بكل سهولة أن نطلق القذائف الكلامية المفوهة على الغطرسة الصهيونية، وعلى التواطؤ الأمريكي وعلى العجز العربي، لكن كل ذلك لن يؤدي بنا إلى حقيقة تفاعل قطع الشطرنج على أرض المنطقة وتقاطعات الدولة مع المقاومة من جهة، والمصالح مع المبادئ من جهة أخرى.

ولا نريد أحد أن يزايد علينا في هذا الموضوع، فقد حذرنا أكثر من مرة من مغبة الانجرار خلف عاطفة الجماهير، بحيث يتنازل المفكر عن قيادته للجماهير وفق الرؤية الشمولية للحدث بأبعاده المختلفة، ويقصر دوره على تلبية ما يريده المستمعون، فينتهي دوره قبل أن يبدأ.

---

(١) هذا الكلام كتبناه في وقت العدوان الإسرائيلي على جنوب لبنان وتعرض حزب الله هناك للقصف اليهودي المتوحش.

وبعد أن ينفض المولد، يـدرك المفكـرون كـم هـي الخـسائر التـي أحـدثها الاعتداء في نفوس وعقول الجماهير من جراء الانفعال الآني وغـير المـدروس، والذي تجعل الأمة تدور في حلقة مفرغة من الأوهـام الفكريـة، أو المخـدرات النفسية التي تعمي الإنسان عن رؤية الحقـائق عـلى الأرض مـع القـدرة عـلى التفريق بين الأماني والواقع والطموح والإمكانات.

نحن عندما نقول هذا الكـلام ونكتبـه فإننـا نـذكر بأننـا قـد صـغنا أقـسى العبارات في حق الزانية إسرائيل وقوادها الأمريكـي عنـد كتابتنـا في موضـوع الصراع مع اليهود في حادثة اغتيال الشيخ أحمد ياسين- رحمه الله، وقدرنا جرأة جريدة الوطن في نشر المقال في ذلك الوقت وتلك الظروف حين أحجمت فيه مجلات إسلامية عن نشر بعض ما ورد في ذلك المقال.

إذن عندما يستدعي أن نوجه كلاماً قاسياً لمن يستحقه فلـن نتـأخر، ولـذلك فلا نريد أن يزايد علينا أحد ونحن نتنـاول قـضية الـساعة، ونلفـت الانتبـاه إلى الوجوه الأخرى لها، ومن له رأي معارض فليطرحه في مكانه الفكري والساحة تتسع لجميع الآراء، وكل ذلك من أجل إثـراء الموضـوع لكـي تتـضح الحقـائق والدواعي الخفية والأسباب الكامنة، وينصف التاريخ من كتب في بؤرة الحقيقة ولم يتأثر بالدفع العاطفي للجماهير، حتى لا يكون أحد غشاشيها.

حقائق لا تغيب:

وقبيل تناول الأحداث العدوانية الإسرائيلية المتكررة على لبنـان وفلـسطين بشيء من التحليل والتفصيل نجد لزاماً علينا أن نؤكد على بعض الحقائق الهامة في الموضوع، حتى نستطيع أن نتجاوز الفكر التبريري الذي يـستند إلى ثوابـت سياسية ودينية لا يمكن تجاوزها، كما لا يمكن الاحتجاج بها في تبرير ما يحدث على الساحة لا باعتبار أسبابه فقط، بل باعتبار نتائجـه ومـا يترتـب عليـه مـن أوضاع على الساحة قد تعيد ترتيب كثير من الأوراق.

الحقيقة الأولى: العاقبة للمتقين:

فمهما بدا للوهلة الأولى قوة العدو وجبروته وتسلطه وتكالبه على شعوب الأمة الإسلامية، ومهما اجتاح من دولها، ونهب من ثرواتها، وسلب من خيراتها، وقتل خيرة شبابها.

ومهما بدت الأمة مهيضة الجناح، ضعيفة، منكسرة، متخلفة، متفرقة ومتشرذمة، فإن ذلك كله لا يمكن أن يخدعنا عن الحقيقة الربانية بظهور هذا الدين الخاتم، وهذه الأمة المؤمنة التي لم تفنى، لا في حروب الردة، ولا في الحروب الصليبية، ولا في الغزوة التترية، ولا في مواجهة الاستعمار الحديث.

فمعركة الإحياء والتجديد مستمرة، والصحوة الإسلامية تؤتي أكلها المباركة، وسنن التغيير والتداول كلها مبشرة، ووعد الله لا يتخلف، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾[2].

وفي الحديث النبوي: «**إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها**»[3].

فوعد الله قادم حتى لو تكبلنا لبعض الوقت الطريق، ولكن علينا الانتباه إلى أن الحق في هذه المسألة وسط بين نقيضين، فلا يجعلنا الواقع نتحول إلى دعاة للتوهين والخنوع والاستسلام وقبول الذل والصغار، فننفخ في قوة عدونا ونعظمه وننشر الهيبة منه في الصدور والقلوب، كما لا نتطرف في مقابل

---

(١) التوبة: ٣٣.

(٢) النور: ٥٥.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) وأبو داود (٤٢٥٢).

ذلك، فنستهين بعدونا على الرغم مما يملكه من قوة وبأس فنتهور في مغامرات غير محسوبة، نهلك فيها الحرث والنسل.

الحقيقة الثانية : حرمة دم المسلم :

فلا نبرر العدوان على الأمة في أي مكان، ولا نجيزه، ولا يجعلنا الخلاف المذهبي والأيدلوجي من التردد في إدانة هذا العدوان اليهودي الهمجي على الضحايا والأبرياء من المدنيين، فحرمة الدماء المسلمة معروفة، وحرمة الدماء الإنسانية معروفة، وفي الحديث النبوي: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»(١).

ولذلك قال النبي ﷺ: «**لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً**»(٢).

نعم قد تختلف الرؤى والأوليات والبرامج، ولكن هذا الاختلاف يجب أن لا يتحول إلى جسر نبرر به جرائم العدوان ويشمت بعضنا ببعض، بينما ننسى الإجرام الوحشي الذي تمارسه إسرائيل ليل نهار في فلسطين أو في لبنان.

الحقيقة الثالثة : تحقيق معنى الولاء والبراء:

فاختلاف الرؤى داخل الأمة من القضايا الأساسية وسبل معالجتها لا يستدعي تحول البعض إلى وكيل إعلاني لأعداء الأمة، فيأخذ بالهمز واللمز ممن أخذ على عاتقه حمل هموم الأمة ويستمرئ الشماتة في كل ما يصيب الأمة، حتى يصل إلى غايته الرديئة وهو أن يرى الأمة وقد رفعت راية الاستسلام البيضاء، وسلمت لأعدائها وارتدت على أعقابها ونكصت عن دروب النهضة والريادة.

الحقيقة الرابعة : الثوابت المشتركة :

فهناك ثوابت من المفترض أن لا يفرط فيها أحد من الأمة، وفي مقدمتها

(١) أخرجه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٦٢).

عدم التنازل عن مقدسات الأمة في فلسطين، سواء كان الاختيار لاسترداد تلك المقدسات عن طريق المفاوضات أم طريق المقاومة، فلا يملك أحد أن يتجاوز هذه الحقيقة، ومن يتجرأ أو يتنازل عن تلك المقدسات، فإنه ينسلخ طواعية عن كيان الأمة، ولا يعود لتنازله عن تلك المقدسات أي قيمة، لأنه في هذه الحالة لا يجد إلا عزوف الجماهير عنه، ولا يعود يمثل إلا نفسه.

ومن الثوابت الهامة أيضاً عداوة إسرائيل للأمة، لأن أصل تلك العداوة ليست سياسية فقط، بل هي عداوة عقائدية بالدرجة الأولى وقد بدأت منذ أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة، وما مقولة غولدا مائير: (إنني أشم رائحة أجدادي في خيبر) أو مقولة قادة الجيش اليهودي بعد احتلال القدس: (محمد مات .. خلف بنات) إلا أدلة محققة على هذا الحقد الكامن تجاه الأمة الإسلامية كمعتقد وحضارة.

وهم وحتى لو وجدوا من أبناء جلدتنا من ينادي بالتعايش السلمي معهم، فإن عقيدتهم تقوم على احتقار الآخر، لأنهم كما يرون أنفسهم شعب الله المختار، ومن يطلع على المناهج الدراسية الإسرائيلية وما يعلمه اليهود فيها في فلسطين لأبنائهم يدرك كم هي ملهاة أن يوجد من بين أظهرنا من يعتقد بإمكانية التعايش مع هؤلاء ومع تلك المناهج الدراسية العنصرية الغارقة في التحريض على القتل والكراهية ونحن نستغرب أن تلاحق أمريكا النقطة والفاصلة والسطر في مناهجنا الدراسية، ولا ترى جبال الكراهية التي تطفح بها مناهج إسرائيل التعليمية!!.

الحقيقة الخامسة : **الجسد الواحد**:

فالأمة المسلمة جسد واحد كما ورد في الحديث:« **إذا اشتكى منه عضو**

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١] والتقسيمات السياسية الحديثة التي فرخها الاستعمار لا تعني بأي حال من الأحوال التنكر للأمة وقضاياها والانكباب إلى الداخل الوطني وإهمال حقوق الجار الإسلامي والعربي والتعامل معها بالمبدأ القطري، فليس من المعقول الانعزال عن المحيط العربي والإسلامي، مع كل أسباب ودواعي وروابط الوحدة بينما تسعى الدول للتكتل والتجمع على أسس سياسية واقتصادية.

إن المسلمين أمة واحدة ومن المفروض أن يسعى بذمتهم أدناهم أما أن يلملم البعض منا ثوبه حتى لا تصيبه دماء إخوانه فمثله مثل المنافقين الذين يودون أن يكونوا ﴿لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾[٢] هؤلاء الذين حرصوا على الظهور بمظهر الاعتدال والوسطية على حساب دماء شعوب المنطقة، غير مبالين إلا بصورتهم اللطيفة في المجتمعات الدولية التي تؤمن بمبدأ حق القوة لا قوة الحق!! .

الحقيقية السادسة : البأس الداخلي والخارجي :

وهذه إحدى الحقائق المريرة التي استنزفت الكثير والكثير من جهود الأمة، فعدم القدرة على استيعاب الآخر، وسيطرة الفكر الاستقصائي وانتشار لغة (التخوين) على المستوى القومي، ولغة (التكفير) على المستوى العقيدي، جعلت بأس هذه الأمة بينها شديد، ودخلت في صراعات قومية داخلية وطائفية، وزاد الطين بلة النخبة المتغربة التي أصابت الأمة إصابات مباشرة في سلوكياتها وقيمها في سبيل تحويلها إلى نسخة من ثقافة المستعمر الذي خرج من دول المنطقة ووضع لافتة تشير له مكتوب عليها: (المستقبل من هنا).

هذا البأس الشديد بين الأمة نجده في لغة العنف المكتوبة في الخلاف

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١١)، مسلم (٢٥٨٦).
(٢) الأحزاب: ٢٠.

الفكري، وفي خروج تيارات العنف التي تعبر عن رفضها لواقع المجتمع باستخدام القوة في التغيير، وهي لغة لم تقتصر على بعض التيارات الدينية، بل استخدمها من قبل العسكر في سلسلة الانقلابات الدموية التي قامت بها، خصوصاً في ظل الإخفاقات المتكررة للتمدن والتحديث.

وهكذا نجد أن مثل تلك الخلافات قد استهلكت الشيء الكثير من إمكانات الأمة التي كان من المفترض تحشيدها في معركة النهوض والبناء، وأصبح من الطبيعي أن تكون آراؤنا عنيفة، ومظاهراتنا عنيفة، وخلافاتنا عنيفة، وحتى التغيير السياسي في كثير من دولنا لا يتم إلا بالعنف، سواء العنف الناعم الذي يكون في البيت السياسي الواحد أو العنف الخشن الذي ينقلب على كامل التركيبة السياسية.

وحتى نكون أكثر صراحة وندلل على ما نقول ففي الأسبوع الفائت أسقطت إسرائيل ما بين مائتين إلى ثلاثمائة قتيل في لبنان الجريح، بينما حصد العنف الطائفي في العراق وحده وفي نفس الفترة أكثر من ألف ضحية!!

الحقيقة السابعة: فقه الفتنة:

فأثناء الفتن تطيش العقول وتتسارع الأحكام، وتتميز المواقف بالحدة والمفاصلة، وتقود الجماهير الجراح الكامنة، فتتوارى الحكمة وتصبح الأهداف الآنية لدى المعارضة تحقيق معادلة التغيير، ولدى السلطة امتصاص الهزات التي تنشأ من الواقع الصعب، ويصبح في مثل تلك الأجواء الحديث عن غير ما تريده الجماهير عبثاً في عبث، حتى لو كانت الحقيقة تكمن فيه.

فالجماهير في مثل هذه الحالة تعزف نشيداً ثورياً وتريد أن ينحصر دور الرموز والنخب الفكرية فقط في عزف السيمفونيات التي تناسب المقام وبحر الشعر الذي تنشد به، ومهما كان المقام واللحن شاذاً عن مجمل القواعد الفنية، فإن

الجماهير لا تهتم بذلك كثيراً في سبيل إشباع ضغط اللحظة الحاضرة ومكامن الكبت الموجودة في النفوس، وتراكمات العجز والممارسات السيئة للسلطة.

في مثل تلك الأجواء حيث يسهل نقل الشائعات، وتبادل الاتهام يصبح من المهم أن يتكلم صوت العقل، وأن تبدي النخب الفكرية ما تعتقد أنه الصورة الصحيحة والكاملة للحدث.

نعم قد يكون مثل تلك الأصوات في لحظة الفتنة شاذة ومكروهة، ولكن بعد أن يهدأ القصف، وتفرغ الجماهير شحنتها العاطفية واندفاعاتها الجسدية، وبعد أن تظهر الحقائق المريرة، وتعود العقول إلى ممارسة عملية التحليل والتفكير بشكل نفسي متوازن ساعتها سيدرك العقلاء أن ما اعتبرته شذوذاً في الموقف في عز الفتنة هو الذي ترجح وظهرت حكمته وموازناته النفسية والعقلية.

نقول هذا الكلام وأمامنا تجربة احتلال الكويت التي لا زالت ماثلة في الأذهان، حيث سارت رموز فكرية وإسلامية وقومية من النخب خلف هتافات الجماهير، فتحولت الكارثة إلى ما يشبه قصص ألف ليلة وليلة، حيث تم توزيع الوعود بإعادة توزيع الثروة وتحرير فلسطين، وإقامة الوحدة المنشودة، وكسر الاستعمار الأمريكي وتكرار تجربة فيتنام على أرض الخليج، حتى إذا ما ظهرت شمس الحقيقة ذاب جليد الأوهام وظهرت الحقائق المريرة، فانتكست الجماهير وزادت مرارتها لأنها تريد التغيير للأفضل، وهذا من حقها ما دامت تعاني من الأوضاع وتراكم الممارسات السيئة للواقع الرديء الذي نعيشه منذ عقود.

ولكن الجماهير لا تقود عمليات التغيير ولا تملك آلياته وليس لها القدرة على التعامل مع الثوابت السياسية والدينية والعسكرية، فهي قضايا نخبوية تحتاج إلى رموز فكرية وقيادية ونضج في الممارسة ووعي في التطبيق، ومرحلية

في التدرج، وهي قضايا لا يمكن أن تتم وسط صخب الشارع وآنية التفكير والاندفاع.

نعم لدينا الكثير مما نقوله، ولكن يكفي اليوم أن نفتح الباب على هذا المخزون الذي طالت الجراح فيه، وقل الطبيب المداوي، وقد جاء العدوان الإسرائيلي على لبنان[1] ليفجر كل الأسئلة السابقة التي تجنبنا الخوض فيها، وكل الأسئلة اللاحقة التي تنتظر الإجابة.

نريد أن نتحدث عن إشكالية الدولة والمقاومة والسلطة والشرعية والمصالح والمبادئ والمفكر والجماهير والمهندس الذي يقود سيناريوهات المنطقة منذ قيام دولة إسرائيل وحتى المواجهة المفتوحة الأخيرة على أرض لبنان.

إننا نريد أن نكون واضحين في تبيان خطورة التغذية المرتدة بين نظرية الاعتدال المتطرف ونظرية التطرف المعتدل، ومن أجل أن نعيد الجماهير إلى المسار الصحيح التي انحرفت عنه.

نعم .. نحن في أشد الحاجة إلى خارطة طريق، ولكنها لجميع الأمة حتى تعود إلى رشدها، ولا يتحول مستقبلها ورهاناتها إلى مجرد موجات من التنفيس عن الاحتقان الذي طال في جسد الأمة وكاد أن يأتي على بيضتها.

فلنراجع التاريخ قبل أن ندخل في الجغرافيا:

بعد أن ذكرنا مجموعة من البيانات الفكرية حتى نحدد الخطوط الأساسية التي يجب أن تكون واضحة في أذهاننا ونحن نتناول موضوع المقاومة في لبنان في وقت الاجتياح الإسرائيلي.

هذا وقد بينا أننا لا نريد الاكتفاء بمجرد تحليل الحدث، وإنما ربطه بمجمل الخلفيات والسياقات التاريخية والسياسية ليكون المشهد الحالي جزء من الصورة الكاملة للأحداث في الشرق الأوسط كما يحلو للأمريكان أن يطلقوا

(١) هذا الكلام كتب في الاجتياح الإسرائيلي الأخير للبنان.

عليها والتي تحتل بلاد المسلمين ومقدساتهم في تلك البقعة المباركة.

ولذلك كان من الضروري أن نستدعي تاريخ الصراع بشيء من التفصيل لا لنجتر الماضي، ولكن لنسقط الضوء على ما تم تجاهله من التاريخ الحقيقي الذي ضاع وكاد أن تندرس معالمه مقابل التاريخ الرسمي المكتوب للصراع، والذي لا يغني كثيراً في فهم الواقع.

استقراء التاريخ .. ماذا علينا أن نفعل؟

الجواب الذي لا يختلف عليه اثنان أن علينا أن نفعل ما يفعله العقلاء إذا تورطوا في المضايق وأحاطت بهم الشدائد وسدت عليهم المسالك، علينا قبل كل شيء أن نفكر وألا تمر بنا الأحداث الضخام ونحن في غفلة لاهون وفي غمرة ساهون، علينا أن نفكر في نكبة الأمس لنستخلص عبرة للغد ولا نكون كالذين وصف الله موقفهم من عبر التاريخ فقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

إن من لا يستقرئ التاريخ بدقة وبوعي لا يمكنه أن يعبر إلى مستقبله بنجاح فحياة البشرية تاريخ متكرر وفق سنن كونية وشرعية وناموس إلهي يتردد في أرجاء المعمورة، أما الذي يتغير فهو الزمان والمكان والشخوص وصورة وشكلية الحدث وهذا المعنى قد وعاه الكبار ذوي الخبرة.

وكلنا يعرف تلك القصة التي في البخاري فقد روى عن جرير ﷺ قال: كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن ذا كلاع وذا عمرو فجعلت أحدثهم عن النبي ﷺ فقال لي ذو عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك لقد مر على أجله منذ ثلاث، وأقبلا معي حتى إذا كنا في بعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة، فسألناهم فقالوا: قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر والناس

---

(١) الحج: ٤٦.

صالحون، فقالا: أخبر صاحبك أنا قد جئنا ولعلنا سنعود إن شاء الله، ورجعا إلى اليمن فأخبرت أبا بكر بحديثهم قال: أفلا جئت بهم، فلما كان بعد قال لي ذو عمرو: يا جرير إن بك علي كرامة، وإني مخبرك خبراً: (إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمرتم في آخر فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكاً يغضبون غضب الملوك ويرضون رضا الملوك) هذا اليمني قال هذا الكلام نتيجة استقرائه التاريخ فصار مفهوماً تحدد على أساسه خطوات المستقبل.

وكذلك عندما جاء المأمون يأخذ كتب اليونان من الكنائس والأديرة امتنع البعض حتى قال حكماؤهم: أعطوهم إياها - بما فيها من فلسفات وعلم كلام- فوالله ما جاءت إلى قوم إلا ودمرتهم، كيف استطاعوا أن يصلوا إلى هذه النتيجة؟ إنه استقراء التاريخ.

ولما لا نفكر في مستقبلنا على قاعدة من أمسنا وهي دعوة من الله- تعالى- لنا، إننا أمة دعاها كتابها إلى التفكر والنظر في عشرات الآيات في شتى سوره وجعل دينها التفكر فريضة وعبادة وتعلمت من تراثها كذلك أن تفكر ساعة خير من عبادة سنة لجديرة أن تدع الارتجال والعشوائية والتهريج وتفكر لغدها بأناة وعمق، وأن تثبت وجودها بحسن تفكيرها.

إن من أسباب الانهزامية الفكرية والداخلية للأمة هو ضعف البصيرة بالواقع والحياة وبالتاريخ وبسنن الله في الخلق، فنجد أحدهم يريد ما لا يكون، ويطلب ما لا يوجد، ويتخيل ما لا يقع، ويفهم الوقائع على غير حقيقتها ويفسرها وفقاً لأوهام رسخت في رأسه لا أساس لها من سنن الله في خلقه ولا من أحكامه في شرعه فهو يريد أن يقرر التغيير بوسائل وهمية، وأساليب خيالية، مع شجاعة وجرأة لا تستكثر تضحية وإن غلت ولا تهتم بالنتائج أيا كانت ما دامت نيتها الله!!

من المقرر في دراسة التاريخ وتحكيم العقل أن الانتصار لا يقوم في مجال واحد كالسياسي والاقتصادي أو الفدائي والقتالي ولكن لا بد من النظر في مجال الأصول الفكرية والحضارية التي تستخدمها الأمة إدراكها لذاتها المتميزة كما تستمد شرعيتها الضابطة لحركتها ومعايير الأحكام التي تقيس بها الصواب والخطأ والصالح والضار وعدم وجود مثل هذا الضابط يترتب عليه اختلاف في الأهمية النسبية للأمور التي تنطرح علينا، لأننا لا نقيس بمقياس واحد، وخلافنا ليس حول الأمور التي نزنها، بل حول الميزان الذي نمسك به، بل إننا وصلنا إلى أن نختلف حول ماهية الأمة!!

قراءة في واقعنا اليوم:

إن إعطاء تصور لما يحدث اليوم ينبني على دراسة ما حدث بالأمس لأن المهندس في القرن الذي نعيشه واحد وإن تعدد المقاولون ولكن في النهاية المهندس هو الذي سيشرف على المشهد النهائي للخريطة على أرض الواقع وهنا دعونا نرى المشاهد كيف تتكرر وردود الفعل والنهايات تتغير ألوانها فقط!!

إن اكتشافاتنا -دائماً- تأتي متأخرة لنكتشف أننا سرنا في دهاليز ضيقة ونحن نظن أننا نسرح في أرض واسعة، فعلى سبيل المثال في بلاد الشام منذ انقلاب حسني الزعيم الذي دبرته المخابرات الأمريكية نجد أن التمكين لإسرائيل وضمان أمنها هو الهدف من كل ما جرى ويجري في عالمنا الإسلامي على وجه الخصوص، لقد كان حسني الزعيم يؤكد للأمريكان أنه ينوي اتخاذ بعض الإجراءات الإيجابية لإنهاء النزاع العربي الإسرائيلي كما هو مبين في كتاب (لعبة الأمم)، فكانت الخطوة الوحيدة التي استطاعها هو عقد الهدنة مع إسرائيل عقب نكبة (١٩٤٨)، ثم توالت الهزائم وصولاً إلى خيانة يونيو (١٩٦٧).

والذي يعنينا في هذا السياق ما يحدث في بلاد الشام يقول صاحب كتاب (سقوط الجولان) الذي ألفه ضابط استخبارات الجولان قبل الحرب، والذي

كان سبباً في اعتقاله واختفائه يقول: (في الفصل السابق إن إسرائيل قد شاركت في انقلاب ٨ مارس سنة ١٩٦٣ عن طريق رجلها (إيلي كوهين) الجاسوس الذي تسمى باسم (كامل أمين ثابت) استطاع أن يرتقي في حزب البعث إلى أن وصل إلى عضوية القيادة القطرية ورشح وزيراً للإعلام مرة ونائباً لوزير الدفاع مرة ثانية، وقد أشرف (إيلي كوهين) الإسرائيلي الجنسية المصري المولد على إذاعة البيانات الأولى للانقلاب وقد استطاع (إيلي كوهين) أن يحكم سوريا من خلال علاقاته بأقطاب حزب البعث وخاصة رئيس الجمهورية أمين الحافظ ورئيس الوزراء صلاح البيطار ورئيس الحزب ميشيل عفلق بل كان (الموساد) جهاز المخابرات الإسرائيلي هو الذي يرسم الخطط (لإيلي كوهين) ويصدر له الأوامر صباح مساء ويتلقى منه التقارير.

وقد استطاع (إيلي كوهين) أن يجعل من سوريا كتاباً مفتوحاً أمام المسؤولين الإسرائيليين فقد فتحت أمامه كل الأبواب ولم يبق هناك في سوريا سر لم يعرفه حتى الأماكن التي كانت محرمة كان (إيلي) يذهب إليها.

وقبل أن تكتشف فضيحة (إيلي كوهين) وتقديمه للمحاكمة وإعدامه عام (١٩٦٥) أي قبل وقوع هزيمة حزيران بعامين اثنين فقط كان (المسئولون الإسرائيليون) يعرفون عن طريق (الموساد) ما وصلت إليه الأوضاع داخل الشعب السوري وداخل الحكومة السورية وداخل الجيش السوري.

إن بيع الأمة الإسلامية وفلسطين والقدس يشترك فيه العدو الواضح والعدو الخفي على بعض الناس وكل على طريقته فعلى سبيل المثال روسيا الصديقة لعبد الناصر كيف ساهمت في بيع الأمة لإسرائيل؟؟ يقول الكاتب سعيد عبد الكريم الخطابي في أخبار الأربعاء (٢٨ديسمبر ١٩٧٧) تحت عنوان (مناقشة هادئة): ثم بعد ما قامت الحرب المشئومة (١٩٦٧)، ماذا كان الدور

الروسي؟ لقد أصدرت إنذاراً بعدم عبور قناة السويس، وهذا معناه ضمنياً إعطاؤها الضوء الأخضر لاحتلال كل سيناء وبقية الأراضي الأخرى: الجولان والضفة الغربية!!

وما دمنا في بيع الأمة من بوابة مصر فلننظر في عدوان سنة ١٩٥٦ حيث فقدوا سيادتهم عل مضايق العقبة، وتمكنت إسرائيل من إطلالة البحر الأحمر، مكنت لها من تهديد شواطئنا، ومد نفوذها إلى أفريقيا الشرقية وباب المندب، ثم جاء الصمت على تحويل مجرى نهر الأردن طيلة سنوات الوحدة المصرية السورية الثلاث، دون أن يبذل أي مجهود لوقف أعمال التحويل، ليستمر السكوت عن مواجهة إسرائيل في جبهة سيناء والتحول إلى مواجهة العرب في جبهة اليمن لأنه ضرورة من ضرورات تحرير فلسطين!! ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كما إن احتلال الكويت من قبل القوى الثورية ضرورة لتحرير فلسطين!! لتأتي إسرائيل بعد ذلك لتفتح البحر الأحمر وتنشئ ميناء إيلات، وتشيد عبر الأراضي العربية أكبر خطوط نقل بترول، إيلات- حيفا وتحول مجرى نهر الأردن، وتقيم المشروعات الزراعية المتطورة على ضفافه.

أبعد كل ذلك يسحب الجيش المصري من خطوط المواجهة مع إسرائيل، ويصدر إلى اليمن بدعوى أن طريق تحرير فلسطين يبدأ من اليمن؟!

إن شعار الثورات المصطنعة كانت تؤنس العرب بمشاعرهم لتسلم بعد ذلك للمهندس المقاولة التي تم الاتفاق عليها، فشعار عبد الناصر في إلقاء إسرائيل في البحر هي الورقة التي يحبذ اللعب فيها، ويهدد بها غيره من رؤساء الدول العربية.

ولبيان هذا الأمر التآمري انظر ما كتبه الأستاذ وجيه أبو ذكري في أخبار الخميس (١٥ إبريل عام ١٩٧٩): وكان رأي الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

أن القاهرة ليس لديها مانع من مفاوضات مباشرة بين الأردن وإسرائيل وأنها ستدعم المفاوضات.

وفي (عام ١٩٦٨) التقى الملك حسين بالجنرال موشى دايان -وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الحين- وبدأت المفاوضات خارج روما، وعلمت وكالات الأنباء بالخبر، فأذاعته على العالم، وصدرت تعليمات بعدم نشر الخبر في الصحف المصرية.

وطلب الملك حسين من الرئيس الراحل عبد الناصر أن يشترك في المفاوضات المباشرة السرية التي كانت بين إسرائيل والعرب.

وكان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أسبق إلى المحاولة من الطلب الذي قدمه له الملك حسين، فقد اجتمع جمال عبد الناصر مع أحد الصحفيين المصريين من حزب التجمع حالياً، وطلب منه أن يبدأ فوراً بالمفاوضة المباشرة، وكانت إحدى الدول العربية -غير الأردن- قد توسطت لدى ناحوم جولدمان رئيس الوكالة اليهودية، والمقيم في باريس، ليبدأ الحوار مع الجانب المصري، وبعدها يتصاعد الحوار، ليبدأ سراً بين مصريين رسميين وإسرائيليين رسميين، كما كلف جمال عبد الناصر أحد الوزراء المعروفين - من الضباط الأحرار- بالقيام باتصالات مع الإسرائيليين، ويحتفظ هذا الوزير بأسرار كل هذه الاتصالات.. واجتمع هذا الوزير عقب عودته فوراً بالرئيس جمال عبد الناصر، الذي لم يتوقف عن محاولة الاتصال والحوار بالإسرائيليين.

هذه هي الشجاعة وإلا فلا؟! هذه هي الأمانة وإلا فلا؟! هذه هي الزعامة التي توجت بالخيبة والبلاء ا.هـ.

إن واقع الأمة يعبث به في كل الاتجاهات حتى الأحرف والكلمات فالنكبة الكبرى في (يونيو ١٩٦٧) قلصت حتى سموها نكسة!!

إنها نكبة في كل الاتجاهات لقد عاشت الأمة وهي تُلقّن أن كيان إسرائيل طفيلي دخيل قام على الاغتصاب والعدوان، وأن تحرير أرض الإسلام من هذه الجرثومة الغربية في جسم الأمة المسلمة فريضة دينية وقومية، وأن لا حق لدولة إسرائيل في البقاء على أرض ليست لها، وكما قال الحاج أمين الحسيني:" إن فلسطين ليست بلداً بغير شعب حتى تستقبل شعباً بغير بلد!.

ثم دار الفلك دورته فكانت كارثة (١٩٦٧م) وإذا بالسياسة العربية تتخذ مساراً جديداً كل همه وغايته ليس أكثر من (إزالة آثار العدوان) أي: الاعتراف بإسرائيل، وبكل ما عدت عليه قبل ٥ يونيو ١٩٦٧م ومعنى هذا: أن العدوان الجديد قد أضفى الشرعية على العدوان القديم!!.

فلماذا كانت حرب (١٩٤٨م)؟ ولماذا كانت حرب (١٩٥٦م)؟ ولماذا كانت حرب (١٩٦٧م)؟.

لماذا لم تسلموا لإسرائيل منذ التقسيم، وتريحوا الأمة من أعباء الحرب وخسائرها وويلاتها؟!

جاء السعي وراء ما سمي (الحل السلمي) ومعاهدات السلام مخيباً للآمال ومحبطاً لكل ما كان عند الشباب من توثب وطموح -ومهما برره من برره- بضرورات واعتبارات عسكرية أو سياسية محلية أو دولية، فقد كان ذلك صدمة شديدة العنف لأنفس الشباب المسلم وآماله.

لقد خابت آمال كبار، وتبخرت أحلام عذاب، وتهاوت آلهة كان قوم منا يطوفون بها ويرجون نفعها عند الشدة، وعونها عند الكربة ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمۡ غَيۡرَ تَتۡبِيبٖ﴾[1]!.

حقيقة يجب التعامل معها:

من مشاكل الأمة أن يفرض عليها أن تعيش في أوهام، ويرسم لها ما تقول

(١) هود: ١٠١.

وترتب الأوراق لضربها وتتلبس في المشهد من حيث تدري أو لا تـدري فعـلى سبيل المثال:

في عام (١٩٦٥) وقف عبد الناصر ليعلن في خطاب له أمام جماهير شـعب مصـر وكان ذلك بحضور شيلبين الزعيم السوفيتي، قال عبد الناصر: (إن على الأمريكان أن يشربوا من البحر الأبـيض وإذا لم يكفهـم فليـشربوا مـن البحـر الأحمر).

وعقب هذا الخطاب بدأت إسرائيل الإعداد لتحطيم جيش مصر بالاتفـاق مع جونسون رئيس الولايات المتحـدة وبمعونـة عـسكرية كاملـة مـن الإدارة الأمريكية وهـذا مـا يؤكـده كثـير ممـا نـشر مـن تحليـل التطـورات للموقـف الأمريكي.

وكان الاسم الكودي لعمليـة (٥/ ٦/ ١٩٦٧) المتفـق عليـه بـين إسرائيـل والولايات المتحدة (الأبيض/ الأحمر).

فهذا التلاحم الأمريكي الغربي الإسرائيلي حقيقة يجب التعامـل معهـا فهـا نحن نرى في الاستباحة العسكرية للبنان اليـوم أن هنـاك توافقـا متطابقـا بـين المراد الإسرائيلي والمراد الأمريكي الغربي والروسي فالعبارات واحـدة لـصالح إسرائيل تخرج من تل أبيب أو من رؤساء الدول الثمانية أو هيئة الأمم أو مجلس الأمن، وهي حقيقة واحدة مع اختلاف العبـارة والـصياغة (دمـروا الإسـلام أبيدوا أهله).

بل إن العالم يصنع الانتصارات لإسرائيل وإن كانت هزائم في أولها ولننظـر إلى حرب رمضان-أكتوبر (١٩٧٣)، كيف صنع من الهزيمة اليهودية انتصاراً، وكيف تدخلت أمريكا بكل ثقلها من أجل تغيير ميزان القوى بل الأدهى مـن ذلك كيف جعلت تحرير سيناء ثمناً لعملية التطبيع والاعتراف بإسرائيل لتفرغ الانتصار من معناه.

فمن المعروف أنه مع تدمير خط بارليف، وتدمير معظم السلاح الإسرائيلي بواسطة حائط الصواريخ المصرية وتدمير أكثر من ألفي دبابة، بعد هذا انهارت جولد مائير رئيسة وزراء إسرائيل بعد أربعة أيام من بدء القتال لترسل تلغرافها الشهير للولايات المتحدة الأمريكية طالبة إنقاذ إسرائيل ليبدأ الجسر الجوي الذي أوله في أمريكا وآخره في مصر ومنطقة الشرق الأوسط، ثم يأتي بعد ذلك هنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة لإنقاذ القوات الإسرائيلية التي عبرت قناة السويس، وليرسم الخريطة من جديد!!

لقد عرف الإسرائيليون وأمريكا أن الانتصار كان بسبب الرجوع إلى الدين الذي حاربته قوة الثورة، ولذلك رأيناهم كما صرح المشير أحمد إسماعيل: إن الجنود المصريين حينما عبروا القناة هتفوا تلقائياً: (الله أكبر) وقد صرح الرئيس محمد حسني مبارك في خطاب له بمناسبة ذكرى مرور أحد عشر عاماً على انتصار مصر في معركة أكتوبر (١٩٧٣): (إن هتاف (الله أكبر) كان أقوى من الصواريخ ومن القنابل).

المواجهة المفتوحة وضغط الأسئلة الساخنة:

بعد أن أسسنا للنظرة الشمولية للصراع في المنطقة، وبعد أن استدعينا التاريخ ليحدثنا عن سلسلة السقوط والإخفاق والتخاذل في تاريخ هذا الصراع العقائدي الحضاري السياسي المرير نعتبر أن الوقت قد حان للانتقال من التاريخ إلى الجغرافيا، ومقارنة الواقع اليوم على ضوء التأصيل الفكري للموضوع، والتمهيد التاريخي ومعطيات الصراع.

الفتن منبهات حضارية:

إن الفتن الكبرى والنكبات التي لحقت بالأمة وما زالت تلحق بها حتى هذه الساعة ما هي في الحقيقة إلا تحديات واستفزازات ومنبهات حضارية تحمل الأمم الحية للعكوف على ذاتها والقيام بالمراجعة الكاملة لمواريثها

الفكرية ومواقعها العملية، بجرأة وشجاعة لامتحان القيم والأفكار والتصورات والثقافات التي تحكم حياة الناس، وتنظم وتعزز سلوكهم وتصنع اهتماماتهم في محاولة لتحديد أسباب القصور والعجز ومن ثم محاولة الوقوف على إصلاح منشود.

فالتحديات والأزمات التي توقظ الشعوب والأمم من سباتها، وتصنع الحضارة، وتشكل التحولات الكبرى في مسيرة الحياة، وتقضي على الصور المشوهة والعناصر الشائخة والكيانات الرخوة، وتحفزها للإقلاع من جديد ذلك أن إحباطات الماضي عند الأمم الحية لا تقضي على إمكانات المستقبل أو ما يطلق عليه (خميرة النهوض والإمكان الحضاري) والمستقرئ لتاريخ الفتن الداخلية والنكبات التي أصابت الأمة ابتداءً من فتنة الردة ودعوات النبوة الكاذبة التي استهدفت عقيدة الأمة وعالم أفكارها ومروراً بالفتن الكبرى، وما خلفته من إصابات فكرية أدت إلى ظهور الخوارج والباطنية، ومن ثم الإعصار المغولي والغزو الصليبي والاستعمار الحديث بكل أشكاله والحقبة اليهودية والتي يقع العالم الإسلامي تحت وطأتها اليوم، وصولاً إلى أزمة الخليج وما تبع ذلك من الهجمة الأمريكية الشرسة على ديار الإسلام، وما نعانيه اليوم من مواجهة مباشرة وغير متكافئة مع لبنان وفلسطين.

الناظر في ذلك كله يجد أن هذا التاريخ بقدر ما يحمل للأمة من الإصابات الفكرية والوهن الحضاري وصور الغثاء الاجتماعي بقدر ما شكل من التحديات والاستفزازات التي صححت المسار وجددت العزيمة وشحذت الفاعلية وحرضت على استئناف الشهود الحضاري، وأثمرت صحوة إسلامية راشدة.

وهذه الإصابات التي لحقت بالأمة وما زالت تلحق بها ما هي في الحقيقة إلا عقوبات مستحقة على جملة من المعاصي الفكرية والسياسية والاجتماعية وإن تسليط أعدائها عليها إنما هو تسليط عقاب، وليس استئصال وإبادة،

لذلك تبقى الإصابات الأخطر على كيان الأمة وامتدادها هي الإصابات الداخلية والنزاع المورث للفشل.

أقول: إنها منبهات حضارية تحمل بصائر الحاضر وبشائر المستقبل قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾[1] وهذا يتوقف على حسن قراءتها بأبجدية سليمة، إن ما نمتلك من قيم الوحي إذا أحسنا التعامل معها، سوف تشكل لنا المناعة، والعصمة من أزمات الفكر، وإصابات العقل، وتمنحنا إمكانات النهوض، وهذا دليل الخلود والامتداد والإمكان الحضاري.

إن المفاجأة بالنتائج تكاد تكون دليلاً صارخاً على عدم إبصارنا للمقدمات بشكل صحيح، وإدراك السنن التي شرعها الله في الأنفس والآفاق للنصر والهزيمة، وعدم مقدرتنا على الاعتبار بالماضي والحاضر والمستقبل.

إن العجز عن إبصار المقدمات بشكل صحيح وعدم التروي بفحصها واختبارها بشكل سليم أدى بالكثير منا إلى الإحباط والمرارة والعجز عن التعامل مع النتائج، كما دفع الكثير منا إلى مجازفات في المواقف، لا تنبني على وعي حقيقي للواقع.

ولعل الأزمة التي نعانيها هذه الأيام تكشف لنا عن الكثير من الخلل والتأزم والإصابات في عالم أفكارنا، وإذا لم نتدارك الموقف ونستفيد من الدروس القاسية والتحديات الكبيرة في ضوء رؤية ذات شهود تاريخي ودراية معاصرة وفقه حضاري فسوف تفلت أعظم الفرص من أيدينا، ونستمر في تكرير أخطائنا وتكريس أزمتنا.

المقاومة في مواجهة العدوان الصهيوني:

الظاهرة الصهيونية ظاهرة استعمارية استيطانية إحلالية، ومقاومتنا لها لا تختلف عن مقاومة الشعوب المقهورة للمستوطنين الغزاة،، وقد اعترف بن

(١) آل عمران: ١٧٢.

جوريون عام (١٩٣٨) بأن مقاومة العرب ليست إرهاباً وإنما هي مقاومة، غير أن هذه الكلمة تبدلت وبات من السهل اليوم إطلاق كلمة (إرهابية)، فصارت المقاومة الفلسطينية جماعات إرهابية وصارت المقاومة اللبنانية إرهاباً والمجتمع الدولي شاهد على ذلك ولا يجد حرجاً في وصف الشباب الفلسطيني الأعزل الذي يدافع عن أرضه وعرضه بأنه (إرهابي)، ولإسرائيل حق الدفاع عن نفسها هذا هو المنطق لديهم، والعجيب أن بعض الأنظمة تنادي بضرورة الالتزام بالشرعية الدولية والمواثيق الأممية تلك الشرعية التي بدلت الحقائق وزيفت الأمور، وإن كان الأمر كذلك فماذا عن السلام المزعوم؟

لقد تحدث أحد ساستهم عن مراحل ما يسمى بـ(الجدار الحديدي) لتحويل الصراع الوجودي بين الصهاينة والعرب الفلسطينيين إلى سلام قائم على التوافق وليس العدل: **المرحلة الأولى**: بناء الجدار الحديدي، **والمرحلة الثانية**: حماية الجدار الحديدي من محاولات تصدعه، **والمرحلة الثالثة**: هزائم مكلفة تؤدي إلى تحولات لدى الخصوم من متطرفين عنيدين إلى معتدلين على استعداد للمساومة، **والمرحلة الرابعة**: يدرك حماة الجدار الحديدي تحولات القوى من التطرف إلى الاعتدال داخل المعسكر السياسي للخصم، وذلك يدفعهم إلى تحويل سياستهم نحو التفاوض والمساومة، **والمرحلة الخامسة**: تؤدي المفاوضات إلى تسوية للصراع تقوم على جماعات متساوية.

إسرائيل: نقاط القوة والضعف:

هل ستنهار إسرائيل من داخلها من تلقاء نفسها، بسبب أزمتها وتناقضاتها الداخلية الحادة؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال سنذكر بعض الإحصائيات ذات الدلالة الاجتماعية الخاصة بالتجمع الصهيوني، والتي تبين معدلات التآكل الداخلي.

تشير المعطيات في تل أبيب أن تفاقم ظاهرتي الخمر وتعاطي المخدرات بين صفوف تلاميذ المدارس الإسرائيلية بلغ حد (٣٧٪) وهو في تزايد، وأن ارتفاعاً بنسبة (٣٠٪) قد سجل عام (١٩٩٩) على عدد الشباب الإسرائيليين القاصرين الذين وجهت إليهم تهمة الاتجار في المخدرات، والحياة الاجتماعية كذلك في انهيار حيث إن من بين كل ثلاث حالات زواج يكون مصير حالة منهم إلى الطلاق.

ولو تتبعنا هذه الإحصائيات في أغلب الجوانب فسنجد مؤشرات حقيقية على مدى تآكل المجتمع الإسرائيلي من داخله.

ولكن لا بد لنا ونحن ننظر إلى هذه الإحصائيات أن نضع في أذهاننا جملة من الاعتبارات:

أولاً: إن مقومات حياة المجتمع الصهيوني لا تنبع من داخله وإنما من خارجه؛ فهو مدعوم مالياً وعسكرياً وسياسياً من الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الغربي والجماعات اليهودية فيه.

ثانياً: يتسم المجتمع الإسرائيلي إلى حد كبير بالشفافية، وبالتالي حينما تتضح ظواهر سلبية فإنه يقوم بدراستها والتصدي لها أو التكيف معها.

ثالثاً: ثبت أن كثيراً من المجتمعات يمكنها أن تعيش في حالة أزمة عشرات بل مئات السنين، طالما أنه لا يتحداها أحد من الخارج.

وتبقى الأسئلة الساخنة:

لقد قلنا في بداية الحديث: إن الأحداث على الساحة اللبنانية قد فجرت كل الأسئلة.. وهي أسئلة تتجاوز مجرد اتخاذ موقف ما، مع ما حدث أن ضده.. لأن تبسيط الأمور بين خير محض وشر محض قاعدة لا تجوز في السياسة ولا تنفع في تفكيك الأحداث.

وأول الأسئلة الساخنة هي: لماذا هذا الموقف بالذات الذي يقوم به حزب الله بعملية من هذا النوع؟

وإذا ربطنا العملية بالأوضاع في فلسطين ومحاولة إيجاد ثغرة في جدار الحصار المفروض على الشعب الفلسطيني بعد انتخابه لحماس، فإن سؤالاً آخر يفرض نفسه مباشرة، وهو: لماذا انتظر حزب الله أكثر من أربعة شهور ليقوم بهذا التحرك وهو يرى خيوط المؤامرة تتجمع ضد حماس، هل كان يفكر بمدخل مناسب؟ أم يكسب الوقت لتخزين المزيد من الأسلحة القادمة من الحليفين السوري والإيراني؟

لا أعتقد أن حزب الله الذي تجاوز أكثر من عشرين عاماً على تأسيسه وليد كل تلك التراكمات من الممارسات العسكرية يحتاج إلى هذا الوقت ليخزن فيه الأسلحة، بل إن إحصائيات الأسبوع الأول من تلك المواجهة المفتوحة قد أثبتت أن حزب الله قد أطلق أكثر من (١٥٠٠) صاروخ على إسرائيل، وصرح حسن نصر الله بأن الحزب قادر على المواجهة لمدة أشهر، وهذا يعطينا انطباعا كافيا عن المخزون الاستراتيجي لدى حزب الله إن صدق الرجل في تصريحه ولم يكن ضمن الحرب النفسية المتبادلة بين الطرفين.

وهل تحرك حزب الله منفرداً يعكس رسوخ فكرة تخلي الأنظمة الرسمية عن القضية الفلسطينية، بحيث أن التحركات العربية الرسمية تصب في تهيئة الظروف لتصفية القضية الفلسطينية، والعمل على دمج إسرائيل في المنطقة من خلال التطبيع العلني والسري؟!

سؤال ساخن آخر يفرض نفسه:

هل أجندة حزب الله أجندة داخلية ذاتية تنطلق من منطلقات وطنية، أم يأتي هذا التحرك لتخفيف الضغط على إيران بسبب الملف النووي الشائك والعالق والذي تظهر المؤشرات على وصول المفاوضات بين الإيرانيين

والمجموعة الأوروبية إلى طريق مسدود؟

إن توقيت العملية قد أصاب السياسة اللبنانية في الصميم بحيث تتجاوز خسائره الاقتصادية الأولية بضرب الموسم السياحي إلى حوالي مليار دولار، ناهيك عن البنية التحتية التي كانت المشروع الرائد للراحل رفيق الحريري، والذي ساهمت فيه دول الخليج بشكل خاص ليعود الازدهار إلى ربوع لبنان؟!

مثل هذا التساؤل يثير حوله شكوك كثيرة تؤكدها تصريحات الطرف الإيراني، عندما قال بأن إيران لن تقف ساكنة وأنها ستتحرك إذا ما تعرضت سوريا لعدوان!!

إذاً لماذا لا تتحرك إيران من الآن لنصرة حزب الله الذي يمثل الوجه العقائدي للجمهورية الإسلامية في لبنان والعالم العربي، بل إن حزب الله الذي يعتنق مذهب الاثنا عشرية الشيعي أقرب له من مذهب الطائفة النصيرية، والتي يعتبر رموز المذهب الشيعي أنها ليست من مذاهب الشيعة؟!

وإذا كانت إيران تعتبر سوريا وجها قوياً عربياً، فإن الإيرانيين يعتزون بقوميتهم الفارسية، ولا تعتبر تلك القضية نقطة التقاء بين الطرفين، أما إذا اعتبرنا سوريا بأنها علمانية بعثية، فقد حاربت إيران العراق البعثية واعتبرت صدام حسين خارجاً عن الملة!!

لم يبق إلا التحليل الأخير، وهو أن المصالح السياسية وحدها وليست المبادئ والأفكار هي التي تجمع النقيضين سوريا وإيران، وإذا كان صدام في السابق يمثل عدداً مشتركاً للطرفين أيضاً.

وهذا يجرنا إلى سؤال شبيه: فسوريا كانت –دائماً– تتكلم عن العمق العربي للبنان، واستمر لبنان فترة طويلة تحت الوصاية السورية بحجة حمايته من العدوان، وها هو لبنان يتعرض للدمار، بينما يكتفي السوريون بتسهيل نزوح

السياح، واستقبال الجرحى للطبابة في المشافي السورية!!

أما إذا التفتنا إلى الجانب المقابل فإننا نجد جيشاً يمتلك تكنولوجيا متطورة مدعومة من أقوى دولة في العالم، ومن المعروف أن الجيش الإسرائيلي يتمتع بإسناد قوي من التكنولوجيا والدعم العالمي، والشعب اليهودي كما يعرف الكثيرون كله جيش.

وقد أظهرت الاستطلاعات الأخيرة أن غالبية الإسرائيليين تؤيد عدوان حكومتها على لبنان، وقد عبر أحد المراقبين عن طبيعة الجيش الإسرائيلي فقال:(كل شعوب العالم تملك جيشاً إلا في إسرائيل فإنه جيش يملك شعباً).

هذه حقيقة معروفة، ونحن هنا لا نحاول أبداً تضخيم الآلة العسكرية الإسرائيلية، فهم ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾[1] ولكنهم مجرمون ويمارسون كافة أشكال الإجرام والوحشية على المسالمين والأطفال والمدنيين والضحايا الأبرياء، ولا يسألون في قوانين دولية ولا حقوق إنسانية، ولا يوجد هناك من يجرؤ من المجتمع الدولي على توجيه أي نوع من أنواع اللوم إلى إسرائيل.

ولو حاولت دولة فعل ذلك في منظمة الأمم المتحدة صفعه الفيتو الأمريكي الجاهز لتقديم مظلة للعدوان الإسرائيلي كيفما يشاء وحيثما يريد، والسيد بوش الابن يتواءم تماماً مع الحالة الإسرائيلية حيث تجد الرجل وبأريحية كاملة لا يرى فيما تفعله إسرائيل أي تجاوز للقانون الدولي أو لأخلاق الحرب التي داسها هو في سجن تورابورا وأبوغريب وغوانتانامو، بل يرى في ما تفعله إسرائيل دفاعاً عن النفس!!.

ولم يسأل بوش نفسه أنه إذا كان حزب الله هو المسيطر على الحدود الجنوبية في لبنان، وتريد إسرائيل أن تبعده عن الحدود، فلماذا يضرب الطيران

(١) البقرة: ٩٦.

الإسرائيلي في العمق اللبناني وحتى بعض المناطق المسيحية!! ولماذا يستهدف العدوان حتى دور الأيتام؟!

إن إسرائيل حريصة جداً على استغلال لغز سلاح حزب الله وإبعاده عن الحدود، وهي تريد تكرار تجربة طرد المقاومة الفلسطينية المسلحة من بيروت سنة (١٩٨٢)، وفي نفس الظروف المواتية، حيث بقي الراحل أبو عمار محاصراً في بيروت لثمانين يوماً، ولم ينل من المساندة العربية إلا الدعوات الصالحة!!

وهذا يقودنا بالطبع إلى خطورة التغذية المرتدة بين نظرية الاعتدال المتطرف ونظرية التطرف المعتدل، فالاعتدال أو رموز الاعتدال أو دول الاعتدال عندما تتطرف في اعتدالها ويتحول هذا الاعتدال إلى عجز وصمت وتخل عن المسئولية التاريخية والسياسية، فإنها بذلك تغذي الجهة المتطرفة للظهور بمظهر المعتدل، بعد أن سدت الفراغ وقامت بالمهمات التي تخلى عنها الآخرون.

من حق الأنظمة العربية الرسمية وفي ظل هذا الضعف العام، وهذا الواقع المزري وهذه الظروف العصيبة أن تحمي ظهرها، وأن لا يحرجها أي طرف كان للدخول في مواجهة في حساباتها محسومة سلفاً أنها خاسرة، بسبب هذا المارد الأمريكي الموجود في المنطقة، والذي يتعامل مع الدول ككيانات سياسية موجودة وسهل الوصول إليها، على عكس الأحزاب والتكتلات التي ليس لها كيان سياسي رسمي واضح، وبالتالي يسهل لها الضرب والاختفاء بنظام حرب العصابات كما يحدث الآن، وهو الذي تفعله حركة طالبان في أفغانستان - والقاعدة في العراق- وحزب الله في جنوب لنبان، وحماس التي فقدت جزءاً كبيراً من المناورة بسبب دخولها المعترك السياسي وتشكيلها الوزارة، في محاولة جريئة للجمع بين السلطة والمقاومة، ولكن كل المؤشرات تعطي نتيجة مغايرة.

إن إسرائيل تتصرف بعقلية المرابي، فهي لا تفكر بكم الخسائر التي

ستخسرها أو رأس المال الذي ستضعه في ذلك العدوان، بل ستنظر إلى نتيجة هذا التدخل في لبنان، ولذلك مطالبها واضحة خالية من المرونة السياسية، وهي ضرورة تسليم الجنديين ونزع سلاح حزب الله وتأمين الحدود.

هنا لا بد من الإقرار والإنصاف بأن الشارع العربي يبدي تعاطفاً ملحوظاً نجده في وسائل الإعلام مع حزب الله، ويندد بالصلف الإسرائيلي، وإذا كانت المظاهرات التي انفجرت بعد الإساءة الدنماركية للمصطفى ﷺ قد أظهرت أن تلك الإساءة إنما كانت الشعرة التي قصمت ظهر البعير بعد سلسلة من العدوان الغربي والأمريكي بالتحديد على دول ومقدسات المسلمين وحرق المصاحف وانتهاك حرمة المساجد فإن هذا التعاطف والغليان الشعبي عكس أيضاً الشعرة التي قصمت ظهر البعير وهي ترى هذا الحصار الظالم للشعب الفلسطيني والذي امتد لعدة أشهر، بدأ فيه الأطفال بالموت في الوقت الذي عجزت فيه الأنظمة العربية حتى عن مجرد إيصال الأموال لفك أزمة الناس هناك!.

هل تجربة حزب الله تدشين لحالة فوضى عارمة تسقط فيها هيبة الأنظمة الرسمية وتتحرك التكتلات السياسية ضمن رؤاها الخاصة، تجبر فيها الأنظمة العربية بأن تلحق بها إلى أرض المعركة التي تحددها تلك الأحزاب وفق أجندتها الخاصة.. سؤال خطير نختم به الأسئلة الساخنة والأيام وحدها كفيلة بالإجابة!!.

لبنان بيئة قابلة للتأزم وحدود قابلة للانفجار:

الأهداف الإستراتيجية لكلا الطرفين في المواجهة المفتوحة حالياً، تشير إلى أن تلك المواجهة ستستمر لبعض الوقت، والرئيس الأمريكي بوش الابن -مشكوراً- قد سمح لإسرائيل بأسبوع ثان من تدمير لبنان اعتقاداً منه أن هذا الأسبوع سيكون كافياً للقضاء على حزب الله، ومخزونه المسلح، كعادة الرئيس الأمريكي السيئة في التقديرات الخاطئة للأمور، فلا تم القضاء على طالبان في

أفغانستان، ولا الإرهاب في العراق، ولا حزب الله في لبنان، ولم تحقق أمريكا هدفها الأساسي من محاربة الإرهاب، ولم يعد العالم أكثر أماناً بعد حروب بوش والتي لا يبدو أن لها نهاية.

على أننا يجب أن نكون أكثر دقة في تحليل الوضع، ولا نلقي بكامل اللوم على العدو الخارجي كالعادة، حتى لا نهرب من مواجهة الأسباب الذاتية، وإذا كانت طالبان قد دفعت ثمن استضافة القاعدة التي أسقطت هيبة أمريكا في الحادي عشر من سبتمبر، وإذا كان صدام حسين قد ارتكب ما يكفي من الحماقات في منطقة حساسة لاقتصاد العالم ولأمن إسرائيل فإن لبنان قد وقع ضحية التكوين الديني والطائفي والحزبي لشعبه، حيث كان منذ الحرب الأهلية اللبنانية مسرحاً لتصفية مشاكل العالم على أرضه.

إن التركيبة الطائفية والحزبية في لبنان تعطي اللاعبين في الساحة السياسية والعسكرية فرصة كبيرة لتنفيذ مخططاتها فلبنان فيها سبعة عشر طائفة: الطائفة السنية- الطائفة الشيعية الجعفرية- الطائفة الدرزية- الطائفة العلوية- الطائفة الإسماعيلية- الطائفة المارونية- طائفة الروم الأرثوذكس- طائفة الروم الكاثوليك- الطائفة الأرمينية الغريغورية الأرثوذكسية- الطائفة الأرمينية الكاثوليكية- الطائفة السريانية الأرثوذكسية- الطائفة السريانية الكاثوليكية- الطائفة الشرقية النسطورية- الطائفة الكلدانية- اللاتينية- الإنجيلية.

أما الأحزاب في لبنان فهي نسخ مصغرة لكل ما في العالم من أحزاب بالإضافة إلى أحزاب لبنانية محلية زعامية أبرز هذه الأحزاب:

- حزب الاتحاد الدستوري: وهو حزب تقليدي يحرص على استمرار التعايش وفق الميثاق الوطني والدستور.

- حزب الكتائب اللبنانية: وهو حزب مسيحي.

- حزب الكتلة الوطنية: وهو حزب مسيحي.

- الحزب التقدمي الاشتراكي: حزب اشتراكي قاعدته درزية، يتبنى العلمانية للخلاص من الطائفية.

- حزب الله.

- حزب أمل.

- حزب النجادة: جماهيره مسلمة.

- حزب الهيئة الوطنية: حزب تقليدي.

- الحزب الديمقراطي: حزب جديد للشباب الساعي لإبعاد الطائفية عن طرق أطروحات علمانية.

- حزب الاستقلال: قاعدته شيعية ويعمل من أجل حقوقها المختلفة.

- الحزب القومي السوري: حزب عقائدي علماني.

- الحزب الشيوعي اللبناني: وهو امتداد للتنظيم الشيوعي الرسمي العالمي.

- حزب البعث الاشتراكي: حزب اشتراكي الأفكار والميول والسياسة.

- حزب الوطنيين الأحرار: حزب مسيحي.

-اتحاد الشباب الديمقراطي في لبنان: من اهتماماته تأصيل الروح الوطنية في الشباب والعمل على رفع مستواهم الثقافي والفكري .... الخ.

- حركة السلم اللبنانية: تنادي بالعمل على توطيد السلم العالمي وتأييد حق الشعوب في التحرر والاستقلال، وتقرير مصيرها والعمل من أجل التعايش السلمي بين الدول ذات الأنظمة المختلفة، ونزع السلاح.

- حركة التوعية الشعبية: وتعمل على تعبئة جميع اللبنانيين مقيمين ومغتربين وخاصة أبناء الجنوب لتحمل مسؤولياتهم بالنسبة للقضايا المصيرية.

- حزب الشبيبة العاملة اللبنانية: ومن أهدافه توطيد استقلال لبنان، والمحافظة على سيادته وكيانه والتعاون العربي إلى أوسع مدى ضمن نطاق ميثاق جامعة الدول العربية.

- حركة العمل الوطني.

- حركة الوعي اللبناني.

- اتحاد القوى الوطنية.

- الاتحاد النسائي السياسي اللبناني.

- حركة الاتحاد الوطني الديمقراطي.

- حزب الشعب الاشتراكي.

- الحركة اللبنانية للتجمع الوطني.

- حزب العمال اللبناني.

- حزب الهشناق: حزب أرمني يساري ويعتبر الخصم التقليدي لحزب الطاشناق.

- حزب الطاشناق: حزب سياسي أرمني يميني انتشر بين اللاجئين الأرمن في الشرق الأوسط، وينتهج سياسة موالية للغرب معادية للشيوعية.

- حزب التحرير الإسلامي: حزب إسلامي سري التنظيم سياسي النشاط والتوجيه يركز على ضرورة إقامة الدولة الإسلامية.

- الجماعة الإسلامية: وهي حركة إسلامية سنية.

نار وجدت ريحا مواتية:

في ظل هذه التركيبة العجيبة كان من الطبيعي أن يكون لبنان هو الخاصرة الضعيفة في المنطقة أو ضمن ما يطلق عليه هزلاً دول الطوق هذا الوضع

الناري زادته ريح العلاقة الإسرائيلية الأمريكية اشتعالاً.

فأمريكا التي لا ترى بأساً في استمرار تدمير إسرائيل للبنان أسبوعاً آخر، لم تسأل عن وجود سبل أخرى لحل هذا النزاع... وهي التي قادت مفاوضات الحل السلمي منذ أوسلو وحتى الآن، وهي التي ترعى كل المفاوضات السابقة واللاحقة، وهي التي تسعى بخارطة الطريق لإيجاد مخرج من المأزق الذي وصلت له المفاوضات بسبب الصلف الصهيوني.

أمريكا هي نفسها التي قامت بكل تلك الجهود من أجل استمرار المفاوضات السلمية لم تبذل أي جهد في وقف هذا العدوان؟

ووزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس[1] التي تتجشم العناء في الحضور إلى المنطقة لفتح أحد المعابر المغلقة بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية، لا تجد الآن ما يستدعي الحضور للمنطقة على الرغم من النار الكبيرة المشتعلة؛ لأنها ببساطة غير معنية إلا بإطفاء الحرائق التي تصيب البيت الإسرائيلي، ولتذهب بقية شعوب المنطقة إلى الجحيم، وإذا ما قدر لها الحضور فلا شك فسيكون ذلك لتحقيق مصلحة إسرائيلية مباشرة فقط لا غير.

فعندما تذهب دولة كاملة بمقدساتها وتاريخها وحضارتها وشعبها ضحية للاحتلال الإسرائيلي، فإن هذا لا يوجب الحرب، ويتم تجريم الشعب الفلسطيني ووصفه بالإرهاب إن هو أقدم على مقاومة المحتل واسترداد بعض حقوقه ويتم الضغط على الشعب الفلسطيني ليلجأ إلى المفاوضات التي تمهد للقبول بالاحتلال وطي ملف القضية.

أما خطف جنديين فقضية أكبر من المفاوضة عليها، في وجهة النظر الأمريكية، وتستحق في سبيل استرداد الجنديين أن تحرق بلد بكاملها، ويقتل

---

(١) في وقت الحرب الإسرائيلية على لبنان.

أطفالها ويذهب الضحايا بالمئات وتعطى الدولة الإسرائيلية أسبوعاً بعد أسبوع من الفرص لتأديب المارقين عليها وعلى جبروتها وتسلطها.

والعجيب أن إسرائيل التي تعاقب شعباً كاملاً مع تصرف حزب منفرد هي نفسها التي أقدمت على انتهاك الاتفاقيات مع السلطة الفلسطينية عندما قامت بالتواجد مع المراقبين الأمريكيين والإنجليز باقتحام سجن السلطة واعتقال من كان فيه من المناضلين الفلسطينيين، ثم لم نجد صوتاً واحداً من أمريكا يدين ما حدث وبعد كل هذه الازدواجية يتساءل الأمريكان ببلاهة: لماذا يكرهنا العالم؟!

الاحتلال الإسرائيلي لأمريكا:

نعم ففي ظل تقييم المواقف الأمريكية من أحداث المنطقة لا يسعنا إلا التعاطف مع الأمريكيين لأنهم على ما يبدو يقعون أيضاً تحت نفس الاحتلال الذي يقع تحته الفلسطينيون وإن كان بأساليب وطرق مختلفة.

إن السيطرة اليهودية واضحة على الواقع الأمريكي والغربي إذا علمنا أن لدى اليهود (٢٢٤) صحيفة أو يزيد في الولايات المتحدة، منها (١٥٨) دورية وثلاثين في كندا.. و(١١٨) صحيفة في أمريكا اللاتينية.. و(٣٤٨) دورية ومجلة في أوربا.

وحسبنا أن نعلم –أيضاً– أن كبار أصحاب الصحف ورجال الأعمال في مجال الصحافة والإعلام من اليهود، يبذلون اليوم جهوداً كبرى لشراء صحف ومحطات إذاعة وتلفزيون في دول أوروبا الشرقية، مع العلم أن هذه إحصائيات ليست جديدة وهي في تزايد كل يوم.

وتستغل الأوساط الصهيونية مناخ الانفتاح السياسي والاقتصادي، لركوب الموجة واستثمار رؤوس الأموال، بهدف التأثير على سياسة وتوجيهات

الإعلام كوسائل خطيرة في توجيه الرأي العام، وخلق آراء وقناعات محددة في تلك المجتمعات التي بدأت تتقبل كل جديد بشراهة.

ويحتل روبرت ماكسويل موقعاً خاصاً في هذا المجال، فهو يهودي من أصل تشيكي، لكنه يحمل الجنسية البريطانية، هاجر إلى الغرب في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات.. فأين الأموال العربية والإسلامية؟

وإن الإعلام الصهيوني عامة، وخاصة السينما، استطاع تحويل الضحية إلى قاتل، والقاتل إلى ضحية.

هذه السيطرة اليهودية على الإدارة الأمريكية تجعل معطيات الأمر أحياناً واضحة، والذي يجري اليوم شبيه بما جرى قبل ربع قرن عندما اضطر ياسر عرفات إلى تسليم سلاحه والخروج من لبنان، وتعالوا نرجع إلى ما كتبه محمد حسنين هيكل قال: ويوم فبراير (١٩٨١) اتصل ضابط المخابرات المصرية المكلف بالاتصال بالفلسطينيين بالسيد (سعيد كمال) ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في القاهرة ليخطره أن الرئيس (السادات) قد حدد له موعداً صباح الغد في الساعة العاشرة صباحاً.

وحاول (سعيد كمال) أن يتصل بسرعة بـ(ياسر عرفات) في بيروت ليخطره ويتلقى منه أي تعليمات قد تكون لديه، ولم يصل رد من (عرفات)، ولم يكن (سعيد كمال) متأكداً من السبب الذي يدعو الرئيس (السادات) إلى طلبه بهذه السرعة.

وطبقاً لرواية (سعيد كمال) فإنه دخل إلى إحدى الغرف في بيت الرئيس الذي أقبل بعد قليل، وصافحه، ثم ظل يبلغه بما استدعاه من أجله، كان الرئيس (السادات) يريد أن يقول كلمة ويمشي، وقد بادر بها بغير انتظار فقال:(اسمع يا ابني، الدنيا فيها حياة وفيها موت، وأنا لا أعرف متى يجيء

أجلي، ولكني أريد أن أعطيكم نصيحة أخيرة قبل أن يفوت الأوان، إنني أستطيع أن أرى الدماء تسيل في لبنان، وسوف يخرجونكم منها مهما فعلتم، ثم تضطرون بعد الخروج إلى البحث عن حل سلمي في ظروف أسوأ، وأريد أن أعطيكم بعض الخطوط أو بعض الجسور إذا فكرتم في المشي عليها) واستطرد (السادات) وقد زادت النبرة الدرامية في صوته: ابعث لأبي عمار وقل له:

* هناك غزو للبنان إذا لم تلينوا أمام الطلبات الإسرائيلية التي يتحدث عنها بعض موارنة لبنان الآن، إنهم طلبوا منكم، وسوف يصرون على الطلب، بأن تجمعوا سلاح المنظمات كلها وتضعوه تحت إشراف قوات جيش التحرير الفلسطيني في لبنان، ثم تضعوا هذا الجيش نفسه تحت سلطة الجيش اللبناني لكي يمكن ضبط الأمن.

* ليس في مقدوركم أن تقاوموا ما هو مخطط لكم، سلموا السلاح الآن لأن بقاءكم في لبنان مهم ومفيد للتسوية، وتستطيعون أن تعاندوا لكن عليكم أن تتذكروا العامل اللبناني الداخلي، والعامل السوري، والعامل الإسرائيلي، هذه العوامل الثلاثة سوف تقوم بـ(فعصكم) فيما بينها، وفي النهاية سوف تخرجون من لبنان - سوف تخرجون .

ثم توقف الرئيس (السادات) لحظة، واستطرد:(إذا فكرتكم في التسوية في يوم من الأيام فنصيحتي لكم أن تتجهوا إلى) المؤسسة (THE Establishment- إلى اليهود في أمريكا) .

ثم سكت الرئيس (السادات) لحظة، وبعدها وصلت النبرة الدرامية في وصيته ذروتها، وقال لـ(سعيد كمال): (اكتب هذا الاسم - ستيف كوهين- هو مقرر لجنة اليهود الأمريكيين، ويعمل مباشرة مع هوارد سكوادرون-

رئيس مجلس الرؤساء اليهود في أمريكا، عندما أقول يهودا (اعرف على طول أنهم إسرائيليون)، هؤلاء الدين يقدرون على الكلام مع إسرائيل، وكل الناس يعرفونهم هنا، لكن عندما تفتحون الخط مع أمريكا يكون الخط مع هؤلاء أولاً، (تدخلون معهم من غير فلسفة وتتعاملون بعقل معهم)، هؤلاء هم المؤسسة، هم ليسوا صناع القرار ولكنهم الذي يهيئون له الجو .

ثم عاد الرئيس (السادات) يكرر: (أرسل لأبي عمار وقل له عن لبنان والدم الذي سوف (يسيح)، وعن ستيفن كوهين إذا اضطررتم في يوم من الأيام).

وانتهت المقابلة والرئيس (السادات) ما زال واقفاً، وكذلك ضيفه، وخرج (سعيد كمال) قاصداً إلى مكتب المنظمة يلتقي مع (زهدي القدرة) مسئول المكتب في ذلك الوقت الذي حمل نصاً لما جرى وتوجه إلى مطار القاهرة قاصداً بيروت [(١)].

هذا هو الوضع الطبيعي إذا ما علمنا بخطوط السياسة الأمريكية الأساسية في المنطقة التي تتمثل غايتها الكبرى وهدفها الرئيس في سيادة النموذج الأمريكي من خلال القوة العسكرية والمؤامرات السياسية والوفرة المادية والرفاهية الاقتصادية في إطار الفكرة الدنيوية العلمانية والتي تغلف بشعار الديمقراطية، وكما أن السياسة الأمريكية تدور في إطار يتمثل في:

١-الحفاظ على المصالح الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً.

٢-كراهية الأيدلوجيات المخالفة وفي مقدمتها الإسلام.

أما معالم السياسة الأمريكية فهي:

١-التخطيط لمستقبل المنطقة.

٢-الحفاظ على المصالح الأمريكية في المنطقة.

---

(١) انظر: (سلام الأوهام أوسلو) محمد حسنين هيكل ص ١٠٦ – ١٠٧.

٣-محاربة الإسلام والهجوم عليه ونقضه.

٤-الحفاظ على عملية القيادة في العالم.

٥-السيطرة العسكرية وذلك بترسيخ القواعد والتسهيلات العسكرية وغيرها من وسائل متاحة أو مستنبتة بعد لأي جهد كبير.

٦-حماية إسرائيل وضمان توسعتها.

٧-الهيمنة الإعلامية الأمريكية وتهيئة الرأي العام العالمي لذلك.

قصة إيران مع المسألة الفلسطينية.

كانت الثورة الإيرانية نجدة من السماء لمنظمة التحرير الفلسطينية، فقد كانت المنظمة على علاقة وثيقة بعدد من كبار معاوني (آية الله الخميني) وبينهم الدكتور (إبراهيم يزدي) الذي أصبح بعد الثورة نائباً لرئيس الوزراء، و(مصطفى شمران) الذي أصبح بعد الثورة وزيراً للدفاع، و(صادق قطب زادة) الذي أصبح بعد الثورة وزيراً للخارجية، وعشرات غير هؤلاء من الشباب الإيراني الذي كان منخرطاً في صفوف الثورة ضد الشاه، والذي انضوى في مراحلها الأخيرة تحت راية (آية الله الخميني).

كانوا جميعاً في وقت من الأوقات متطوعين للتدريب في المعسكرات التابعة للمقاومة الفلسطينية في جنوب لبنان، وكان جنوب لبنان تاريخياً معقلاً شيعياً قام بدور بارز في حياة إيران الدينية والفكرية، ذلك أنه عندما أراد الشاه (إسماعيل الصفوي) في أواخر القرن السادس عشر أن يجعل من المذهب الشيعي الجعفري مذهباً رسمياً، فإنه لجأ إلى منطقة جبل (عامل) في جنوب لبنان ليحصل من هناك على عدد إضافي من العلماء يساعدون بسرعة على نشر المذهب الشيعي في بلاده، كان جبل (عامل) معقلاً لهجرة شيعية خرجت من مصر بعد سقوط دولة الفاطميين، واستقرت في جبال لبنان مثل غيرها من الطوائف الدينية، خصوصاً عندما بسطت الإمبراطورية العثمانية سيطرتها على

كل منطقة الشام.

وكان المجتهدون من المراكـز الـشيعية الكـبرى في (النجـف) و(أصـفهان) و(قم) كثيراً ما يترددون على جنوب لبنان ويـستقرون هنـاك ضـمن علاقـات وثيقة قوية ومتبادلة بين مركز شـيعي مطـل عـلى البحـر الأبـيض مـن لبنـان، وقاعدة شيعية قائمة على رأس الخليج ومحيطـة بكـل شـاطئه الـشرقي وهـي الدولة الإيرانية.

وحين ظهر الإمام (موسى الصدر) في (صور) بجنوب لبنان وأنشأ (حركـة المحرومين) وأصـبحت هـذه الحركـة قـوة ضـخمة مـن قـوى المقاومـة ضـد إسرائيل، فإن العلاقات زادت توثقاً بين المقاومة الفلسطينية عموماً وبين القوة الشيعية الكبرى في لبنان.

صور التلاحم بين الثورة الإيرانية والقيادات الفلسطينية:

– في المراحل الحاسمة من الثورة وحين بدا انتـصارها محـتملاً ضـد جـيش الشاه احتاجت اللجان الثورية إلى كميـات مـن الأسـلحة، وبالـذات المـدافع الرشاشة، وهناك ما يشير إلى أن المقاومـة الفلـسطينية تولـت في ذلـك الوقـت تقديم كميات من الأسلحة والذخائر، تم تهريبها سراً إلى إيران.

– وكانت نظرة الكثيرين من قادة الثورة الإسلامية إلى المقاومة الفلـسطينية من تأثير رفقة السلاح مع المقاتلين الشيعة في جنوب لبنان وهذه شـهادة كافيـة لتقديم المقاومة الفلسطينية في صورة مضيئة للثورة الإسلامية الإيرانية.

ـ تجميل صورة المقاومة الفلسطينية أمام الثورة الإسلامية وأمام جماهيرها.

– ذهب البعض إلى القول بأن الاختيار الإيـراني للقـضية الفلـسطينية كـان ذريعة سياسية للنظام الثوري الجديد في إيران ينفذ عن طريقه إلى العالم العـربي ويؤثر في جماهيره.

ومع استقرار سلطة النظام الثوري الإسلامي في طهران فـإن تعـاطف هـذا

النظام مع المقاومة الفلسطينية عبر عن نفسه بأكثر من وسيلة، وقد أكدته تصرفات عملية رآها الجميع:

أ- منها أن البعثة الإسرائيلية في طهران ومكاتبها في تبريز وأصفهان تم إغلاقها، ثم صدرت الأوامر بترحيل موظفيها، وأولهم (يوري لوبراني) الذي كان قائماً بأعمال السفارة الإسرائيلية في العاصمة الإيرانية.

ب- ومنها تخصيص مقر السفارة الإسرائيلية السابق؛ ليكون مقراً لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومسكناً لممثلها عند وصوله إلى طهران.

ج - إصدار بيان عن مكتب (الإمام) يوجه أجهزة الدولة الإيرانية إلى وقف أي شحنات أو منتجات بترولية إلى إسرائيل، مع تطبيق أحكام مقاطعتها اقتصادياً على نفس النهج الذي تتبعه المقاطعة العربية.

د -إصدار قرار بتقديم كل المساعدات الممكنة للمقاومة الفلسطينية، ومن ذلك صدر توجيه من مكتب (الإمام) إلى رئيس الوزراء (مهدي بازرجان) بتخصيص مبلغ خمسين مليون دولار (دعماً للمقاومة الفلسطينية).

ثم كان السيد (ياسر عرفات) أول زائر عربي إلى إيران الثورة، وكان في انتظاره استقبال الأبطال.

وبدا أن المقاومة الفلسطينية عثرت أخيراً على حليف إقليمية تعتمد عليه وترتكن إليه!!

ولكن هل ظلت الرياح تسير في طريق يخدم المقاومة أم تبدلت الأمور كالعادة؟؟ فما تكاد مقاومة عربية تجد بوارق الحق والقوة حيناً إلا وطغت عليها ظلمات المؤامرات والدسائس أحياناً.

مشهد تحطيم المقاومة يتكرر مع استباحة الدماء والأعراض والأموال:

كان التواجد للمقاومة الفلسطينية في لبنان والأردن يمثل هاجساً أمنياً عند اليهود، فهم يعرفون أن تجهيز هذه المقاومة نسبة ١٪ من مبالغ تجهيز الجيوش

العربية كافي بإدخال القلق والإزعاج بل وحتى تغيير معادلة المعركة مع اليهود ولذلك بدأوا برسم مخطط إنهاء هذا التواجد مهما كلف ذلك من تحطيم مبادئ وانتهاك أعراف دولية وقانونية.

وقام المهندس بوضع خارطة الطريق لإخراج المقاومة من دول المواجهة بعد التمكن الفلسطيني من الساحة اللبنانية والأردنية لدرجة الطغيان والغرور الذي أذن بتنفيذ المخطط بمباركة من الجميع، فجاء الاجتياح الإسرائيلي إلى لبنان ودمرت لبنان عل كل الأصعدة واشتعلت الحرب الأهلية وحل الدمار لتكن بعد ذلك المأساة في (صبرا وشاتيلا) التي تعتبر الحرب الحالية والتدمير المبرمج اليوم نزهة عما حدث في لبنان وصبرا وشاتيلا لتنتهي المقاومة وترحل مع زعيمها بملابس النساء إلى قصور على البحر العاري في تونس حيث النساء والخمر للقضاء على كل ما تبقى من نخوة للمقاومة ومن كانت فيه رائحة العروبة والمقاومة كأبي جهاد الذي تمت تصفيته بيد فلسطينية إسرائيلية مشتركة، وكان بطل إخراج المقاومة من لبنان وتحريرها من السلاح دول ثورية في المغرب العربي.

ثم تلا ذلك دفع التواجد العسكري الفلسطيني في الأردن إلى ممارسات صبيانية هوجاء واستعلاء واستكبار نتج عنه إخراج المقاومة وتصفية كل التواجد العسكري الفلسطيني في الأردن وكان ذلك بمباركة شعبية وحكومية بما سمي بأيلول الأسود، ومن عاش المشهد يعرف كيف تم الترتيب ثم اليوم بعد أن تكونت ترسانة أسلحة عند حزب الله، وأصبحت المقاومة حقيقية بعيدة عن الكنترول والضبط الكامل للممول الأساسي للأسلحة كان لا بد من صبرا وشاتيلا جديدة.

ولكن اليوم يتم استبدال المقاومة الفلسطينية بالمقاومة اللبنانية ومنظمة

التحرير بحزب الله، ويستمر لبنان لطبيعة التركيبة الحزبية والطائفية فيه يدفع الثمن!!

وسينتهي المشهد برغم كل المظاهرات والتحليلات والهتافات والنقل المباشر من أرض المعركة سينتهي المشهد بصورة أو بأخرى بإنهاء المقاومة وقطع الأمل الذي كان يساور الكثير من أبناء الأمة، ولكن اليوم بأيدي صديقة من المشرق.

حتى لا تتكرر المشاهد دائما في النهايات المؤلمة:

١-تحديد الكثير من المصطلحات والاتفاق عليها:

فنرى أنه في الآونة الأخيرة ظهرت عدة مصطلحات مثل (ضبط النفس) إيقاف العنف (وقف إطلاق النار) إشارة على ما يحدث في فلسطين المحتلة ولبنان الجريح.

وهذه المصطلحات تحمل تحيزات محددة، فهي تصنف كلاً من المقاومة الفلسطينية واللبنانية في مواجهة العنف الإسرائيلي على مبدأ التساوي، ولذا فعلينا ضبط النفس وكأن هناك حالة حرب بين جيشين متكافئين يحاربان بخصوص قطعة أرض متنازع عليها ولكل فريق حقوق متساوية فيها.

إن هذه المصطلحات تسوي بين من يحمل السلاح ويدافع عن نفسه وأرضه وكرامته وإنسانيته من جهة، ومن جهة أخرى من يغتصب الأرض وينكل بأصحابها ولديه آخر من توصلت إليه التكنولوجيا العسكرية.

٢-لا بد من تحديد علاقة بين الدولة والمقاومة: إن تبقت هناك أرض للمقاومة، وهل للأحزاب أن تدخل في معركة مع اليهود على اعتبار أن الحرب قائمة، ولم تقف أساساً من غير ترتيب مع أجهزة الدولة؟ وهل تثق أساساً الأحزاب بالأنظمة التي تعيش في ظلها؟

٣-التعامل الإيجابي مع الواقع والنصوص:

فعلى سبيل المثال الإيمان والالتزام بقول الرسول ﷺ :« **وإذا أصابك شيء فقل قدر الله وما شاء فعل...**»[(١)]، لا يعني الاستسلام وإنما يعطي نوعاً من الإيجابية حتى لا تمتد العطالة والإصابة إلى المستقبل، إنه لا يلغي الفاعلية القائمة على تعاطي السنن أصلاً للتوصل إلى النتائج المطلوبة، وإنما يوفر الطاقة ويحول دون العجز والسقوط والبكاء على الأطلال.

إن كون النتائج وحصولها أو عدم حصولها من قدر الله أمر يوازي قضية السببية ولا يصدم بها؛ لأن الأسباب الموصلة إلى النتائج هي من قدر الله وسننه في الحياة أيضاً.

من هنا تأتي ضرورة إعادة ترتيب العقل المسلم اليوم على ضوء فهم عمر بن الخطاب ﷺ عندما سئل بعد تحوله برعيه من الوادي المجدب إلى الوادي المخصب ليؤمن لغنمه المرعى الصالح: كيف تفر من قدر الله؟ فيقول: فررت من قدر الله إلى قدر الله.

أما الفهم النصفي العليل بأن علينا تعاطي الأسباب وليس علينا مناقشة مدى ترتب النتائج على هذه الأسباب فقضية خطيرة تزري بالعقل المسلم وتتعارض مع سنن الله في الحياة والأحياء التي أمرنا بالتزامها.

إن تسلل مثل هذه القضية الخطيرة إلى حياة المسلمين دفعهم إلى الاستسلام المرفوض شرعاً وعقلاً، ولقد استراح عقل مسلم اليوم إلى هذه المقولة التي جاءت ثمرة لعصر التخلف لأنها تعفيه من المسؤولية تجاه القضايا التي يخفق فيها، وتعفيه من إعادة النظر لاكتشاف الثغرات وتسديدها لأن الأمر ليس بمقدوره وإنما هو من قدر الله.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

كما أعفى نفسه من الاستشعار بالمسؤولية من وجه آخر بإلقاء التبعة على الآخرين في تقصيره وأخطائه دون أن يدري أنه نجّى نفسه ظاهراً ليقع بما هو أسوأ وذلك بالحكم على نفسه أنه دون مستوى المرحلة ودون مستوى التعامل مع هذه المرحلة أيضاً!!

٤-لا بد من إدراك الأولويات وحسن قراءة الظروف وتحديد الإمكانات:

ذلك أنها من هدي هذا الدين حيث نجد في تشريعه الفرض وهو أعلى أنواع التكليف، ونجد المستحب والمباح، هذا في إطار الأمر، ويقابله أيضاً في مجال النهي مراتب متعددة للمنهي عنه، وإن الله تعالى لن يقبل من الفرد نافلة ما لم يؤد الفريضة.

إن هذه (الجدولة) إن صح التعبير أصبحت غائبة عن حياة كثير من المسلمين وحتى بعض العاملين للإسلام، فنراه يعيش من وراء بعض الجزئيات والفروع وبعض التكاليف الشرعية التي تكون في مرتبة السنن والنوافل أو المستحبات، ويقاتل في سبيلها وقد يقع في الحرام في سبيل الإصرار على تحصيلها، كما أنه قد يفوت فرضاً أو حقاً لمسلم في سبيل الانتصار لمندوب.

إن الانشغال بالجزئيات ووضعها في غير موضعها من سلم التكاليف الشرعية بالإضافة إلى أنه دليل على إصابة العقل وقصوره، ودليل أيضاً على القابلية لاستمرار التخلف.

إن ترتيب الشخصية المسلمة وصياغتها وفق معطيات الكتاب والسنة لتجيء شخصية متفردة قادرة على العطاء، ووضع الضوابط الصارمة للتصور والسلوك كان من القضايا المحورية التي تركز عليها الكثير من الآداب والأحكام والتدريب عليها من خلال العبادات والطاعات وكانت عهدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أنيطت بكل مسلم في المجتمع الإسلامي

ليكون حارساً أميناً عليها ضرورة لازمة لحمايتها وضمان استمرارها.

٥- بين الإرادة والسياسة:

لا خلاف أنه توجد دائماً ضغوط على الإرادة السياسية لأي دولة مهما كانت درجة ما تتمتع به من استقلال، ولكننا هنا لا نتكلم عن الضغوط والمحددات التي تضبط الإرادة الوطنية، ولكننا نشير إلى الأوضاع التي قد تجعل الإرادة السياسية الوطنية تحت مجال الهيمنة لإرادة دولة أجنبية، وتجعل الإرادة الأجنبية ذات مضاء ونفاذ بحيث تشل الإرادة الوطنية عن تقدير عناصر الصالح الوطني وإنفاذ ما تستطيع لتحقيقه.

وبحكم تجربتنا التاريخية فإن للوجود العسكري الأجنبي أثراً حاسماً في هذا الأمر، وهذا نظر قديم لا خلاف عليه، ولكن الجديد في النظر هو أن أساليب التحكم الاقتصادي والثقافي والإعلامي قد صارت أكثر فاعلية في تحقيق وجوه التغلب على الإرادة الوطنية عند اللزوم، وأنه لم تعد حاجة لتحقيق هذا التغلب إلى تجييش الجيوش واحتلال الأراضي.

ولكن يظل للوجود العسكري أثر ومضاء في صدد التنافس بين الدول الكبرى، فالوجود العسكري يمكن أن يكون غير لازم لاستبقاء تبعية التابع للمتبوع، ولكنه يصير لازماً أحياناً لضمان البقاء في مواجهة منافسة دول كبرى أخرى متبوعة كذلك وتمتلك ذات الوسائل التي تمكنها من التحكم الاقتصادي والثقافي، ويبقى التنافس بين بعضها البعض دون أن يستطيع أي منها في فترات التحول التاريخي أن يكسب لنفسه وجوداً عسكرياً يحسم معارك التنافس بين الدول القوية.

وأن الوجود العسكري في عالمنا العربي يتواكب مع إعادة تشكل الأوضاع العالمية، في ظروف عودة الوحدة الألمانية ونمو إمكانيات تحقق الوحدة

الأوروبية وانهيار الاتحاد السوفيتي والحرص على اقتسام أشلائه وأوضاع الشرق الأقصى وما يحيط بها.

وكل ذلك يمثل انعطافة كبيرة في الأوضاع العالمية ويكشف أنها في طور إعادة التشكيل، ومن ثم يكون للوجود العسكري أثره في حسم الكثير من المواقف لصالح أصحاب الوجود العسكري.

ومن جهة أخرى فهناك من يتكلم كثيراً عن (النظام العالمي الجديد) وينطرح هذا المفهوم كما لو أن سلطة شرعية عالمية قد نشأت على مستوى العالم أجمع.

والسؤال الذي يتعين أن نطرحه على أنفسنا: هو هل يختلف هذا الذي يسمى (النظام العالمي) - بالنسبة لنا- عما كنا نسميه بسيطرة الدول الكبرى وهيمنتها على دول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية؟! أليس هذا النظام العالمي هو ما شاهدناه وجربناه مع القرن التاسع عشر عندما هيمنت أوروبا على العالم وفي نهاية القرن التاسع عشر عندما أعيد اقتسام بلدان العالم وتوزيع أسلاب الدولة العثمانية وإمبراطورية النمسا؟ قسم العالم كله مستعمرات ومناطق نفوذ، ثم كان يتعدل هذا النظام حسب نتيجة تصارع دول الغرب بين بعضها البعض، وحسب نتائج حركات التحرر الوطني في بلادنا وسعيها للإفلات من هذه الهيمنة الاستعمارية.

٦-كيفية المحافظة على الهوية الإسلامية والأصالة في مواجهة الاستلاب والتحديث والتغريب والعلمنة والعصرنة والحزبية هل ستكون في إطار مفهوم السفينة المشار إليها في الحديث النبوي الشريف «**مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فكان بعضهم أعلاها وبعضهم**

أسفلها»[(١)]؟ أو تؤخذ الديمقراطية بتطبيق سوفيتي؟ أو أوروبي شرقي؟ أو أوروبي غربي؟ أو مطورة عربياً؟ أو إسلامياً؟ أو شورى ملزمة؟ أو معلمة؟ في إطار حزب واحد أو تعددية؟ أو شورية قبلية؟

كل هذه التساؤلات طرحت في مواجهة قضايا الحكم الفردي والاستبداد والقمع السياسي ومحاولة إيجاد حل ما لمشكلة الإنسان المزمنة - مشكلة الحكم- أيبدأ بالتحرر والاستقلال بكل أشكاله، وتوظيف كل الطاقات في هذا الاتجاه؟ بالتحرر الداخلي من الاستبداد والفرقة والتخلف والظلم الاجتماعي ثم رص صفوف الأمة وحشدها في جبهة واحدة لمواجهة الغزو الخارجي بكل أنواعه والتبعية والاستعمار بكل أشكالهما؟

هل تمثل هذه الكارثة انهيار لمفهوم الأمة العربية والإسلامية؟

هل هي الفتن التي تجعل الحليم حيراناً؟

لكن هل انتهى الأمر، وهل يمكن القول: إن هذه الكارثة لن تعقبها كوارث أدهى وأعتى وأمر إن كان في جسم الأمة مجال باق لكوارث جديدة؟!

لا، لا يمكن لأحد أن يقول هذا؛ لأن مشكلات الأمة التي أدت إلى وقوع الكوارث السابقة لا تزال قائمة تتحدى كل المحاولات التي جرت لاجتثاثها، ولا يزال مستوى وعي الأمة وقدراتها على مواجهة تلك الأسباب والأزمات التي أدت إلى الوقوع في تلك الكوارث كما هي ولا تزال أم المشكلات (المشكلة الأولى) أو مشكلة الحكم والأمة قائمة كذلك.

لا بد من لفت الأنظار أنه وعند اشتداد الأحداث في الساحة اللبنانية، لم أتنقل بين محطات التلفاز والتحليلات والإذاعات بل لجأت إلى القرآن والسنة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

والمراجع التي في رفوف مكتبتي وكانت هذه بعض المراجع في هـذا الموضـوع الساخن:

١-الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف - د. يوسف القرضاوي.

٢-قال الناس ولم أقل في حكم عبدالناصر - أ. عمر التلمساني.

٣-الإخوان المسلمون والمؤامرة على سوريا- جابر رزق.

٤-نظرية التنمية السياسية المعاصرة - نصر محمد عارف.

٥-السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط- د. كمال هلباوي.

٦-المسألة اللبنانية من منظور إسلامي- د. فتحي يكن.

٧-حول إعادة تشكيل العقل المسلم- عماد الدين خليل.

٨-مشكلتان وقراءة فيهما- المستشار طارق البشري.



أمريكا بين
الخليج العربي والخليج الفارسي
حتى لا ننخدع بالواقع فننسى التاريخ..!

في وسط ذلك التطاحن السياسي في منطقة الخليج العربي يتم إخراج مارد الطائفية من قمقمه بشكل مخيف، ليتم زجه وتوظيفه في ذلك الصراع السياسي الذي يخنق أي بصيص أمل في الوصول إلى الاستقرار السياسي الذي تفتقده المنطقة خلال العقود الثلاثة الماضية.

هذا المارد الطائفي سيكون من الصعب السيطرة عليه حتى من قبل الذين استدعوه إن وصلت الأمور في إقليم الخليج إلى حد الغليان وظل التصعيد الطائفي يزداد توتراً في المنطقة خاصة إن لم يتحمل العقلاء والحكماء من الطرفين مسئولياتهم التاريخية في التصدي المبكر لأي طرف أو جهة لا يرى سبيلاً إلى تحقيق مصالحه الذاتية إلا من خلال بقاء هذا التوتر الطائفي حاضراً على السطح.

إن مصطلحات مثل التسامح وثقافة التعايش والحوار والقبول بالآخر التي سودت بها صفحات وعقدت بها محاضرات وندوات تتبخر وكأنها لم تكن عندما تفسر أي كلمة أو حركة من أي طرف تفسيراً طائفياً يشتم منه أو يفهم منه ولو خطأ الدعوة لتهميش وإلغاء الآخر.

في مثل تلك الأجواء يجد العدو المشترك مساحة واسعة ورحبة لتحقيق أطماعه ومصالحه بكل أريحية من خلال استخدام أدوات الطرفين لهدم القواسم المشتركة وتغييبها واستحضار نقاط الخلاف الباطنة والمستترة، وما جرأة إسرائيل على تجديد حفرياتها اللئيمة واللعينة إلا ثمرة مرة من استمرار ذلك التوتر الطائفي البغيض الذي لا سمح الله لو انفجر فلن يكون أي طرف

من الطرفين منتصراً بحال من الأحوال.

إن التواجد الشيعي موجود عبر التاريخ منذ استشهاد عثمان بن عفان ﷺ وما تبعه من حروب في موضوع الخلافة وإن نسبة الطائفة الشيعية عبر مر التاريخ معروف بالنسبة لأهل السنة والجماعة ومعركة النسب لكل طائفة في كل مجتمع لأنهم في النظرة الشمولية للأمة ومكوناتها الحضارية، وقد أتت السنن الربانية على الدويلات الطائفية كالعبيدية والصفوية مثلما جاءت على الخلافة السنية الأموية والعباسية والعثمانية.

فمن المهم هنا أن تحترم الخصوصيات، وليس مقبولاً مثلاً أن يكون هناك نشاط مذهبي في دولة سنية خالصة مثل جزر القمر، مما يزيد من مساحات التوتر بين الطرفين المتوترة أصلاً، بينما أهل السنة في إيران والذين يصلون إلى (٢٥٪) في مناطق بلوشستان وكردستان الإيرانية والمنطقة الجنوبية لإيران مع التواجد في مناطق أخرى وهم جزء أساسي من المجتمع الإيراني يحرمون من حقوق أساسية ويعانون من التهميش والإهمال، بينما يشهد الشاطئ الشرقي للخليج العربي حالة انتعاش وانفتاح للشيعة العرب في مجلس التعاون الخليجي، حيث ينالون كامل حقوق المواطنة، ولهم احترامهم وتقديرهم الكامل.

شيعة الكويت في السابق..!

ونحن عندنا في الكويت حالة غير مسبوقة من التعايش الوطني والسلمي الذي يقوم على قيم التعايش بين الطائفتين السنية والشيعية، بحيث تصبح المواطنة هي التي تجمع الجميع تحت مظلتها.

هذا الكلام لا نقوله مجاملة لأحد أو طائفة أو نبتغي به تغيير الحقيقة التي عاشها أجدادنا.

هذا ما رواه لي خالي أحمد البزيع..!!

الموقف الأول:

وقد روى لي خالي العزيز أحمد البزيع- حفظه الله وأمد عمره- حادثة تعبر عن طبيعة العلاقة السائدة بين أبناء الكويت من الشيعة والسنة في تلك الفترة التي واجه فيها الكويتيون صعوبة الحياة بالمزيد من التلاحم والتكاتف والتعاون.

فقد كان هناك تعاون تجاري مشترك بين كبير عائلة المتروك وبين الراحل عبد المحسن الخرافي جد السيد جاسم محمد عبد المحسن الخرافي رئيس مجلس الأمة الحالي، حيث كان المتروك يشرف على تجارة عبد المحسن الخرافي في البصرة، وأراد أن يقوم عبد المحسن الخرافي بفك الشراكة مع المتروك لا لشك انتابه ولا لسوء ظن بالرجل، ولكن ليحافظ على العلاقة الممتدة عبر تلك السنوات، وحتى لا يختلف أولادهم من بعدهم، فما كان من المتروك وفي موقف كبير إلا أن أخذ (بشته) وقال للخرافي: (أنا ليس لي في هذه الشركة إلا هذا البشت، وأنت أخي وهذا يكفيني).

فأكبر عبد المحسن هذا الموقف في شريكه، وزاد إصراراً على التمسك به وبتلك العلاقات الإنسانية الراقية التي لا تخضع للمنطق الطائفي البغيض.

الرواية الثانية:

وفي الرواية الأخرى التي يرويها خالي أحمد عن خاله المرحوم حمود المطوع -رحمه الله- عن تماسك أهل الكويت سنة وشيعة، تلك الخاصة بحرب الجهراء حينما طلب الشيخ سالم المبارك من أهل الكويت الدخول إلى القصر الأحمر والدفاع من خلاله وضع خط أحمر لحين انتهاء دخول الناس والجيش إلى القصر، وكان من رجالات الكويت في الخط الأول المرحوم حمود الروضان حيث أصيب فجاء متأخرا عن دخول القصر فوصل القصر والباب مغلق، فما كان من الكويتي (غلوم) الذي يسكن براحة الدبوس في منطقة الشرق إلا أن نزل

بحبل من سور القصر ليمد يده إليه ويساعده على تسلق السور حتى دخلا معاً إلى داخل السور.

إن استحضار مثل تلك القصص وغيرها الكثير المشابهة الموجودة لدى كبار السن من الرعيل الأول من السنة والشيعة على السواء ربما محاولة لتذكير الجيل الحالي بكل أطيافه بأحد أسباب بقاء الكويت وحمايتها على الرغم من الظروف السياسية العصيبة التي تمر على منطقة الخليج ما بين فترة وأخرى.

ولاية الفقيه وتغير الموقف...!

هذه الصورة المثالية في التعايش بين الطائفتين أصابه بعض العطب عندما تم إحياء فلسفة ولاية الفقيه في إيران، حيث شهدت الكويت أحداثاً مؤسفة في بداية الثمانينات من القرن الماضي عندما بدأت صيحات تصدير الثورة من إيران والتجمع في مسجد المهري في صورة ثورة شعبية شيعية تندد بالنظام الكويتي ثم بعد ذلك تم تفجير المقاهي الشعبية، والعدوان على موكب الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد الصباح طيب الله ثراه، وغيرها من الحوادث الأخرى التي يعرفها جهاز أمن الدولة، والتي يأتي البعض ليصفها فيما يشبه بصب الزيت على النار بأنها أعمال واجتهادات وطنية!!

تعاون وقت الشدة والمحن..!

هذه الحالة التي قامت بها قلة من الطائفة الشيعية قد قابلتها حالة مضادة من الأغلبية الشيعية عندما تصدت للغزو البعثي الصدامي للكويت، وتعاونت مع بقية المجتمع الكويتي في صورة رائعة للتكاتف أعادت القصص القديمة من المواقف الطيبة التي يستحضرها الرعيل الأول.

في مثل تلك الأجواء يصبح تعميم الخطأ خطيئة بحق الوطن والمنطقة، فليس كل أهل السنة خبراء في تفجير السيارات المفخخة في وسط الأحياء الشيعية البريئة المسالمة من العراق، وليس كل الشيعة أعضاء في فرق الموت

التي تقتل أهل السنة على الهوية، وتصادر مساجدهم في العراق.

حتى لا يتكرر النموذج اللبناني..؟

لقد أصبح من الضروري أن نعود لمفهوم المواطنة تحت مشروع وملامح مظلة دول مجلس التعاون الخليجي بدلاً من أن نصبح أداة للفتنة بيد الآخرين الذين يتصاعدون في المنطقة حتى لا تصبح الكويت مثل لبنان التي أصبحت في فترة من الفترات ساحة للتصفيات السياسية والطائفية بين السفارات العربية التي نفذت مخططات أنظمتها على الساحة اللبنانية.

إننا ومن خلال احتكاكنا ببعض مواطنينا الشيعة ممن نعرف، فإننا نرجح أن الطائفة الشيعية في الكويت مع الرأي العاقل المندد بكل ما يمس الوطن وأمنه، وأن منطلقاتهم في تحديد مواقفهم ينطلق من منطلقات وطنية وليس من منطلقات أخرى ترتبط بمصالح خارجية أيا كان مصدرها، ومن المهم هنا أن نستحضر مقال الأخ علي يوسف المتروك (من رجالات الشيعة في الكويت) في مقاله الذي نشر في جريدة الوطن في العدد الصادر في ١٠ فبراير ٢٠٠٧ بعنوان (الشيوخ أبخس) عندما تحدث عن أنه لا يحمل كل الشيعة تصرف بعض الشيعة قال عن الشيعة في الكويت بأنهم ليسوا بطائفة واحدة قال:[إذا كنت تعتقد أن أحداً يدعي تمثيل الشيعة فأنت واهم، فهؤلاء (بينهم ما صنع الحداد)، وكما قيل: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[1]، ولكن رغم كل هذا فهم جزء أصيل من كيان هذا الشعب الممتد الأعراف والمشارب والأهواء كما يؤكد السيد المتروك على مفهوم المواطنة والولاء للوطن عندما تحدث عن الموقف من حزب الله فقال:(اليوم أعارض تخندق حزب الله في ساحة رياض الصلح، مما يعطل مصالح الناس ويعرضها للضرر عند الاعتداء الإسرائيلي على لبنان؛ إذ التأييد يومها لم يكن شيئاً مطلقاً، أو يعني التبعية لحزب الله أو غيره، وإنما ارتبط

(١) الحشر : ١٤.

بظروف استوجبت ذلك التأييد، وهذا بحد ذاته لا يتنافى مطلقاً مع الموالاة والمواطنة والانتماء) ا.هـ، ويقول:

بعد هذا الكلام أصبح من الضروري أن لا يشارك أحد أينما كان ومن أي موقع في إبداء رأيه في أي شأن من شئون الوطن، وهو يمسك بيده قلماً بينما اليد الأخرى على زناد الفكر الطائفي البغيض.

يا أهل الكويت.. اتقوا الله في وطنكم!!

إيران وأحداث المنطقة:

في تقرير صدر عن المعهد الملكي للشئون الدولية في لندن يؤكد الباحثون أن إيران هي أكبر المستفيدين من الحرب ضد الإرهاب والتي شنتها الولايات المتحدة الأمريكية.

وأوضح التقرير أيضا أن السياسات الخاطئة للرئيس الأمريكي بوش قد صبت في مصلحة إيران (الدولة الشيعية حيث ساهمت في تخليص إيران من ألد أعدائه وهي حركة طالبان السنية وكذلك حزب البعث في العراق بإسقاط نظام صدام حسين وفشلها في استبدالها بهياكل سياسية مستقرة ومتماسكة)[(١)].

ويبدو أن التسرع في اتخاذ القرارات غير المدروسة بعناية صار هو الطابع المميز للإدارة الأمريكية المتمثلة في أشخاص لم يعد لهم التأييد السياسي من قبل الساسة الأمريكيين كما كان قبل، حتى إن قراراً أخيراً صدر عن الرئيس بوش بزيادة عدد الجنود الأمريكيين في العراق أظهر حجم التناقضات والمخالفة الواضحة في الآراء مع القادة العسكريين ورجال السياسة، مما اعتبروه تصرفا غير صحيح في الوقت الراهن.

أهو إذن الداء الذي طالما يصيب القادة وهو تحقيق أكثر النتائج في أقل

---

(١) انظر: جريدة الأهرام العدد الخامس الموافق (٢٤ أغسطس ٢٠٠٦).

الأوقات؟!

أم هو التخبط وعدم الاتزان الناشئ من الانحسار في دائرة من القرارات أحسنها قد تكون وخيمة العواقب؟!

أم هي الشيخوخة المبكرة التي ينتج عنها قرارات غير صائبة أم " الهرم" كما عبر العلامة بن خلدون والذي إن نزل بالدولة قد لا يرتفع حيث يقول في مقدمته : (ربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها ويومض زبالها إيماضة الخمور كما يقع في الزُبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض إيماضة توهم أنها اشتعال و هي انطفاء).

مهما تعددت أشكال العلاقة بين السياسة الأمريكية و النظام الإيراني إلا أن الآثار واحدة على أرض العراق وهي سيطرة الميلشيات الشيعية واتساع النفوذ الإيراني في العراق إرباك واضح في الإدارة الأمريكية فيما يخص مستقبل العراق.

وقد أكدت الدراسة التي أشرنا إليها في بداية المقال أن لدى النظام الإيراني العديد من أوراق الضغط التي يمكن استغلالها و التي منها ورقة تحريك الميلشيات الشيعية في العراق، حيث يمكنها أن تتسبب في زيادة الهجمات على القوات الأمريكية من خلال تسهيل عمليات وصول الأسلحة.

وقد تم استخدام هذه الورقة بالفعل ولكن بشكل يخدم مصالح النظام الإيراني حيث بات الواقع العراقي مسرحاً لتصفية الحسابات على أساس طائفي ديني، بات واضحاً فيه سيطرة الجانب الإيراني لقوة نفوذه، مما جعل جنرالاً أمريكياً يعلنها صراحة كما ورد في الوطن في عدد الأربعاء الموافق ١٠ يناير الماضي حيث يقول: إن الأمر قد يتطلب سنتين أو ثلاث سنوات قبل أن تعود اليد العليا في الحرب للأمريكيين، وقال: سوف نطارد المتطرفين الشيعة والسنة على السواء .

كما أن من أوراق الضغط التي تمتلكها إيران هي الواقع السياسي العراقي، واقع ما بعد الغزو، الذي يؤكد فشل كل نماذج الديمقراطية التي سعت الإدارة الأمريكية إلى إحلالها حيث فشلت الدولة العلمانية وفشل النظام الديمقراطي كذلك، إما لجهل الأمريكان بالطبيعة العراقية وإما أن تكون أمريكا تقصد أن يتحقق في العراق هذه الصورة من الانفلاتات و الفوضى تمشياً مع طبيعة من لا يمكنه الصيد إلا في الماء العكر.

وهنا يمكن أن نقول أن أمريكا بذلك تسير بسرعتها المعروفة نحو التشرذم السياسي و الانحسار الحضاري، وإما أن تكون هذه الصورة النهائية التي عليها العراق الآن هي نفس الصورة التي صممها المهندس الأمريكي حين فكر في الغزو، لتكون عناصر هذه الصورة، إحياء الطائفية وإنشاء التحزبات السياسية ومن ثم إدارة الصراع فيما بينها؛ لأن هذه الصورة هي الطريقة المثلى لإحكام السيطرة، فقد فقه المهندس الأمريكي من أين تؤتى هذه الأمة؟! لأنه استقرأ التاريخ جيداً، فوجد عناصر القوة ماثلة حينما تكون الوحدة والاعتصام ومن ثم الضعف والهزيمة والتشرذم حينما تكون الفرقة والاختلاف، لكن التاريخ أيضا يؤكد أن الطائفية والحركات الخارجة عن سلطان الدولة الإسلامية ما كانت لتطفو على السطح إلا لأنها غثاء كغثاء السيل، أو كزبد البحر سرعان ما تنجرف مع الرياح ليذهب جفاء ويبقى ما ينفع الناس.

من الجغرافيا إلى التاريخ:

كعادتنا في ربط الأحداث بعضها ببعض ، والتاريخ يعيد نفسه وقد تصل الإعادة إلى أن يكون بعض الحاضر صورة كربونية لما كان في الماضي، وأعني بذلك مسلسل تفريق الأمة إلى طوائف وأحزاب وتأجيج الصراع فيما بينها لتصبح دويلات مفتتة متناحرة وفي كل دويلة عوامل لا حصر لها لتفتيتها هي

الأخرى إلى أجزاء أقل، وقد أخبر سيد الخلق بذلك فقال: «**إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**»(١)، وفي رواية: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٢)؟

وقد عرف الأعداء ذلك فحاولوا إذكاء نار الفتنة حتى في عهد النبوة، فروي أن رجلاً من اليهود مر بملأ من الأوس والخزرج فساءه ما هم عليه من الاتفاق و الألفة فبعث رجلاً معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكر لهم ما كان من حروبهم يوم بعاث ففعل فلم يزل ذلك دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض وتشاوروا ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم**» وتلا عليهم قول الله : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾(٣) (٤).

هل نجحت محاولات ابن سلول .. ؟!

وكذلك في فعل عبد الله بن أُبي بن سلول في غزوة أحد ومحاولته الانقسام بالجيش وخروجه بثلثه، فقد روى أن الرسول ﷺ خرج يوم أحد في ألف من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشوط بين المدنية وأحد، انخزل عنه عبد الله بن أُبي ابن سلول بثلث الناس وقال: أطاعهم وعصاني، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس؟، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب واتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام، أخو بني سلمة يقول: أذكركم الله أن لا تخذلوا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣)، وصححه الألباني.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه الألباني .
(٣) آل عمران : ١٠٣ .
(٤) تفسير ابن كثير ١/ ٣٨٩.

قومكم ونبيكم فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم، ولكنا لا ندري أنه يكون قتال . ا هـ[١] .

وقد فقه الصحابة -رضوان الله عليهم- أثر ذلك التفريق والتمزيق وعرفوا مداخله فقد روى في قصة الثلاثة الذين خلفوا أن كعب بن مالك قال في حديثه الطويل : بينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا بنبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة، يقول: من يدل على كعب بن مالك ؟ قال: فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان وكنت كاتبا فقرأته فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، قال فقلت حين قرأته: وهذا أيضا من البلاء فتيممت به التنور فسجرته فيه[٢] .

القوة بالاعتصام . . والاعتصام بالقوة:

إن كان أعداء الأمة في زمن الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يتحينون الفرص التي يدخلون بها على نقاط ثبات الأمة ويعملون فيه الخور فإن أعداء الأمة اليوم يحاولون خلق هذه الفرص ويجهدون في إعمال الفوضى لتسهل لهم الاختراقات، لأنهم فهموا طبيعة هذه الأمة أنها تقوى عندما تعتصم بحبل الله متبعة قول الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ . . وأنها تضعف ويسهل السيطرة عليها حينما يدب الشقاق والخلاف والفرقة بين أفرادها، فعملوا على إذكاء هذا الخلاف بداية- كما ذكرنا- من عهد النبي ﷺ ومروراً بزمن الخلفاء الأربعة ، فرأينا القوة والمنعة في زمن أبي بكر وعمر، ثم كانت خلافة عثمان رضي الله عنه والتي استمرت اثنا عشر عاماً كانت القوة معلماً رئيساً لها إلى أن كانت فتنة الرعاع من الناس والتفوا حول رأس الفتنة في ذلك الوقت وهو

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ.. ﴾ [التوبة: ١١٨] .

عبد الله بن سبأ وهاج الناس وماجوا وكانت فتنة عظيمة تزعمها رعاع الناس وحاصروا بيت الخليفة عثمان بن عفان ﷺ فيما أطلق عليه كُتاب التاريخ بـ(يوم الدار) وأورد بن جرير الطبري قائلاً: ألق الناس النار في أبواب دار عثمان، فاحترق بعضها فقال عثمان لغلمانه : ما احترق الباب إلا لما هو أعظم منه، لا يحركن رجل منكم يده، فوالله لو كنت أقصاكم لتخطوكم حتى يقتلوني، ولو كنت أدناكم ما جاوزوني إلى غيري، وإني لصابر كما عهد إليّ رسول الله ﷺ، لأصرعن مصرعي الذي كتب الله عز وجل. اهـ[1].

عظمة الأمة في وحدتها بعد تفرقها:

المشروع الإيراني / علامات فاصلة وإشارات تعريفية :

أيهما أضر على مجلس التعاون الخليجي المشروع الإيراني أم المشروع الأمريكي؟

استكمالاً لما بدأناه في أول حديثنا حول الفتنة ودورها في تمزيق الصف الإسلامي وشهادة التاريخ على ذلك نتساءل هل دامت الدويلات الطائفية..؟

لقد كانت الفتنة والتفريق بين صفوف الأمة هي الثغرة التي تؤتى الأمة من قبلها، ولكن هل أجدى هذا في صلابة الأمة الإسلامية شيئاً؟ من التاريخ نلاحظ أنه لما أرادت الباطنية تكوين دولة على حساب الدولة الإسلامية حيث يحكي لنا التاريخ أن من يدعى بـ (منصور اليمني) ومعه على بن الفضل قد استطاعا أن يكونا دولة باطنية في اليمن[2] في عام (٢٦٨هـ)، وكان أهم معالمها هو أن أحل لهم المحرمات وأباح نكاح البنات والأخوات وأعفى أتباعه من أداء الشعائر، فهل استمرت الدويلة ؟ بالطبع لا ، فالمبدأ واضح من أن هذه الأمة قد تغفو لكنها لا تموت فقد قيض الله لهم من دحرهم وأبادهم.

---

(١) انظر: تاريخ الأمم والملوك للطبري (٤/ ٣٨٠).

(٢) انظر: طائفة الإسماعيلية محمد كامل حسين (٣٨-٤٢).

وكذلك القرامطة التي تنسب إلى حمدان قرمط والتي كان أول ظهور لهم في البحرين ، ولما استفحل أمرهم هاجموا البصرة والكوفة ونواحي الشام واستطاعوا أن يؤسسوا دويلة في البحرين ، ودخلوا في مواجهة مع جيوش الخلافة العباسية واستطاعوا هزيمتها في بعض المواقع ، وبلغوا ذروة نشاطهم عام (٣١٧هـ) ، حيث دخلوا مكة تحت إمرة أبي سليمان بن أبي سعيد الجنابي وقتلوا الحجيج ، يقول ابن كثير في البداية والنهاية: حج بالناس منصور الديلمي في سنة (٣١٧هـ) وسار بهم من بغداد إلى مكة فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية فنهب أموالهم واستباح قتالهم فقتل في رحاب مكة وشعابها، وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً وجلس على باب الكعبة والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في البلد الحرام في الشهر الحرام يوم التروية الذي هو من أشرف أيام الله وهو يقول:

أنا الله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

-لعنه الله وكبرت كلمة هو قائلها- فكان الناس يفرون منهم فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدي ذلك عنهم شيئاً بل يقتلون وهم كذلك ويطوفون فيقتلون في الطواف ، فلما قضى القرمطي لعنه الله - أمره وفعل ما فعل بالحجيج ، أمر أن تدفن القتلى في بئر زمزم ودفن كثير منهم في أماكن في الحرم وهدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وشقها بين أصحابه ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود فجاء رجل فضربه في مثقل في يده وقال: أين الأبابيل ؟ أين الحجارة من سجيل .. ؟

وأخذوا الحجر الأسود فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة..! اهـ[1]، لكن

(١) انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٦٠) وما بعدها.

مع ذلك ذهبت دويلتهم أدراج الرياح ، وكانت كالزبد بل أقل ، ثم تعافت الأمة من بعد ذلك فكأن مرضاً بسيطاً أصابها وسرعان ما عادت إليها طبيعتها.

وانتهت الدويلة الإسماعيلية وانهزمت زعاماتها بيد جنودها ولكن عبيد الله المهدي استطاع الهرب فذهب إلى مصر ومنها إلى بلاد المغرب العربي حيث استطاع أن يمهد لقيام الدولة الفاطمية ؛ ليبدأ بذلك صراع جديد بين الخلافة السنية القائمة وبين الدويلات المنشقة ، فاستطاعت جيوش الفاطميين أن تدخل مصر تحت إمرة القائد جوهر الصقلي الذي بنى مدينة القاهرة لكي تكون عاصمة للفاطميين وشيد الجامع الأزهر لكي يكون مركزاً علمياً لقيادة الدعوة الإسماعيلية .

فهل سارت الرياح كما تشتهي السفن ؟ وهل دامت لهم الدولة الفاطمية؟ إنّ موقفا واحداً من التاريخ يضعنا على الحقيقة يحكي التاريخ[1] أن صلاح الدين الأيوبي في سنة (٥٦٦هـ) قد عزل قضاة مصر لأنهم كانوا فاطميين وولى قضاء القضاة نجم الدين عبد الملك بن درباس الشافعي، فاستناب في سائر المعاملات قضاة شافعية وقطع الآذان بـ (حي على خير العمل) وأمر بإقامة الخطبة لبني العباس وكان يوماً مشهوداً ... وفرح الناس فرحاً شديداً ولمّا دعا الإمام للخليفة العباسي على المنبر كبّر الناس فرحاً بالعودة الحميدة للخلافة الإسلامية، وهكذا فبمجرد أن دعا الإمام للخليفة العباسي على المنبر انتهت دولة بأسرها وعاد الناس لحظيرة الدولة الإسلامية ليبدأ بعد ذلك القائد العظيم صلاح الدين في تحقيق الأمل المنشود يومها وكذلك الآن وهو استعادة بيت المقدس ... !

الدولة الصفوية:

وهي الدولة التي أسسها إسماعيل الصفوي عام (١٥٠٠م) في أذربيجان ثم

(١) انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٢٦٣).

بسط نفوذه على شروان والعراق وفارس وشن حرباً لا هوادة فيها على أهل السنة الذين كانوا يشكلون أغلبية السكان واتخذ من تبريز عاصمة للدولة، وبلغت الدولة الصفوية أوج عظمتها عام (١٥٨٨-١٦٢٩) في عهد الشاه عباس الصفوي، الذي عمل على تحويل الحجاج الإيرانيين من مكة إلى مشهد، وبدأ بنفسه فحج سيراً على الأقدام من أصفهان إلى مشهد ليكون في عمله قدوة للإيرانيين.

فتيقنت الدولة العثمانية من الخطر فقام السلطان سليم الأول بتجهيز جيش عظيم وقضى على الدولة الصفوية عام (١٧٢٢م).

وهكذا أوضح التاريخ على مدار حلقاته أن الطائفية والحركات الخارجة على سلطان الدولة الإسلامية ما كانت لتطفو على السطح إلا لأنها غثاء كغثاء السيل أو كزبد البحر سرعان ما تنجرف مع الرياح لتذهب جفاء ويبقى ما ينفع الناس .

المشروع الإيراني.. بين النجاح والإخفاق على أرض الواقع:

مع زيادة وتيرة الأحداث وسرعة تغير القرارات تباينت الآراء بشأن العلاقة بين السياسة الأمريكية والنظام الإيراني، أهي علاقة وفاق أم شقاق لكن بعقلية المحلل السياسي وفقه الباحث الجغرافي نهتدي إلى علامات فاصلة وإشارات تعريفية لتصارع مشروعين باتا يهددان أمن المنطقة وشعوبها.

وهما المشروع الأمريكي الملتحف بغطاء سياسي وهو (مشروع الشرق الأوسط الكبير) والمشروع الإيراني والمتدفئ بغطاء سياسي وهو (مشروع المقاومة) وإن كانا يحملان في جلبابهما مشاريع أخرى لا تقل في خطورتها عن هذين المشروعين وذلك في ظل وجود نظام سياسي عربي وخليجي متداعٍ ومنحاز إلى المشروع الأمريكي رغبة أو رهبة في ظل غياب المشروع الإسلامي السني وتشرذم قوى السياسة والمجتمع فيها.

إلا أن تركيزنا سيكون عن ملامح المشروع الإيراني وأهدافه والذي بات نفوذه يمتد من إيران إلى لبنان مروراً بالعراق وسوريا وتطلعاً إلى الخليج ومدعوم بالعاطفة الجماهيرية الإسلامية الممتدة في العالم العربي والإسلامي، أما المشروع الأمريكي (الشرق الأوسط الكبير).

أين مشروع مجلس التعاون الخليجي...؟

أما مشروع مجلس التعاون الخليجي فليست له بنود واضحة ولكنها ملامح وخطوط عامة تقوم على:

١-محاولة استقرار في منطقة الخليج العربي، وعدم الدخول في أي صراعات دولية تتحمل المنطقة آثارها.

٢-إيجاد وحدة مجتمعية تقوم على مبدأ المواطنة بعيدة عن الإثارة الطائفية والعرقية.

٣-إيجاد سقف مقبول من الارتياح المادي والرفاهية المجتمعية لأبناء ومواطني مجلس التعاون.

٤-إيجاد تطوير في مؤسسة مجلس التعاون للوصول إلى فيدرالية عربية خليجية لها وزنها في ميزان القوى في المنطقة لإيجاد احترام من القوى المتضاربة في دائرة الإقليم.

٥-الحرص على المحافظة على الأعراف المجتمعية العربية المحافظة.

٦-الحرص على مساندة القضايا العربية والإسلامية والإغاثية في إطار ما تسمح به الظروف المادية والسياسية في المنطقة.

فالخطوط العامة للمشروع قائمة في مجملها على المسالمة والاستقرار والبعد بالمنطقة عن بؤر الصراع الدولي والإقليمي.

المشروع الإيراني وعوامل التميز:

إن ما يميز القاعدة العامة للمشروع الإيراني اعتماده على ما يلي:

أولاً: الالتقاء الشرعي عند مرجعية واحدة والالتفاف حولها والسماع لقرارها ورأيها الذي يشبه الإلزام خصوصاً في الواقعات والأحداث، فولاية الفقيه لا يمكن اختراقها حتى يقول أحد الأساتذة في جامعة طهران زيبا كالام: إنه من العبث محاولة صنع مزيج من الأفكار الديمقراطية الليبرالية الغربية والعقيدة الشيعية(١).

ثانياً: العلاقة الهرمية بين المرجعية وممثليها وتلامذتها والقاعدة الشيعية بما يشبه التسلسل التنظيمي الحركي القادر على التعبئة الجماهيرية نحو الهدف المطلوب.

ثالثاً: توافر التمويل الثابت والمستقر منذ قرون للمؤسسة الشرعية بما يحقق تمويلاً كافياً للمشاريع والأزمات والطوارئ، وأهمها الامتداد الديموغرافي كما حدث في البحرين والعراق والإمارات وحالياً في الكويت وقطر ومن قبل سورية ولبنان.

والمشروع الإيراني يهدف إلى استثمار أعوام طويلة من الجهود في العمل السري والعلني سياسياً ودينياً ولوجستياً منذ بدء مشروع تصدير الثورة إلى الإقليم والعالم في عام (١٩٧٩م) وإلى اليوم وذلك لإقامة حزام شيعي قلبه إيران ذات المرجعية لولاية الفقيه ووسطه دول الخليج والعراق وأطرافه لبنان وسوريا وباكستان ودول العالم الإسلامي الأخرى، وذلك للسيطرة على ضفتي العالم الإسلامي ويستخدم النفط والموقع الاستراتيجي للخليج وتطوير القوى النووية الإيرانية للسيطرة على الإقليم ويتحرك بروح وقوى الطائفية الشيعية ويتغطى باللحاف الإسلامي الجماهيري المقاوم لسيطرة الولايات المتحدة والغرب وإسرائيل.!!

---

(١) انظر: جريدة الوطن عدد السبت (١٠/ ٢/ ٢٠٠٧م).

النفوذ الإيراني في العراق:

بات واضحاً اتساع النفوذ الإيراني في العراق، وسيطرة الميليشيات الشيعية التابعة للنظام الإيراني على الوضع الأمني، حيث يذكر أنه في العراق توجد (١٣) ميليشيا شيعية تدعم لوجستياً وعسكرياً ومالياً من قبل النظام الإيراني كما أن النفوذ السياسي المتمثل في (الائتلاف العراقي الموحد) والذي يضم (١٧) تنظيماً سياسياً يرتبط ارتباطاً قوياً بالنظام الإيراني، ولا يخفى التغلغل الواضح للميليشيات الشيعية وسيطرتها على المؤسسات الأمنية العراقية سواء في الداخلية أو الجيش العراقي كقوات بدر وما أثير عما يسمى بجند السماء، يضاف إلى ذلك ميليشيا جيش المهدي والتابعة للزعيم الشيعي مقتدى الصدر.

وهذا النفوذ الإيراني الواضح في المسرح العراقي يستخدم كورقات ضغط وكروت رابحة في أيد النظام الإيراني مما جعله يملك ثلاثة أرباع أوراق اللعبة في الوضع العراقي، الأمر الذي جعل الإدارة الأمريكية تعيد النظر في سياستها مع إيران وتعيد من جديد تلك اللغة التي لم نعد نسمعها منذ زمن وهي لغة الحوار والتفاهم.

فبإمكان النظام الإيراني استخدام هذه الورقات في زيادة الفوضى التي تؤدي إلى زيادة الهجمات على القوات الأمريكية، وقد يكون من مؤشرات النجاح لهذه الضغوط هو فشل كل نماذج الديمقراطية التي سعت الإدارة الأمريكية على إحلالها حيث فشلت الدولة العلمانية وفشلت النظم البديلة مما جعل الإرباك الواضح يسيطر على الإدارة الأمريكية فيما يخص مستقبل العراق.

المشروع الإيراني والتعامل مع النظام الدولي:

استراتيجية النظام الإيراني في مشروعه الدفاعي وتعامله مع النظام الدولي تهدف إلى:

أولاً: مواجهة الحصار الخارجي بدون زعزعة الاستقرار الداخلي، وهذا

هدف سياسي وشعبي إلا أن الرئيس الإيراني نجاد لا يتعامل معه كما ينبغي وقد اتضح ذلك من خلال تناقص شعبيته بسبب خطاباته النارية وسياسته الخارجية المتشددة حتى إن الانتخابات البلدية التي أجريت أخيرا والتي كان من المتوقع فيها فوز جناح نجاد إلا أن النتائج جاءت على عكس ذلك فقد واجه مرشحو لائحة الرئيس نجاد هزيمة منكرة، واعتبر كثير من أعضاء البرلمان أن نجاد هو المسئول عن العقوبات التي فرضها مجلس الأمن الدولي على إيران.

ثانياً: توظيف قوة الإصدار الإيراني في المشروع النووي لعلاقات جديدة ومتطورة وجعلها شبكة علاقات إقليمية عناصرها قطر - السودان- سوريا- تركيا- آسيا الوسطى وشرق آسيا.

ثالثاً: إقامة علاقات قوية مع روسيا والصين اقتصادية وعسكرية لكسب حلفاء سياسيين أقوياء.

رابعاً: التعامل مع الأوربيين على قاعدة شعرة معاوية حتى تستمر الجهود في مواصلة البرنامج النووي ليكون ورقة ضغط حقيقية ومؤثرة تزيد النظام ثقلاً سياسياً وعسكرياً في المنطقة.

فرص نجاح المشروع الإيراني:

يمكن أن يتوفر نجاحاً للمشروع الإيراني حال قدرة إيران على التفاهم مع الولايات المتحدة بشأن الملف النووي والنفط بما يحقق انسجاماً فيما يلي:

١- تفاهم على دور سياسي ورئيسي لحزب الله في لبنان مقابل نزع أسلحته.

٢- تفاهم على تنسيق سوري لاتفاقية سلام مع إسرائيل في مقابل ضمانات أمريكية لحل المشكلة الفلسطينية.

٣- تفاهم على ملف نووي سلمي لإيران برعاية المنظمة الدولية ودون

تخصيب وبإشراف منظمة الطاقة الذرية في مقابل إلغاء القرار ١٦٩٦ الصادر من مجلس الأمن وحق المشاركة في النظام الأمني الإقليمي في الخليج.

٤- سيطرة مركزية للنفط للحكومة العراقية وحق إقامة قواعد عسكرية أمريكية دون الإخلال بالنظام الأمني الإيراني في مقابل دور مركزي شيعي للحكم ومعاهدة عدم اعتداء متبادل وتطوير تنموي لإقليم الجنوب وتبادل مرجعي ديني.

٥- إقليم كردي ذا حكم ذاتي في مقابل عدم تدخل تركي في الشؤون الإيرانية والعراقية بضمانات أمريكية.

٦- احترام حق دول الخليج في الاتفاقيات الأمنية مع الولايات المتحدة الأمريكية في مقابل سوق خليجية إيرانية أمريكية.

ومن خلال ما ذكرنا تبين أنه ستزداد فرص نجاح المشروع الإيراني ومن ثم المشروع الأمريكي في حالة تشرذم المحتوى السني في المنطقة وعدم قدرة دول المنطقة وشعوبها لتعبئة سياسية واقتصادية ناجحة وإقامة تحالف سياسي فاعل لمواجهة الأخطار والتحديات، وكذلك في حال فشل المصالحة الوطنية العراقية ونجاح الفيدراليات وتقسيم العراق وولوغ الجيش الأمريكي في مأزق الحرب الأهلية.

عوامل فشل المشروع الإيراني:

برغم توفر فرص نجاح المشروع الإيراني إلا أن هناك عوامل كثيرة تحقيق بعضها فقط قد يؤدي إلى فشل ذلك المشروع أو عرقلته ووضعه في دائرة مغلقة تنتهي به في النهاية إلى فشله ومن هذه العوامل:

أولاً: تكوين محور سياسي خليجي ضد إيران وإصدار قرار أممي بشأن الملف النووي الإيراني يسارع في إيقاف نفوذ المشروع الإيراني، وإعادة إثارة

المشاكل الاقتصادية والداخلية في إيران، وإن كانت إثارة المشاكل الاقتصادية ستؤثر سلباً على نجاح المشروع الإيراني فقد بدت مؤشرات ذلك بالفعل في الواقع الاقتصادي الإيراني.

ففي عهد الرئيس نجاد قد ارتفع مستوى التضخم وابتعد المستثمرون الأجانب عن السوق الإيرانية لخشيتهم من وقوع اضطرابات سياسية أو غزو خارجي، كما تراجع أداء البورصة الإيرانية وهربت رؤوس الأموال إلى دبي[(١)].

ثانياً: فشل المراهنة على التيارات الشيعية كتيار الصدر عسكرياً، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، وهذا ما سيقلص من امتداد النفوذ الإيراني ويعيد حسابات المعادلة السياسية في العراق.

ثالثاً: إثارة الخلاف الديني والمرجعي حول نظرية الحكم الديني (سلطة ولاية الفقيه) بين المراجع التقليدية في العراق وإيران.

رابعاً: تضارب المصالح الكردية - التركية - الإيرانية- في المنطقة داخل العراق بسبب بروز تحالفات جديدة ضد المشروع الإيراني.

خامساً: تدمير جزء معتبر من قوة حزب الله في لبنان وهو رصيد استراتيجي لإيران وهذا ما أدى إلى التأثير على بعض التوازنات التي أقامتها إيران في المنطقة وأدى كذلك إلى زيادة ضراوة الولايات المتحدة الأمريكية ضد التواجد الإيراني السوري.

سادساً: الضغط الأمريكي والدولي لعزل التحالف بين سوريا وإيران في تقويض القوة الاستراتيجية للمشروع الإيراني ووضع إيران بمفردها أمام التوجهات الاستراتيجية للمشروع الأمريكي.

---

(١) جريدة الوطن عدد (١٠/ ٢/ ٢٠٠٧م).

سابعاً: تشتت وضعف أدوات الإرهاب في العراق والتي تستخدمها إيران.

إلى من يهمه الأمر:

ما سبق كان إشارات وعلامات توضيحية لمشروع إيراني يتفق في نقاط ويتعارض في أخرى مع المشروع الأمريكي في ظل غياب مشروع خليجي واضح لكن علينا أن لا نقف مكتوفي الأيدي أمام مشروعين يؤثران علينا سلباً أو إيجاباً فأيهما أضر على مجلس التعاون الخليجي المشروع الإيراني أم المشروع الأمريكي...؟ وأي المفسدتين أعظم في هذين المشروعين، وأين مراكزنا البحثية في إخراج دراسة أصولية تبين أعظم المصلحتين وأي المفسدتين أخف في موقف مجلس التعاون مع أو ضد هذين المشروعين؟ ننتظر الإجابة من مراكز البحث والدراسات الرسمية من دول مجلس التعاون ليتخذ قادة الدول وسياسيها الموقف الصحيح المبني على التأصيل والتقعيد...!!.

لماذا تستخف إيران بالضغط الأمريكي...؟

لا خلاف في أن إيران كانت المستفيد الأول من الحرب الأمريكية على العراق ذلك أن عواقب هذه الحرب والانشغال الأمريكي بها، وفرا لإيران فرصة تاريخية لفرض هيمنتها على المنطقة والعمل في الوقت نفسه على مواصلة برنامجها النووي لتردع به أي تحد لاستراتيجيتها في المنطقة، فاستطاعت بذلك أن تستغل الوضع السياسي العام في المنطقة والناشئ من اضطرابات واضحة في مصانع القرار الأمريكي في المحاولة لكسب الوقت والظهور كند حقيقي للهيمنة الأمريكية، وأبعد من مخيلة الساسة الإيرانيين المخاوف من الوقوف وجها لوجه مع القوة الأمريكية، وعلت من أجل ذلك نبرة الرئيس الإيراني نجاد مما اعتبر تهوراً في كثير من الأحيان...

فماذا فعل المهندس الأمريكي...؟

ما كان من المهندس الأمريكي إزاء ذلك إلا أن يلجأ إلى الأمم المتحدة

لمحاولة استصدار قرار بفرض عقوبات على إيران ظاهراً لمضيها في مشروعها النووي الذي يهدد الشرق الأوسط، وباطناً لمحاولة عرقلتها للمشروع الأمريكي وبالفعل صدر القرار حتى إنه أثار مخاوف بعض الأوساط السياسية الإيرانية الأمر الذي جعل المرشد الأعلى الإيراني على خامنئي يرسل مبعوثه الخاص علي أكبر ولايتي برسالة إلى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين تتعلق بالبرنامج النووي والعلاقات الثنائية والقضايا الدولية؛ لمحاولة إنقاذ ما فعله نجاد، غير أن هذه المحاولة تعد نوعاً من التهدئة وكسب الوقت ومحاولة استخدام شعرة معاوية.

فلدى إيران قناعة كاملة بأن الوقت والظروف يصبان في مصلحتها، حتى بعد قرار الأمم المتحدة المتعلق بفرض عقوبات على طهران فمن أين جاءت هذه القناعة..؟

إيران وقرار الأمم المتحدة:

لقد استطاعت إيران في المرحلة الأخيرة أن تبالغ في تعقيد المشكلة وأن تجعل كثيراً من الدول كدول شرق آسيا وروسيا وكذلك دول الخليج طرفاً في القضية فتضيق على المهندس الأمريكي الاحتمالات التي يمكن أن تصوغ حلولاً لصالحه، فإيران التي تصرف (٦٠٪) من ميزانيتها على التسلح والعسكر وتطوير صواريخ بعيدة المدى كمنظومة صواريخ (شهاب) متعددة المدى إذا أضيفت إليها الطاقة النووية السلمية يمكنها أن تصنع بسهولة صواريخ عابرة للقارات وغواصات تعمل بالطاقة النووية مما يجعل أهدافاً أمريكية وبريطانية تحت مرمى الصواريخ الإيرانية.

كما أن العقوبات الاقتصادية ستضر الأوروبيين أيضاً، ومن جهة أخرى يبلغ حجم الاتفاقيات الموقعة بين الصين وبين إيران لمدة عشر سنوات

(١٠٠) مليـار دولار، ومـع روسـيا (٦٠) مليـار دولار، ولـن يلتـزم هـذان الطرفان بتلك العقوبات.

ويبدو أن أمريكا قد فقهت شيئاً من هذه المنظومة المعقدة مما جعلهـا تحـاول التخفيف من لهجتها مع إيران وتعيد طرح مسألة التحـاور معهـا فهـذا وزيـر الدفاع الأمريكي روبرت جيـتس يقـول كـما في الـوطن في العـدد الـصادر في (١٠/ ٢/ ٢٠٠٧م):(انطباعي أن هناك جهداً في واشنطن في الأسابيع القليلـة الماضية لتخفيف حدة التصعيد، ثم يتابع قائلاً: لا أعرف كم عدد المرات التـي كان على الرئيس الأمريكي وكذلك وزيرة الخارجية كونداليزا رايـس وأنـا أن نكرر أننا لا ننوي مهاجمة إيران).

جيتس قال هذا الكلام على خلفية إرسال حاملة طائرات ثانية إلى الخلـيج، وقال: إن الغرض من إرسال حاملة الطائرات الثانية (طمأنة حلفائنا والإشارة أيضاً أننا كنا في الخليج منذ عقود وأننا نـنـوي البقـاء فيـه) فهـل تـبطن الإدارة الأمريكية شن حرب على إيران واستهداف مواقع استراتيجية فيها؟ وماذا لـو أقدمت الإدارة الأمريكية على مثـل هـذه الخطـوة؟ ومـا هـي الـسيناريوهات المتوقعة لهذه الحرب؟

سيناريوهات الحرب على إيران:

الكثيرون في أمريكا يشعرون بالقلق من التخبط أو التورط مع إيران، وقـد أوضح اثنـان مـن المرشـحين لانتخابـات الرئاسـة الأمريكيـة وهمـا هـيلاري كلينتون وجوان ادوردز معارضتهما لأي ضربات تستهدف إيران رغم أن كـل القادة في كلا الحزبين الديمقراطي والجمهوري يقولـون: إن كـل الاحـتمالات يجب أن تبقى على الطاولة، فما هي إذن السيناريوهات التي يمكن توقعها بشأن تلك المواجهة المحتملة..؟

عبر أحد المحللين الاستراتيجيين بأن ضربة عسكرية ضد إيران أمر يشبه الانتحار وفرض عدة احتمالات:

١-استخدام جميع القواعد العسكرية والقوات الأمريكية الموجودة في الشرق الأوسط وآسيا وأوربا.

٢-استخدام القواعد العسكرية الموجودة فقط في العراق وأفغانستان وأوربا الشرقية.

٣-قيام إسرائيل بتلك الضربة.

وفي تناول هذه الاحتمالات نخلص إلى:

الاحتمال الأول يعد محالاً ..لماذا؟

أولاً: لأنه يعتمد على دول تعارض استخدام قواعدها لضرب إيران كتركيا ودول الخليج وهذه المعارضة ستنشأ من عدة أسباب:

١- قوة إيران سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

٢- دخول هذه الدول في معركة ليست معركتها.

٣- إشعال المنطقة برمتها في حرب تعرف بدايتها لكن نهايتها مجهولة وهو أمر يعارض السياسة العامة لكثير من دول المنطقة خاصة دول الخليج.

٤- التحالفات السياسية والاقتصادية التي عقدتها إيران مع بعض الدول المجاورة لها كـ(جورجيا- طاجكستان- أوزبكستان- فضلاً عن روسيا والصين).

ثانياً: هذا الاحتمال سيوقع أمريكا في أزمة حقيقية وهي إشعال منطقة النفط والغاز والموارد وعصب الاقتصاد العالمي، وهذا الأمر يختلف عن غزو العراق، لأن إيران الآن تملك من أوراق اللعبة ما لم تكن تملكه العراق.

غير أن أمريكا وإن تجاهلت هذه المحاور وقامت بضربتها فيمكن تصور هجومها كالآتي:

-ضرب المنشآت الإيرانية الأربعة: بوشهر في أصفهان- ناطنز، ومنشأة آراك، ومنشأة طهران، بالإضافة إلى مصانع ومرافق الحرس الثوري، غير أن الرد الإيراني قد يكون عنيفاً جداً خصوصاً بعد اعتماد إيران على تقنية الأقمار الصناعية وعملية الرصد من خلالها بمعاونة كوريا والصين في ذلك، وأيضاً لاعتمادها على تطوير ترسانتها العسكرية والتي ترصد لها (٦٠٪) من ميزانيتها.

ويضاف إلى ذلك كله أن إيران ستتحرك بقواعدها المتحركة وترسانتها العسكرية المتنقلة في مساحة شاسعة تقارب المليون ونصف المليون كيلومتر بينما تظل أمريكا في قواعد ثابتة لا يمكنها تجاوزها أو استبدالها ما يعرضها للضرب المباشر.

الاحتمال الثاني:

وهو أن تستخدم أمريكا قواعدها العسكرية في العراق وأفغانستان وأوربا الشرقية، وتبلغ عشرين قاعدة بالإضافة إلى حاملات الطائرات وفي هذه الحالة ستؤمن أمريكا منطقة تدفق النفط إلا إذا حاولت إيران إغلاق مضيق (هرمز) غير أن إيران هنا ستعتمد على نسف هذه القواعد بصواريخ مختلفة المدى، وكانت إيران قد قصفت في (٢٠٠٢م) مواقع عسكرية لمجاهدي خلق المعارضة بمائة وعشرين صاروخ خلال ساعة واحدة، أي صاروخ في كل (٣٠)ثانية وكان هذا الأمر بالنسبة للحرس الثوري تمريناً على دقة الأهداف، حتى وإن تغاضت أمريكا عن ذلك إلا أن حرباً كهذه قد تكون دامية ومرعبة **لعدة أسباب:**

أولاً: لا يتحمل الأمريكيون الخسائر على العكس من إيران.

ثانياً: فقدان الحماسة لدى الجانب الأمريكي بينما الحرس الثوري يتمنى قتال

الأمريكيين منذ أمد بعيد.

ثالثاً: وجود الأمريكيين ضمن بلدان إسلامية حليفة على المستوى الشعبي مع إيران.

رابعاً: الميزانية الأمريكية قد لا تسمح بفتح حرب طويلة الأمد مع إيران.

خامساً: خبرة الجيش الإيراني والحرس في القتال على نفس الجبهة لمدة ٨ سنوات وغيابها لدى الأمريكي.

سادساً: فتح جبهات عديدة في آن واحد يربك القوات الأمريكية والتي تعاني مأزق داخل العراق فقط.

سابعاً: محدودية القواعد الأمريكية ضمن نطاق جغرافي محدود، وحرية الحركة في الجبهة الإيرانية غير المحصورة بقاعدة.

سيناريو الحرب بين إيران وإسرائيل:

مما تقدم تبين أنه من الصعوبة بل الاستحالة التفكير وفق الاحتمالين السابقين، ويبقى إذن الاحتمال الثالث وهو أن تقوم إسرائيل الحليفة الوحيدة لأمريكا بهذه الضربة لكن بطريقة مخالفة عن ما كان منها مع حزب الله اللبناني وهي أن تقوم بضرب المفاعلات النووية الإيرانية!!

لكن ما مدى نجاح هذه الضربة إن تمت..؟

* إن صح أن لدى النظام الإيراني مشروعاً نووياً فمن المؤكد أنه في مواقع ليس من السهولة ضربها فضلاً عن أن هذا المشروع يكمن في الإمكانيات والخبرات والعلماء وكل هذه الأمور متوافرة لدى الإيرانيين من حيث الإمكانيات المادية والمعدات والخبرات، فإن نجحت هذه الضربة واستطاعت أن تتخطى الدفاعات الإيرانية فبإمكان إيران استبدال هذه المواقع بمواقع أخرى.

* إن تمت هذه العملية واستطاعت أمريكا أن تتنصل من الهجوم الإسرائيلي ضد إيران وتعلن تبرئتها مما حدث، إلا أن التوتر في المنطقة سيضع القوات

الأمريكية ضمن دائرة الاستهداف بشكل أوسع ولن تنطلي هذه الحركات على النظام الإيراني.

* إن ضربة على إيران سوف تواجهها إيران بشراسة وقوة؛ لأنها اليوم تعتبر نفسها قوة إقليمية لا يمكن التهاون بها.

هذه الاحتمالات الثلاثة قد لا تكون الاحتمالات الوحيدة المطروقة، غير أنها تساعد في رسم صورة تقريبية للأحداث المتوقعة، وقد تنتهج أمريكا سياسة المهادنة وتعود إلى لعبة السياسة التي كانت تجيدها من قبل، سواء قبل الحملة المزعومة على الإرهاب أو حتى أيام الحرب الباردة.

متى ترى منطقة الخليج الاستقرار؟

مكامن الخير في منطقة الخليج يسيل لها لعاب الأقوياء في الغرب والشرق، منذ أن بدأت أمريكا، بالظهور كبديل عن أوربا بعد الحرب العالمية الثانية، وهي تعمل جاهدة على أن تكون هي القطب الذي يستطيع أن يقول نعم في الوقت الذي يريد ولا في الوقت الذي يريد، وإزاحتها لأوربا المتمثلة في بريطانيا التي كان لها التواجد الأكبر في منطقة الخليج والحظ الأوفر لخيراتها وموانيها في الحربين العالميتين الأولى والثانية، أخذت أمريكا على إزاحتها بشيء من الدبلوماسية والحرفية في التعامل مع القوة، فكانت هي القوة الأولى في هذه المنطقة الغنية بالبترول ذات الموقع الاستراتيجي المتميز.

ولن نتحدث عن عملية الإزاحة والإحلال ما بين بريطانيا وأمريكا لأنها ليست موضوع حديثنا، وإنما نتحدث عن التدخل المباشر لأمريكا في إيران، وهذا واضح في الأحداث التي مرت في إيران منذ انقلاب (مصدق) عام (١٩٥٢) ضد الشاه وما تلاه من تدخل سافر من الأمريكان نحو إعادة الشاه وتمكينه في المنطقة وجعله كالشرطي الحارس على البلاد الواقعة في الخليج العربي واستيلائه على جزر طنب الصغرى وطنب الكبرى وأبو موسى وتحقيقه

للسياسة الأمريكية في المنطقة.

وباعتراف الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون في أن الشاه (كان ظلنا هناك) فعندما شب الشاه[1] عن الطوق وبدأ بتكوين كيان خاص له كان لا بد من إزالته والمراهنة على بديل أكثر استقراراً وشعبية من النظام العسكري التسلطي الذي كان يمارسه الشاه وخصوصاً أن أمريكا بدأت بالظهور للعالم كحامية للديمقراطيات الشعبية ولممارسة الشعوب حكمها بنفسها بحسب النموذج الأمريكي والغربي، ووجدت في الثورة الشعبية الدينية التي ما فتئت منذ فترة ليست بالقصيرة في إيجاد قلق شعبي في الساحة الإيرانية أشبه بالثورة أو بالثورات التي قامت في أوربا على الملكيات كما في فرنسا، فأرادت أمريكا أن تكون لها قصب السبق في التواجد مع الحركة الشعبية.

وكان من قدر الله أن تكون الثورة الشعبية جامعة للأطياف الدينية السنية والشيعية والقوى الوطنية، وكانت كعادة أمريكا في لعبة الإزاحة والمغامرة على من سيكون الكاسب من هذا الخليط لكنها كانت تريد في النهاية أن يكون حكماً شعبياً من حيث التعامل معه لكن الذي يظهر أن أمريكا لا تعرف منطقة الشرق الأوسط.

ولذلك نرى أن الكثير من مغامراتها تدمر بنية المنطقة وتوجد فيها بؤر صراع تؤثر على المشروع الشرق أوسطي الكبير الذي تريده أمريكا من حكم الديمقراطيات واستقرار المنطقة، ومثال العراق مثال صارخ.

أمريكا ولعبة الإزاحة:

حتى لا نستطرد في الموضوع ولنرجع إلى نجاح الثورة بقيادة شعبية تحت

(١) محمد رضا شاه بهلوي فرضه الإنجليز ملكاً على إيران عام (١٩٤١) فاعترف بإسرائيل عام (٤٨) ومكن البهائيين من أهم الوزارات وعمل على إحياء أمجاد الفرس ولذلك ألغى التاريخ الهجري ووضع بدلاً منه التاريخ الشاهنشهي، وكان والده رضا خان أسوأ من ابنه ومما فعله إلغاء الحجاب الشرعي وإلغاء أحكام الشريعة الإسلامية، وكان صديقاً حميماً للطاغية كمال أتاتورك.

فلسفة ولاية الفقيه التي تعطي الحق للشيعة بأن يقيموا دولة على أسس دينية وإن لم يكن المهدي هو قائدها، ولا زالت أمريكا إلى هذه اللحظة تراهن وتنتظر انتهاء هذه الثورة، وهي تأمل أن يكون لها نظام ديمقراطي له مسحة دينية لا يضر إن كانت شيعية أو سنية المهم أن يكون لها غطاء ديني لدغدغة مشاعر الجماهير.

وبدأت بركات ما بعد الثورة التي سقطت فيها الرموز التي كانت أمريكا تراهن عليها من حيث العناصر التي ستدير البلد بمسحة دينية في إطار نظام ديمقراطي، ولكن سقطت هذه الأحلام فبدأت التصفية لكل الشركاء مبتدئين بمجاهدي خلق والشيوعيين وحزب توده والقوميين في كردستان لينتهي الأمر بالزعماء الحقيقيين للثورة كـ صادق قطب زادة الذي حكموا عليه بالإعدام ونفذوا الحكم، وأبو الحسن بن الصدر رئيس الجمهورية الأول الذي تمكن من الهروب إلى فرنسا، ورئيس الوزراء السابق مهدي بازرجان ثم المراجع التي ليست على وفاق مع مبدأ ولاية الفقيه كالآيات والمراجع أمثال (شريعتمداري ومنتظري) فعندما آل الأمر إلى هذا بدأت أمريكا في إعادة حساباتها مع الثورة الشيعية في إيران، فكانت حرب العراق وإيران (٨) سنوات.

وزاد من قوة الثورة الإيرانية القائمة على مبدأ ولاية الفقيه في إيران التقاء أهل السنة في إيران معهم والذين يمثلون (٢٥٪) من الشعب الإيراني ويرأسهم في ذاك الوقت الشيخ أحمد مفتي زادة الذي كان له دور كبير في إنجاح الثورة، على اعتبار أن الثورة قامت من أول يوم باسم الإسلام وليست باسم التشيع، والذي ظل فترة طويلة في إصدار البيان تلو البيان في الدفع لإنجاح الثورة في بداياتها وكان له دور في إقناع أهل كردستان في وجوب تأييد هذه الثورة للخروج من الظلم الفارسي الساساني الذي كان يمارسه محمد رضا شاه بهلوي، وشاركه في هذا الدور الشيخ عزالدين الحسيني الذي دخل بعد

ذلك في مقاومة عسكرية في (١٩٧٩)م بعدما لم تفِ الثورة الإيرانية بوعودها وظل معتصماً بالجبال إلى (١٩٨٩م) ثم غادر إلى العراق، وكذلك الشيخ محمد ابن محمد صالح ضيائي خطيب الجمعة في مدينة (بندر عباس) بإيران.

أخيراً يستطيع العقلاء إزاء ما يرون من أحداث أن يقوموا بالعمل على تطويق هذه الفتنة وهذه بعض السبل:

١- الدعوة إلى الرجوع إلى نقاء العقيدة وصفائها، وذلك من خلال طرح التصور العقدي الصحيح من خلال صريح القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المطهرة.

٢- إبراز فضل آل بيت النبي ﷺ وصحابته الكرام- رضي الله عنهم- وتزكيتهم والاتفاق على ميثاق عمل للالتزام به، ودعوة الغيورين والمعتدلين من الجانبين إلى ترجمة هذا الميثاق إلى أساليب عمل تطبيقي.

٣- إقامة مرتكزات دائمة ومستمرة مثل المراكز العلمية بهدف تحقيق ما يؤدي إلى خدمة الأمور السابقة كمركز آل البيت والأصحاب وما شابه.

٤-تخريج جيل واع مدرك لخطورة ما يحدث في الساحة حتى يقف حجر عثرة أمام أي تيار جارف.

٥- العمل على تطويق كل ما يثار بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى.

٦- عمل موسوعة تشتمل على إبراز فضل آل البيت والأصحاب، بأقلام كبار الكُتّاب في كل المجالات المتصلة بالموضوع.



أحداث غزة والثلاثة ركب (مصر- السعودية- سوريا)

إن في تعاليم ديننا من كتاب وسنة لكنوزاً لو أننا التقطناها وأوليناها الأهمية اللائقة في حياتنا عملاً بها وتطبيقاً لها لكان فيها منجىً لنا ومهرباً مما نعانيه ونقاسيه وفي ثنايا تلك الشريعة الغراء من العقاقير ما هو كفيل ببرء أدوائنا لو صاحب ذلك ثقة بها وصدق في التعامل معها.

ولا زالت نصوص ديننا ناطقة بما يمنح المجتمعات والشعوب القوة والمنعة ويضرب حولها سياجاً من الحصانة ضد التخلخل والتضعضع والتفكك، ومما يحضرني في هذا قول النبي ﷺ: «**الراكب شيطان، والراكبان شيطانان والثلاثة ركب**»(١).

تساءلت فيما بيني وبين نفسي وأنا أقرأ هذا الحديث: لِمَ لا نلتف إليه في هذه الظروف الصعبة البالغة الصعوبة.. لماذا لا نعمل به.. لماذا لا نفعله في حياتنا ومشاكلنا الداخلية كأمة عربية وإسلامية؟ إن غزة اليوم تئنُّ وتشتكي وجرحها ينزف ولا معين ولا مجيب.. والتناحر ينخر في جسم الأمة ومعاول الهدم والتخريب ماضية فيه، قلت في نفسي: ما المانع أن يجعل عرب شمال أفريقيا -مثلاً- أمرهم إلى مصر، ويجعلوها الناطقة باسمهم ؛ لما لها من ماض عريق في الدفاع عن قضايا الأمة، وخبرة عظيمة في التعامل مع قضايا المسلمين السياسية الحساسة؟.. وماذا لو أن دول بلاد الشام أسلمت قيادها إلى سوريا مثلاً بحكم أنها في قلب الحدث وفي مواجهة الخطر الداهم ويقع على عاتقها المسؤولية الكبرى في مجابهة وصد أي عدوان متوقع على شعوب المنطقة، وهي التي تتمتع بثقل عربي وإقليمي؟... وماذا لو أن دول الخليج العربي فوضت المملكة العربية

(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٧) ، والترمذي (١٦٧٤)، وحسنه الألباني.

السعودية لكونها ذات ثقل مالي وصاحبة قبلة المسلمين في مكة، وهي التي لها علاقات طيبة مع الغرب بشقيه الأوروبي والأمريكي؟

أقول: أربعة أمور لو أعلنها الثلاثة- مصر وسورية والسعودية- وهي: النفير العام، وقطع الاتصالات مع العدو بشتى أشكالها، وترك التلاوم فيما بينها، والتخطيط الحكيم والمدروس للمرحلة المقبلة، لبث ذلك الرعب في قلب إسرائيل وفعل مالا يفعله السلاح.

وقد يستغرب البعض من القراء طرحي هذا مقارنة بما قلت من قبل ويرونه عجيباً وغريباً وقد يدفعهم إلى الحكم باستحالته وصعوبة تطبيقه لكني أقول: هذا ممكن وهو أقل ما يجب علينا فعله في هذه الأوقات العصيبة وهو أيضاً الخطوة الأولى في الطريق الصحيحة الموصلة إلى وحدة الأمة التي هي شرط أساسي وأولي في استجلاب النصر على أعداء الأمة.

فتكون مصر وسورية والسعودية الناطقة باسم دول العرب والمسلمين ولهن الحق في إصدار القرارات على أعلى المستويات ومهما كان حجمها وخطورتها وثقلها حتى ولو كان قراراً بالنفير العام وحمل السلاح لمجابهة العدو إذ هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العدو الإسرائيلي ولا يستطيع التعامل إلا بها ومن خلالها ولا يتهيبن أحد منها إصدار قرارات جريئة كهذه إذ الخطأ ألا تصدر، وفي ألا تصدر مصدر فتنة ومظنة اختلاف وافتراق .

واقع الأمة اليوم سببه ترك الجهاد:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[1] قد يكون العذاب من عنده وقد يكون بأيدي العباد فإذا ترك الناس الجهاد في سبيل الله فقد يبتليهم بأن يوقع العداوة حتى تقع بينهم الفتنة كما هو الواقع، فإن الناس إذا اشتغلوا بالجهاد في سبيل

(١) التوبة: ٣٩.

الله جمع الله قلوبهم وألف بينهم وجعل بأسهم على عدو الله وعدوهم، وإذا لم ينفروا في سبيل الله عذبهم الله بأن يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض[(١)].

ويا لله ما أصدق ما قاله شيخ الإسلام وأدق وصفه وكأن هذا التشرذم العربي والصراع العربي- العربي والفلسطيني- الفلسطيني سببه ترك الجهاد وتعظيمه.

فعلى الجميع تفعيل وحدة الصف العربي والإسلامي أياً كانت الوسيلة إلى ذلك سواء بمؤتمرات خارجية أو قمم عربية أو تحركات دبلوماسية إقليمية المهم النتيجة وما يعنينا ونقصد إليه هو الحفاظ على المقدسات وصون الدماء والأعراض ووضع الخلافات جانباً للوقوف في خندق واحد ضد العدو الإسرائيلي.

وجوب تناسي الخلافات والإحن:

وجه ملك الروم إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ- لما رأى انشغاله بحرب علي- رسالة بعد أن تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة يقول فيها: لو شئت لأعتتك على ابن عمك وساعدتك على القضاء عليه فكتب إليه معاوية ﷺ -بعد أن أدرك ما يرمي إليه ملك الروم: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ولأخرجنك من جميع بلادك ولأضيقين عليك الأرض بما رحبت فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف وبعث يطلب الهدنة[(٢)].

فما أجمل أن نرقى بتفكيرنا إلى هذا المستوى العالي ونخطط لعلاقتنا مع بعضها البعض ونسمو بها عن الغايات المرذولة والمقاصد التافهة ولا ندع لعدو فينا مطمعاً أو مبتغى.

عند ذلك سترهبنا الأعداء ويخشانا الناس ويحسب لنا ألف حساب.

وإنني ومن خلال قراءة لي متأنية في خاتمة سورة يوسف -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- ظهرت لي التأملات والفكر التالية التي تخدم فكرة

---

(١) الفتاوى (٤٤/ ١٥).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير.

وحدة المسلمين وتدعو إليه عاجلاً، فنحن بأمس الحاجة إلى تمثل هذه المعاني في خاتمة سورة يوسف عليه الصلاة والسلام كي تعود وحدتنا ويجمع الاتحاد شملنا ويلم شعثنا ويكون سبب ظهورنا على الأمم كما كان كذلك في يوم من الأيام ففي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗا﴾ [(١)] ألمح أن بشارة البشير هي نصحه بالالتفاف حول راية القرآن والسنة والتمسك بتعاليم دين الله -عز وجل- وفي ذلك البصيرة لكل ذي بصر تقوده إلى شاطئ الأمان والاطمئنان مصداق قول الله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[(٢)] وقول النبي ﷺ: «**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**»[(٣)] فصمود الأمة هو مفتاح الفرج بالنسبة لها.

وفي طلب إخوة يوسف من أبيهم أن يستغفر لهم إشارة واضحة إلى أن الأوبة إلى الله والرجوع هو المخلص والمنجي من هذا المستنقع الذي وقعت فيه الأمة.

فإذا فعلت ذلك قيل لهم ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين وخذوا راية النصر فمن مصر طريق النصر وإلى القدس من مصر سيكون الظفر، عندها سنرفع القدس على العرش كما رفع يوسف أبويه على العرش. كل هذا وذاك بعد أن تموت أسباب العداوة بين العرب والمسلمين كما ماتت بين يوسف وإخوته بعد أن نزغ بينهم الشيطان، ويومئذ ستأتي المنح بعد المحن ويرجع للمسلمين دورهم القيادي والريادي من خلال مصر التي لعبت في السابق أدواراً حاسمة في تاريخ العرب والمسلمين، واقرؤوا في التاريخ كيف ردت التتار والمغول ناكصين على أعقابهم يجرون أذيال الخيبة والمذلة والعار، وكانت معركة عين

---

(١) يوسف: ٩٦ .

(٢) آل عمران : ١٠٣.

(٣) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٨٩٩) (١٥٩٤) ، والبيهقي (١٠/ ١١٤)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢١٨٧) : (صحيح لغيره).

جالوت نقطة أخرى ناصعة البياض، وها نحن اليوم نطالبها بأن تعود وتعيد صنع التاريخ من جديد.

مراحل الإعداد لإعادة توحيد الأمة طويلة:

لكن الأمر يحتاج إلى مرحلة إعداد طويلة وخطة عمل تزخم بالأفكار البناءة والمواد العملية الجادة للسير في الطريق الصحيح نحو استعادة الألق والبريق الغائر تحت غبار التاريخ ووهدة الكسل والنوم العميق.

وهكذا كانت رحلة استعادة القدس من أيدي الصليبيين، فإنها لم تكن وليدة اللحظة ولم توجد بين عشية أو ضحاها.. ولم تكن فكرة تحمس لها صلاح الدين ومن معه وهبوا لتنفيذها دون الإعداد لها وهضمها جيداً وترجمتها بعد ذلك.

إن استعادة بيت المقدس مرت بمراحل عدة بدأها نور الدين زنكي وأنهاها صلاح الدين الأيوبي باسترجاع المسجد الأقصى لكن كان دون ذلك مشاق ومصاعب ومطبات استطاع تجاوزها يوسف بن أيوب فقضى السنوات الأولى بعد سقوط الدولة الفاطمية في تثبيت أركان دولته وبسط نفوذها وهيبتها على كل أرجائها.

فتطلع إلى ضم بلاد الشام إلى حكمه لتقوية الصف الإسلامي وتوحيد الجهود الداخلية استعداداً للوقوف أمام الصليبيين وتحرير الأراضي المغتصبة من أيديهم واستغرق هذا العمل الشاق من أجل توحيد الجبهة الإسلامية أكثر من عشر سنوات وهي الفترة من سنة (٥٧٠ هـ - ١١٧٤ م) إلى سنة(٥٨٢هـ ١١٨٦م) ولما اطمأن إلى جبهته الداخلية ووثق في قوتها وتماسكها فانتقل إلى الخطوة الأخرى وانصرف بكل قوته وطاقته إلى قتال الصليبيين وخاض معهم سلسلة من المعارك كللت بالنصر، ثم توج انتصاراته الرائعة عليهم في معركة حطين سنة (٥٨٢ هـ - ١١٨٧ م) وتهاوت المدن المحتلة بعد ذلك حتى سقط آخر معقل من معاقلهم وأهمها وهو بيت المقدس، وكان يوماً مشهوداً في

التاريخ الإسلامي.

فانظر -هداك الله -كيف سعى نور الدين محمود في بناء الوحدة الإسلامية لأمة طال تفككها وتشرذمت شعوبها ولما توفي سنة (٥٦٩ هـ) شغر المكان بوفاته، فتقدم صلاح الدين ليكمل المسيرة ويقوي البناء ويعيد الوحدة[١].

وهكذا فلتكن العودة وهكذا يجب أن يشق الطريق لاستعادة القوة والوحدة الإسلامية وليس السبيل إلى ذلك سهلاً ويسيراً ومعبداً لكن إذا وجد الإصرار والعزم على ذلك كان في متناول اليد لا محالة.... إذا وجدت دعوات صارخة لذلك ... إذا وجدت نداءات تصرخ في آذان القلوب وتنفث في روع النفوس أصدق المعاني ستلوح بوادر النصر وبيارق الظهور على الأعداء.

أخشى ما يخشاه اليهود والغرب صرخة كصرخة الملك فيصل :

ما أحوجنا إلى صرخة كتلك التي صرخها الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود وقرع بها آذان كسينجر وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية حيث قال: (هل ترى هذه الأشجار؟؟.. لقد عاش آبائي وأجدادي مئات السنين على ثمارها، ونحن مستعدون أن نعود للخيام ونعيش مثلهم ونستغني عن البترول إذا استمر الأقوياء وأنتم في طليعتهم في مساعدة عدونا علينا)[٢].

وعندما هددت الدول الغربية باستخدام القوة للسيطرة على منابع البترول ردد: (ماذا يخيفنا؟ هل نخشى الموت؟ وهل هناك موت أفضل وأكرم من أن يموت الإنسان مجاهداً في سبيل الله؟! أسأل الله -سبحانه- أن يكتب لي الموت شهيداً في سبيل الله).

إن صرخات كهذه ونداءات كتلك تثير رعب اليهود ومن مالأهم فوق رعبهم وتزيدهم جبناً إلى جبنهم، فهم أمة الفزع والخوف والهلع وقد لخص

(١) مجموعة كتب عن التاريخ الأيوبي.
(٢) (موقع ويكيبيديا) .

الله- عز وجل- لنا مسيرتهم وطباعهم وكشف عن خبيئة نفوسهم فقال: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[1].

فتلك أمور ينبغي أن تؤخذ بالحسبان وتكون دافعاً لنا بعد أن جلى الله ﷻ لنا حقيقتهم، أضف إلى ذلك أن القيادات عند اليهود وعند الأمريكان مهما تغيرت فالسياسة ضد المسلمين هي هي، لا تتغير ولا تتبدل، فبوش هو بوش، وأوباما هو أوباما، وكل يهودي أولمرت، وكل يهودية ليفني .

لكن علينا كمسلمين أن نكسب النصارى إلى جانبنا ونذكرهم بالعداوة القديمة بينهم وبين اليهود ومحاولتهم قتل نبي الله عيسى- عليه الصلاة والسلام- إلى غير ذلك من النقاط التي تدنيهم منا أكثر من أن تبعدهم عنا إلى يهود لعنهم الله، وهذا من أسس وقواعد النجاح والانتصار في المعارك أن يصل المسلم إلى نشوة النصر ولو بالإيقاع بين الأطراف المقابلة فالحرب خدعة كما يقولون.

بمَ نساعد غزة وما دور الحكومات في ذلك ؟

نستطيع نصرة أهل غزة بأشياء كثيرة أدناها قطع العلاقات مع دول الإجرام وتلك فرصة سانحة لكل من طبع معها سابقاً أن ينسحب ويحفظ للأمة ماء وجهها وينزل العلم الإسرائيلي من على سطح كل عمارة ارتفع عليها ورفرف فوقها، ومما نستطيع فعله أيضاً التعبئة الأممية في كافة الشعوب الإسلامية وإعلان النفير العام والدعوة إلى الجهاد ولكن أي جهاد ندعو إليه؟!

الجهاد الذي نريد:

إنه ليس جهاد من قرأ كتيبين أو ثلاثة ثم خرج على الناس يكفر من يشاء

(١) الحشر: ١٣، ١٤.

ويفسق من يشاء ويجرح من يشاء ويعدل من يشاء ويضع العبوات الناسفة في مراكب وطرق الناس كما حدث من قبل في السعودية والجزائر وسورية وحدث بالأمس القريب وسط جموع الحزب الإسلامي في العراق وهم يتظاهرون تأييداً لإخوانهم في غزة.. إن الجهاد الذي ندعو إليه هو الجهاد الحق القائم على الفهم الصحيح لكلمة الجهاد من خلال الكتاب والسنة وإجماع الأمة.. إنه الجهاد الذي قال عنه النبي ﷺ: «**وذروة سنامه** - أي سنام الإسلام - **الجهاد**»[1].

فانظر إلى أهميته وكيف أنه يأتي في رأس الهرم من أعمال الإسلام.. الجهاد الذي يرد الحقوق إلى أصحابها ويرجع الأمور إلى نصابها ويحفظ للأمة كرامتها ويكسبها الهيبة والقوة والمنعة، وحين يعطل هذا الأمر فيها سيطمع فيها كل طامع وينهش في لحمها كل جائع قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه أبو داود - واللفظ له - وأحمد عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة**[2] **وأخذتم أذناب البقر**[3] **ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[4]. (والمعنى إذا اشتغلتم بالتجارة والزراعة وتركتم الجهاد ذللتم وطمع الكفار في أموالكم).

فتوبوا إلى بارئكم وأوبوا إلى دينكم والتفوا حول راية الإسلام وأحيوا فريضة الجهاد، إذ بدونه لا تقوم لكم قائمة ولا يسلم لكم دين أو بلد أو عرض أو ولد:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وصححه الألباني.

(٢) العينة: هي أن يَبيعَ من رَجُلٍ سِلْعة بِثَمنٍ مَعْلوم إلى أجَلٍ مُسَمّىً ثم يَشْتَرِيها منه بأقلَّ من الثَّمن الذي باعَها به (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير).

(٣) وأخذتم أذناب البقر: اتِّبَاعُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ كِنَايَةٌ عَنْ الْحِرَاثَةِ.

(٤) أخرجه أبو داود (٣٤٦٤)، وقال الألباني: صحيح.

وحتى لا نتهم بأننا ندعو إلى الجهاد العشوائي دون ذكر ضوابط له نقول: إن الجهاد شرع لإعلاء كلمة الله وحماية دين الإسلام والتمكين من إبلاغه ونشره وحفظ حرماته، وهو فريضة على من تمكن من ذلك وقدر عليه، وهو أمانة ملقاة على عاتق ولاة أمر المسلمين ويرجع إليهم أمر تقريره وزمن الشروع فيه وفق ما ذكرت كتب الفقه والسياسة الشرعية .

إذا كان الجهاد بهذه الضوابط آتى ثماره المرجوة وخلا من اجتهادات بعض المتعاملين ممن يطلقون الفتاوى الجهادية جزافاً دونما تقدير للأمور وبصيرة بها وحكمة بخفاياها وثناياها، والجهاد شأنه شأن كثير من أمور الدعوة الإسلامية يحتاج إلى موازنة ودراسة وتخطيط فليس التعبئة والشحن النفسي السريع هو الحل الأمثل– دائماً– بل يأتي الحل في وجوه أخرى، فها هو النبي ﷺ لما صد عن الاعتمار إلى بيت الله الحرام يوم صلح الحديبية رجع ورضي بالصلح وفيه أمور مجحفة بحقه وحق المسلمين، لكن الحكمة الإلهية والموازنة النبوية الحكيمة للأمور قلبت نتائج الصلح المجحفة خيراً بحق الصحابة.

فنحن تحت إمرة ولي الأمر وله الحكم والقرار الأول والأخير في ذلك، وهو الذي يتحمل المسؤولية الشرعية والدينية كاملة في ذلك فإنما نحن به.

لنتصافح من جديد:

أعود فأقول: علينا أن نقف كمسلمين في خندق واحد تجاه الخطر الذي يتهددنا، وإنني شخصياً أعلن عن نبذ خلافاتي وتناسيها مع كل مسلم وعربي في هذا البلد وفي كل بلد عربي وإسلامي في مصر أو السودان أو العراق أو سوريا أو الأردن أو المغرب أو.. أو.. أو.. .

كل ذلك من أجل حفظ بيضة الإسلام من أن تطالها يد آثمة، ولنا قدوة في ذلك بشيخ الإسلام ابن تيمية المعروف بمحاربته للبدع ووقوفه في وجه الفرق التي تسربلت بسربال الإسلام ففيما قرأنا من سيرته– رحمه الله– أنه وضع

خلافاته مع تلك الفرق التي كانت تعيش وسط المسلمين جانباً واتحد معهم في وجه التتار الخطر القادم من أقاصي آسيا والذي أتى على الأخضر واليابس ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾[1] .

فلنكن كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

لنكن كما قال حافظ إبراهيم في قصيدته مصر وسورية وهي دعوة للأختين سورية ومصر لطرح الخلاف وسوء التفاهم جانباً وقد كانتا في عهد قريب صنوان لا ينفصلان، فقال فيهما:

لمصر أم لربوع الشام اليوم تنتسب ... هنا العلا وهناك المجد والحسب

ركنـــان للشرق لا زالت ربوعهما ... قلب الهلال عليهمـا خافق يجب

خدران للضاد لم تـهتك ستورهـمـا ... ولا تحـول عن مغناهـمـا الأدب

وكأنه يستنهض الهمم ويطالب بتصفية الأجواء اليوم :

إذا ألمـت بوادي النيـل نازلــة ... باتت لها راسيات الشام تضطرب

وإن دعا في ثرى الأهرام ذو ألم ... أجــابه في ذرى لبنـان منتحــب

لو أخلص النيل والأردُنُّ ودهما ... تصافحت منهما الأمواه والعشب

خبر عاجل وبشرى سارة:

وإنني أسوق بشارة عجلى ونبأً ساراً عاجلاً أن إسرائيل قد بلغت من الظلم غاية ليس من ورائها غاية، وحداً لا يطال ولا ينال ولا يشق لها فيه غبار، وهي بشرى يبشرها الله كل ظالم فيقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[2]، وبقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[3] وقال النبي ﷺ:

(١) الذاريات : ٤٢ .
(٢) هود : ١٠٢ .
(٣) يونس : ١٣ .

«إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[1] .

وقد عرف من خلال السنن الكونية والشرعية أن دول الظلم مهما طال عمرها وعاثت فساداً في الأرض فنهايتها قريبة وقريبة جداً، وقد كانت لنا مقالات سابقة عن سقوط الأمم وانهيارها بينا فيها كيف أن للظلم وللسطو على الآخرين دوراً كبيراً في تسارع انهيارها وسقوطها وذلك ما تلح به الأحداث الأخيرة في فلسطين مما يظهر بصدق صحة التفسيرات التي دارت حول الآيات الكريمات التي تكلمت عن بني إسرائيل في سورة الإسراء من تجميع اليهود من شتى أصقاع الأرض حتى تكون نهايتهم على أرض فلسطين وقتالهم تحت إمرة المهدي المنتظر والمسيح عليه الصلاة والسلام .

ولا يُفْهَمَنَّ من ذلك أن نقعد ونتقاعس ونجلس في بيوتنا ونطالع المأساة الإنسانية في غزة وغيرها متذرعين بحجة أننا في آخر الزمان وأنه قد حان خروج المهدي المنتظر وآن أوان نزول المسحي ولا فرج للأمة إلا حينذاك.. لا أبداً فعلينا أن ندافع عن قضايانا بالسِّنان واللسان والقلم وبكل وسيلة تطاله أيدينا ولا يثنينا عن المطالبة بحقوقنا جور جائر ولا عدل عادل ولا مجلس أمن ولا منظمات حقوقية متآمرة، وإذا لم نغضب الآن ولم ننهض اليوم فقل لي متى؟!

إذا نسفت مبادئنا ... إذا هتكت محارمنا

إذا ضربت معالمنا ... أخي في الله متى نغضب ؟!

لا نكوننَّ مع أعدائنا على إخواننا:

وإنني أتوجه إلى بعض من أبناء بلدي ممن يدور في خلدهم ويخطر في قلبهم ويسترجعون شريط الذكريات فتعود بهم ذاكرتهم إلى أحداث الغزو وأيامه فيتذكرون ما فعلته قلة آثمة مخطئة من جنسية عربية بالكويت ومرافقها ومنشآتها وعدم مناصرتها سياسياً وإقليمياً، فيقعدهم ذلك ويجلسهم عن

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

مناصرة إخواننا في غزة حتى أن البعض أنكر على بعض أئمة المساجد متابعته القنوت في الصلاة لنصرة المسلمين في غزة والدعاء على أعداء الله يهود.

والمسلم الحق هو من يحسن إلى من أساء إليه، وإلا كان في الأمر سواء بسواء، ومعلوم أنه وإن كان جزاء سيئة سيئة مثلها، إلا أن المنتقم يسمى مسيئاً أيضاً مجازاً وإن كان له كامل الحق في الاستقادة واستعادة الاعتبار بالطريقة التي نيل منه بها.

ولقد كان عليه الصلاة والسلام القدوة الحسنة والأسوة العظيمة في باب الإحسان إلى المسيء وكم كان هذا سبباً في دخول كثير من أعدائه في دينه وملته لأنه كان يحسن إلى من أساء إليه ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر وهو القائل لأهل مكة بعد أن أمكن الله ﷻ له منهم: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**» قالوا خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال : «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**».

وإذا رحمت فأنت أم أو أب هذان في الدنيا هم الرحماء

وإذا عفوت فقادراً ومقدراً لا يستهين بعفوك العظماء

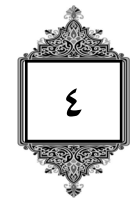
وإذا كان هناك في فلسطين بعض الفاسدين فهذا لا ينبغي أن يمنعنا من عدم الدعاء لهم والقنوت في صلواتنا من أجلهم فقد كان النبي ﷺ يستغفر للمنافقين فلما نهي عن ذلك قال: «**لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر له لزدت**»[1].

فلنتسام بأنفسنا عن الأحقاد ولنحلق بقلوبنا في سماء السماحة:

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

وعاشت الكويت حرة أبية.. وحفظها الله قيادة وشعباً من كل مكروه وسائر بلاد المسلمين آمين.

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٧) ، وصححه الألباني .



حماس ومرحلة جديدة في حربها مع إسرائيل

تخيل عندما يقوم لص يتستر في ظلام الليل باحتلال دارك، وطردك منها، ويتخلى عنك الجميع، فلا تستطيع أن تستردها منه، ثم تقاوم بنفسك هذا العدو الوقح بكل ما أوتيت من قوة وما ملكت من وسيلة ثم يكمل هذا اللص «بجاحته» ويعلن على الملأ أنه يبيدك ويفنيك ويحاربك ويقاومك دفاعاً عن نفسه وأرضه، وأية أرضٍ هي التي يتكلم عنها ويدافع عن ترابها؟! إنها دارك التي احتلها قبل أيام!

ويزيد الطين بلةً أن ينغشَّ الناس من حولك بهذا الكلام وتتفاعل معه وسائل الإعلام العالمية بل وحتى العربية والإسلامية، لا بل وحتى أناسٌ من أبناء عمومتك وإخوتك وبني جلدتك فيحملونك المسؤولية كاملةً وينحون باللائمة عليك فتصبح أنت المتهم وأنت المحتل وأنت المجرم وأنت اللص وأنت المغتصب وأنت الآثم وأنت الكل في الكل، وكل الصيد في جوف الفرا، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ومما له صلة بما نقول من قريب تلك التصريحات التي أطلقها بوش مباركاً اجتياح غزة ومؤلباً الحكومات والقيادات العربية على حماس للضغط عليها ففيما نقلته الوطن في عدد (٦٢٩٣/ ١١٨٤٧) بتاريخ (٤/ ١/ ٢٠٠٩) عن الرئيس الأمريكي بوش: دعوته كافة الأطراف المعنية إلى الضغط على حركة حماس للكف عن إطلاق الصواريخ على إسرائيل والتوصل إلى وقف دائم لإطلاق النار بعد أسبوع من الغارات الجوية المكثفة على قطاع غزة.

وقالت إدارة بوش: إن واشنطن تمنح إسرائيل الحرية التامة في اتخاذ قرار

بشأن شن عملية برية داخل غزة.

وهذه التصريحات هي الأولى لبوش منذ اندلاع النزاع قبل أسبوع. وقال: (أدعو كافة الأطراف إلى الضغط على حماس للابتعاد عن الإرهاب ودعم القادة الفلسطينيين الشرعيين الذين يعملون من أجل السلام) بمن فيهم محمود عباس رئيس السلطة الفلسطينية المدعومة من واشنطن.

وألقى بوش الذي يسلم السلطة لخلفه باراك أوباما خلال (١٨) يوما، باللوم على حماس في أعمال العنف الأخيرة ورفض وقفا لإطلاق النار من جانب واحد يسمح لحماس بمواصلة الهجمات على إسرائيل من قطاع غزة. وقال بوش: إن اندلاع العنف مؤخرا سببه حماس المنظمة الفلسطينية الإرهابية التي تدعمها ايران وسوريا وتدعو إلى تدمير إسرائيل!!. ا.هـ.

هذا هو مختصر المشهد وخلاصة موضوع ما يجري الآن من أحداث مأساوية في غزة فعلى الجميع في العالم أن يتهم حماس بأنها المتسبب في كل ما يحدث لأهل غزة، بل هي المتهم في انقسام الشارع العربي، ويا للعجب ألهذه الدرجة من القوة وصلت حماس حتى تفرق بين العرب !! أم هو ضعف الضعيف وهوان الكسير..

ومما يزيدنا عجباً في ظل تلك الأحداث أن بعض هؤلاء الشامتين هم من أبناء جلدتنا الذين ينتظرون أن تركع حماس كما ركع غيرها، وكما ركعوا هم ولبسوا ثوب المحتل وتحدثوا بلغته ومصالحه ولا تبقى صامدة في وجه الضغوط ومواجهة حرب الإرادات، وساعتها سيقولون للشعب الفلسطيني: ذق مرارة من سلمتهم أمرك .

وهؤلاء واهمون في كل الأحوال، فالشعوب لا تبيع عزتها وكرامتها بأموال الدنيا، وأن الموت بعزة أيسر بكثير من حياة الذل والمهانة والصغار؛ ولذا كان

خيار المقاومة الخيار الوحيد لدى حماس ولدى كل فكر حر يدافع عن قضايا الإسلام والعرب الحقة، وإن كان هذا الخيار مرَّ ويمر بمراحل صعبة مع تخلي الأقربين والأبعدين عنها، وضعف القبول لها في النفوس ورهبة الشخصيات منها في أروقة المنظمات الدولية بسبة أنها تتبنى العنف منهجاً ووسيلة للوصول إلى غايتها وهدفها وبناء على ذلك وفي ضوء المضايقات التي تتعرض لها حركات التحرر في فلسطين وعلى رأسها حماس بات واضحاً أن خيارات المقاومة المسلحة في فلسطين أصبحت في غاية الصعوبة، وليس لها من نصير من بعد الله سبحانه وتعالى، إلا الشعوب المغلوبة على أمرها وبعض من هوامش الحركة السياسية الذي يسمح بها الوضع الإقليمي، ومن الواضح وبعد تبلور التحركات السلمية في المنطقة وخاصة في حال توصلها إلى أرضية مشتركة، إلى أن المقاومة ستواجه خيارين لا ثالث لهما:

الأول: خيار التضحية بمنهج الجهاد والكفاح المسلح والتحول إلى العمل السلمي والانضمام إلى قافلة المتسولين على أبواب البيت الأبيض، في انتظار عطف الراعي الأمريكي وقبوله بركوب هذا الوافد الجديد في قطار السلام وهو خيار لو تم الأخذ به سينهي مصداقية حركات المقاومة تماماً، وستكون النتيجة النهائية المؤكدة الاضمحلال والتلاشي؛ لأن السلطة الفلسطينية تحظى أولاً بإجماع دولي، وقبول رسمي على المستوى العربي، وموارد مالية ضخمة وعلاقات سياسية معقدة، بينما حركات المقاومة تفتقد كل هذه المميزات مما يجعلها في النهاية تتبنى ما نسميه خيار (العدم).

الثاني: أما الخيار الثاني، وهو المتوقع، فهو الاستمرار بالمقاومة وعدم الرضوخ للضغوط الصهيونية والأمريكية، وهذا يجعلها في المستقبل أمام خيار وحيد وهو خيار (التصفية) وسيتم التعامل مع المقاومة باعتبارها (عدوة للشعب الفلسطيني) وهو ما يجعل الأمور تصل إلى نقطة اللاعودة، وقد يفجر

ذلك حرباً فلسطينية أهلية مصحوبة بعمل جهادي ينحى إلى السرية وقد يمتد إلى المصالح الصهيونية في أي مكان، خارج فلسطين، دون إعلان جهة التنفيذ كجزء من حرب المقاومة السرية.

كما إن هذا الخيار يطرح احتمالية تعاون استخباراتي واسع بين الدولة الصهيونية وبعض الأنظمة العربية لملاحقة التيارات الجهادية داخل فلسطين، مدعوماً بإعلام مكثف لتجريم كل من يعمل على (هدم الحلم الفلسطيني ويحول دون تحقيقه) وهو وضع أشبه بالتعامل الحالي مع المقاومة العراقية التي تحرص وسائل الإعلام على إبراز التيارات المتطرفة فيها، وممارسة التعتيم الإعلامي على تيارات المقاومة الأخرى.

التضحية المرفوضة:

في المقابل فإن حركات المقاومة الفلسطينية، وبشكل أدق الإسلامية منها وخاصة حركة المقاومة الإسلامية حماس تجد من الاستحالة بمكان لهذه الرغبات المتعددة الأطراف التي تريد نزع أسلحتها وإلغاء فريضة الجهاد من برامجها، فحركات المقاومة قدمت الكثير من التضحيات والدماء في سبيل الحفاظ على المنهج الذي ينحصر في خروج المحتل عن طريق المقاومة المستمرة، وما يجعل حركات المقاومة الإسلامية عصية على التطويع والذوبان والانضمام إلى مشاريع السلام والاستسلام أربعة أمور هي:

١- أن حركة المقاومة الإسلامية امتداد لتيارات إسلامية عريقة لها جذور فكرية متأصلة في مقاومة المحتل الصهيوني منذ قيام كيانه الهزيل على أرض فلسطين والتي شهدت أرضها حركة القسام الجهادية وحركة الإخوان في عام (١٩٤٨) قبل أن يزج بهم في السجن.

٢- تنطلق حركة المقاومة من قاعدة دينية صلبة، وهذه القاعدة لها فقهها وقواعدها الشرعية ومبادؤها، والتفريط في هذه الثوابت يعتبر تفريطاً ببعض

ثوابت الإسلام، والفتاوى التي تناولت حكم الصلح مع اليهود والتنازل عن الأرض المسلمة واضحة الحرمة لا لبس فيها، والفتاوى التي شذت عن ذلك صدرت بضغوط سياسية ومردود عليها ولا تصمد حجتها أمام سيل الأدلة والبراهين من القرآن والسنة.

٣- ثمار مشاريع السلام لا زالت هزيلة، وكمية العنف التي مارستها إسرائيل منذ انطلاق قطار السلام، وعدد المستوطنات التي بنتها وكمية الضحايا والمآسي التي خلفتها إسرائيل في المجتمع الفلسطيني والآلام والجراح البدنية والنفسية التي أصابت الشعب الفلسطيني من هذا العدو المتغطرس لا تشجع أبداً في تدعيم هذا التوجه، خصوصاً مع فقدان الراعي المحايد لعملية السلام، حيث تتبنى الإدارة الأمريكية وجهة النظر الإسرائيلية كاملة غير منقوصة وعلى طول الخط، وخصوصاً إن الإدارة الأمريكية وضعت تنظيم القاعدة وحركة حماس في سلة واحدة على الرغم من الفروقات الواضحة في المنهج وساحة الصراع والضوابط الأصولية التي يلتزم بها كل طرف.

٤- حجم التضحيات التي قدمتها الحركة من دماء قادتها وأبنائها وأدبياتها لا تعطي أدنى انطباع بأي توجه حالي أو مستقبلي للحركة للتضحية بالخيار الجهادي، وأقصى ما قدمته الحركة في ذلك المجال اقتراح هدنة مؤقتة لا تلتزم فيها بأي اعتراف من أي نوع بإسرائيل مقابل بعض الشروط الصعبة التي تعود بالفوائد على الشعب الفلسطيني، وكل من يراجع أدبيات حماس مثلاً يجد استراتيجية المقاومة ثابتة في برنامج عملها ففي المادة السابقة من ميثاق حماس نجد أن: حركة المقاومة حلقة من حلقات الجهاد في مواجهة الغزوة الصهيونية تتصل وترتبط بانطلاقة الشهيد عزالدين القسام، وترتبط بجهاد الفلسطينيين وجهاد الإخوان المسلمين عام (١٩٤٨)، والعمليات الجهادية للإخوان المسلمين عام (١٩٦٨).

بدأت الحرب:

هذه الحرب المفروضة على شعب فلسطين المسلمة ليست جديدة عبر التاريخ فمنذ انطلاق الدعوة الإسلامية وأعداء الأمة يلجؤون إلى محاربتها بكل ما أوتوا من قوة وحيلة من تشويه إعلامي أو تعبئة نفسية حاقدة أو حصار اقتصادي أو مواجهة عسكرية في ميدان واحد .

وهذه المواجهة لابد منها في أي عصر من العصور نظراً لطبيعة الصراع الأزلي بين الحق والباطل والفضيلة والرذيلة والغث والثمين لكن الانتصار في النهاية حتمي للحق فالحق أبلج والباطل لجلج وإن بدا الباطل –أحياناً– أنه ظهر بمظهر القوة وتمكن في قلوب الكثيرين؛ إذ لا عبرة بالكثرة في تصويب قضية ما أو مسألة معينة بل العبرة بماهية القضية وجوهرها ومضمونها مهما جهل قيمتها الجاهلون وأعرض عنها المعرضون .

وحين تتسرب الحقيقة شيئا فشيئا إلى بعض القلوب التي يتوقع منها أن تقف موقف المعادي من الدعوة يدل هذا على أن للباطل جولة أخيرة ثم ينهار وأن الحق قائم على قدميه لا تهزه الأعاصير ولا تزعزعه الشدائد .

من ذلك ما حكاه ابن إسحاق في السيرة النبوية:«لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأن عمر قد أسلم؛ فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه، وجعل الإسلام يفشو في القبائل: اجتمعوا وائتمروا على أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوا في صحيفة، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه

في شعبه فاجتمعوا إليه، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا، لا يصل إليهم شيء إلا سراً متخفياً به من أراد صلتهم من قريش.

وها هو التاريخ يعيد نفسه من خلال وقوف بعض الفئات التي لا تدين بدين الإسلام في الغرب والشرق وخروجها في مظاهرات ومسيرات عارمة قوية كالإعصار تدين ما يجري في أرض فلسطين الطاهرة إزاء أهل غزة العزل الذين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ويأكلون الجوع ويشربون العطش ويتدثرون بدثار البرد والخوف.

فحين نرى كيف انحاز بعض كفار قريش ضد هذه المقاطعة الظالمة، نعجب من أن يقف بعض بني جلدتنا موقف الشامت في الشعب الفلسطيني، وكأنه يستمتع بجراحاتهم وعذاباتهم بدعوى أن ذلك سيسقط عدوتهم اللدود حماس!

فإذا كان الأوروبيون يقفون هذه الوقفة المشرفة مع القضية الفلسطينية ومع المآسي التي تجري لأهل غزة من قتل وتدميرٍ وحرقٍ فما أحرى المسلمين في شتى بقاع الأرض ومن كافة المذاهب والطوائف والاتجاهات والأفكار أن يقفوا مثل تلك الوقفة أو ما يدانيها من مواقف الإدانة والشجب والاستنكار وذلك أضعف الإيمان.

الحرب الإسرائيلية بين الأهداف المعلنة والمبطنة:

الخدعة الإسرائيلية في موضوع الحرب أنها تدعي بأنها تهدف لإسقاط حكومة حماس المتطرفة والرافضة للاندماج في العملية السلمية من أجل إيجاد بديل ديمقراطي معتدل يؤمن بالعملية السلمية، وهذا الادعاء الخائب لا يصمد أمام كل جولات المفاوضات السابقة والتي انتهت نتائجها إلى السراب والفراغ، ومنذ اتفاق أوسلو وحتى أيام الحصار البائسة تلك لم تحترم إسرائيل شريكها الفلسطيني في مفاوضات السلام، على الرغم من التنازلات الهائلة التي قدمها الطرف الفلسطيني ومست بعضها جوهر الحقوق الفلسطينية .

إن إسرائيل وفي سعيها لإسقاط حكومة حماس أخذت بالتنسيق مع أطراف فلسطينية من تحت الطاولة لشن الحرب حول حكومة حماس، كما تسعى لإقناع الطرف العربي بأن إفشال حكومة حماس مصلحة عربية في المقام الأول، حتى لا يعطي نجاح الحركة وهي في السلطة دفعة قوية لباقي الحركات الإسلامية لكي تحاول أن تكرر تجربة حماس في بلدانها، في ظل التوجه الأمريكي لفرض الإصلاحات السياسية في المنطقة، كما تريد إسرائيل من جهة ثانية أن تبعث رسالة إلى الشعوب العربية مفادها أنه لن يكون من المفيد أن يتسلم الإسلاميون السلطة لأنهم سيكونون وبالاً عليهم بسبب الاستعداء الأمريكي الأوربي المسبق، ولذلك أصبح من المفهوم هذا التضييق الدبلوماسي من بعض الأطراف العربية مع حماس، بل واختلاق المشاكل والتهم لها .

إن الهدف الحقيقي من الحرب لا يكمن في إفشال وإسقاط حكومة حماس، إنما يكمن فيما تمثله هذه الحكومة المنتخبة، فالحرب محاولة ضغط على الشعب الفلسطيني لكي يتخلى عن حقوقه المشروعة بما فيها حقه في استرداد أراضيه المحتلة وعودة اللاجئين وتحرير القدس، ولو كانت فتح قد تبنت هذه الثوابت لتمت محاربتها، كما تتم محاربة حكومة حماس الآن وبنفس الوسائل.

ولعلنا نذكر أن عرفات بعد اجتماعات كامب ديفيد الأخيرة في عهد الرئيس الأمريكي السابق كلينتون كان قد صرح بأنه كان في حصار أشد من حصار بيروت الذي آتى ثماره وجعل منظمة التحرير تنخرط بعملية السلام .

اجتياح غزة بين الفوائد الإسرائيلية والأضرار الفلسطينية:

إن الاجتياح الذي تقوده إسرائيل وقوى الشر مجتمعة سيترك آثاراً مدمرة في مجالات مختلفة، ويترك جروحاً سطحية وعميقة في طبيعة التركيبة الفلسطينية، فتوقف إخلاء الجرحى وإسعاف المصابين ومنع وصول المساعدات إلى أهالي غزة يعني انتهاء مرحلة مهمة في حياة القضية الفلسطينية

هي مرحلة المقاومة والمطالبة بالحقوق المغتصبة، إن سياسة الحصار والتجويع والحرب سياسة خطيرة لما لها من إسقاطات خطيرة على المجتمع، وكان الرسول ﷺ يجمع ما بين الكفر والفقر ويتعوذ منهما، فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر**».

فالفقر يجر إلى أسوأ وأرذل الأخلاق إن غابت التقوى، فيقل في المجتمع التكافل الاجتماعي وصلة الأرحام والحب والود بين الناس، والتعفف والحياء وتنتشر ظواهر التسول أو السرقات واللصوصية كما ينتشر الزنا، وقد يعجز الإنسان عن تعليم أولاده بسبب الفقر فينتشر الجهل ويفشو، وهذا عين ما يريده العدو .

لكن كل هذه الأمراض- إن شاء الله- لن تصيب الشعب الفلسطيني، الذي تراكمت لديه الخبرات ومواجهة إغلاق المدن والحصار منذ الانتفاضة الأولى قبل عشرين عاماً تقريباً، وهو شعب كريم صبور لا يمكن أن يبيع عزة نفسه وكرامته الوطنية من أجل رغيف الخبز، وسيلتهي بهذا الأمر من أن تنحصر كل غاياته وأمانيه في الحصول على متع الدنيا ولهوها.. أما الكبار فهم الذين خصهم الله بقضايا الكبار .

إن مدناً كثيرة في داخل فلسطين قد بدأت في تنظيم حملات الإغاثة والتبرع لإخوانهم المحاصرين في غزة، وليس من المستغرب أن تجد أطفالاً يتبرعون بمصروفهم اليومي لمساعدة إخوانهم الأطفال في غزة .

ومع هذا التكافل في داخل فلسطين، فإن جميع أجهزة التقرير الاستراتيجي في الدولة العبرية اتفقت على خطورة الحملات الشعبية التي تقوم بها الشعوب العربية لجمع التبرعات للشعب الفلسطيني، على اعتبار أن مثل هذه الحملات ممكن أن تتطور بحيث تصنع تأثيراً كبيراً على دوائر صنع القرار في العالم العربي ليتحرك هو الآخر .

لم تعد قضية حماس وحدها:

نعم فالقضية لا تخص حماس، بل تخص دعم الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني، وفي مقدمتها المقدسات الإسلامية.

فحماس عكس ما يظن الواهمون والشامتون لن تخسر في هذه المعركة بكل الأحوال، فلم تكن السلطة في حد ذاتها غاية لديها في يوم من الأيام، ولم تصل لها عبر الانقلابات والدبابات، ولم تشتر في سبيل الوصول إلى السلطة هذا الجيش الجرار من الموظفين الذي بات يشكل عبئاً على الشعب الفلسطيني، واستنزافاً لموارده واقتصاده .

وحماس تكسب أيضاً ضمن المعادلة الرياضية البسيطة والتي مفادها أن المزيد من الضغط على حماس، يعني المزيد في قوتها وشعبيتها ليس في الأوساط الفلسطينية، فحسب بل في الأوساط العربية والإسلامية، ناهيك عن زيادة درجات الكراهية والبغض في قلوب الشعوب العربية والإسلامية تجاه من يقومون بهذا الحصار الظالم، وفي مقدمتهم بالطبع إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية .

وحماس عندما تتخلى عن السلطة سوف تعود لصفوف المقاومة حيث بدأت مسيرتها من هناك، وهذا بحد ذاته يرعب خيالات إسرائيل بجولة جديدة من المقاومة التي تستنزف الاقتصاد الإسرائيلي، وتهدد بهجرات معاكسة لخارج إسرائيل، وساعتها لن يكون لأحد أي حجة أو ذريعة لمهاجمة العنف الذي تمارسه حماس، بعد أن أغلقت جميع الطرق في وجهها .

لقد أثبت الاستطلاع الذي أجراه مركز أبحاث المستقبل للرأي العام الفلسطيني في قطاع غزة عن وجود نسبة (٨٤،٦ ٪)من الشعب الفلسطيني ممن يرفض رضوخ حكومة حماس للمطالب الأمريكية والأوروبية .

حماس- أيها السادة- ليست وحدها هي المحاربة والمحاصرة فالعالم العربي كله محارب ومحاصر بالخوف والجبن والتردد والتخذيل، ويوشك أن يهن إذا وهنت حماس، ويؤكل إذا أكلت، فيصدق فينا وفيها قول علي بن أبي طالب: أكلت يوم أكلت الثور الأبيض، فقد حكى صاحب المنتظم أن علي بن أبي طالب ﷺ قال يوم مقتل عثمان ﷺ: هل تدرون إنما مثلي ومثلكم وقتل عثمان، كمثل ثلاثة أثواركن في أجمة: ثور أبيض، وثور أسود، وثور أحمر ومعهم فيها أسد، فكان الأسد لا يقدر منها على شيء لاجتماعهم عليه، فقال للثور الأسود والثور الأحمر: إنه لا يدل علينا في أجمتنا هذه إلا الثور الأبيض فإنه مشهور اللون، فلو تركتماني فأكلته، وصفت لي ولكما الأجمة وعشنا فيها، فقالا له: دونك وما تريد فأكله، ثم لبث غير كثير، فقال للثور الأحمر: إنه لا يدل علينا في أجمتنا هذه إلا الثور الأسود فإنه مشهور اللون، وإن لوني ولونك لا يشتهران، فلو تركتني لآكله صفت لي ولك الأجمة وعشنا فيها، فقال له: دونك فأكله. ثم لبث غير كثير فقال للثور الأحمر: إني آكلك، قال: دعني حتى أنادي ثلاثة أصوات، قال: ناد، فقال: ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض، ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض، ألا إني أكلت يوم أكل الثور الأبيض، قال: يقول علي ﷺ ألا وإني إنما وُهنت يوم قتل عثمان ﷺ. ا.هـ[1].

وهؤلاء الذين يحلمون بسقوط حكومة حماس، لن يجدوا بديلاً إلا السلطة السابقة الفاسدة، والتي لا تحظى إلا بشرعية الاحتلال .

وأي تسوية سياسية ستتم مع هذه السلطة إنما هي تمهيد لانفجار ودمار يعم المنطقة، وربما يقود إلى نشوء حركات يمينية متطرفة حسب المصطلح السياسي قد تتخذ منهجاً دموياً يطول الجميع .

إننا ندعو المسلمين إلى إبراء ذمتهم إلى الله..

---

(١) المنتظم لابن الجوزي.

فإذا كانت الحرب سلاحاً فلا يكونوا هم الرصاص..

واذا كانت الحرب مشنقة فلا يكونوا هم الحبال..

واذا كانت الحرب هدفاً فلا يكونوا هم الوسيلة.

وليبادر الجميع إلى دعم صمود الشعب الفلسطيني، إن لم يكن من منطلق ديني وإسلامي، فليكن من منطلق قومي وعروبي، وإن لم يكن من منطلق الدين والعروبة فليكن من منطلق الإنسانية التي يأبى ضميرها أن ينام على هذا الظلم البين .

وليكف الجميع على تصوير القضية على أنها تصلب في مواقف حماس، ويصفونها بوصفها الصحيح، وهو الحرب الظالمة الذي لا يحترم خيارات الشعوب في الحرية والكرامة والحياة .

ولتنطلق المبادرات الشعبية والتضامنية لنصرة أرض الإسراء والمعراج الطاهرة.



معاشر المسلمين حكاما وشعوبا

وحدة الأمة بداية الانتصار:

لقد وحّد النبي ﷺ الأمة وآخى بين الأوس والخزرج والمهاجرين والأنصار، ثم قضى عمر بن عبد العزيز من بعده على فتنة ابن سبأ ونزع النزغ الذي كان بين الأمويين والهاشميين، ثم جاء صلاح الدين الأيوبي، وآخى بين مصر وبلاد الشام، ودحر المعتدين، وحرر الأقصى من أيدي الصليبيين..

لكن السؤال هو: من سيأتي لتوحيد صفوف الأمة اليوم وإعادة عزها وتحرير مقدساتها.. ؟

إن الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم هو جزء من تاريخها وإن مما تفتخر به الأمة الإسلامية اليوم أنها دولة حضارية تبني لاحقها على سابقها وتستلهم المستقبل من خلال النظر في الحاضر الذي مضى عليه ١٤٣٠ سنة هجرية، ومن قبل هذا التاريخ كانت تقف على قاعدة من تاريخ قرأناه من عهد نوح عليه السلام إلى عهد إبراهيم حتى وصل إلى محمد- عليه الصلاة والسلام- ثم إلى عهدنا اليوم الذي نعيشه ونحن نشاهد انتهاكات يهودية لكل معاني الإنسانية والأخلاقية في اعتدائها على الشعب الفلسطيني في غزة لينتج بعد ذلك قتل الأطفال والنساء والشيوخ كما ذكر السفير الفلسطيني بأن ٧٠٪ من القتلى هم من الأطفال والنساء والشيوخ.

ولذلك فإن المدخل على وحدة الأمة الإسلامية يكمن في تغلبها على مآسيها وإن كل مشكلة في الأمة الإسلامية تكون عندما نتفرق والله -تعالى- يقول في كتابه: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[1].

---

(١) الأنفال: ٤٦.

وإذا رجعنا إلى تاريخنا رأينا مثل هذا التفرق كان موجودا في الأمة عبرة لكننا إذا أردنا الانتصار والوحدة لا بد أن نبدأ من النقطة الأولى التي بدأ فيها التفرق ثم الوحدة وهو الذي كان على مر التاريخ.

الحسن بن علي يتخلى عن الخلافة من أجل وحدة الأمة:

لم يكن حديثاً يفترى ولا طيفاً من الخيال ذلك الحدث الذي سطره لنا التاريخ ونقله لنا الرواة الثقاة والأثبات حتى تعلم الأمة أن مثل هذا الأمر يحصل في الأمة الإسلامية.

ذلك الصلح الذي أقامه سيدنا الحسن بن علي- رضي الله عنهما- مع معاوية بن أبي سفيان ﷺ .

لقد تأملت ذلك الحدث وقرأت ما بين السطور فظهرت لي دلالات واضحة تدل على سعة حكمة سيدنا الحسن ﷺ حينما بايع معاوية بن أبي سفيان وحقن من خلال هذه المبايعة وهذا الصلح دماء الأمة الإسلامية، وحفظ من خلالها أعراض المسلمين ودماءهم وأموالهم.

ولم يكن حديثاً يفترى قول النبي ﷺ حين قال في الحسن: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»[١].

ولم تكن نبوءة رسول الله ﷺ عن الحسن بن علي ﷺ أنه سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين مجرد نبأ يسمعه الحسن والمسلمون ويصدقونه كالنبوءات النبوية الأخرى بل كانت الكلمة الموجهة الرائدة للحسن بن علي- رضي الله عنهما- في اتجاهاته وتصرفاته ومنهجية حياته.

ولابد أنها حلت في قرارة نفسه واستولت على مشاعره وامتزجت بلحمه ودمه واعتبرها كوصية من الرسول ﷺ وهو نبيه وجده يتكلم بهذه الكلمات ورأى الحسن السرور في أسارير وجهه والبريق في عينه ﷺ فتمسك بها كهدف

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

من أهداف حياته وكالمثل الأعلى له في مستقبله.

السيادة لا تكون بقهر الأمم:

لم يكن يعتقد الحسن بن علي- رضي الله عنهما- أن السيادة تكون بالقهر وسفك الدماء أو إهدار الأموال والحرمات، بل كان يعتقد أن السيادة تكون بصيانتها وإزالة البغضاء والشحناء فصلحه وحقنه لدماء المسلمين بلغ فيه ذروة السيادة التي لا يستطيعها من فكر بالقوة وهو يملك طرفاً منها.

وقد صالح الحسن بن علي معاوية وحوله الألوف، فيهم من هو طامع مدسوس ولكن فيهم الكثير الكثير من المخلصين الأوفياء فما أراد أن تراق بسببه قطرة دم أو يخدش مسلم في هذا السبيل، وإن الرئاسة للأقوام إن لم تكن لصيانتها وحياتها وحفظها وترقيتها فهي نوع من الطاغوت الأعمى والتهور الأحمق والمغامرة والمقامرة التي تجلب معها الدماء والخراب والإذلال وينتهي أصحابها إلى غضب الله ولعنة التاريخ.

وهل تدافع أمواج الدماء البشرية عبر العصور والقرون إلا من أجل الحرص على الرئاسة والسلطان والتكالب على الدنيا.

همّ الحسن بن علي رضي الله عنهما:

لقد كان هم الحسن ﵁ هو حفظ دماء أمة محمد ﷺ كما أثبت ذلك الحسن البصري من خلال قوله: (فلما ولي الحسن ما أهريق في سببه محجمة دم) [١].

بل تأمل الخطبة التي خطبها إبان استلامه للخلافة بعد وفاة والده علي بن أبي طالب ﵁ حيث حمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن كل ما هو آت قريب، وإن أمر الله واقع وإن كره الناس، وإني والله ما أحببت أن ألي من أمر أمة محمد ما يزن مثقال حبة من خردل يهراق فيه محجمة دم قد علمت ما يضرني مما ينفعني فالحقوا بطيتكم (أي بوجهتكم)[٢].

---

(١) دلائل النبوة للبيهقي (٦/ ٤٤٣).

(٢) الطبقات، تحقيق السلمي (١/ ٣١٨).

إن مكانة الصلح والوحدة في الإسلام عظيمة وهو من أجل الأخلاق الاجتماعية إذ به يرفع الخلاف وتنتهي المنازعة التي تنشأ بين المتعاملين مادياً أو اجتماعياً ويعود بسببه الودُّ والإخاء بين المتنازعين لكونه يرضي طرفي النزاع ويقطع دابر الخصام .

ولذلك كان الصلح من أسمى المطالب الشرعية لتتحقق الأخوة والوحدة التي ينشدها لهم ويصفهم بها كما في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[(١)]، وهي الأخوة التي يذهبها الخلاف والتنازع فيما بينهم، ولذلك اعتنى القرآن بالصلح والوحدة فيما بين المسلمين كثيراً أمراً وترغيباً.

وليس بعيداً عن الحسن بن علي- رضي الله عنهما- أن يتوجه هذا التوجه من توحيد صفوف المسلمين المتباعدة المتفرقة ولم شملهم وجمع صفوفهم والإصلاح بينهم فقد علم ما فعله جده- عليه الصلاة والسلام- إبان هجرته من مكة المكرمة إلى يثرب المدينة المنورة.

النبي ﷺ قدوة الحسن في توحيد الأمة؟

ألم يبادر- عليه الصلاة والسلام- مع أصحابه الكرام ببناء المسجد النبوي ليجمع المؤمنين في مكان واحد وخلف إمام واحد ينزع من صدورهم فوارق العرق والدم والعنصرية التي زرعتها فيهم الجاهلية العمياء قبل الإسلام؟ ثم ألم يؤاخ بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة حتى كان أحدهم يرث الآخر إذا مات وكانت هذه الأخوة أعمق من أخوة القرابة بادئ الأمر؟

لهذا ليس بغريب لمن يطلع على سيرة الحسن بن علي- رضي الله عنهما- أن يرى كل هذا الحرص والتفاني والتنازل عن ملك الدنيا وزينتها من أجل مصلحة المسلمين وفائدتهم.

(١) الحجرات: ١٠ .

لقد كان توحيد المسلمين وجمع صفوفهم تحت إمرة إمام واحد هو ديدن الحسن بن علي- رضي الله عنهما- وهمه الشاغل منذ أن استلم الخلافة من أبيه ﷺ حتى سلمها وتنازل عنها لمعاوية- رضي الله عنهم- ولقد كانت إحدى كلمات الحسن ﷺ في هذا المجال: «خشيت أن يجيء يوم القيامة سبعون ألفاً أو أكثر أو أقل كلهم تنضح أوداجهم دماً كلهم يستعدي الله فيما هريق دمه»[١].

الخليفة الأموي يوحد الأمة:

ثم جاء بعد الإمام الحسن بن علي- رضي الله عنهما- أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الذي سار على نهج النبي عليه الصلاة والسلام وعلى نهج حفيده الحسن ﷺ ووحد صفوف الأمة مرة أخرى بعد أن قضى على فتنة ابن سبأ ونزع النزغ الذي كان بين الأمويين والهاشميين فنهى عنه وأمر عماله بتركه وأبدل تلك الفتنة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[٢].

كما ذكر ذلك الإمام ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ وقال: (فلما ولي الخلافة لم يكن عنده من الرغبة في الدنيا ما يرتكب هذا الأمر العظيم لأجلها، فترك ذلك وكتب بتركه وقرأ عوضه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾؛ فحل هذا الفعل عند الناس محلا حسناً وأكثروا مدحه بسببه)[٣].

وهكذا استطاع أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أن يوحد صفوف الأمة بعد أن حصل الخلاف بين بني أمية والهاشميين، واستطاع زرع المحبة والأخوة فيما بينهم من خلال هذه الوحدة.

ثم بعد هذا الأمر بدأ بغزو العدو الداخلي والذي هو العدو داخل نفوس المؤمنين فعمل على تربيتهم وتكوينهم وجمع صفوفهم ونشر المحبة والمودة والإخاء فيما بينهم، ولهذا عندما قيل له: ألا تقاتل وتجاهد؟ قال: إنما أريد أن

(١) البداية والنهاية (١١/ ٢٠٦).
(٢) النحل :٩٠.
(٣) الكامل لابن الأثير(٢/ ٣٦٤).

أسلم من أسلم أي يريد (أن يربي الأمة على ما رباها عليه النبي ﷺ ليتقوى الصف الداخلي وتقوى شوكة المسلمين) ليحق بعد ذلك لهارون الرشيد في الدولة العباسية أن يقول للسحاب: أمطري أنى شئت فسيأتيني خراجك.

وهو إن لم يفعل ذلك ويقض على الفتنة الداخلية ما استطاع أن يلتفت إلى البناء الداخلي للأمة.

النموذج الرابع لتوحيد الأمة:

ثم نهج على منهج عمر بن عبد العزيز القائد الفاتح صلاح الدين الأيوبي فكان النموذج الرابع في توحيد صفوف الأمة الإسلامية في عصره حيث استطاع أن يسيطر على معظم بلاد الشام واستقرت له مصر والحجاز واليمن فباشر الإعداد للمعركة الحاسمة، وهي الهجوم الشامل من الشمال والجنوب لكنه رأى تعديل هذه الخطة فالوضع لم يعد كما كان على عهد نور الدين الزنكي فقرر صلاح الدين أن يجمع بين جيوش مصر والشام في جيش واحد لتشكيل قوة ضاربة واحدة في مواجهة النصارى الصليبيين[١].

وهكذا استطاع صلاح الدين أن يحرر الأقصى من يد المعتدين ويقضي على الصليبيين من خلال توحيد الأمة مرة أخرى بعد أن كانت متفرقة وجمع صفوفها بعد أن كانت متشتتة.

لكن ما يدور في خاطر المسلم اليوم هو السؤال الذي يقول:

فمن سيأتي لتوحيد الأمة اليوم وإعادة عزها وتحرير قدسها...؟

وإذا علمنا هذا فلابد أن نربط بين هذه الأحداث وما نعيشه اليوم من فرقة وشتات وضياع بين الدول الإسلامية بشكل عام والدول العربية بشكل خاص.

الفرقة سبب كارثة فلسطين الرئيسي:

إن الكارثة التي أظهرت هذه الفرقة وهذا الشتات ظاهرة للعيان لا

(١)فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان (١٣٧).

يستطيع أي مسلم تجاهلها والبعد عنها وقد نسأل عن هذه الكارثة..؟

إنها كارثة فلسطين التي هي جرح الإسلام ومحنة المسلمين الكبرى في هذا الزمان أتت على المسلمين في أعقاب غارات وحشية استهدفوا بها في فترات متعددة من تاريخهم، ولقد توالت الغارات عليهم حتى جاءت هذه الغارة اليهودية الظالمة والتي لا يقل خطرها عن تلك الغارات بل توازيها إن لم نقل: إنها تفوقها، فاليهود أشد الناس عداوة لنا بنص القرآن وقد وجهوا كل إمكاناتهم الخطيرة نحو هذه الأمة لتدميرها واحتلال أراضيها بادئين بفلسطين ومنتهين بما لا نعلمه يسيرون تحت عقيدة اسمها(أرض الميعاد).

ماذا يجب علينا تجاه اليهود؟

ونحن أهل العقيدة الإسلامية يجب علينا أن ندفع هذه العقيدة بعقيدة أقوى منها وأعظم، بعقيدة هي الحق والصدق تحفها الوحدة والألفة والمودة والإخاء.

لقد عاد اليهود في زماننا إلى فلسطين إحياء لعقيدة أرض الميعاد في نفوس شبابهم.

وبالفعل لقد أصبحوا بفضل هذه العقيدة يقاتلون فوق أرض فلسطين بروح لا يقاتلون بمثلها في أي جزء من العالم ويستميتون في الدفاع عما احتلوه في أرضها.

أضف إلى هذه العقيدة الخطيرة إمكانيات اليهود الهائلة المتنوعة وتسخيرها كلها لخدمة دولة إسرائيل واستخدام هذه الدولة لأحدث أنواع الأسلحة الفتاكة، وإدارة هذه الدولة وخصوصاً جيشها من قبل سياسيين وعسكريين محنكين مخلصين عاملين، وأضف إلى إمكاناتهم الهائلة تأييد معظم دول العالم لقيام دولتهم وبقائها واستمرارها واندفاع بعض هذه الدول في تأييدها لهم تأييداً لا حدود له، نتيجة لسيطرة اليهود على سياستها وبدافع أحقادها نحو

المسلمين ورغبتها في إذلالهم.

ومما زاد اليهود الصهاينة قوة وشكيمة اعتقادهم أنهم يواجهون اليوم أمة متفرقة ضعيفة ذليلة غثاء كغثاء السيل، وقد أثبتت حوادث الهجوم الوحشي على غزة من قبل الصهاينة المحتلين بأن الأمة الإسلامية ما زالت أمة حميمة دماؤها حارة متدفقة لو أتيحت لها الفرصة لرأى العالم تكرارا للتاريخ الإسلامي المجيد الذي أسقط دول الظلم والطغيان كدولة الفرس والرومان .

حال كتاب الأمة من فلسطين؟

المصيبة العظمى أنه من اليوم الأول الذي بدأت فيه دماء الجرح الفلسطيني في سيلانها والكتاب يكتبون ويؤلفون الخطباء ويخطبون ويزمجرون والقادة يتداعون ويتناقشون ويتجادلون وينقضون، ولسنا نجد في زماننا قضية كتبت فيها مئات الكتب وألقيت بشأنها ألوف المحاضرات والخطب والقصائد وصدرت عنها عشرات الألوف من المقالات والكلمات وعقدت من أجلها مئات الاجتماعات ثم تلتها البيانات والتوصيات كما نجد في قضية فلسطين.

علما أن معظم هذه الكلمات والندوات والمؤتمرات والمظاهرات حبيسة المكتبات والمسيرات والإذاعات والفضائيات.

هدف الصهيونية تفريق الأمة؟

أما الصهيونية كتنظيم حركي يهودي عقدي يلائم روح العصر.

وهدفه هو بعث اليهود وإحياء دولتهم المندثرة في فلسطين بل هدفه السيطرة الكبيرة بشتى الوسائل الخبيثة على سائر البشرية، وأما العمل الدؤوب للزعماء اليهود طيلة مئات من السنين في سبيل العودة ومحاولة بعضهم سوق الجيوش في العصور الوسطى لاستردادها وذلك قبل بسط نفوذ الاستعمار القديم بل وحتى قبل اكتشاف العالم لقارة أمريكا فكل هذا يجب التنبه له والحديث عنه؛ لتصحو الأمة من غفوتها وتعود إلى تاريخها فتخلص مقدساتها

بعد وحدتها من براثن العدو الصهيوني[١] .

أبرز أسباب هذا التفرق:

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما هي أسباب هذه الفرقة والشتات والضياع؟

إن من أبرز أسباب الخلاف والفرقة التي تظهر على الأمة الإسلامي هي :

– البعد عن العقيدة السليمة من دين الإسلام ويصدق هذا قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [٢] .

فالبعد عن دين الله –تعالى– والتخلي عن عقيدته هو السبب الرئيسي الذي يجعل الأمة تختلف وتتفرق ونبينا– عليه الصلاة والسلام– لم يجمع الأمة العربية والبشرية إلا من خلال نشر العقيدة الإسلامية والتاريخ شاهد على هذه النقطة.

– حب الدنيا وكراهية الموت، ويثبت هذه النقطة حديث النبي– عليه الصلاة والسلام– حيث قال: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»[٣] .

وإذا تعلق قلب المسلم بالدنيا وأهمل الآخرة وكره الموت ابتعد عن الأخلاق والقيم التي حثته عليه شريعة الله –تعالى– وبهذا يكون سببا في فرقة الأمة وتشتيت صفوفها.

(١) من كتاب كارثة فلسطين لأبي الحسن الندوي بتصرف (١، ٢).
(٢) آل عمران: ١٠٣.
(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٩٧).

- انتشار الجاهلية العمياء التي تنشر بين المسلمين فكر العنصرية والمذهبية والطائفية التي تفرق الأمة وتجعل الإنسان يرى نفسه أعلى من غيره في مكانته السياسية أو المادية أو الدينية والدنيوية، وبهذه الخصلة استطاع الاستعمار أن يفرق بين المسلمين حيث قسم الدول وباعد بين القرى ونشر فكر الطائفية والمذهبية والعرقية بين المسلمين والعصبية الممقوتة للمذهب أو للطائفة أو للبلد أو الجنس حتى جعل كل فئة تفتخر على الأخرى وتكفر الآخر وتستحقره، وبذا حصلت الفرقة وتمكن عدو الإسلام من بلاد المسلمين.

وهناك أسباب أخرى توسع فيها أهل الاختصاص يمكن العود إليها في الكتب والمؤلفات.

آثار الفرقة والشتات على الأمة الإسلامية:

إن للخلاف والفرقة آثاراً سلبية لابد أن يعيها المسلمون ويقدروها حتى لا يقعوا في الفرقة والشتات، ومنها:

- تصدُّعُ صف المسلمين وفشلُهم وذهابُ ريحهم، وما زال ربُّهم يحذرهم ويقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

- وينتج عن ذلك أثرٌ سلبي آخر وهو تسلطُ الأعداء عليهم؛ إذ لا يتمكن الأعداءُ من استباحة دماءِ المسلمين وإعراضهم واستحلال ديارهم وأموالهم إلا إذا وهنوا عن مقاومته وضعفوا عن مواجهته.

- والهلاكُ أثر ثالث من آثار التنازع والافتراق حذرنا منه النبي ﷺ وأخبرنا بمصير الأمم قبلنا فقال: «**إنما أهلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الفُرقة**»[2].

- ومن آثار الفرقة والشتات تبدد الطاقات وضياع جهود الأمة والمجتمع،

(١) الأنفال: ٤٦.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٧٨)، وضعف إسناده الأرناؤوط.

وتناحر الأفراد على توافه الأمور في وقت يتجمع فيه الآخرون بل ويتخذون من فرقة المسلمين مصدراً لقوتهم، ومستنداً لغزوهم.

- ومن آثار الخلاف فقدانُ الثقةِ بين العامة والعلماء والأمراء مما يُهيئ لظهور المتزيدين بقضايا الأمة ومن يرقصون على الجراح ويستغلون الأزمات.

والفرقة والاختلاف تؤثر سلباً على النفوس فتصيبها بالإحباط والانكفاء على الذات، فتحرمُ الأمةُ من طاقاتها وتتحطم نفسياتها، وهذه وتلك مكاسب لأعدائها.

فلنحذر من الفرقة وأدوائها المهلكة، ولنحرص على جمع الكلمة وردم الفجوات، ولنستشعر جميعاً أننا أمةُ الوحدة، وإن دواعي الاتفاق والاجتماع في ديننا وشريعتنا أكثرُ وأعمق مما عند غيرنا.

أسباب العلاج وعوامل وحدة الصف:

وحين تعرفون شيئاً من أسباب الفرقة والاختلاف وآثارها المهلكة، فحري بكم أن تجتنبوها، بل وتبحثوا عن أسبابِ العلاج وعوامل وحدة الصف.

فما هي الوسائل المؤدية إلى الاتفاق ووحدة الصف؟

لابد من العلم أولاً أن الدعوة إلى الاتفاق ووحدة الصف لا تأتي تلبيةً للحاجة الملحة وللظروف المحيطة بالأمة المسلمة فقط، وإنما هي استجابة لأمر إلهي وتحقيقٌ لمطلب شرعي، كما قال ربُّنا تبارك وتعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

إن الوحدة في الصف المسلم لازم من لوازم عقيدة التوحيد، ومن علائم خيرية هذه الأمة اجتماعها على الحق، ودعوةُ الناس إليه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[2].

(١) الأنفال: ٦٣.
(٢) آل عمران: ١١٠.

- ولهذا فإن الالتزام بالعقيدة الحقة أولُ الأسس في وحدة الصف، فالعقيدة توحد بين القريب والبعيد، والعربي والأعجمي والغني والفقير، والأحمر والأسود، وتعجز أية رابطة أخرى أن توحد صفَّ المسلمين وتؤلفَ بين قلوبهم.

- والتخلّقُ بكريم الأخلاق التي أمر بها الشرع عاملٌ مهم في الوحدة كالمحبة والإيثار والعفو والصفح وخفض الجناح وسلامة الصدر والعدل والإنصاف.. ونحوها من أخلاق تجمعُ ولا تفرق، وتهذب النفوس[1].

ماذا بإمكاننا أن نقدم لأهل غزة؟

وهنا سؤال نطرحه على أنفسنا اليوم بعد أن علمنا سبب فرقتنا وعدم توحدنا، ويبحث عن جواب له كثير من الناس في منتدياتهم ومجالسهم وحواراتهم، ويتحايل الخطيب على منبره، والكاتب في صحيفته، والسياسي في طرحه، والأم في بيتها والموظف فى دائرته.

وإجابة عن هذا السؤال نبين لكل على حدة بعض ما يجب عليه:

أولا : واجبات الفرد:

١- استحضار النية الصادقة واستدامتها لفك الحصار عن غزة بالنفس والمال.

٢- تحرى أوقات الإجابة والدعاء يومياً لإخوانك في فلسطين بالنصرة والدعاء بوأد الفتنة.

٣- المقاطعة الصارمة لمنتجات اليهود وأعوانهم، فهذا خير دليل على نصرة أهل غزة .

٤- نشر أخبار الحصار المفروض عليهم وأخبارهم من خلال المشاركات الحية، والبث المباشر للبرنامج والمنتديات التي تحدثت عن الموضوع.

---

(١) من مقالة د. سليمان بن حمد العودة من موقع شبكة نور الإسلام بتصرف.

٥- توزيع خطبة جمعة أو مقالة تحث على التبرع والتعاطف معهم. عمل حصالة منزلية باسم (حصالة غزة) ولتتذكر قول الحبيب ﷺ: «**لا ينقص مال من صدقة**»[1].

٦- استخدام الرسائل التليفونية (المحمول) لتذكيرهم بالموضوع (أغيثوا غزة).

٧- نشر الآثار المترتبة على الحصار

ثانيا : واجبات الأسرة المسلمة:

من أفضل الأعمال الصالحة المقاطعة، وعدم شراء الأم أي سلعة للدولة الداعمة لليهود، وللأم واجبات خاصة مثل: توفير ثمن وجبة غذاء وذلك يومياً ووضعها في حصالة غزة) ولو يومياً (٣) جنيهات.

وتذكير الأبناء من البنين والبنات بأهمية فك الحصار عن غزة، وكيف يكون حالنا إذا حدث لنا هذا المكروه.

ثالثاً : واجبات للأغنياء والتجار:

واجب التاجر الامتناع عن تسويق وبيع منتجات العدو الصهيوني ومن يعاونهم حتى لا تكون تلك الرصاصات موجهه فى صدور أبنائنا فى قطاع غزة.

وأيضاً التبرع بسخاء وذلك بالنسبة للأغنياء والتجار والقادرين والمساهمة في الحملة باستقطاع جانب من إيرادك اليومي للتاجر، وكذلك للأغنياء.

رابعا : واجبات الإعلاميين والصحفيين والمثقفين والمدونات:

١- كتابة المقالات في الصحف لفضح المؤامرة المستمرة على أهلنا في غزة .

٢- الاتصال بالقنوات المحترمة، والإذاعات الموجهة ونشر القضية .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٩٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٨١٤): (صحيح لغيره) .

٣- النقل المستمر لأخبار المصابين والمتوفيين في قطاع غزة.

٤- عمل حملة إلكترونية على المواقع وحث الآخرين على المشاركة معنا.

٥- دعم المقالات والتقارير الواردة من قطاع غزة التي توضح حجم المعاناة التي يواجهها شعب غزة.. أطفالا ونساء وشيوخا .

٦- التصدي للإعلام الفاسد والصهيوني والغربي والرد عليهم بالدعم والدعاء.

٧- البحث عن الأقلام الغربية المنصفة والداعمة لفك الحصار، وكذلك التواصل مع مؤسسات الإغاثة الإنسانية والعالمية.

خامسا: واجبات الأئمة والخطباء والدعاة:

وذلك من خلال تخصيص جزء من الخطبة لشرح المأساة وحث المصلين على التبرع والدعاء لهم . وتقوية الوازع الديني لديهم بأننا جسد واحد وشعب واحد، وحث الشباب على انتشار القضية بينهم من خلال حلقات مناقشة. وتوفير مجموعة من الشرائط والكتب التي تحكى عن أمجاد فلسطين وخاصة قطاع غزة في الدفاع عن فلسطين.

وإنشاء صندوق للتبرع لقطاع غزة في كل مسجد أو زاوية أو مصلى . وحث المصلين على اقتطاع جزء من راتبه الشهري لإخوانه في غزة. والقنوت والدعاء خاصة فى صلاة الفجر لفك الحصار.

سادسا : واجبات الشباب والأطفال:

إن لم تستطع أن ترمى حجراً في وجه يهودي لتدافع عن إخوانك فى غزة فإن دينارا واحداً في حصالتك كفيل بأن يحول الحجر إلى قذيفة في صدر المحتل الغاشم، خصص جزءاً من مصروفك اليومي لفك الحصار عن غزة . إن لم تشارك الآن وأنت في ريعان شبابك فمتى ستشارك.. شارك في المنتديات

والمواقع السياسية والدينية وتنشيط الموضوع يومياً. ابتكر وسائل مختلفة يعـود ريعها لقطاع غزة. ركعتين يومياً في جوف الليل والقنوت والدعاء لهم أن يزول همهم . أرسل رسائل إلى كل من تعرفه ومن لا تعرفه توضح القضية (تليفـون محمول ـ رسائل إنترنت) .

سابعا: واجبات لمستخدمي الإنترنت والمدونات :

توظيف البريد الإلكتروني على الياهو أو الهوت ميل للقـضية حتـى تـزول بإرسال (١٠) رسائل كل يوم للمسجلين عندك حول القضية تقـديم الأخبـار السريعة والنـدوات التـي حـدثت عـن طريـق المواقـع الإلكترونيـة. إرسـال توصيات إلى الصحفيين والكتاب المعروفين عنهم الاتزان حول نشـر القضية، وأثرها على هذا الشعب المسكين.



النجاحات الإسرائيلية العشرة وانتصارات أم المعارك

حوار مفتوح مع محدثي المربوك:

قال لي محدثي: أنتم الشعوب العربية تبالغون في كل شيء، فإذا أحببتم شخصاً جعلتموه من نسل الرسول ﷺ، وإذا كرهتم آخر بحثتم عن أصوله اليهودية!!

قلت: وماذا بعد؟!

قال: وتحكمكم كثيراً العاطفة، فتصبح أحكامكم مفتقدة للخبرة والنضج، ولا تترددون في تعميم الأحكام هروباً من قلة المعلومات التي تنير لكم الطريق لحكم سليم على الأشخاص والمواقف؟

قلت: لعل في كلامك شيء كثير من الحقيقة، ولكنك تسقط في نفس الخطأ المنطقي الذي تتهم الناس به، فأنت تعمم الأحكام على الناس !! ولكن ما هي مناسبة مثل هذا الحديث؟

قال: أحداث غزة الأخيرة، فلقد شعرت بتجاذبات شديدة من مختلف الفرقاء، وكل طرف يدعي امتلاك الحقيقة المطلقة، ولم يمنح نفسه أي مساحة ليتراجع، ولو في مناطق صغيرة في مجمل مساحاته الفكرية .

قلت: ألا يذكرك هذا الحراك السياسي والرسمي بما حدث عند غزو الكويت؟

قال: وما علاقة العدوان على غزة بغزو الكويت؟

قلت له: هناك مساحات كبيرة من التشابه، وفي بعض التفاصيل يصل إلى حد التطابق.

قال: وكيف ذلك؟

قلت لمحدثي: وقد فرضت الأحداث الحالية نفسها على الحوار: لديك مثلاً استنساخ إسرائيل لتجربة الحرب العسكرية الأمريكية سواء في تحرير الكويت، أو في غزو العراق، فالحرب بدأت بالضربة الجوية ثم بالدخول البري، وهو ما فعلته إسرائيل في عدوانها على غزة ومن قبل في لبنان!!

قال لي: وهو نفس ما فعلته أمريكا في إسقاطها لنظام (صدام حسين)، فلماذا نجحت أمريكا في تحقيق أهدافها، ولم تنجح إسرائيل؟

قلت: لأن المعطيات مختلفة، فعلى الرغم من أن كلاً من إسرائيل وأمريكا استخدمت أسلوب الحصار قبل بدء العمليات العسكرية، إلا أن النتيجة كانت مختلفة لعدة أسباب.

قال لي: وهل يعقل أن تؤثر الأسباب لدرجة نجاح حرب وفشل أخرى؟

قلت له: بل أكثر من ذلك بكثير، فنظام صدام حسين لم يأت عبر صناديق الانتخابات، بل جاء عبر الانقلاب العسكري، كما استمد نظامه أسباب بقائه من القمع المستمر للشعب العراقي، ومن إهدار مقدراته في حروب عبثية يلهي بها الجيش العراقي عن الأوضاع الداخلية، بينما حكومة غزة جاءت عبر الفوز بثلثي الأصوات الانتخابية، فهي خيار شعبي شئنا أم أبينا، فالانتخابات التي جرت هناك كانت على خياري المقاومة والتسوية.

قال لي: ولكن رئيس السلطة الفلسطينية قد جاء هو الآخر بالانتخاب:

قلت له: أجل ولكن وحسب المراقبين المحايدين، فإن نسبة الإقبال على الانتخابات الرئاسية في ذلك الوقت لم تتجاوز (٣٠ ٪) من مجمل أصوات الشعب الفلسطيني في مناطق السلطة، ولم تصوت هذه النسبة بكاملها لصالح الرئيس أبي مازن، كما تمت الانتخابات قبل أن تدخل حماس في اللعبة

السياسية، ولو أجريت الانتخابات في ظل الأوضاع الحالية، لكان باستطاعتي أن أجزم لك أن النتيجة ستكون مختلفة.

قال لي: وهل هذا سبب كافٍ لفشل العدوان؟

قلت له: بل بالتأكيد هناك أسباب أخرى، منها اختلاف العقيدة السياسية لحزب البعث -وهي عقيدة قومية ثبت فشلها في حروب كثيرة مع العدو الصهيوني -عن العقيدة السياسية لحركة حماس التي أثبتت صلابة عودها مقابل القوة التسليحية للجيش الإسرائيلي.

وأضيف فأقول: إن حركة حماس مستعدة لأن تدفع ثمن تضحياتها الجهادية من دماء رموزها مع ابتسامة الرضى، وكلنا يذكر اغتيالات (الشيخ أحمد ياسين) و(الرنتيسي) و(عماد عقل) و(يحيى عياش) و(صلاح شحادة) وآخرهم (نزار ريان) و(سعيد صيام)، والقائمة تطول ... مما جعل لكلمتها مصداقية عالية.

قال لي: وهل هنا فروق بين التجربة الإسرائيلية من طرف آخر؟

قلت: نعم فالقوات الأمريكية تستند إلى دعم سياسي كبير، وقدرة إعلامية على الترويج لمعاركها الحربية، فهي خدعت الشعبي الأمريكي بفبركتها الإعلامية الجبارة عن وجود أسلحة دمار شامل، وعلاقات بين نظام (صدام حسين) والقاعدة، وهو ما لم يثبت على الإطلاق، بينما فشلت إسرائيل في تغطية جرائمها الحربية بأي غطاء إعلامي، وكانت مكشوفة دبلوماسياً أمام العالم، وجلبت الإحراج السياسي لحلفائها من الغرب ومن العرب على حد سواء، الأمر الذي جعل بعض حلفائها يضطرون إلى إعادة صياغة خطابهم الإعلامي بعد أيام قليلة من الحرب، فبعد أن سال لعابهم لنهش لحم حركة حماس التي ستسقط بمجرد بدء الضربة الجوية كما أخبرهم عملاؤهم، تفاجأوا بصمود أسطوري انقلب فيه السحر على الساحر، كما تفاجأوا بمخزون كبير من

المشاعر المكبوتة لدى الشعوب العربية والإسلامية، تفجرت مع أول بث لصور ضحايا القصف الهمجي المتوحش.

قال لي محدثي: كأن العاطفة قد أخذتك فبدأت تبالغ في حديثك عن وهن إسرائيل وقوة المقاومة!!

قلت له: خاتماً الحوار: إذا لم نستطع الادعاء بأن ما حدث كان نصراً لفكرة المقاومة، فبالتأكيد نستطيع القول بأنه كان هزيمة واضحة لإسرائيل على كل المستويات وفي جميع المجالات، وإذا أردنا أن نضع النقاط على الحروف نقول:إن إسرائيل فشلت عسكرياً وسياسياً ودبلوماسياً ونفسياً، فالفشل العسكري تمثل ابتداءً في الفشل الاستخباراتي في تقدير الأوضاع في غزة، وحتى التطمينات التي أعطيت لحماس بعدم وجود عدوان على غزة تحولت إلى ثورة ووقود للشعوب، كما فشلت القيادة الإسرائيلية في تحقيق أهداف الحرب المرصودة، وتآكل تلك الأهداف، فلا هي أسقطت حكومة حماس، ولا هي منعت الصواريخ، ولا هي حررت الأسير (جلعاد)، بل وكما هو معروف قصفت أي جندي من جنودها كان ممكناً أن يقع تحت الأسر!!

كما اعترفت رموزهم بعدم تحقيق الأهداف العسكرية المرصودة، وحاولوا التغطية على هذا الفشل بادعاء دخول الحرب لمرحلة الثالثة، وهم يدركون أن الدخول البري الذي تمركز في المناطق المكشوفة لم يجرؤ على الدخول في مناطق لا يغطيها الطيران الإسرائيلي؛ لعجز الجندي الإسرائيلي المدجج بالسلاح على مواجهة المقاومة المتعطشة للمواجهة، وبالإضافة إلى كل ما سبق فإن صواريخ المقاومة وصلت إلى مناطق جديدة وبعيدة في العمق الإسرائيلي، مما عزز مخاوف المستوطنين اليهود بدلاً من أن يزيلها.

أما الفشل السياسي فتمثل في عجز العدو على تحقيق ما لم يحققه في الميدان، واضطراره إلى إيقاف العدوان من طرف واحد، والتخبط الواضح في التعاطي

مع المبادرات والقرارات الدولية، واستعان بدلاً من ذلك باتفاقية غريبة مع ماما أمريكا لتحميه من خطر تهريب الأسلحة التي تحصل عليه المقاومة من المافيا الإسرائيلية نفسها!!

أما الفشل الدبلوماسي فتمثل في العجز عن التمهيد للعدوان، وإحراج الحلفاء، وإصدار القرارات الدولية التي تدين العدوان، والمظاهرات العالمية التي انسالت في شوارع العالم منددة بالعدوان، امتدت من دول الجوار إلى قلب مدينة نيويورك!!

أما الفشل النفسي فتمثل في اهتزاز صورة الجيش الإسرائيلي التي تأثرت بحرب عام (٢٠٠٦) في جنوب لبنان، وفي زيادة الانهيار النفسي لسكان الشمال من المواطنين اليهود، وإلى عجز واضح عن مواجهة المقاومة، مما جعل العسكر يلجئون إلى خيار القصف من بعيد.

عدت إلى نفسي بعد هذا الحوار وتذكرت كلام محدثي عن مبالغتنا نحن العرب في الحديث، وقلت : لعلي بالغت في وصف ما حدث نشواناً بهذه الهزيمة المذلة لهذا الجيش المعتدي، وتذكرت قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [(١)] فعدت لنفسي، وقلت: مثلما سألت نفسي: أين فشلت إسرائيل، فإنه من العدل أن أسأل :أين نجحت إسرائيل؟ وعندما قلبت الأمور وجدت أن إسرائيل نجحت على الأقل في عشرة أمور، إن لم يكن أكثر، ومن الإنصاف إطلاع القارئ الكريم عليها.

النجاح الأول: نجحت إسرائيل – ابتداء – في إحكام الحصار على أهل غزة، وكأنها تعاقبهم على اختيارهم لحماس في انتخابات حرة نزيهة، وهذه النزاهة تجربة استثنائية – كما نعلم – في عالمنا العربي، وعلى الرغم من أن اتفاق

(١) المائدة : ٨.

الهدنة بين إسرائيل وحماس كان يقضي بفتح المعابر، والتزمت حماس بالهدنة إلا أن إسرائيل لم تنفذ من طرفها التزاماتها، وبقيت تحاصر القطاع، وتقتل أهله قتلاً بطيئاً، والعجيب أن بعض الكتاب والرموز السياسية التي أخذتها الحمية دفاعاً عن إسرائيل واتهموا حماس بخرق الهدنة لم يكتبوا حرفاً أو ينطقوا بكلمة يدينون فيها إسرائيل لإغلاقها المعابر وتجويع الشعب الفلسطيني الذي يتباكون عليه اليوم دون أن يدينوا هذه الوحشية المجرمة.

النجاح الثاني: نجحت إسرائيل في قتل الأبرياء من الأطفال والنساء وكبار السن، الذين لا حيلة لهم ولا ذنب، فكانت إسرائيل تقصف التجمعات المدنية حتى وصل إجرامها إلى قصف مدارس (الأنروا) لعلمها بعجز المنظمة الدولية عن أخذ أي إجراء تجاه إسرائيل وممارساتها القذرة، ويخطئ من يظن أن إسرائيل تقتل هؤلاء المدنيين بطريق الخطأ، فالإحصائيات تثبت أن (٤٠٪) من الشهداء كانوا من الأطفال والنساء، و(٥٠ ٪) من الجرحى كانوا كذلك، وقد أرادت إسرائيل تحقيق ثلاثة أهداف من قصف المدنيين:

الأول: معاقبتهم مرة أخرى لاختيارهم حماس.

الثاني: دفع سكان غزة للثورة على حماس.

الثالث: التأثير في معنويات المقاومة، ورفع معنويات الشعب الإسرائيلي الذي تعرض هو الآخر لتعتيم إعلامي، وكان لا يسمع إلا صفارات الإنذار التي تجعله في حالة رعب وهلع، تدفعه للهروب إلى السراديب والملاجئ، ولا نجد على ذلك دليلاً أفضل من تصريح (أنجي جونتر) الخبيرة الألمانية البارزة في الشأن الإسرائيلي (ومراسلة صحيفة فرانكفورت روند شاد) عندما قالت : (تعمدت دولة الاحتلال إيقاع أكبر عدد من الضحايا محاكية بذلك نظرية الصدمة والترويع التي طبقتها الولايات المتحدة في حربها على العراق) وقد ذكر المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان أن العدوان على غزة يعتبر الأكثر دموية

منذ عام (١٩٦٧م)، الأمر الذي دفع بمذيعة القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي إلى البكاء وهي ترى أشلاء أطفال غزة ؛مما جعل اليهود يعتبرونها متعاطفة مع الإرهاب!!

هذه الوحشية المتعمدة في الواقع إنما هي جزء من النسيج النفسي اليهودي الذي لا يقيم حرمة لحياة الأبرياء غير اليهود، وللتذكرة فقط فإن إسرائيل قامت بمذبحة (صبرا وشاتيلا) بعد توقيع معاهدة (كامب ديفيد)، ومذبحة (قانا) بعد اتفاقات (أوسلو) .. هذا لمن ضعفت ذاكرته!!

النجاح الثالث: نجحت إسرائيل في قصف المدارس والمساجد بدعوى أن المدارس تخرج منها الصواريخ، وأن المساجد مقرات إرهابية لحماس، حيث هدمت إسرائيل أكثر من (٢٢) مسجداً، وهي جريمة كبرى بمفردها تكفي لأن تحرك الصخر، وهدف إسرائيل هي قطع علاقة الشعب الفلسطيني بمصادر القوة والمدد، سواء من خلال التعليم أو من خلال المسجد الذي يزود رواده بمعاني الإيمان والصحوة، وقد اختارت إسرائيل بداية فترة الامتحانات الدراسية ؛ لتؤكد رغبتها الأكيدة في تجهيل الشعب الفلسطيني الذي يعتبر بالرغم من ظروفه الصعبة واحداً من أرقى الشعوب على مستوى العالم في نسبة التعليم.

النجاح الرابع: نجحت إسرائيل نجاحاً باهراً في استخدام الأسلحة المحرمة دولياً وفي تحويل أهل غزة المحاصرين إلى حقل تجارب للأسلحة الجديدة التي تزودهم بها ماما أمريكا الحريصة على أمن المواطن اليهودي في الكيان الغاصب، وقد توالت الشهادات سواء من المنظمات الدولية والهيئات العالمية باستعمال إسرائيل لأسلحة أقلُّ آثارها البتر، كما أكدت هذه الشهادات طواقم الأطباء الغربيين الذين أرعبهم كل هذا القتل الإجرامي، وأكدوا بعد كشفهم على المصابين أن إسرائيل قد استخدمت هذه الأسلحة المحرمة .

النجاح الخامس: نجحت إسرائيل- وعلينا أن نعترف بامتياز- في سكب المزيد من القمامة على سمعتها الدولية المنحطة أصلاً ؛ مما دفع دولاً كفنزويلا وبوليفيا إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية معها، كما تضررت أيضاً علاقتها مع دول أخرى كتركيا، وشاهدنا حجم المظاهرات العالمية سواء في أوروبا أو في أمريكا، ومروراً باستراليا وأمريكا الجنوبية التي استنكرت هذا العدوان السوقي السافر.

نعم لقد نجحت إسرائيل في تسويق رموزها وقياداتها السياسية والعسكرية كمجرمي حرب من الدرجة الأولى، وليواجهوا خزي الدنيا قبل الآخرة، الأمر الذي دعا إسرائيل إلى اعتماد خطة عاجلة لتحسين صورتها المشينة ولكن (ماذا يفيد المشط في القرعاء)!!

النجاح السادس: وهو نجاح مؤلم قد يتآكل مع الأيام، حيث نجحت إسرائيل في تسخير وتطويع الدماء الفلسطينية الطاهرة والغالية في سوق الانتخابات الإسرائيلي الدنس، ولو قدر للانتخابات الإسرائيلية أن تتأخر، لاطلع المواطن الإسرائيلي على مساحات الخزي والعار والهزيمة الذي ألحقته قيادته السياسية المستقبلية بمستقبل دولته المصطنعة .

النجاح السابع: نجحت إسرائيل – ولعل ذلك من دون قصد منها- في تقوية خيار المقاومة وزيادة شعبية حماس وفصائل المقاومة، حتى أصبحنا نسمع أصواتاً علمانية في أقصى المغرب العربي تصرح أنها أصبحت الآن تؤمن ليس بمبدأ النضال والكفاح فحسب بل بمبدأ (الجهاد) الذي أثبت نجاحه في مواجهة عدو صلف ومتعجرف، وما هذه المظاهرات التي خرجت إلا دليل على نجاح إسرائيل في هذا الهدف، وحتى بعض خصوم حركة حماس الذين لم يريدوا تأييدها ولو بكلمة أبت عليهم مروءتهم الصمت والسكوت على هذا العدوان، فأدانوا هذه المجزرة اليومية البشعة.

النجاح الثامن: نجحت إسرائيل - وبشكل غبي بامتياز- في إضعاف تيار التسوية، وتركته عارياً تماماً وسط ثلوج التسوية المجمدة، ومحرجاً أمام الجماهير الهادرة التي حملته حصاد التسوية المر تلميحاً وتصريحاً، وجعلت بعض موظفي وزارة الخارجية الإسرائيلية الذي يعملون بدرجة كاتب في بعض الصحف العربية يظهرون وكأنهم من المنافقين الذين تحدث الله عنهم في سورة التوبة الفاضحة لهم، فكشفت عوراتهم وسوءاتهم، ورداءة بضاعتهم المزجاة.

وبعد أن كان تيار التسوية يفرك يديه فرحاً بما يحدث لحماس في أول ساعات العدوان، ويعد العدة للدخول إلى القطاع على ظهر الدبابة الإسرائيلية، ويتنقل في جولات حكومية في دول الجوار انتظاراً لساعات (الفتح) الإسرائيلي، وحمل حماس بشكل فج مسئولية ما حدث، ومنع المظاهرات التي تعبر عن سخط الشارع الفلسطيني والعربي، عاد بعد أن اسودت الوجوه وسقطت الأقنعة ليتحدث عن وحشية العدوان أو حكومة الوفاق الوطني بعد أن كان مغروراً ومتكبراً، وهو يرفض الحوار مع من استباحوا الدم الفلسطيني (يقصد حماس) بينما هو لا يرى بأساً في أن يكون عميلاً ومأجوراً مستميتاً على الحوار مع إسرائيل مع كل مجازرها التي ارتكبتها عبر تاريخها في حق الشعب الفلسطيني.

النجاح التاسع: نجحت إسرائيل في تعزيز كراهيتها بين الشعوب العربية والإسلامية، فبعد أن ظن الجميع أن تلك الشعوب ماتت تحت تأثير مخدرات ستار أكاديمي وبغايا الفيديو كليب، تفاجأ الجميع بتلك الشعوب تصطف في المربع الأول من المعركة، ناقمة على العجز العربي الصامت، وكأن تلك الشعوب تحمل من الاحتقان ما كانت محتاجة معه إلى عدوان غزة لتفجر في وجه الجميع، ولتكفر بالخطاب السياسي المليء بالدجل الذي كانت تسوقه لها الأنظمة العربية حول التسوية .

النجاح العاشر: وأخيراً نجحت إسرائيل في السير خطوة كبيرة نحو نهاية كيانها المصطنع، فإذا كانت الدولة المسلمة تسقط مع الظلم والدولة الكافرة تبقى مع العدل، فكيف إذا اجتمع الكفر مع الظلم، وقد علمتنا السنن الربانية أن أخذ الله شديد للظالم، وإن هذا الكيان الذي بدأ يستنفذ أسباب بقاءه قد بلغ ذروة قوته، وبدأ كيانه يميل للأفول، وما اختفاء القيادات التاريخية لديه، وإقامة الجدران العازلة، وانهيار معنوياته، وعجزه عن كسب المعارك إلا مؤشرات أولية على هذا الانهيار المرتقب.

هذه النجاحات العشرة التي حققتها إسرائيل، لعلها لا تلهينا عن التأمل في المشهد العربي .



المشهد العربي
بين الارتباك والاشتباك

المشهد العربي اليوم ربما يستعدي من بعض الأوجه مشاهد الضجيج الإعلامي لحرب تحرير الكويت ومشاهد أخرى من حرب إسقاط النظم العربي السابق، وفي كل المشاهد السابقة واللاحقة كان الارتباك العربي حاضراً وألقى بظلاله على مجمل المواقف من مختلف الفرقاء.

وربما على المراقب التمعن في ما خلف المواقف المعلنة ومحاولة إعادة ترتيب الأحداث ليستطيع أن يشاهد بشكل بانورامي المشهد بكامله كما بدا من الشرق الأوسط في فترة تبد الإدارة الأمريكية وقدوم إدارة جديدة إلى البيت الأبيض.

المشهد الفلسطيني محور التفسير للقضايا العربية:

ولعلنا نحاول أن نبدأ التركيز أولاً على المشهد الفلسطيني ثم نوسع الدائرة على المشهد العربي.

إن المشهد الفلسطيني يفسر جزءاً كبيراً من مشهد الارتباك العربي الكبير باعتبار أننا لا يمكن أن نتناول المشهد الفلسطيني بالتحليل والتفسير بمعزل عن المشهد العربي وتحديداً بدول الاعتدال - إن صحت التسمية - من جهة ودول الممانعة- أيضاً إن صحت التسمية- من جهة أخرى.

ولعل من باب فهم المواقف علينا أن نعود إلى نقطة البداية في المشهد الفلسطيني، والتي تكمن في الانتصار المفاجئ الذي حققته حركة المقاومة الإسلامية حماس في الانتخابات البرلمانية حيث حصلت على ما يقارب ثلثي المقاعد فيما فسره المراقبون بأنه أشبه بالصدمة لمختلف الفرقاء بما فيها الإدارة الأمريكية اليمينية، التي كانت تعتقد أن حماس حالة شاذة ومنعزلة وحركة

إرهابية ليس لها شعبية جماهيرية، وبالتالي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تحرز شيئاً ذا قيمة في هذه الانتخابات ناهيك عن الحصول على الأغلبية البرلمانية، وهذه النتيجة المفاجئة والصادمة جعلت أمريكا ترى في نشر الديمقراطية في العالمين العربي والإسلامي نتائج سلبية على مصالحها، الأمر الذي أدى إلى أن تحقق ربما من انتقاداتها للأنظمة الدكتاتورية في المنطقة بعد أن شعرت بأن الديمقراطية في الغالب ستأتي بالإسلاميين التي كانت تعتقد- في قراءة خاطئة- أنهم حالة منعزلة نشأت بسبب الفقر والضغط الاقتصادي، منخدعة بمقولات الليبراليين العرب بأن الإسلاميين يمثلون الوجه المتطرف للمنطقة وأنهم سيطروا على الجماهير بالشعارات البراقة التي ليس لها مصداقية في الواقع، ونتيجة لكل ما سبق وجدت أمريكا نفسها أمام تجربة غير مسبوقة، عندما تقوم حركة في طور النضال والمقاومة بإدارة سلطة حكم.

انقلب السحر على الساحر :

مما زاد من المخاوف –أيضاً– أن التجربة في حال نجاحها، ستصبح مصدر قلق لدول المنطقة بنجاح التجربة الإسلامية في إدارة السلطة، وخاصة لجهة نظامية ذات اليد والاقتراب من الجماهير.

كان هناك تعويل على فشل تجربة حماس في غزة، مثلما كانت هناك مخاوف من نجاحها، خاصة وأن تلك المخاوف تأتي مسنودة بحقيقة أن الأقلية التي انتخبت أبا مازن رئيساً للسلطة لم تزد عن (٣٠٪) من مجمل من يحق لهم الانتخابات من الشعب الفلسطيني وحتى هذه النسبة المتواضعة لم تصوت جميعها لعباس كما أن الانتخابات الرئاسية تمت بعزوف واضح لبقية الفصائل.

لقد أراد الجميع أن يخرجوا حماس من خندق المقاومة إلى خندق العمل السياسي تمهيداً لإسقاط خيار المقاومة فيما بعد، ولكن السحر انقلب على الساحر، وتغلبت المخاوف على الآمال لدى تيار التسوية بعد أن خاب أملهم

وأثبتت حماس قدرتها على إدارة السلطة والمقاومة في نفس الوقت، فبدأت هذه المخاوف تتحول إلى مخططات، فيمكن ملاحظة أربعة محاولات متوالية للخلاص من حماس، كانت الأولى في محاولة الاستئثار بالسلطة والأجهزة الأمنية وإمساك كل مفاصل الدولة بين أبو مازن وتهميش دور حماس، فلما فشلت هذه الخطة ولم تؤت ثمارها، بدأ الأسلحة تتكدس على السلطة من كل مكان خوفاً من نجاح تجربة إسلامية في وسط الحدث العربي، وكان من المخطط أن يقوم رجل التسوية المفضل دحلان بالقضاء في ليلة واحدة على حركة حماس من خلال الإمكانات التسليحية التي تدفقت على رجاله وتوفرت له، لكن ما أرادوه دواء تحول إلى داء، ولم يستطع رجل الفنادق أن يواجه رجال الخنادق، فكان الهروب الكبير من غزة بشكل مخزي، وكانت الفضائح المترتبة على هذا الخروج أكثر خزياً عندما تكشفت الوثائق عن دور تجسسي لبعض رجال السلطة على كثير من الأنظمة العربية وبينهم تلك المعلومات لإسرائيل وتحويل الأمن القومي للدول العربي إلى تجارة مربحة مع العدو.

عجز السلطة الفلسطينية عن تركيع المقاومة:

عند هذا الحد تبين لإسرائيل عجز عملائها وحلفائها عن كسر شوكة حماس، فكانت المحطة الثالثة من التآمر والتي تمثلت في الحصار المتقن الذي قامت به إسرائيل لتخنق القطاع آملة أن يقوم الجوع بما عجز عنه بعض رجال السلطة المتواطئين ومن غريب تلك الفترة أن السلطة كانت تحاول التهرب من أي محاولة لإصلاح ذات البين لأن هناك فيتو إسرائيلي – أمريكي على هذه المصالحة، وكانت بعض رموز السلطة عند سؤالها عن المصالحة مع حماس كانت تجيب بأنها لا تحاول مع (الانقلابيين) ومن (ولغت يده في دماء الفلسطينيين) حتى باغتت إحدى المذيعات أحد رجال السلطة وقالت له: إذاً لماذا لم توقفوا الحوار مع إسرائيل التي ولغت حتى الثمالة في دماء الشعب

الفلسطيني طوال السنين الماضية؟ (صمت الرجل صمت القبور ولم يجد أبداً جواباً).

طبعاً الآلة الإعلامية التابعة للسلطة وحتى تنطلي الحيلة قامت بفبركة بعض مشاهد التعذيب الذي كان يقوم في النظام العراقي السابق ونسبتها على أنها ممارسات حماس، كما قامت بنشر بعض الصور لمساجين في بعض الدول العربية على أنهم مساجين حركة فتح في سجون حماس، فلما انكشف الزيف وسقطت كل الوسائل وأعيتهم الحيلة، كان لابد من استخدام الورقة الأخيرة وهي الخيار العسكري المباشر ضد حماس.

هذا الخيار أسقط البقية الباقية من مصداقية رموز السلطة عندما قاموا بإمداد إسرائيل بمعلومات مغلوطة عن إسقاط حماس وتفككها مع أول الضربات الجوية كما جرى في العراق، وتم حبك المخطط من خلال التطمينات العربية (لحماس) بعدم وجود عدوان بعد أن انتهكت إسرائيل الهدنة بتوغلاتها الساخنة وإغلاقاتها (الباردة) للمعابر.

لقد كان من المؤمل أن يكون مخطط العدوان بمثابة الحيلة الأخيرة على طريقة (آخر الطب الكي) ولذلك كان تيار التسوية مطمئناً إلى نتائج مخططه لدرجة أنه أظهر الكثير من خيوط التآمر بشكل يخلو من الحنكة والحكمة باعتبار أن سفينة حماس في طريقها إلى الغرق وإلى الأبد، فلما خاب أملهم بدأ المخطط بعدما بدأ بضرب الشرطة واستهداف مقر الحكومة إلى ضرب المدنيين، والأبرياء لدفع سكان قطاع غزة إلى الثورة على حماس.

كل هذه الحيل الدنيئة – وما تخفي قلوبهم أكبر- كان مصيرها إلى جانب الفشل الخزي والعار، وقد ساعد الحصار – بشكل عكس- على صحوة الناس، فكان الموت السريع بديلاً أفضل من الموت البطيء الذي واجهه سكان القطاع.

وبعد كل هذا التآمر، لم تزل السلطة في رام الله في تناغم واضح مع العدو في احتجاز أنصار حماس في السجون، بعد أن ألقت السلطة باللوم على حماس في سبب العدوان وقمعت كل المظاهرات، ولم تحرك ساكناً في رام الله لتخفيف عبأ الضربات على سكان القطاع.

هذا الارتباك الشديد في تعامل السلطة مع معطيات الساحة الفلسطينية وانتقالها من توطؤ إلى تواطؤ جعل سجلها الأسود غير قابل للتبييض!!

لا اعتدال ولا ممانعة:

هذا الوصف الموجز لطبيعة الوضع الفلسطيني الذي تراوح بين ارتباك سلطة رام الله مع الأحداث واشتباك سلطة غزة مع العدو المشترك، لا شك أنه كان يلقي بظلاله على المشهد العربي الذي بدا أنه منقسم ما بين تيار الاعتدال ولا أعلم الاعتدال نسبة إلى أي تطرف - وتيار الممانعة – الذي لم نشاهد ممانعة حقيقية له طوال فترة قصف غزة – واختصرت ممانعته على الفعاليات الإعلامية التي لا تزيد على فعاليات بقية دول العالم التي تحترم نفسها وشعوبها وتؤمن بحرية الإنسان وحقه في تحرير وطنه ومواجهة العدوان.

كان من المفترض أن يتحول المشهد العربي إلى أداة إسناد فعالة لدعم قطاع غزة، وإذا بالأحداث تكشف حجم الاختلاف والتباين بين الفريقين، وبعد أن كان جفاء بين التيارين تحول إلى نوع من المواجهة الصامتة بين الطرفين، لم تفلح معها محاولات الصلح التي جرت في قمة الكويت الاقتصادية.

مشهد الارتباك العربي كان واضحاً من خلال ردّات فعل الأنظمة العربية التي حملت بعضها سبب العدوان إلى حماس، وحمل بعضها الآخر سبب العدوان إلى العدو الصهيوني والأنظمة المتواطئة معه.

الارتباك وأثره في ضياع دم المسلم:

هذا المشهد المرتبك تحول إلى عجز فاضح عندما فشلت الأطراف العربية

في الاجتماع في قمة عربية موحدة، فتفرق دم قطاع غزة بين قمة الدوحة واجتماع وزراء الخارجية العربي وبقية الاجتماعات العربية والدولية فالاشتباك البارد في المشهد العربي كان من نتيجته في ظل هذا التباين في المواقف المسبقة وجود اشتباك ساخن يفرض نفسه على الجميع في غزة.

ومما زاد من حالة الارتباك في المشهد العربي عوامل أخرى لا تخفى على اللبيب! فقد تحرك الشارع العربي بفاعلية واضحة، كانت تشعلها مشاهد الدماء والدمار في غزة، ومما زاد الأمور صمود حركة حماس وتحملها الضربة الأولى وقدرتها على ترتيب صفوفها والإتقان بالعدو على الرغم من قلة إمكانياتها، مما جعل الشعوب العربية تدرك مدى حجم العجز الذي يحيط بالأنظمة العربية، والذي زاد انكشافاً بعد تحول مشاريع التسوية إلى كابوس وأوهام عريضة يسوقها الطرف الإسرائيلي لكي يكسب الوقت ويستكمل بناء المستوطنات وتهويد القدس!! الأمر الذي استدعى من جهة تاريخ العدوان الإسرائيلي في مواجهة العجز الرسمي العربي، ومن جهة أخرى العجز الإسرائيلي المقابل في هزيمة الحركات الشعبية ممثلة بحزب الله عام (٢٠٠٦) وحماس عام (٢٠٠٩)، فكانت هذه المفارقة الثقيلة تسبب حالة من الإحراج السياسي لبعض الأنظمة العربية التي وجدت أنفسها بالعراء، وحاولت ستر هذه العورة بالإيعاز إلى وسائل إعلامها الرسمية التابعة لها بنهش لحم حماس ورموزها وتلفيق الافتراءات السوقية، التي زادت من شعبية حماس، لأن ما هو أسوأ من الخذلان الشقيق وتركه منفرداً بالمعركة، أن تغطي عجزك بطعنه من الخلف، في محاولة لتبرئة الذمة أمام الجماهير التي اكتشفت حجم الخدعة الكبيرة التي كانت تعيشها!!

وفي ظل هذه الجبال من التخبط، وفي ظل الحسابات السياسية المعقدة التي تحسب مساحة كل نظام عربي من الإدارة الأمريكية صاحبة سياسة العصى

الغليظة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، كان موقف اللا موقف هو الموقف الطبيعي لهذه الأنظمة بحيث جاء المخرج لها من خلال إيقاف إسرائيل العدوان من طرف واحد، بعد أن عجزت هي الأخرى على تحقيق أي انجاز ممكن أن يحفظ لها ماء وجهها، فكانت الفكرة بإيجاد تغطية أوروبية للمنطقة على عجل، خاصة وأن إسرائيل سببت الكثير من الحرج لحلفائها في المنطقة.

هذا التخبط الموجود في المشهد العربي لا شك ألقى بآثاره على السلطة الفلسطينية المرتبكة أساساً.

المشهد العربي المرتبك مرشح للاستمرار لفترة قادمة غير قليلة، وربما يزيد الاستقطاب بين دول معتدلة في حقيقتها غير معتدلة، ودول ممانعة في حقيقتها غير ممانعة.

لقد أصبح المشهد العربي ودوله كالشوكة في الخاصرة، فلا هي قادرة على القضاء على خيار المقاومة الذي يحرجها ويعريها، ولا هي قادرة على دعم المقاومة ودفع ثمن هذا الالتزام ومواجهة إسرائيل وماما أمريكا من خلفها، ولا يتبقى من خيار كالعادة إلى الأقل، بأن يأتي الفرج من الخارج، وهذه المرة في الرئيس الأمريكي الجديد أوباما وإدارته في تحريك مشاريع تسوية التي تحتضر وقد عز الطبيب كما عز على أطفال غزة ونسائها!!

لقد أثبتت حماس بعد فشل المخطط التآمري الرابع أنها رقم صعب ومحطة يصعب تجاهلها، وإن بقاء الاحتلال أمر لم يعد ممكن من السكوت عليه، ففي الوقت الذي تآكلت فيه أهداف إسرائيل العدوانية زادت ثوابت الحركة رسوخاً، وفي الوقت الذي زاد فيه المشهد العربي غموضاً، زاد المشهد الحمساوي وضوحاً، وفي الوقت الذي زادت فيه الإدارة الدولية تردداً، زادت فيه إرادة الشعوب العربية عزماً وتصميماً.

هذا المشهد العربي المتأرجح بين الارتباك والاشتباك قد ترك الباب مفتوحاً لتدخل كل القوى الإقليمية في المنطقة.

فإسرائيل لم تحترم أحداً وهي توجه نيرانها الوحشية إلى المدنيين، والعزل لثقتها المطلقة بحالة التشرذم والعجز العربي من جهة، ولوجود أطراف متواطئة ترغب في اختفاء حماس من الساحة من جهة أخرى، وحتى عندما قررت إيقاف العدوان من طرف واحد فإنها تركت للآخرين مهمة التخريج السياسي لوقف إطلاق النار، ولم تبالي بكل الإحراجات السياسية التي سببتها لحلفائها.

أما الطرف الإيراني الذي يملك أجندة خاصة به وله مصالح يديرها في المنطقة فقد وجد في الساحة الفلسطينية فرصة جاءته على طبق من ذهب ليخلط الأوراق، فهي من جهة تقدم التسهيلات للولايات المتحدة لإسقاط طالبان وصدام ومن جهة أخرى تستخدم أوراقها في العراق وجنوب لبنان وفلسطين لشغل الولايات المتحدة عن برنامجها النووي، وقد استطاعت إيران أيضاً التغلغل في القضايا العربية الرئيسية لأن النظام العربي فقد روح المبادرة وأعلن العجز التام عن إدارة هذا الملف، وتركه تحت رحمة الله وكرم الإدارة الأمريكية في رعاية التسوية التي دخلت في نوبة غيبوبة طويلة...

بل إن هذا العجز جعل حتى تركيا التي كانت سابقاً تحجم عن التدخل في المنطقة، ومشغولة بهموم انضمامها للاتحاد الأوروبي، تتدخل في المنطقة بعد أن وجدت فراغاً سياسياً كبيراً....

كل هذه الأوضاع في المنطقة تجعلنا نلفت النظر إلى الحسبة الإنسانية في المعادلة السياسية للاحتلال الإسرائيلي، فخلال الثلاثين سنة الأولى من الصراع كان هناك تضامن عربي وكان هناك انتصار مثلما كان هناك انكسار، ولكن ومنذ توقيع اتفاقيات كامب ديفيد التي افتتحت الثلاثين السنة الثانية لم

يكن هناك إلا العجز والانكسار، والعجب أن إسرائيل خلال هذه الفترة ارتكبت أسوء مجازرها ضد الفلسطينيين، وعربدت في المنطقة دون أدنى اعتبار لشركائها في السلام!!

كان من الإنصاف أن نقول: إن صواريخ حماس في علم المنطق تعتبر (نتيجة) وفي عالم التخاذل تعتبر (سبباً).

كان من الإنصاف عندما نصف حكومة حماس بالحكومة (المقالة) أن نصف أبو مازن بالرئيس (المنتهية ولايته).

كان من الإنصاف من البعض وهو يستدعي نخوة (المعتصم) أن يكون أكثر نخوة من (التركي) أردوغان و(الفنزولي) شافيز.

كان من الإنصاف ونحن نواري أطفال فلسطين الثرى أن نحثو بعضا من التراب في وجوه الذي أجبروا وسائل إعلامهم لجلد الضحية، وأجبروا دبلوماسيتهم لحفظ ماء وجه الجلاد.

كان من الإنصاف بدلاً من محاولة إسقاط حماس البائسة واليائسة والصعبة، أن نحاول إسقاط جدران المعابر التي خنقت الموحدين المحاصرين في أرض الرباط. ولكن تلك مصطلحات أخرى غير موجودة لا في معاجم دول الممانعة، ولا معاجم دول الاعتدال ولا حتى الاحتلال!!

هذا جزءٌ من الأخبار الصادرة هذه الأيام التي تعطي مؤشراً عن أنه هناك تحريك في العلاقة بين الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين والعالم العربي يجب أن يُستعاد من قِبل صناع القرار وأهل الفكر والرأي على مستوى الأمة حتى يمكن التعامل مع الأطروحات التي قد يتمناها المجتمع الدولي بترتيب من اللوبي اليهودي.

فها هي كونا كما نقلت صحيفة عالم اليوم عدد (٢٣/ ١/ ٢٠٠٩) تنقل عن رئيس وزراء الكيان الصهيوني (إيهود أولمرت) أنه على استعداد لقبول مبادرة

السلام السعودية فيما ذكرت صحيفة (معاريف) العبرية يقول:

إنني أعلن على الملأ وأوجه كلامي إلى الملك السعودي أنني على استعداد لقبول الخطة العربية التي أُقرت في بيروت كإطار لمفاوضات تقود إلى تسوية على أساس قراري مجلس الأمن (٢٤٢، ٣٣٨) ثم وجه بعد ذلك نقده الشديد لوزير جيشه (باراك).

ومن جهة أخرى يطالب وزير الدولة البريطاني لشئون أفريقيا (مارك ملوخ براون) بفتح تحقيق حول احتمال استعمال الجيش الصهيوني الفسفور الأبيض خلال (عدوانه على قطاع غزة كما كانت منظمة العفو الدولية وجهت اتهام للكيان الصهيوني بارتكاب (جرائم حرب).

وفي المقابل أعلنت الإذاعة الإسرائيلية أن عدة وزراء بينهم وزيرة الخارجية (ليفني) ورئيس جهاز الأمن الداخلي (دي سكيب) أنهم على استعداد أن يوافقوا على الإفراج عن غالبية المعتقلين التي تطالب حركة حماس بإطلاق سراحهم في مقابل إطلاق سراح الجندي اليهودي الأسير (جلعاد شاليط).

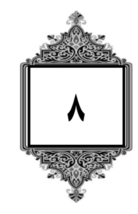
حتى لا يتكرر مشهد الإرباك والاشتباك:

المتتبع للمراحل التي تمت منذ الخطاب اليهودي للسلطان عبد الحميد إلى صبرا وشاتيلا، إلى الاجتياح اللبناني الأول ومحاولة الاجتياح اللبناني الثاني (٢٠٠٦) يرى بوضوح كيف يستثمر اليهود المعارك التي يحددون وقتها وزمنها ليحصدوا بعد ذلك نتائجها، واليوم وبعد هذه الفاجعة الإنسانية التي ذهب ضحيتها أكثر من (١٠) آلاف ما بين شهيد وجريح أكثرهم من الأطفال والنساء مع تدمير البنية التحتية لبلد يسكن فيها أكثر من مليون ونصف إنسان حُكم عليهم بالتشرد منذ الحرب العالمية الأولى.

بعد هذا كله ستأتي المبادرات من اليهود والتي سيستثمرون فيها نتائج التدمير للهجوم الوحشي.

ولهذا نرى أنه من المناسب جدًّا أن تعقد مجالس للحوار وأن تبدأ مراكز الدراسات في الإعداد لمواجهة الأطروحات التي سيتقدم بها اليهود حتى لا يتكرر مشهد الإرباك والاشتباك بين الحكام والشعوب وبين الدول العربية.

حتى يكون الخطاب متقاربا وموحدا في القضايا الأساسية فوحدة الكلمة ووحدة الموقف من أهم أسباب نجاح أي مرحلة في مراحل الصراع مع اليهود، فها هي إسرائيل بعد أن خابت مساعيها وتكسرت أحلامها وانتهت أهداف حربها البربرية إلى ما ذكرناه سابقا بعنوان النجاحات العشر!



سبيكة ذهبية وحكمة أبوية صاغتها ذهنية أبية

رسالة مُشفق لمرشح مُسرع:

حرية التعبير عن الرأي حدودها وضوابطها:

اعترف ديننا الإسلامي الحنيف بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وجاءت نصوصه مقررة لذلك ومؤكدة عليه، وبينت تلك النصوص أن ليس لأحد أن يسلب أحداً تلك الحقوق، ولا يجرده منها، فهي حقوق كاملة له غير منقوصة، ووضعت الشريعة ضمانات لتلك الحقوق كي لا تمس ولا ينال منها نائل.

وحين كان العالم يعيش في دياجير الجهل والظلام، وكان مبدأ القوة هو الذي يحكم علاقات الناس بعضهم ببعض جاء محمد- عليه الصلاة والسلام- وأرسى قواعد الحرية والحقوق، ونظم أمور الإنسان في علاقته بالآخرين من بني جنسه، ووضع المبادئ الأساسية للحريات والتي لم تبلغها أية شريعة من الشرائع السماوية أو أي تشريع وضعي في العالم.

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١).

وقال -تعالى- أيضاً: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾(٢).

وقال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص عندما تسابق ابنه مع أحد المصريين القبط، فسبقه المصري، فضربه ابن عمرو بن العاص.

فاشتكى القبطي لأمير المؤمنين عمر، فاستدعى عمر عمرًا وابنه، وأمر هذا الغلام أن يضرب ابن عمرو بن العاص أمام أبيه، وقال له: اضرب ابن الأكرمين. ثم قال لعمرو كلمة ذهبت مثلاً وأصبحت قانوناً يعمل به ويحتذي

(١) البقرة: ٢٥٦.
(٢) الكهف: ٢٩.

به كل طالب حرية ومريد انعتاق من ربقة الاستبداد : (متى استعبدتم النـاس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا) [١].

وكانت هذه المبادئ (مبـادئ الحريـة) غايـة في الدقـة والأحكـام، وتحقـق السعادة والمساواة والعدالة للجميع وتسهم في بناء المجتمع الحر الـذي يعـيش فيه الفرد، فله ما للآخرين وعليه ما عليهم.

وإن الحرية في الإسلام هي الأصل، وإنـه لا يجـوز تقييـدها إلا للـضـرورة وبقدر هذه الضرورة، ولمصلحة المجتمع -أي المصلحة العامـة- فـإذا تعـدت تلك الحدود تكون اعتداء على حرية الآخرين[٢].

وقد احتلت مسألة حقوق الإنسان ككل وحريته بكافة أنواعها مكانة بارزة في دساتير الدول والشعوب، ووضـعت القـوانين، وقننـت القـرارات لحفـظ حرية الإنسان فيها، وقد يتراجـع ترتيـب الدولـة في سـلم الـدول المتحـضـرة والمتقدمة إذا كان فيها هضم لحقوق الإنسان أو بخس لها.

وحقوق الإنسان تعني: الحقوق الطبيعية التي يحق لكل إنـسان أن يطالـب بها ويصارع مـن أجلهـا كحـق الحيـاة والمـساواة والحريـة بأنواعهـا المختلفـة والحقوق السياسية والمدنية إلى آخر ما هنالك من حقوق.

بيد أن لممارسة هذه الحقوق ضوابط وقيودا تكفل لممارسها ألا يخل ولا يضر بالآخرين ومن ذلك:

حماية أصول الحياة الاجتماعيـة وأخـلاق المجتمـع وآدابـه العامـة وحفـظ الكيان الاجتماعي والنسيج السياسي للشعوب فلا يسمح بممارسة الحريات إذا كانت تتعارض مع السياسة العامة والثابتة لأي دولة.

فالمـشاركة الـشعبية أمـر تطالـب بهـا الـشعوب وينـادى بهـا عـلى الـدول

(١) الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل لعلي بن نايف الشحود (١/ ١٥٥).
(٢) حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في القانون الدولي والشريعة الإسلامية للدكتور جابر الراوي.

والجمهوريات، وتميل إليها النفوس وتألفها القلوب؛ لأنها تدعو الجميع لبناء الدولة وحفظها والسعي في إقامتها على الأسس السليمة والقويمة التي يكفل لها بقاءها.

لكن شريطة ألا تكون المشاركة سبباً من أسباب فساد الأمور وتخلف أجهزة الدولة، وعبث العابثين بأمنها واستقرارها بدعوى الحرية.

لقد أوضح النبي - عليه الصلاة والسلام - أن للناس حريتهم الكاملة في كل ما يأتون ويذرون، لكنها ليست حرية مطلقة يفعل من ورائها من شاء ما شاء، بل هي حرية مقيدة ومؤطّرة بأطر وثيقة وسليمة، فلا يقال لمن أراد أن ينشر الرذيلة في المجتمعات الإسلامية: حياك الله وبياك لك ذلك وأنت حر، أو لمن أرادات أن تخرج سافرة متبرجة عليها من الزينة ألف لون ولون: أنت تمارسين أبسط حقوقك المدنية، وسفورك وتبرجك جزء من تلك الحقوق.

لا.. أبداً.. إن النبي ﷺ رفض مفهوماً للحرية كهذا، وبين أن الحرية إذا تعدى ضررها إلى الغير كانت جوراً وتعدياً وظلماً قال عليه الصلاة والسلام:

«مَثَلُ الْقَائِمِ على حُدُودِ الله وَالْوَاقِعِ فيها كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا على سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ في أَسْفَلِهَا إذا اسْتَقَوْا من الْمَاءِ مَرُّوا على من فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لو أَنَّا خَرَقْنَا في نَصِيبِنَا خَرْقًا ولم نُؤْذِ من فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وما أَرَادُوا هَلَكُوا جميعا، وَإِنْ أَخَذُوا على أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جميعا»[1].

وأي كلام غير هذا يطالب بالخروج على قواعد الشرع وأحكامه وربقة العادات والتقاليد الحسنة المتأصلة والمتجذرة في القلوب ونفوس الناس ليس إلا بغياً، وإن كان باسم التقدم والتطور ومواكبة العصر المتسارع عصر السرعة.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

ناشدتكم يا أخلائي ضمائركم   هل التقدم ترك الدين معناه

ولسنا إزاء هذا ندعو إلى كبت الحريات وكبح جماحها وتأخير الناس عن نيلها والحصول عليها، فذلك استبداد واضطهاد، وهو أمر يرفضه الإسلام أيضاً، بل ندعو إلى أن تكون قراءتنا للحرية قراءة سليمة، وتطبيقنا لها تطبيقاً حكيماً.

الحرية والديمقراطية في الكويت :

حكاية الحرية وحرية إبداء الرأي في الكويت حكاية وأية حكاية، فصولها طويلة، وحلقاتها متصلة لا تنقطع، فلا نكاد نفرغ من فاصل حتى نلج في آخر، ولا يكاد ينعقد فصل تشريعي حتى تقوم الدنيا ولا تقعد على وقع سجالات نيابية، مما يدخل البلد في دوامة لا توقف لها، ويرمي بها في أتون خلافات لا تهدأ، ويفسح الطريق أمام الفساد الإداري والمالي والاجتماعي للبلد، ثم نجد أنفسنا بعد عدة سنوات من هذه الحال قد تأخرنا عن ركب الأمم المتطورة من حولنا .

أهكذا يستفاد من الحرية !!! (ما هكذا يا سعد تورد الإبل) .

إذا كانت حرية إبداء الرأي وطرح الفكرة تعني تأخير البلد والقعود به فبعداً له وتعساً .

إننا في هذا البلد الطيب أهله، لمحسودون على ما ننعم به من حرية في كل شيء .. في صحافتنا .. في إبداء رأينا .. في نقدنا .. في صراحتنا ..في..في.. فلنحسن استغلال هذه النعمة على حين حرم منها غيرنا، ولنستثمرها خير استثمار، ولنوظفها في خدمة البلد ورعايته وجلاء صورته وصورة أهله الحسنة الطيبة، والعاقل دوماً من أحسن استثمار الظروف، وأحكم التعامل مع المقدرات والمتاحات التي بين يديه حتى تنتج له نجاحاً وفلاحاً :

إذا هبّت رياحك فاغتنمها   فعقبى كلّ خافقةٍ سكون
ولا تقعد عن الإحسان فيها   فلا تدري السكون متى يكون

ولقد وضع أمير البلاد حفظه الله يده على الجرح، ودلل على مكمن الداء من جسد الأمة حين قال في خطابه السامي إلى الشعب الكويتي يوم (١٩/ ٣/ ٢٠٠٩):

(إننا في هذا البلد ننعم بنهر كريم من العطاء المتدفق من الحرية والديمقراطية والألفة، وقد حبانا الله من نعمه وإفضاله الشيء الكثير، وهي نعم تستوجب الحمد والشكر، ويحسدنا الكثيرون عليها، ولن نسمح لكائن من كان أن يدنس هذا النهر ويلوثه، وما أحرانا كلنا أبناء الكويت بأن نحكم دائرة السياج لحماية هذه النعم العظيمة، وأن تلتقي قلوبنا وتلتف سواعدنا لنكون جميعاً درعاً حصيناً لوطننا ومكتسباتنا وثوابتنا الوطنية، فكويتنا الغالية تستحق ذلك وأكثر. إن بعضاً منا قد غرتهم نعم الله فاعتادوها، وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وتناسوا أمن سفينة الوطن الغالي التي هي حصن الجميع، وراحوا يتبارون في مماحكات وممارسات محمومة- أياً كانت مقاصدهم- تهدد سلامة الوطن واستقراره ووحدة أبنائه، ويعرضون شعباً بأكمله للخطر الذي ليس وراءه خطر).

فهذه سبيكة ذهبية من كلام سمو الأمير، أقترح أن توضع في أدبيات المذكرة التفسيرية للدستور، وحري أن تدرج في مقررات الصف الرابع الثانوي ليتربى عليها أبناء الكويت، وإننا بمثل هذه الكلمات الحكيمة والنظرة الثاقبة للأمور والتحليل العميق للقضايا المستشكلة من سمو الأمير حفظه الله ورعاه سنتجاوز – وبتوفيق من الله تعالى – كل ما يعترض طريق الأمة من عثرات، وهي كذلك الكويت الغالية وأهلها يتسامون فوق كل خلاف، وينأون عن كل ما يكون داعياً لتفرقهم وتشتتهم.

أزمة الحريات في البلاد العربية والإسلامية:

لعل الحرية هي اللبنة الأساسية في بناء الحقوق الإنسانية وليس من باب

المزايدة إذا قلنا: إن الحريات في عالمنا العربي والإسلامي تعيش أزمة حادة خانقة إن لم نقل :إنها تحتضر وفي مرحلة النزع الأخير؛ جرّاء الممارسات الخاطئة من الجانبين جانب الحكومات وجانب الشعوب، وليس هذا بمطرد في جميع الشعوب العربية والإسلامية، بل هو مقصور على بعض الحكومات الاستبدادية والديكتاتورية، وقد حرص الإسلام وحده كحرصه على الحرية ولذلك حد حدوداً للحاكم والمحكوم وبين صلاحيات ممارسة الحاكم للسُّلطة وصلاحيات ممارسة المحكوم لحرياته، فمنع الثورات والخروج على السلطة إلا في حالة نادرة هي حالة الكفر البواح وما عدا ذلك فإنه يعالج بوسائل سليمة وطرق حكيمة.

وبعودة سريعة إلى حالة الحريات في البلاد العربية نجد أنه على الرغم من أن دساتيرها نصت على الحريات والحقوق العامة إلا أنها في ساحة التنفيذ لم تترجم شيئاً من ذلك الدستور، فالرقابة الصارمة من أجهزة الأمن على حركات الأفراد وتعبيرهم عما يجول في خاطرهم، إلى غير ذلك من الممارسات الخاطئة كانت كفيلة بتفريغ بنود الحرية في الدستور من مضمونها وروحها ولا غرو بعد ذلك أن تخرج القوى العظمى منادية ومطالبة بضرورة التغيير في تلك البلاد المستبدة ونشر الديمقراطيات في الشرق الأوسط والعالم العربي والإسلامي إن بالاختيار أو بالإكراه.

حرية المرأة:

وهل للمرأة حرية ؟! وهل هي حرة كالرجل ومساحتها في الحرية كهو؟ نعم هي كذلك في طلب حقوقها وممارسة صلاحيتها، جاءت فتاة إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته. قال فجعل الأمر إليها. فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء[1].

(١) أخرجه النسائي (٣٢٦٩)، وابن ماجه (١٨٧٤)واللفظ له وأحمد (٦/ ١٣٦)، وصححه شعيب الأرناؤوط.

ولها أكثر من ذلك طالما أن لديها من المؤهلات العقلية والعلمية والعملية ما يشفع لها في ذلك، ولقد كان في صدر الإسلام من النساء من كن يروين الحديث فهذه عائشة أم المؤمنين لم تكد تبلغ التاسعة عشرة من عمرها، حتى ملأت أرجاء الأرض علمًا، ففي رواية الحديث كانت نسيجًا وحدها، ولم يكن من أصحاب النبي ﷺ من كان أروى منها، وقد روى لها عشرة ومائة وألف حديث، أخرجها كلها بقي بن مخلد الأندلسي في مسنده المصنف بالأسانيد المتصلة إليها.

قال أبو موسى الأشعري: (ما أشكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه خبر، وهي من المفتيات) .

قال ابن حزم: يمكن أن يجمع من فتياها سفر ضخم، وكانت من المفسرات أيضا قال عروة: ما رأيت أحدًا أعلم بالقرآن من عائشة.

وكانت من أنفذ الناس رأيا في أصول الدين ودقائق الكتاب المبين، وكانت من العارفات بالطب والسياسة والرواية والتاريخ والأنساب، كما كانت- رضي الله عنها- تجيد القراءة.

ومن العالمات المجتهدات والمفتيات: أم سلمة، وحفصة، وأم حبيبة، وجويرية، وميمونة، أمهات المؤمنين، وفاطمة بنت النبي ﷺ، وزينب بنت أبي سلمة ربيبة رسول الله ﷺ، قال أبو رافع: إنها أفقه امرأة في المدينة، وليلى بنت قائف، وأسماء بنت أبي بكر، وأم شريك بنت ثويب، وأم الدرداء الكبرى، وعاتكة بنت يزيد، وسهلة بنت سهيل، وفاطمة بنت قيس، وأم سليم، وأم أيمن.

وقد عقد محمد بن سعد جزءًا من كتاب الطبقات الكبرى لروايات الحديث عن النساء أتى فيه على نيف وسبعمائة امرأة روين عن رسول الله ﷺ أو عن الثقات من أصحابه وروى عنهن أعلام الدين، وأئمة المسلمين[(١)].

---

(١) المفصل في فقه الدعوة إلى الله تعالى (٨/ ٦١).

وكان منهن المستشارات ففي صلح الحديبية لما قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**» . قال: فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات. فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت: أم سلمة يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غما[1] .

لكن تبقى حرية المرأة محددة بحدود معينة ومقيدة بجوانب أقل مما يتاح للرجل وذلك باعتبار إمكاناتها الجسدية الطبيعية، وبما لا يتعارض مع وظيفتها في هذه الحياة ورسالتها السامية في بناء أسرتها.

ضرورة التفريق بين الحرية الإسلامية والغربية :

التعبير عن الرأي إذاً أمر كفله الشرع وبدلته الدساتير الوضعية فكان أن اختلط الحابل بالنابل وذلك حين يساء التعامل مع هذا النظام البشري.

لكن ينبغي علينا أن نعي تماماً الفرق بين التصور الإسلامي للحرية وحقوق الإنسان وبين التجربة الغربية للحرية فتلك تجربة لها زمانها ومكانها وطباع أهلها الخاصة بها، ولتلك الحريات أرض خصبة تتقبلها من نفوس وعقول وبيئات وعادات وتقاليد بل وحتى ديانات محرفة مبدلة.

وعندما ننقل هذه التجربة البشرية من غير اعتبار لأصولنا ولقواعدنا الدينية والعربية نقع في خطأ وازدواجية، وهي هي الولايات المتحدة الأمريكية أرادات نشر الديمقراطية في شعوب الشرق الأوسط وفي العالم الإسلامي، وظنت أنها ستنجح في ذلك بين عشية وضحاها، وأن شعوب الشرق الأوسط والشعوب العربية ستتقبلها بسرعة وتتشربها في استعجال

(١) أخرجه البخاري (٢٧٣١).

كالمتعطش للري فخاب أملها ولم تنطبق حسابات الحقل على حسابات البيدر[(١)] كما يقال.

رسالة مشفق لمرشح مُسرع:

أخرج الترمذي من حديث كعب بن مالك الأنصاري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**»[(٢)]، هذا مثل عظيم جداً ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والرياسة والرفعة والتعالي في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس دون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم قد غاب عنها رعاؤها ليلاً، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها.

وهنا لا ينجو من الغنم إلا قليل، فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال والكبر والجاه إفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم. يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل.

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا.

والحرص على التعالي والجاه والرياسة على قسمين: أحدهما طلب الشرف بالولاية والسلطان والمال، وهذا خطر جداً، وهو في الغالب يمنع خير الآخر وشرفها وكرامتها وعزها، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(٣)].

وقَلَّ من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيوفق، بل يوكل إلى نفسه كما قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة ﷺ: «**يا عبد الرحمن ! لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة**

(١) **البيدر**: المكان الذي يوضع فيه المحصول من قمح وغيره للبيع.
(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٧٦) وقال: (حسن صحيح)، وصححه الألباني.
(٣) القصص: ٨٣.

أُعنت عليها»[١].

قال بعض السلف: ما حرص أحد على ولاية فعدل فيها.

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة، وبئست الفاطمة**»[٢]، وقد علق الإمام النووي وابن حجر على ذلك، فقال النووي: (هذا أصل عظيم في اجتناب الولاية ولا سيما لمن كان فيه ضعف، وهو في حق من دخل فيها بغير أهلية ولم يعدل فإنه يندم على ما فرط منه إذا جوزي بالخزي يوم القيامة، وأما من كان أهلاً وعدل فيها فأجره عظيم كما تظاهرت به الأخبار ولكن في الدخول فيها خطر عظيم، ولذلك امتنع الأكابر منها، قوله: «**فنعم المرضعة وبئست الفاطمة**» نعم المرضعة أي في الدنيا، وبئست الفاطمة يعني بعد الموت، لأنه يصير إلى المحاسبة على ذلك، فهو كالذي يفطم قبل أن يستغني فيكون في ذلك هلاكه، وقيل: نعم المرضعة لما فيها من حصول الجاه والمال ونفاذ الكلمة وتحصيل اللذات الحسية والوهمية حال حصولها، وبئست الفاطمة عند الانفصال عنها بموت أو غيره وما يترتب عليها من التبعات في الآخرة)[٣].

ولذلك قال ﷺ كما في حديث أبي موسى الأشعري ﵁: أن رجلين قالا للنبي ﷺ: يا رسول الله! أَمِّرنا. قال: «**إنا لا نولي أمرنا هذا من سأله ولا من حرص عليه**»[٤].

القسم الثاني من الحرص على رياسة الدنيا: طلب العلو على الناس بالأمور الدينية كالعلم والعمل والزهد، فهذا أفحش من الأول وأقبح وأشد فساداً

(١) أخرجه البخاري (٧١٤٦)، ومسلم (١٦٥٢).
(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٨).
(٣) الفتح (١٢/ ١٢٥)، وشرح مسلم (٣/ ١٤٥٦).
(٤) أخرجه البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

وخطراً فإن العلم والعمل والزهد إنما يطلب به ما عند الله من الدرجات العلا والنعيم المقيم والقرب منه والزلفى لديه.

قال الثوري: إنما فُضِّلَ العلمُ لأنه يُتَّقى به الله، وإلا كان كسائر الأشياء.

وفي هذا جاء الحديث عن النبي ﷺ: «**من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً في الدنيا لا يجد عرف الجنة يوم القيامة**»[١].

يعني: ريحها.

مكانة النائب والعالم في المجتمع بينهما وجه شبه**!!** فانظروا مكانكم معاشر المرشحين:

كان النخعي يُسْأل فتظهر عليه الكراهة ويقول: ما وجدت أحداً تسأله غيري؟

وروي عن ابن عمر ﵁ أنه قال: إنكم لتستفتوننا استفتاء قوم كأنا لا نسأل عما نفتيكم به.

وعن مالك ﵁ أنه كان إذا سئل عن المسألة كأنه واقف بين الجنة النار.

وقال بعض العلماء لبعض المفتين: إذا سُئلت عن مسألة فلا يكن همك تخليص السائل ولكن تخليص نفسك أولاً.

حقيقة لابد من معرفتها:

أصل محبة المال والرياسة حب الدنيا وأصل حب الدنيا اتباع الهوى.

قال وهب بن منبه: من اتباع الهوى الرغبة في الدنيا، ومن الرغبة فيها حب المال والرياسة، ومن حب المال والرياسة استحلال المحارم، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وصححه الألباني.
(٢) النازعات: ٣٧-٤١.

ومن المعلوم أن النفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها، ومن هنا نـشأ الكبر والحسد، ولكن العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذي فيـه رضـوان الله وقربه وجواره ويرغب عن العلو الفاني والزائـل الـذي يعقبـه غـضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفله وبعده عن الله وطرده عنـه، فهـذا هـو العلـو الثاني الذي يذم وهو العتو والتكبر في الأرض بغير الحق.



نداءات إيمانية لأصحاب المشاريع الإسلامية السياسية

المشاريع الإسلامية متنوعة منها الاجتماعية والسياسية والتعليمية، ومنها المشاريع الإقليمية وأخرى منها أُممية دولية، ولكل واحد من هذه المشاريع آلياته وطرائقه ووسائله وأهدافه، ولكل مشروع منها مفردات آنية لها زمن محدد ومفردات استراتيجية طويلة، فالمشروع الإسلامي الكبير واسع؛ إطاره التوحيد والعبودية لله -سبحانه، وأجزاؤه ما جاء بالكتاب والسنة، وبهذا الاعتبار كنا نقول -دائماً- ما يقوله المثقفون: (لا يُغني كتاب عن كتاب)، وكذلك لا يُغني مشروع عن مشروع، ولا يستغنى بحركة أو جماعة عن جماعة، ونحن عندما نُقرر هذه القاعدة نريد أن نؤكد على أهم لوازمها وهو أهمية انتفاء الصراع والخلاف بين أبناء الحركة الإسلامية مع احتفاظ كل جماعة بمشروعها ورؤيتها للإصلاح الوطني والإقليمي، كما أنه يكون من المناسب وضع حد للتنابز والانتقاص فيما بين أصحاب كل مشروع، فعلى سبيل المثال يحترم السياسي الإسلامي ما يتحرك به أصحاب التخصصات العلمية، كما أن هؤلاء يحترمون من يسعى لعملية الإصلاح الأخلاقي العام، ومن يرى أهمية البناء التربوي الداخلي للحركات الإسلامية لا يُنكر على من يهتم بالشأن السياسي.. إلى غير ذلك

واليوم ونحن من دائرة المعركة السياسية من الواجب علينا أن نوجه بعض النداءات لأصحاب المشروع الإسلامي الكبير:

النداء الأول:

اجعلوا مقاصدكم واضحة للناس وأثبتوا أنها بريئة نزيهة، قد تسامت في نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية، واحتقرت المنافع المادية، وخلفت

وراءها الأهواء والأغراض، ومضت قدماً في الطريق التي رسمها الحق – تبارك وتعالى – للداعين إليه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (١).

النداء الثاني:

أعلموا الناس أنهم أحب إليكم من أنفسكم، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء، وأن تزهق ثمناً لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الغناء، وأنه عزيزٌ أن تستسلموا للذل والهوان أو اليأس في سبيل الله.

النداء الثالث:

قولوا بصوت واحد لأبناء وطننا: لسنا نمتن بشيء ولا نرى لأنفسنا في ذلك فضلاً، وإنما نعتقد قول الله – تبارك وتعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(٢)، ولكن نتمنى أن تتفتح هذه القلوب على مرأى ومسمع من أمتنا، فينظر الناس هل يرون فينا إلا حب الخير لهم والتفاني في صالحهم؟ وهل يجدون إلا ألماً مضنياً من هذه الحال التي وصلنا إليها؟ وإن لم تتحقق هذه الأُمنية فحسبكم أن الله يعلمه، وهو وحده الكفيل بالتأييد الموفق للتسديد، بيده أزمَّة القلوب ومفاتيحها. من يهدِ الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له، وهو حسبنا ونعم الوكيل. أليس الله بكافٍ عبده؟!

النداء الرابع:

إن الناس من حولكم يختلفون في علاقتهم معكم فمنهم:

١ – شخص آمن بمشروعكم و أقوالكم وأعجب بمبادئكم، ورأى خيراً اطمأنت إليه نفسه وسكن له فؤاده، فهذا ادعوه أن يبادر بالانضمام إلى مشروعكم والعمل معكم حتى يكثر به عدد العاملين، ويعلو بصوته صوتُ

(١) يوسف: ١٠٨.
(٢) الحجرات: ١٧.

الداعين، ولا معنى لإيمان لا يتبعه عمل، ولا فائدة في عقيدة لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها والتضحية في سبيلها، وكذلك كان السابقون الأولون ممن شرح الله صدورهم لهدايته فاتبعوا أنبياءه، وآمنوا برسالاته، وجاهدوا فيه حق جهاده، ولهؤلاء من الله أجزل الأجر، وسيكون لهم مثل ثواب من اتبعوهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً.

٢- شخص لم يستبن له وجه الحق في مشروعكم وبرنامجكم، ولم يتعرف في قولكم معنى الإخلاص والفائدة، فهو متوقف متردد فهذا توصونه بأن يتصل بكم عن كثب، ويقرأ عنكم من بعيد أو من قريب، ويطالع كتاباتكم، ويزور ديوانياتكم، ويتعرف إلى مجاميعكم في كل ميدان وحينذاك سيطمئن لكم- إن شاء الله.

٣- شخص ساء فيكم ظنه، وأحاطت بكم شكوكه وريبه، فهو لا يراكم إلا بالمنظار الأسود القاتم، ولا يتحدث عنكم إلا بلسان المتحرج المتشكك، ويأبى إلا أن يسدر في شكوكه، ويظل مع أوهامه، فهذا تدعون الله له ولكم أن يريكم الحق حقاً ويرزقكم اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقكم اجتنابه، وأن يُلهمكم وإياه الرشد، وتدعون الله له وهو -سبحانه- أهل الرجاء، وعليكم أن تستمروا في حب الخير الذي في داخله وترجون فيئه واقتناعه بمشروعكم، ويكون شعاركم معه: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**»[1].

ومن مقتضى هذا الشعار ما يكون من سعة العلم وضيقه، وإن هذا بلغه ما لم يبلغ ذاك والآخر شأنه كذلك. وقد قال مالك لأبي جعفر: إن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في الأمصار وعند كل قوم علم، فإذا حملتهم على رأي واحد تكون فتنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (٣٢٩٠).

النداء الخامس:

كونوا كالجيل الأول من الدعاة؛ الذين سهرت عيونهم والناس نيام، وشغلت نفوسهم والخليون هُجَّع، وأكب أحدهم على مكتبه من العصر إلى منتصف الليل عاملاً مجتهداً ومفكراً مجداً، ولا يزال كذلك طول شهره، حتى إذا ما انتهى الشهر جعل مورده ونفقته نفقة لدعوته، وماله خادماً لغايته، ولسان حاله يقول: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ (١).

النداء السادس:

أعلموا الناس من أين لكم المال؟ فإن المحبين من حولكم والذين يرمقونكم على بعد ويرقبونكم عن كثب يقولون عنكم: من أين ينفقون؟ وأنى لهم المال اللازم لنجاح مشروعهم الإسلامي الكبير والوقت عصيب والنفوس شحيحة؟

أعلموهم بأن الدعوات عمادها الإيمان قبل المال، والعقيدة قبل الأعراض الزائلة، وإذا وجد الإيمان الصحيح وجدت معه وسائل النجاح جميعاً، وإن في مالكم القليل الذي تقتطعونه من نفقاتكم وتقتصدونه من ضرورياتكم ومطالب بيوتكم وأولادكم، وتجودون به، طيبةً نفوسكم سخية به قلوبكم، يود أحدكم لو كان له أضعاف أضعافه فينفقه في سبيل الله؛ فإذا لم يجدوا شيئاً تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون. في هذا المال القليل والإيمان الكبير- ولله الحمد والعزة- بلاغ لقوم عابدين ونجاح للعاملين الصادقين، وإن الله الذي بيده كل شيء ليبارك في الدينار الواحد ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢)، ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ (٣).

---

(١) هود: ٢٩.
(٢) البقرة: ٢٧٦.
(٣) الروم: ٣٩.

النداء السابع:

أعلموا المحبين لكم بأن ما يقال أنكم قوم سياسيون، ودعوتكم دعوة سياسية، ولكم من وراء ذلك مآرب أخرى، وقولوا لهم :

يا قومنا: إننا نناديكم والقرآن في يميننا، والسنة في شمالنا، وعمل السلف الصالح من أبناء هذه الأمة قدوتنا، وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام وهدى الإسلام؛ فإن كان هذا من السياسة فهذه سياستنا ونحن أعرق الناس- والحمد لله- في السياسة، ولا تضر الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات.

يا قومنا: لا تحجبكم الألفاظ عن الحقائق، ولا الأسماء عن الغايات، ولا الأعراض عن الجواهر، وإن للإسلام سياسة في طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة.

النداء الثامن:

اجعلوا رباط الأخوة أصلاً في علاقاتكم مع بعضكم البعض ومع غيركم، ونريد بذلك أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأعلاها، والأخوة أخوة الإيمان، والتفرق: أخو الكفر.

وأول القوة قوة الوحدة، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر، وأعلاه مرتبة الإيثار ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[(١)]، والمسلم إن لم يكن بإخوانه فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره «**وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»[(٢)]، «**والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»[(٣)]. ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[(٤)]، واجعلوا

(١) التغابن : ١٦ .

(٢) أخرجه أبو داود (٥٤٧)، والنسائي (٢/ ٨٢ ، ٨٣)، وأحمد (٥/ ١٩٦، ٦/ ٤٤٦) وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) عن أبي موسى الأشعري.

(٤) التوبة : ٧١ .

شعاركم: (إيمان وعمل، ومحبة وإخاء).

نعم ماذا فعل رسول الله ﷺ، أكثر من أنه دعاهم إلى الإيمان والعمل، ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة الوحدة).

النداء التاسع:

اعلموا أن هناك ركائز مهمة في تحرككم السياسي:

١) إيمان عميق.

٢) ومؤمنون عاملون.

٣) يكتنفهم الحزم والثقة، وبعد هذا ستجدون معكم عناصر من المؤمنين تقومون بتأهيلها وإعطائها دورها الهام في العمل الإسلامي؛ ليكون بعد ذلك تحركهم معكم لتحقيق المشروع الإسلامي الكبير من خلال الوسائل الشرعية المعروفة والتي نذكر منها:

الإقناع ونشر الدعوة بكل وسائل النشر حتى يفقهها الرأي العام ويناصرها عن عقيدة وإيمان.

استخلاص الشباب الخير ليكونوا الدعائم الثابتة لفكرة الإصلاح والمشروع الإسلامي.

استخدام الأدوات الدستورية حتى يرتفع صوت هذه الدعوة في الأندية الرسمية، وتناصرها وتنحاز إليها القوة التنفيذية.

الالتزام بالمنهج الصحيح – وقد وجدها أصحاب المشروع الإسلامي في كتاب الله وسنة رسوله، وأحكام الإسلام حين يفهمها المسلمون على وجهها غضة نقية بعيدة عن الدخائل والمفتريات، فيعكفون على دراسة الإسلام على هذا الأساس دراسة سهلة واسعة مستوعبة.

النداء العاشر:

يا أهل الإصلاح لا تيأسوا، فليس اليأس من أخلاق المسلمين، وحقائق

اليوم أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد، ولا زال في الوقت متسع، ولازالت عناصر السلامة قوية عظيمة في نفوس أهل الكويت رغم طغيان مظاهر الفساد، واعلموا أن الضعيف لا يظل ضعيفاً طول حياته، والقوي لا تدوم قوته أبد الآبدين: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ (١).

النداء الحادي عشر:

استمعوا إلى ظن المحب لكم حين يقول: (أستطيع أن أتصور الداعية قد أعد عدته، وأخذ أُهبته، وملك عليه الفكر فيما هو فيه نواحي نفسه وجوانب قلبه، فهو دائم التفكير، عظيم الاهتمام على قدم الاستعداد أبداً، إن دعي أجاب، أو نودي لبى. غدوه ورواحه، وكلامه وجده ولعبه، لا يتعدى الميدان الذي أعد نفسه له، ولا يتناول سوى المهمة التي وقف عليها حياته وإرادته، يجاهد في سبيلها، تقرأ في قسمات وجهه، وترى في بريق عينه، وتسمع من فلتات لسانه ما يدلك على ما يضطرم في قلبه من ألم دفين، وما تفيض به نفسه من عزمة صادقة، وهمة عالية، وغاية بعيدة.

فهو لا ينام ملء جفنيه: ولا يأكل ملء ماضغيه، ولا يضحك ملء شدقيه، ولا يقضي وقته لاهياً عابثاً ماجناً، فهو راكضٌ إلى الله طالباً الأجر والمثوبة منه سبحانه، عالي الهمة كالأسلمي رضي الله عنه الذي يقول فيه ابن القيم: (إذا أردت أن تعرف من مراتب الهمم فانظر إلى ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه وقد قال له رسول الله ﷺ: «**سلني**»(٢). فقال: أسألك مرافقتك في الجنة. وكان غيره يسأله ما يملأ بطنه، أو يواري جلده.

النداء الثاني عشر:

كن شجاعاً في التحرك لنصرة دعوتك، ولكن كن بعيداً عن التهور

---

(١) القصص : ٥ .

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٩) .

ورعونة الشباب، وهذا مما يصعب الجمع فيه، فالجمع بين الحذر والشجاعة لا يستطيعه كثير من الناس، فالذي اعتاده الناظر إلى الشجعان أنهم يقطعون جميع الحبال من حولهم، والعاقل من ينضبط بضابط الشرع الدقيق لا تعميه التبعية الحزبية ولا السذاجة، محافظ على طاقته التي حباه الله إياها، فهو مستقل لجميع قواه فيما يرجع بالفائدة على دعوته، فطاقته يصرفها تخطيطاً لا جرياً هنا وهناك من غير هدف واضح أو غاية محددة، لذلك فهو أسير في يد الشريعة، ديدنه السنة، يعيش بمنأى عن البدعة وما لم يكن عليه أمر رسول الله ﷺ، مشربه الحديث النبوي، فهو يكرع من سلسبيل الإسلام الخالص، ويشرب من معين الإيمان الصرف، إن سئل عن طريقه قال: الاتباع، وعن زينته قال: لباس التقوى، وعن مقصوده ومطلوبه قال: يريدون وجه الله.

النداء الثالث عشر:

احتسب واصبر على ما ينالك من همٍّ وغمٍّ أثناء تحركك لنصرة مشروعك الإسلامي، يقول ابن القيم- رحمه الله: (إن المؤثر لرضا الله متصد لمعاداة الخلق وأذاهم وسعيهم في إتلافه ولابد. فهذه سنة الله في خلقه، وإلا فما ذنب الأنبياء والرسل الذي يأمرون بالقسط من الناس، والقائمين بدين الله، الذابين عن كتابه وسنة رسوله عندهم؟ والصبر سيجعل من المسلم صلب كامل، لا تزعزعه الرجال ولا تقلقه الجبال، ولا تحله المحن والشدائد والمخاوف، واعلم أن ملاك الصبر أمران: التربية على الزهد في الحياة والثناء. فما ضعف من ضعف، وتأخر من تأخر إلا بحبه للحياة والبقاء وثناء الناس عليه، ونفرته من ذمهم له.

فهذا الطريق بالنسبة لهم لابد فيه من التكذيب والإخراج والإيذاء كما قال ابن القيم- رحمه الله: (ويمر السالك إلى الله بمشهد الأُسوة، وهو مشهد شريف لطيف جداً، فإن العاقل اللبيب يرضى أن يكون له أسوة برسل الله،

وأنبيائه وأوليائه، وخاصته من خلقه، فإنهم أشد الخلق امتحاناً بالناس، وأذى الناس إليهم أسرع من السيل في الحدور، ويكفي تدبر قصص الأنبياء- عليهم السلام- مع أممهم وشأن نبينا ﷺ وأذى أعدائه له بما لم يؤذه من قبله. وقد قال له ورقة بن نوفل: (لتُكذَّبنَّ ولتُخرجن ولتؤذين. وقال له: «ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي»[1]. وهذا مستمر في ورثته كما كان في مورثهم ﷺ . أفلا يرضى العبد أن يكون له أسوة بخيار خلق الله وخواص عباده: الأمثل فالأمثل).

النداء الأخير:

قد تلتبس عليكم بعض المقولات فكأني أسمعها منكم وأنتم تقولون:

أولاً: لا نؤمن بعلاقة العمل السياسي بالدعوة لأن السياسة لعبة قذرة وتكسب وصفقات.

البيان: هنا يتضح خلط بالمفاهيم لأن القول يصدق على العمل السياسي الدنيوي أما العمل السياسي لنصرة الدين فهو على العكس من ذلك فهو جزء من أجزاء كثيرة للدعوة إلى الله، وكرسي البرلمان هو موقعٌ يخدم الدعوة من خلاله حيث نصل إلى أكبر شريحة من الناس.

ثانياً: نحن شرعيون ولنا مكانة دعوية نربأ بأنفسنا عن العمل بالانتخابات فهذا ما يهز الثقة بنا كرموز شرعية.

البيان: هذا الكلام مستغرب فإن كان الشرعي مستأمناً على الفقه والطهارة أفلا يستأمن على الحكم والسياسة!! وأهل الذكر كأفراد لا بد لهم من حركة اجتماعية، والشرعيون أولى بالعطاء من غيرهم لما يملكون من المنطق والقواعد الفقهية والأصولية والتكوين التربوي وحسن الجدل والدعوة بالتي هي أحسن، فالدعوة بيان والمطلوب إيصال الرسالة وبذل السبب وهذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠) .

واجب على الشرعيين وغيرهم.

ثالثاً: ليس لدينا ثقة وقناعة بأهمية وجود المجلس، فهو مصدر إزعاج وعدم استقرار وتعطيل تنمية.

البيان: هذا الأمر نتيجة الحملة الإعلامية الظالمة ضد المجلس، وبالعكس لا يمكن أن تكون المشاركة الشعبية سبباً لتعطيل النماء، يقول المصطفى -عليه الصلاة والسلام: «**ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار**»[(١)] فالشورى من أسباب نجاح أي مشروع والخطأ بالممارسة لا يلغي أهمية وجود المجلس والرقابة الشعبية.

رابعاً: لدى الناس شعور بأن الإسلاميين هم من تسبب بشلل البلاد وافتعال الأزمات والتأزيم المستمر.

البيان: هذا الشعور أيضاً تولد نتيجة للحملة الإعلامية الشرسة ضد الإسلاميين عموماً، والنواب خصوصاً وهو شعور مؤقت تماماً مثل الزبد ينتفش لكن سرعان ما يهدأ.. فالناس عموماً تركز على السلبيات دون النظر للإيجابيات فالناس مثلاً تتعامل باهتمام مع ظاهرة خسوف القمر العارضة في مدار الشهور والأزمنة، أما في حال اكتمال البدر فقل من يتأمل ويتحدث عن جمال البدر ولمعانه !! والصراع قديم بين الخير والشر، والحق والباطل، ولطالما تفنن دعاة الباطل في تشويه صورة الحق ودعاته وهذا ما يحدث وسيحدث .. يقول تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[(٢)]، و﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾[(٣)].

خامساً: نتأثر كما باقي الناس بالشبهات ضد رموز الحركة وبما يثيره الإعلام.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦٦٢٧)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٥٦) : موضوع .
(٢) فاطر : ٤٣ .
(٣) الأنفال : ٣٠ .

البيان: يقول ابن القيم: (لا تكن كالإسفنجة تمتص ما هو من حولها، ولكن كن الزجاجة المصمتة ترى الشبهات من حولها بصفائها، ولا تتأثر بها لصلابتها، ولابد أن نكون على علم واطلاع بكافة المعلومات من المصادر الصحيحة، وأرى أنه من الأفضل عدم الحرص على متابعة كل ما يكتب ويذاع بوسائل الإعلام ويُترك الأمر للمتخصصين، وأنبه إلى أنه على المسلم أن يبتعد عن إثارة الشبهات، والفت في عضد الدعوة، والانتقاص من رموزها، وترديد ما يقوله المرجفون.

سادساً: نشعر بالفتور بعد مضي أقل من سنة على الانتخابات السابقة ولدينا مسئوليات أخرى نرى أنها أهم وأولى.

البيان: ليكن شعاركم قصة (واقعة حمراء الأسد) فبعد عودة الصحابة من غزوة أحد، وقد كانوا متعبين وبحاجة لترتيب أمورهم وأسرهم، في هذا الوقت اقتضت المصلحة أن يخرج الرسول ﷺ مع المجاهدين في تلك الموقعة في (حمراء الأسد) فنادى المنادي لأهل أحد أن يتجهزوا للخروج، وهنا استجاب الصحابة للرسول الكريم ولم يترددوا في تلبية النداء احتساباً للأجر.



١٠ أما آن للأمة أن يكون لها قضايا تجتمع عليها بعد هذا التشرذم؟

حضور دائم، وصدود مفتعل، وصحو متجدد: تعود القدس المحتلة والمسجد الأقصى إلى مقدمة العناوين، رغم أنها لا تغيب عن دائرة الأحداث، فتاريخها المفعم بكل صور الجهاد والمقاومة والتضحيات والفداء من غير ذل أو استسلام؛ يجعلها دائماً حاضرة في القلوب والأذهان .

فقد كانت القدس المحتلة –دائماً– على موعدٍ مع الصراع. ها هي ذي إسرائيل تعود مجدداً لممارساتها المنكرة والعنيفة بحق المقدسات الإسلامية والمعالم الحضارية، وتعود القدس مجدداً لتتحول إلى ثكنة عسكرية إسرائيلية، إلا أن الشباب المسلم في فلسطين لا يقف مكتوف الأيدي بل يقوم رغم كل ما به من جراح وكل ما آلمه من غدر ليدافع عن مقدساته وأرضه، مئات من الفلسطينيين يعتكفون في المسجد ولا يغادرونه لإحباط اقتحامه من الصهاينة المعتدين، فتقوم سلطات الاحتلال بتطويق المسجد ومنع المصلين من الوصول إليه وإغلاق الطرق المؤدية إليه، ما أدَّى إلى اندلاع مواجهات عنيفة في أزقة البلدة القديمة أدَّت إلى جرح عددٍ من الفلسطينيين لتتحول القدس إلى ساحة معارك. كل هذا وزعماء العرب والمسلمين لم يتحرك لهم ساكن، بينما الرجال في الأرض المباركة في المواجهة حتى قال أحد المعتكفين: إذا اقتحم المستوطنون المسجد، فستحدث كارثة. ونحن مرابطون هنا دفاعاً عن الأقصى.

بيد أن هذه المعارك تبقى هامشية أمام المعركة الأساس للتصدي لاقتحام الأقصى. ومعركة الاحتلال الكبرى التي هي قضية العالم الإسلامي.

هذه المواجهات تعيد المتأمل للمشهد الفلسطيني إلى بداية الانتفاضة الثانية، حين اقتحم أرييل شارون، ومجموعة من الصهاينة اليمينيين باحة

المسجد، ما أشعل فتيل المواجهات في كل المدن والقرى الفلسطينية، مما يبين بصورة لا تدع مجالا لكل من لا زال يتستر على الصهاينة من الأذناب، ويبرر لهؤلاء المجرمين، بأن اليهود الصهاينة هذا دأبهم، والإجرام عادتهم، والدماء شهوتهم، والتشريد ديدنهم، والاحتلال مهمتهم، يقول الشيخ رائد صلاح بعد المواجهات الأخيرة: (نحن في أجواء مشحونة باعتداء متواصل من قوات الاحتلال الإسرائيلي، ومشحونة بمحاولات متواصلة من شوائب المستوطنين لاقتحام المسجد الأقصى، ونحن في موقف بات فيه المئات منا يرابطون في المسجد الأقصى بنيّة الاعتكاف لأيام وأسابيع متواصلة في الأقصى).

والمشهد قوات كبيرة من شرطة الاحتلال ودهم للمعتكفين وتهديد وإغلاق للأبواب والطرق، ومنع لطلاب المدارس من الوصول إلى روضاتهم وصفوفهم الموجودة في باحات المسجد، ورصاص مطاطي وقنابل مسيلة للدموع، ومروحيات في سماء القدس، هذا كله عدا القناصة المتمرسة على الأسوار .

ومع هذا كله لا يقف في خط المواجهة إلا الفلسطينيون والفلسطينيون وحدهم.

تهويد القدس هدف استراتيجي:

باعترافهم ومن غير حياء ولا خجل يقولون: سياستنا تهويد القدس كاملة، فقد قال أرييل شارون عندما كان وزيراً للإسكان الإسرائيلي: (إن سياسة حكومته هي تهويد القدس)، وقال: (إن سياسة الحكومة هي مضاعفة عدد السكان اليهود في القدس الموحدة)، وزعم أن (زيادة عدد السكان اليهود في هذه المدينة تساهم في تعزيز الأمن فيها)، وأضاف: (إن الحكومة أجّرت منازل في القدس الشرقية العربية للمستوطنين اليهود الذين احتلوها)[١]. وتتضح استراتيجيتهم هذه بما نقلته رويترز عن بعض المنتقدين لسياسة إسرائيل

(١) نقلاً عن صحيفة صوت الكويت في عددها الصادر بتاريخ (١٥/ ١٠/ ١٩٩١).

بقولهم: (إن وزارة الإسكان تنوي إقامة ألوف المنازل لليهود في القدس الشرقية حتى يحاصروا الفلسطينيين ويجبروهم على الرحيل).

وهذا ما دلت عليه أفعالهم وتصرفاتهم فمن التخطيط لتوطين (الفلاشا) في القدس العربي إلى إنشاء مدرسة يهودية فوق سطح مسجد إلى غير ذلك من التعنت الإسرائيلي، حيث نقلت صحيفة الشرق بتاريخ (٢١/ ٩/ ٩١) قول المتحدث باسم بلدية القدس المحتلة: (إن رئيس البلدية تيدي كوليك ينوي توطين مئات اليهود السود من أثيوبيا في منطقة غير مأهولة بالسكان بالقدس الشرقية)، وأكد المتحدث أن كوليك درس أيضاً خطة من أرييل شارون وزير الإسكان لإقامة ضاحية يهودية في قلب القدس الشرقية العربية وإن كان لم يتم اتخاذ أي إجراء بشأنها، وقال أيضاً: (ستبنى مئات المنازل هناك ولكن يستحيل معرفة عددها على وجه الدقة)، ونقلت صحيفة الوطن بتاريخ (١/ ١٠/ ١٩٩١): (استنكار الحكومة الأردنية على سلطات الاحتلال إقامة مدرسة تلمودية فوق سطح مسجد (دارة القرآن) في القدس المحتلة).

وما زالت الصهيونية الإسرائيلية تمضي قدماً في أفعالها النكراء حتى إن اليونسكو التي تغض عن إسرائيل النظر في كثير من الأحيان ضاقت ذرعاً بأفعالهم، فقد ذكرت صحيفة الشرق الأوسط في عدد الصادر في (١١/ ١٠/ ١٩٩١): (أن اليونسكو تشجب محاولات إسرائيل طمس المعالم التاريخية لمدينة القدس حيث عبر المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو عن قلقه البالغ إزاء استمرار تعرض التراث الثقافي والمعالم التاريخية لمدينة القدس المحتلة منذ عام (١٩٦٧م) ، إلى تغييرات تقوم بها سلطات الاحتلال وعبر عن أسفه الشديد لعدم استجابة إسرائيل لمطالب المنظمة).

وبسبب هذه التصرفات وغيرها منذ تاريخ احتلال المدينة المقدسة تآكل الوجود الفلسطيني في الحي الإسلامي من البلدة القديمة للقدس حتى وصل

إلى مرحلة الخطر في الآونة الأخيرة، وفي المقابل لم يجد الفلسطينيون العاجزون أمام المد اليهودي في هذا الحي سوى البيانات والنداءات لكن من دون جدوى بسبب الأوضاع القانونية التي أوجدتها سلطات الاحتلال في المدينة والتي تعمل لمصلحة الوجود اليهودي فيها من دون غيره.

ويعجب من يسلك طريق الواد المؤدية من باب العمود إلى الحرم القدسي الشريف وكذلك حائط المبكى للسرعة التي يزداد فيها عدد الأعلام الإسرائيلية المتدلية من النوافذ والمرفوعة على البنايات ولن يمر وقت طويل حتى يتحول هذا الطريق الذي اشتهر قبل الاحتلال بالمقاهي الشرقية التي انتشرت على جانبيه إلى الطريق الرئيسي المؤدي إلى حائط المبكى بعد أن أصبح يشتهر في الوقت الحالي بأنه طريق طلبة (المدرسة التوراتية).

وفي حين تسعى جماعة(أمناء جبل الهيكل) إلى الاستيلاء بالقوة على منطقة الحرم القدسي الشريف لإقامة الهيكل الثاني الذي كان حسب معتقداتها قائماً قبل تدميره في مكان المسجد الأقصى، فإن جماعة (عطيرت كوهانيم) ترى أن الاستيطان حول المسجد الأقصى في المرحلة الأولى يساعدها على التطرق لقضية (الهيكل الثاني) في مرحلة لاحقة.

القدس آية في كتاب الله وليست أرضا لعباس وزمرته:

من المستبعد أن أحداً لا يعرف المكانة التي يتخذها المسجد الأقصى في قلوب المسلمين كيف لا وقد خلد القرآن ذكره إلى يوم القيامة وكذلك السنة والآثار الصحيحة.

أما في القرآن الكريم: فقد ذكر القرآن واصفاً ليلة الإسراء والمعراج: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [1] حيث وصف الله المسجد الأقصى بـ ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا

---

(١) الإسراء: ١.

حَوْلَهُۥ﴾، وهذا يدل على بركة المسجد ومكانته عند الله وعند المسلمين. فالأقصى هو منبع البركة التي عمت كل المنطقة حوله حسية بالأنهار والزروع والأراضي الخصبة والجو الجميل، أو معنوية بإرسال الرسل والأنبياء فيها حيث لا يكاد نبي من الأنبياء الذين ذكرهم الله- سبحانه- في كتابه إلا وقد أُرْسِل في تلك المنطقة أو مر بها.

ولعل في هذه الآية من الإعجاز الإلهي في علم الغيب ما بينه الله -تعالى- من الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في قوله: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، وما ثبت على مر الأيام والدهور من احتلال هذا المسجد من قبل فئات متعددة والطمع فيه ومحاولة تدنيسه بين الفينة والأخرى؛ ليبين للناس دائماً وفي أي وقت من الأوقات إلى قيام الساعة بأن المسجد للمسلمين وأن حرمته ترتبط بحرمة المسجد الحرام، والمسلمون جميعاً مسؤولون عنه لا يختص به أحد دون أحد، ولا فئة دون الآخرين.

وأما في السنة الشريفة: فقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالتوجه إليه في الصلاة وذلك في بداية الإسلام فكان القبلة الأولى للمسلمين وبقوا على ذلك قرابة بضعة عشر شهراً. وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح المستفيض: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[1]، كما روي أن الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ثواب خمسمائة صلاة في غيره من المساجد[2]. وهو حصن المؤمنين من الدجال[3]، قال ابن القيم[4]: وصح عنه ﷺ :أن المؤمنين يتحصنون به من يأجوج ومأجوج. وفيه: وأنه- أي: الدجال- سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم و بيت المقدس، وإنه

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).
(٢) أخرجه الطبراني فى الكبير ، وضعفه الألباني ضعيف الجامع (٣٥٦٩).
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة فى مصنفه (١٩٧٩٤).
(٤) قاعدة في زيارة بيت المقدس لابن تيمية، ضمن (مجموعة الرسائل الكبرى ٢/ ٥٧).

يحصُرُ المؤمنين في بيت المقدس.

وبهذا يكون القرآن والسنة قد خَلَّدا علاقة المسلمين بالمسجد، وأن المسجد للمسلمين حيث أسري بنبيهم إليه. إنه آية في كتاب الله ونصوص نبوية شريفة ومقدسة وليس مجرد مسجد بني على الأرض، المسجد الأقصى جزء من عقيدة الإنسان المسلم، وهذا يعني أنها باقية ببقاء الإسلام على وجه البسيطة ثابتة ثبات الروح في الجسد وقضية لن تموت لأنها عقيدة المؤمن فهل سمعتم أو قرأتم عن عقيدة يحملها في قلبه أكثر من مليار مسلم يمكن أن تموت ؟!

قضية الأقصى عامة لا يجوز تخصيصها:

إن التعدي على حرمة المسجد الأقصى وعلى القدس وكل المقدسات الإسلامية هو قضية عامة تهم كل المسلمين على اختلاف انتماءاتهم وتوجهاتهم ويجب أن تجتمع عليها كل أطياف الأمة ويحاولوا صد العدوان وتحرير الأرض، لا يخافون في الله لومة لائم يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. إن قضية القدس ليست قضية قومية.. وليست مسألة أرض تغتصب أو شعب يضطهد أو أعراض تنتهك أو أرواح تزهق، وبالتالي يمكن أن نطوف بها في أرجاء المنظمات الحقوقية العالمية والعربية.

إن القضية قضية شعب لا قضية حكومات كبلت نفسها بقرارات ومعاهدات، فإذا كانت الدول تمنعها معاهداتها وتكبلها القرارات التي وقعت عليها فإن الشعب على الأرض ليس مرتبطاً بهذه القيود والأغلال، وأما ما يلوكه بعض السياسيين من هنا وهناك بأن القضية قضية فلسطينية داخلية، والفلسطينيون وحدهم هم المسؤولون عنها فهذا كلام فارغ لا طائل تحته سوى الهروب من الواقع أو العمالة للعدو أو التخاذل والاستسلام والخنوع . الحرب حرب مقدسات وليست حرب أرض وإلا لكان بإمكان إسرائيل أن تختار أي أرض تشاء ولا تعارك شعباً صامداً لعشرات السنين من غير راحة.

مسوخ البشر هم الذين يبيعون دينهم وأرضهم وشعوبهم:

إن عباس وزمرته عندما وصلوا إلى السلطة غاب عنهم هذا المعنى أو غيبوه وظنوا أنهم بوصولهم إلى السلطة قد ملكوا الأرض والشعب، أو أن الله قد حكمهم برقاب العباد والبلاد وصاروا يصولون شرقاً وغرباً تبعاً لمصالحهم ومصالح أسيادهم الذين استخدموهم كعملاء ويوشكون أن يلفظوهم قشراً . غير أن الدم الأزرق قد خلا عن الشعور بالكرامة أو الإحساس بالمسؤولية من تكبيل أنفسهم بقرارات ومعاهدات إلى ذل وتخاذل إلى تخبط فيما يسمى بعملية السلام وأي سلام هذا إذا كان ما يربو على (٧٠٠) قرار من الأمم المتحدة بشأن فلسطين لم يُرَد عليها، ومنها القرار (١٩٧) الذي يقضي بأن القدس الشرقية عربية تحت سيادة عربية والذي وافقت عليه إسرائيل ثم أعلنتها إسرائيلية في بداية الثمانيات، وإلى هذا الوقت وإسرائيل تفعل ما تفعل جهاراً نهاراً وعلى مرأى ومسمع من جميع العالم، والعالم لا يحرك ساكناً .

إن ما تفعله إسرائيل طبيعي فالغدر اليهودي لا يتوقف عند حد، أما ما تفعله الشرذمة القائمة على فلسطين بقيادة (عباس) لأمر يثير العجب فقد فعل ما لم يفعله غيره وأتى بما لم تستطعه الأوائل من الخيانة والانحياز لصفوف الأعداء، فمن قبله من العملاء لم يصل إلى ما وصل إليه من إنجازات تخدم مصلحة إسرائيل ربما لأنهم كانوا يشعرون بمعنى من العروبة وأنهم من أبناء هذه الأرض وأن هذا الشعب شاؤوا أم أبوا من أبناء جلدتهم، فمنعتهم عروبتهم وانتماؤهم من أن يصلوا إلى هذا المستوى المشين ونحن نقول: إذا كان يمكنك بيع الأرض فإنك لا تملك أن تبيع المقدسات.

إن إسرائيل لا تكف عن عدوانها لحظة ولا تمنع من إيذاء الفلسطينيين والعرب والمسلمين ساعة من نهار، والحصار الخانق على غزة لا يزالاً وقصف الأنفاق والأراضي من قبل طائراتهم متتابع بشكل يومي أو شبه يومي،

وتشتكي إسرائيل إلى الأمم المتحدة على إطلاق صواريخ على أراضيها، بالإضافة إلى القتل والتشريد وبناء المستوطنات، ورغم كل هذا تأتي السلطة الفلسطينية بقيادة عباس (المنتهية ولايته) ليتوج قائمة تنازلاته وخذلانه بسحب تقرير (غولدستون) وتأجيل تصويت الاعتماد عليه في الأمم المتحدة.

وما أدراك ما تقرير غولدستون: حسب وكالات الأنباء إن (تقرير غولدستون) المقدم للأمم المتحدة يعتبر أن إسرائيل انتهكت القانون الإنساني الدولي خلال هجومها على قطاع غزة الشتاء الماضي، واعتبر التقرير أن إسرائيل استخدمت القوة بشكل غير متكافئ أثناء هجومها على غزة، وأن القوات الإسرائيلية ارتكبت (جرائم حرب) وربما (جرائم ضد الإنسانية) في غزة.

وأشار التقرير إلى (إطلاق قذائف من الفوسفور الأبيض على منشآت لوكالة الأونروا والقصف المتعمد لمستشفى القدس بقذائف متفجرة وفوسفورية، والهجوم على مستشفى الوفاء) معتبراً أنها (خروقات للقانون الإنساني الدولي).

قدم هذا التقرير في نيويورك القاضي (اليهودي) ريتشارد غولدستون رئيس بعثة مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، وتجاوز حجم التقرير (٣٠٠ صفحة).

واعتبر قانونيون مصرين (تقرير جولدستون) حول حرب غزة وثيقة تاريخية دامغة ونقلة كبيرة في سياق التقارير التي تدين إسرائيل التي قاطعت كل لجانه، مما أضعف موقفها أكثر وأكد مصداقيته وقوة معلوماته. وتحدث د.عبد الله الأشعل – أستاذ القانون الدولي ومساعد وزير الخارجية المصري الأسبق – عن ملاحظات إيجابية للتقرير كتأكيده ارتكاب إسرائيل جرائم حرب، وإسقاطه ذرائعها في هدم المساجد وقصفها بزعم استخدامها في المقاومة، وتسجيله تأكيدات واضحة أنها تعمدت قتل المدنيين ومهاجمة

المستشفيات ومراكز الإغاثة، وتقديمه رصداً واضحاً لكافة الأسلحة الإسرائيلية المحرمة دولياً.

ومع ذلك فقد طلبت السلطة الفلسطينية سحب هذا التقرير وتأجيل عرضه على مجلس الأمن !!

إسرائيل تبيع كلابها المطيعة!!

لئن كانت إسرائيل تبيع كلابها العنيدة من خلال تصفيتهم جسدياً بالقتل أو التسميم فهذا أمر طبيعي على إسرائيل أما أن تبيع كلباً مطيعاً يخدم مصالحها، وينفذ رغباتها، ويتبع أوامرها، فهو أمر بغاية الخسة والنذالة يوضح الغدر اليهودي الصهيوني فهو طبيعة جنس، وخصائص دم، وميراث أجيال، وحقيقةٌ لا يمكن إنكارها، فهاهي ذي تتخلى عن عباس إثر تلوث سمعته بشكل فاضح في الشارع الفلسطيني بسبب سحبه لتقرير (غولدستون) وقد نقلت صحيفة (معاريف) الأسبوع المنصرم عن المسؤولين الإسرائيليين تأكيدهم أنهم سيأخذون الاقتراح الأمريكي بعين الاعتبار، لكنهم قالوا: (إن لكل شيء حدوداً، وإن على الرئيس عباس أن يجني ما زرعت يداه، إذ كان يتوجب عليه ألا يلعب لعبة مزدوجة فمن جهة يؤيد عملية الرصاص المصبوب، ومن جهة أخرى يؤيد تقرير غولدستون). رغم أن عباس حاول بكل ما يملك من قدرة أن ينفي عن نفسه تهمة سحب التقرير وأمر بتشكيل لجنة للتحقيق ليضلل الشارع الفلسطيني المتأجج إلا أن هذا ما كان ليستر ما ظهر من عوراته، وقد بين ممثلو البعثة الفلسطينية أن الأوامر والتعليمات وردت من مكتب الرئاسة، ومن غير الرئاسة يمكن لها أن تَبُتَّ في مثل هذه الأمور .أما آن لعباس وزمرته وكل من يظن أن الصهاينة لهم ذمة أو عهد، أما آن لهم أن يتخلوا عن التشبث بالأوهام وأن يعلموا أن إسرائيل تتابع الصفعة تلو الصفعة لعملائها من غير حياء ولا خجل.

أين موقع المسلمين اليوم؟

إذا كانت قضية الأقصى قضية إسلامية عامة فأين المسلمون منها اليوم؟ وإذا كان المسلمون أمة المليار فأين أصواتهم وأعمالهم؟ أين الثلاثمائة مليون عربي إزاء قضية العرب؟ حتى نكون منصفين لا بد لنا أن نتكلم الواقع: إننا أمة عظيمة، ولكننا نواجه مشكلات كثيرة على الصعد الثقافية والاجتماعية والتقنية والاقتصادية، والذي يزيد الطين بلة أن الكثير منا ليسوا على دراية بجذور هذه المشكلات رغم وضوحها في كثير من الأحيان، إن على المسلمين أن يحاسبوا أنفسهم. إنهم أمة دعوة عالمية فما الذي قدموه لدعوتهم؟ ليس هناك جهد واضح وعلى العكس فقد يقع الكثير داخل الأرض الإسلامية مما يثير القلق والريب فيها وتلك مصيبة طامة، أن يعمل الإنسان ضد نفسه وسمعته، وسواء درى أم لم يدر فتلك نتيجة تسود لها الوجود.

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة   أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

ومع النشاط الهائل الذي يسود جبهة الأعداء فإننا نرى المسلمين لا يزالون يمضون خلافات جوفاء، وتسيطر عليهم أفكار ضحلة، وتسيّرهم أهواء قاتلة وشهوات غريبة، أحياناً نتحرك في موضعنا، وأحياناً نسير في طريق مسدود، وأحياناً نضرب عن يمين وشمال وكأن بيننا وبين الصراط المستقيم خصومة!!

إن الصهيونية العالمية تعمل على التفريق بين المسلمين وتفريقهم إلى أشلاء وأشتات متنافرة، ونجحوا إلى حد بعيد في تأجيج نار الخصومات بين الجيران والأشقاء لامتصاص خيراتهم . وانشغل الكثير من أبناء هذه الأمة بالخلاف والاختلاف والتنافر والتباعد علماً أن معظم الخلاف بين فرق المسلمين أو العرب فيما بينهم هو اختلاف في وجهات النظر، وتقدير الأشياء، والحكم عليها؛ وهذا أمر فطري طبيعي لكن ما يؤسف له تحول الاختلاف في وجهات النظر إلى مرض عضال، وسم زعاف وبعد أن كان دلالة على خصوبة الرأي

تحول إلى أداة للتفكك والتشرذم حتى وصل إلى حد مشين بسبب تـصلب كـل ذي رأي برأيــه وصــدق رسـول الله ﷺ : «**إنــما أهلــك مــن كــان قــبلكم الاختلاف**»(١)، لقد اختلف السلف ولكن اختلافهم في الـرأي لم يكـن سـبباً لافتراقهم.

إن أسباب الاختلاف قد تكون تافهة في كثـير مـن الأحيـان أمـام القـضية العظمى التي يختلفون من أجلها أضف إلى ذلك أننا نهينا عن التفرق والخلاف فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾(٢)، ولكن ما يحـز في الـنفس أن يعمل بعض أبناء العرب والمسلمين عـلى تحطـيم الأجنحـة وتكبيـل الأيـادي بقيود الخلاف حول ما يستحق وما لا يستحق من الأمور. ورغم كل ما يحصل في فلسطين وفي العراق وفي السودان وغير ذلك نرى شيخ الأزهر (طنطـاوي) يترك كل هموم الأمة ليجادل طالبة بسبب ارتدائها الحجاب ويمتد بـه النقـاش والجدال لأن يصدر قراراً رسمياً يمنع ارتداء النقاب داخل المعاهد الأزهرية!!

وحدة الصف طريق لا طريق غيره:

إن مستقبل الإسلام رهين بعد مشيئة الله بجهـود أبنائـه لا بـإرادة أعدائـه، على جبهتهم وحدها يكون الفـصل في هـذا النـزاع الطويـل، وتتحـدد وجهـة الإنسانية، وإذا كنا نريد تحرير أرضنا بحق، واسـترجاع مقدسـاتنا، والنـصـرة على أعدائنا، فلابد لنا أن ندرس بدقة وبصيرة أسرار ما أصابنا، فإن العافيـة لا تتيسر بدواء مرتجل، والنصر لا يأتي بقرار متعجل، والحق أننا وصلنا إلى حد لا نحسد عليه وإذا كان أسلافنا تصدروا قافلة العالم.. بجدارة ؛ فـإن الأخـلاف ملؤوا ذيل القافلة بجدارة أيضاً. حتـى أمـسينا لا يُعْبَـأُ بنـا ولا يُلْتفـت إلينـا، وللخروج من هذا المأزق طريق واحد لا طريق غيره إنه (الوحدة) التـي يجـب أن يسعى الجميع لتحقيقها أخوة إيمانية ووحـدة إسـلامية ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤١٩)، وحسنه الأرناؤوط..
(٢) الأنفال: ٤٦.

وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [1]، فلابد للواحد منا أن يرتفع عن حضيض الحزبية و العصبية وسائر النعرات القبلية، وتتسع نظرته باتساع دعوة الإسلام، ولا بد أن يسعى في سبيل تحقيق الوحدة والتضامن باذلاً الغالي والرخيص؛ لعلمه أن ذلك من أهم الواجبات والفرائض اللازمة .

فمصلحة الاجتماع مصلحة كلية، ومطالبة الدين أبناءه بالوحدة والألفة ومنعه لهم من التفكك والتشرذم يأتي مقدماً على كل المصالح الجزئية أو الخاصة. إن الاهتمام بأمورنا الخاصة لا ينبغي أن يشغلنا عن الاهتمام بأمور المسلمين في شتى بقاع الأرض، حتى و إن كنا مستضعفين، فهذا لا يغير من الحقائق شيئاً، فالمستقبل لدين الله تعالى، وهذا يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم ومادياتهم، وأن يكون صوت المسلمين واحداً، فأصل الجهاد اتفاق الكلمة وارتباط المسلمين بالأخوة الدينية ارتباطاً وثيقا:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [2] .

إننا كأمة لن نؤتى من قلة عدد ألكن نؤتى بسبب التفرق و الاختلاف: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [3] .

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحاداً

(١) الأنبياء : ٩٢ .
(٢) الحجرات : ١٠ .
(٣) الأنفال : ٤٦ .



الحرب المعلنة على الأسرة المسلمة هل أدركناها ؟!

إن النظام الدولي الجديد هو استمرار، وتكريس لعدوانية قديمة، بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، تُرجمت اليوم في فوضى مطبقة! مغلفة بشعارات السلام والأمن، وتحقيق التنمية للعالم أجمع، والضحية في النهاية هو الإنسان المسلم. وقد تمكن هذا النظام إلى حد بعيد من فصل الإنسان العربي والمسلم عن تقاليده، وأنماط عيشه المألوفة؛ بحيث شكّل زيَّه، وكوَّن ذوقَه، وفرض عليه نوعاً من التصرفات، في إطار العلاقات الاجتماعية المحلية! بحيث أصبح كل موروث قابلاً للنقض، بل للاستهزاء أحياناً! وفصم الإنسان عن ماضيه فصماً مدهشًا! فقد جعل هذا النظام حضارته أحسن حضارة، وسعى إلى إبرازها بمظاهر مغلفة ببريق التقدم والتطور والعقلنة والتكنولوجيا، ودفع بلغته لتحتل الصدارة وتصبح لغة الحضارة والعلم والتقنية[1].

لمَ الحرب على الأسرة المسلمة ؟!

لقد علم أعداؤنا أن تقدم مجتمع ما رهين بسلامة الأسرة فيه، وتخلف مجتمع ما وانحطاطه رهين بفساد الأسرة فيه؛ لأن الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع التي يقوم عليها كيانه، وأي خلل يصيب الأسرة ينعكس على المجتمع سلباً، وأي صلاح وصواب يمس الأسرة إنما يعود على المجتمع بالإيجاب، ولما كان الإسلام هو عدوهم التقليدي الذي يريدون الفتك به كانت الأسرة هي منطلقهم الأول- بعد أن فشلت الحروب الصليبية والاستعمارية- وتحت الشعارات البراقة خاوية المضمون، وتحت مسميات مختلفة جاءت المؤتمرات

(١) ينظر في هذا الموضوع مقال: الأسرة المسلمة في معركة القيم للدكتور: محمد خروبات. مجلة البيان عدد (١٩٤).

والندوات للمرأة والطفل والأسرة بهدف حمايتها وتطويرها والواقع عكس ذلك فمن وثيقة CRC (عام ١٩٩٠م) إلى وثيقة A World Fit For Children مروراً بمؤتمري القاهرة وبكين (عام ١٩٩٤م و١٩٩٥م) فعلى سبيل المثال: ما بدأوه مع المرأة في مؤتمري القاهرة وبكين يواصلونه مع الأطفال في مؤتمر نيويورك .. تحريض على الأسرة وانغماس في الإباحية.

فالوثيقة الجديدة للطفل سنة (٢٠٠١م) بعنوان : A World Fit For Children عالم جدير بالأطفال تتجاهل تمامًا التحفظات التي وضعت على ال- CRC (عام ١٩٩٠م).

والوثيقة كلها تحتوي على أمور غريبة عن الواقع العربي الإسلامي، فهي تتحدث في مجملها عن تمكين الطفل بشكل يخرجه من سلطة الأسرة والأبوين على النسق الغربي، وتدعو إلى تآكل السلطة الأبوية والمدرسية بشكل واضح، وتضع بدلاً منها مؤسسات الدولة، مع غض النظر عن الإطار الأسري والاجتماعي.

والوثيقة أيضًا رغم كونها وثيقة للأطفال إلا أنها تحمل في طياتها كماً رهيباً من المفاهيم الجنسية، وذلك تحت دعوى أن الطفل هو من يندرج تحت عمر (١٨ عامًا)، وبذلك، فإن المشكلات الجنسية تدخل في اختصاص الوثيقة لمناسبة هذه المرحلة السنية للطفل وهذا تدمير لبراءة الطفولة، وجعلها نموذجًا للطفولة المفعمة بالعنف والاستحواذ الجنسي .

الأسرة نقطة التحدي:

لقد اهتم الإسلام بـ «المجتمع» في أسرته، واهتم بـ «الأسرة» فيه، فقعّد قوانينها وأرسى دعائمها على أسس مستقرة ثابتة ورصينة. لكن اليوم تغير الأمر وتبدل الحال، ولا ينكر أحد تراجع الأسرة المسلمة عن دورها في بناء الشخصية الإسلامية الفاعلة، وذلك يرجع لعدة أسباب منها:

١- ضعف البناء التربوي والإيماني لبعض الأسر بسبب ضعف الثقافة

الإسلامية والأسرية.

٢- الانفتاح الثقافي وطغيان العولمة الإعلامية والاجتماعية.

٣- الأوضاع الاقتصادية والضغوط النفسية التي جعلت كثيراً من الأسر تتخلى عن الأمانة التي كلفت بها.

ومن المؤسف حقاً انحسار الدور التربوي للأسرة في كثير من المجتمعات في الوقت الذي يتوسع فيه تأثير الفضائيات والإنترنت وغيرها من وسائل الإعلام والاتصال.

الإنسان أصل الأسرة: يجب التنبه ضرورة إلى أن الأصل في تكوين الأسرة هو الإنسان بقيمه وسلوكه وإنسانيته فمن المهم أن نتنبه إلى الأخطار التي تهددها في (إنسانها)، لأن الأسرة تمثل خط الدفاع الأخير عن إنسانية الإنسان، وآخر القلاع والحصون لحماية ما تبقى للبشرية من قيم الفضيلة والصلاح.

يأتي الكلام اليوم عن الإنسان بأنه إنسان الإدارة، إنسان الديمقراطية والقانون، إنسان الفن والإبداع، إنسان الخيار والنظر والتأمل، إنسان الدبلوماسية والمال والأعمال. وهذا كله لا عيب فيه من حيث المظهر، لكن العيب المركب حين تصاغ هذه النعوت والأوصاف بفلسفة خارجية لها مطامعها وأهدافها الخاصة التي تصوغ الإنسان على وفق مصالحها ومطامحها، أما الأخلاق والقيم والمبادئ، فهي آثار وذكريات لماض إنساني غابر، مكانها سجلات التاريخ، ومتاحف الآثار.

فإنسان الديمقراطية مثلاً: هو الإنسان المخلص للمواثيق العالمية والقرارات الدولية لحقوق الإنسان، و(الديمقراطية) مفهوم يسري بين اليهود والنصارى والمجوس، تتحقق بين إنسانهم ولإنسانهم في أسمى صورها، لكنها حين تأتي إلى إنسان الإسلام تنعكس، ليصبح العمل بنقيض الديمقراطية هو الديمقراطية، والأمثلة على هذا كثيرة جداً تخرج عن الحصر، فهذه حماس

رأيناها عندما نجحت في انتخابات حرة نزيهة كيف حاربها دعاة الديمقراطية وحماتها لا لشيء إلا لأنها إسلامية!! وكيف تمت مكافأتها على نجاحها الديمقراطي بعملية الرصاص المصبوب بمباركة من (الآباء الروحيين) للديمقراطية!! وتركيا لا يمنعها من دخول الاتحاد الأوروبي إلا ما (يشوبها) من الإسلام!!! وغيره الكثير الكثير... وتنسى أو تتناسى إنسانية الإنسان.

فقد استهلكت الاهتمامات المادية إنسان هذا العصر، واستنزفت كل توجهاته المعنوية والروحية، ومسخت هويته الإنسانية القيمية، وحولته إلى شيء من الأشياء، وسلعة من السلع، حتى أصبح الناس ينظرون إلى بعضهم بعضاً، من خلال معادلة الربح والخسارة المادية، فيتقاربون أو يتباعدون، ويتعاونون أو يتحاربون، ضمن إيقاعات معادلة المصالح. فكم من الأسر لا يزوج بعضهم بعضاً لا لشيء سوى المكانة الاقتصادية، وكم من آباء يزجون بناتهم في زيجات قاتلة مظلمة لمجرد الوضع المادي.

بناء الأسرة السليمة:

إذا تكلمنا عن الأسرة؛ فلا يعني هذا الوقوع في متاهات الكلام السطحي المجرد، بل يعني الكلام عن الأسرة كما أرادها الإسلام للإنسان، لا الأسرة التي يريدها (النظام الدولي الجديد) للإنسان. إن الأسرة في الإسلام تكوين له قدسيته ومكانته فقد جعل تلاقي الزوجين آية من آيات الله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، وتأسيس المجتمع الصالح تكتنفه المودة والرحمة، وجعل العقد والمهر من الأسس التي لا يتنازل عنها ليبين مدى أهمية هذا الميثاق الغليظ، وجعل حقوقاً لكل من الزوجين على الآخر، ثم أمرهما بحسن التربية للأولاد على أساس الدين والقيم والعقل والتكريم الإلهي الذي أحاط به

(١) الروم: ٢١ .

الإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[١].

حرب القيم بين المسلمين وغيرهم:

إذا بحثنا عن القيم في الإسلام رأينا أن الدين كله قيم لا ينفك بعضهما عن بعض.. لذلك فمن الموضوعية التيقن بأن القيم الإسلامية هي الدين الإسلامي نفسه.

يقول اللواء دكتور فوزي طايل - عليه رحمة الله: (يلحظ الباحث أن فقهاء المسلمين لم يفردوا أبواباً خاصة بالقيم؛ لأن القيم الإسلامية هي الدين ذاته؛ فهي الجامع للعقيدة والشريعة والأخلاق، والعبادات والمعاملات، ولمناهج الحياة والمبادئ العامة للشريعة، وهي العُمُد التي يقام عليها المجتمع الإسلامي؛ فهي ثابتة ثبات مصادرها وهي معيار الصواب والخطأ، بها يميز المؤمن الخبيث من الطيب، ويرجع إليها عند صنع القرارات واتخاذها.. وهي التي تحدث الاتصال الذي لا انفصام له بين ما هو دنيوي وما هو أخروي في كل مناحي الحياة)[٢].

أما عند الآخر: فتقوم القيم في العصر الحديث من وجهة نظر علمانية على مبدأ (الحرية). والمعيار في القيم عندهم هو الثقافة نفسها فيتغير بتغيرها بحسب الزمان والمكان والمصلحة المتوقعة كما يلي:

أولاً: النسبية المكانية: لما كان لكل ثقافة معاييرها الخاصة بها فإن (المرغوب فيه) يختلف تبعاً لذلك من ثقافة إلى ثقافة، ومن ثم تختلف القيم من ثقافة إلى ثقافة.

ثانياً : النسبية الزمانية: أي أنها تختلف وتتغير في المجتمع الواحد بما يطرأ على نظمه من تطور وتغير، وهي في تطورها وتغيرها تخضع للمناسبات الاجتماعية في التاريخ كما تخضع لظروف الوسط الثقافي الذي توجد فيه.

---

(١) الإسراء : ٧٠ .

(٢) فوزي محمد طايل : كيف نفكر استراتيجيا، مركز الإعلام العربي (٣٠).

ثالثاً: صلاحية القيم: إن كل ما تصطلح الثقافة على أنه خير يخضع -دائماً- في اختياره إلى مبلغ فائدته لهذه الثقافة بالذات، فالقيم تكون صالحة أو فاسدة تبعاً لدرجة قدرتها على إشباع الحاجات الأساسية، البيولوجية والاجتماعية للناس في الثقافة المعينة[1].

يقول (ديوي وهمبر): (إن الخير والشر والمرغوب فيه أو غير المرغوب فيه هو ما تقرر الثقافة أنه كذلك فالحرب والأخذ بالثأر، وقتل أسرى الحرب، واحتكار الأقلية لأرض الدكتاتورية، كل هذه أمور يكون مرغوباً فيها وذات قيمة إذا قررت الثقافة ذلك).

التعدي على الأسرة عن طريق العلوم والمعارف:

إن المجتمع الإسلامي في الواقع يحوي الكثير من الأمراض، ولا بد لكي يكون البناء سليماً من بيان هذه الأمراض، وبيان الوسائل المؤدية إليها، ومن ثَمَّ العمل على علاجها.

وأقوى هذه الأمراض هي ما يكون في الناحية المعرفية والإنتاجية، ووسائلها من العلوم والمعارف؛ ومن هنا بدأ التحدي تحت وابل من الشعارات باسم العلم والتطور والتقدم، فأغرقوا البلاد العربية والإسلامية بالمدارس الأجنبية، والمناهج الغربية، ومن خلال الدعاية والإعلان والسياسة يحاولون إظهارها بالمظهر النموذجي الذي يجب أن يُحتذى به، كما حاولوا ويحاولون دائماً تغيير المناهج في المدارس العربية والإسلامية بما يخدم مصالحهم وتوجهاتهم، عن طريق الضغط على الحكومات، والتدخل في سن القوانين، ووضع الدساتير، ضاربين عرض الحائط بالمبادئ والأخلاق العربية والإسلامية. وإليكم بعض الأمثلة على ذلك:

من قانون الأسرة (الأحوال الشخصية):

ويبدأ التحدي الكبير بالنسبة للأسرة المسلمة في الكلام عن قانونها

---

(١) ينظر فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية.

وأحوالها الشخصية. وبما أن هذا القانون مستمد من الفقه الإسلامي، كان التوقف عند الشريعة الإسلامية طويلاً، فقد وُجِّهت إليها مناهج عصرية تستخدم أدوات جديدة في الفهم تتماشى مع طبيعة التفكير الغربي وطموحاته الاستعمارية، وهكذا بدأت أول حملة على شريعة الإسلام على يد جماعة من الباحثين الأكاديميين أوجدتهم الدول الغربية لغرض فهم الآخر وتقريبه، وفي مرحلة أخرى للتشويش عليه وتشويه صورته، هؤلاء هم الذين أطلقوا عليهم صفة (مستشرقين)، كان أول ما فعلوه هو التشويش على مصادر الشريعة: القرآن والسنة[1]، وهكذا جنَّدوا أنفسهم لدراسة الأحكام الشرعية، ومحاولة دس السم في العسل، واختلفت أبحاثهم كماً وكيفاً، فمنهم من باشر موضوع الأسرة وأحوالها في دراسة مستقلة، ومنهم من تكلم عليها في سياق أبحاثه عن الفقه الإسلامي بصفة عامة، ومن أهم خصائص دراسات المستشرقين:

١- التفسير المنحرف للنصوص ويكون تارة وفق هوى الذات والمصلحة، وتارة أخرى يكون نتيجة لتطبيق منهج معين يفضي إلى رؤية غير سليمة.

٢- عزل الأحكام عن مقاصدها أو تأويل ما لأجله وُجدت، وهذا كثير في دراستهم وأبحاثهم[2]. فمثلاً عندهم قوامة الرجل هي تفوُّق يضع الرجل في القمة والمرأة في الحضيض، وطاعة المرأة لزوجها ذل وخنوع، وغير ذلك مما يقلب كيان الأسرة رأساً على عقب .

٣- الإسقاط في التفسير والتعسف في التحليل، حيث تعطى لبعض الأحكام الشرعية تفسيرات مستمدة من أصول يونانية ورومانية وسريانية ويهودية ومسيحية. فالحجاب عندهم مثلاً مستمد من التشريع اليهودي، وذلك لأسباب شخصية تتعلق بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك من الشبهات تحت ما يثار باسم إدماج المرأة في المجتمع وحرية المرأة مما يطالب

(١) انظر : الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي (٢٢٥ – ٢٣٢).
(٢) ينظر الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، ص ٥٨ بتصرف.

به المثقفون بالثقافة الغربية.

كيف نجح المستشرقون؟

العامل الأول: أنهم حلوا أساتذة ومدرسين في جامعات العالم الإسلامي، وعلى أيديهم تربت أجيال من النساء والرجال، وتجسدت تلك الشبهات في كتابات من جنس عربي أُرِيدَ لها أن تشتهر وتنتشر، وأن تترجم إلى اللغات الأجنبية لتعكس وفاءها للتقدم، وكثير منها حصل على الجوائز الفخرية وطنية ودولية.. من أجل أن تتبوأ الصدارة في التعليم والتكوين والتربية.

والعامل الثاني: أنهم لقنوا أجيالاً كثيرة من الطلبة الوافدين على الجامعات الغربية، وهذا كان له أثر بليغ في ترويج الشبه ونشر أيديولوجيا الاستعمار الحديث.

كما أعطت الكثير من الدول الأسبقية في التوظيف لحملة الشهادات الغربية، فتمركزوا في المناصب العليا، وعُهد إليهم تقرير مصير الثقافة في البلد، وهكذا ما تكلم عليه المستشرقون كثقافة أصبح اليوم مشاريع عمل تقف وراءها هيئات ومنظمات دولية وأحزاب وجمعيات وشخصيات وطنية[1].

والعامل الثالث: زيادة على ما تقدم فقد عُهد إلى بعض المستشرقين مهمة وضع قوانين محلية لبعض البلاد الإسلامية التي وقعت تحت السيطرة الاستعمارية، ولم يكن القانون المتعلق بالأسرة المسلمة يغيب عن هذه الإنتاجات بل كان جزءاً منها ودخل فيه من التغيير والتحريف ما دخل في غيره بل ربما أكثر.

إلى علم الاجتماع:

السوسيولوجيا أو (علم الاجتماع) علم استعماري واكب الحملة الاستعمارية على البلاد العربية والإسلامية، نذكر على سبيل المثال فرنسا لما

(١) ينظر في الاستشراق: المعرفة، السلطة – الإنشاء: ٣٢٠ لإدوارد سعيد: أستاذ اللغة الانجليزية في الجامعة الأمريكية في بيروت.

فكرت في احتلال المغرب أحدثت هيئة علمية في مدينة طنجة سنة (١٩٠٣م)، وكان من أهدافها الاهتمام بالعنصر البربري وتفريقه وكانت التعليمات التي تُقدم للمراقبين الاستعماريين تنص على ضرورة تقديم مساعدات لكل الباحثين السوسيولوجيين.

ولقد كانت الدراسات السوسيولوجية (علم الاجتماع) من أخطر الدراسات التي استهدفت الأسرة في الإسلام وكانت قضاياها العامة والخاصة من أدسم الموضوعات التي اختيرت للبحث.

وكان من طبيعة هذه الأبحاث التركيز على مكونات الأسرة من جهة الأصل والنسب والسلطة والعادات والتقاليد والأعراف ... وهذا منهج تجزيئي يعتمد التفكيك كأسلوب معرفي يقال عنه إنه بحث علمي ناتج عن البحث السوسيولوجي.

فالخطوة الأولى هي القضاء على وحدة الأمة الإسلامية بإسقاط الخلافة وتقسيم العالم الإسلامي إلى دويلات ثم متابعة الدولة وتقسيمها إلى أن وصل المسلسل التنازلي إلى الأسرة التي أريد لها أن تُقسَّم هي الأخرى، وأقوى وسيلة لتقسيمها هو توجيه الأبحاث والدراسات السوسيولوجية والأنتروبولوجية عن الأسرة في العالم الإسلامي، وما نعلمه هو أنها تُعد بالمئات[1].

وبشكل عام فإن النظام العالمي يتبنى (سياسة تفكيك المجتمعات) ولكي تتفكك لا بد من ضرب مواطن القوة، وأحد أهم مواطن القوة في العالم الإسلامي نظام الأسرة الذي يحفظ للمجتمع قوته وتماسكه.

حتى في الأدب:

تعددت الدراسات في نمط معين من الأدب، مثل القصة القصيرة والأدب المسرحي والفنون بمختلف أشكالها بما فيها الأفلام السينمائية، وتنال نسبة

(١) ينظر مجلة العلم الاجتماعية: (١٧/ ٣: ٢ ١٩٤).

كبيرة من هذه المؤلفات شهرة واسعة وتطبيلاً كبيراً بسبب اختيار موضوعات أسرية تستهدف المرأة في صيغتها المحافظة من حيث علاقتها بالرجل، وعلاقتها بالمحيط وعلاقتها بالحضارة؛ لغرض تقسيم الأسرة المحافظة والقضاء على كيانها نهائياً، حيث يسود في هذا النوع من المؤلفات استهزاء واضح بالقيم، واستهتار كبير بالأخلاق والعادات والتقاليد الموروثة، ولكننا نتساءل: لمن تقدم هذه الإثارات والحكايات؟ ولمن يُوجَّه هذا النوع من التأليف؟

لقد تجاوز الأدب الحدود المعقولة في التأليف والنشر، فلم يعد الذين يرصدون الظواهر التي تمثل مظاهر قوة في المجتمع الإسلامي من الغربيين وإنما هم من أبناء جلدتنا ويتحدثون بألسنتنا، وإن كثيراً من هؤلاء باعوا أنفسهم رخيصة للغرب.. ووُجِدت نخبة متغربة تتبنى قيم الغرب نمطاً للحياة بديلاً عن نمط الحياة الإسلامي، وتقوم هذه الفئات المهمشة والمهووسة بتقليد الغرب والمنسحقة أمام قيمه بالتعبير بصراحة عن محادة الله ورسوله، والدعوة إلى تبني القيم الغربية والتخلص مما أسموه: (القيود الدينية) من خلال مطالبات بالمساواة بين الرجل والمرأة في الميراث وبحق المرأة المطلَق في الحرية بجسدها، وبحقها في كسر أي قيود للرجل عليها.

لقد أصبحت «الإباحية» عقيدة العصر، ودين الحضارة، وحصل التوهم في فكرنا الحديث أن دخول باب الحداثة هو الإباحية، وإذا كانت الإباحية في أصلها تعني التحلل والخروج عن العرف والعادة والأخلاق، فإن هذا المعنى من شأنه أن يفسر كثيراً من مسلكيات ثقافة هذا العصر، من الخروج عن المألوف وتوليد الأفكار العجيبة والموضات الغريبة، وبنظرة واحدة إلى الشارع اليوم ترى مدى تأثر مجتمعنا فبعد أن كان مجتمعاً محافظاً له قيم وآداب وعادات وتقاليد نشأ عليها ترى الكثير من أبناء وبنات مجتمعنا فلا تكاد تعرف أنهم منا،

فترى التبرج والسفور لدى النساء حتى المحجبات (الحجاب المتفسخ) الذي تظهر منه طبقات المكياج والزينة ما يندى له الجبين، والشباب بملابسهم وقصات شعورهم بأشكال وألوان يتقزز منها الإنسان السوي، وأخذت تسويغات من نوع ما، منها: أن الإنسان هو مطلق، وكل شيء يصادم حرية الإنسان لا بد من زواله، وأصبح هذا عاماً بشكل رهيب، حيث خرجت كثير من الأسر عن ضوابطها الأخلاقية، وقيمها الموروثة.

لقد اضطرب نظام الأسرة المعاصرة في واقعنا المعاصر، وسبب هذا الاضطراب هو الانقلاب الكبير الذي ساد المعايير، والاختلال الفاحش الذي أصاب المفهومات، فبينما كان يسود في الأسرة الإسلامية الحقة أن الدين والأخلاق والتقاليد العريقة هي المعايير التي توجه سلوك الأسرة الملتزمة؛ صار قانون النظام الدولي الجديد، وأشكال الموضة، وألوان التقليعات، والتفكير الزندقي الوارد من الغرب هي من يتحكم في الأسرة اليوم. يقول د. إبراهيم الخولي في كتابه (الانهيار): «نحن أصبحنا مجتمع إباحة الاستباحة، الفرد في الولايات المتحدة استباح كل شيء ولم يعد في قاموسه كلمة حرام أو محرم، بهذا لا تستقيم حضارة ولا تستمر السفينة كلها تغرق ولا يملك أحد إنقاذها! وإنقاذها مرهون بالعودة إلى الدين والأخلاق».

التعليم والإعلام من أبرز أساليب الهدم:

وكان من أبرز المجالات التي تم التركيز عليها منذ بداية اللعبة (التعليم والإعلام) لما لهما من تأثير مباشر في صناعة وبرمجة أجيال جديدة تردد وتطبق عملياً العلمانية الانحلالية عبر خطوات محسوبة ومدروسة.

أما بالنسبة للتعليم فمنها:

- حصر التعلم الديني وحصاره مادياً ومعنوياً.

- الابتعاث إلى الخارج .. والذي أدى إلى صناعة قادة جدد أثروا في مسار

الأمة وفي صناعة الأجيال.

- انتشار المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية.

- تمييع المناهج العلمية وطمس الحقائق وتزييف المناهج واللعب في المناهج الإسلامية باسم التطوير.

- نشر الاختلاط بين الجنسين والذي أدى إلى اختلال قيمة الغيرة، وأدى تطور العلاقة بين الشباب مع وضعهم في حالة إثارة مستمرة داخل أسوار الجامعة وخارجها في أحيان كثيرة، وكان من أبرز ما اعتمدت عليه مخاطبة غرائز الإنسان؛ لأنها أيسر الطرق في شرخ جدار المنظومة القيمية.

وأما الإعلام:

فقد نجح (الدش) أو (الستلايت) في جعل الكرة الأرضية قرية واحدة ينقل عبر قنواته كافة الأحداث العالمية في حينها من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال حتى الجنوب، ولا ينكر أحد أهمية ذلك. لكن في الوقت ذاته هناك العشرات من القنوات الإباحية، وكذلك القنوات التي تعرض الأفلام غير المراقبة والأغاني المصورة المقززة والتي نجحت في نشر ثقافة العري وجعلها واقعًا ملموسًا وسط شرائح غيبت عنها الضوابط الشرعية التي في ضوئها يتم إنبات الثمرة التكليفية.

وتتعاون وسائل الإعلام بأنواعها كافة حيث تدخل بلا إذن في كل وقت، وتعمل بلا استشارة في كل حين، وتبث ما تشاء في كل الأوقات، فمختلف القنوات الفضائية تبث من الفساد الشيء الكثير، فالأفلام والمسلسلات المعتادة والكارتونية للكبار والصغار على السواء؛ إما أنها تبنى على قصة غرامية خليعة بين رجل وامرأة، أو قصة غدر وخيانة، أو صراع بين الرجل والمرأة وبين المرأة والمرأة، أو الطفل والأب، أو الطفل والأم.. في حكاية درامية مثيرة مما يثير المشاعر ويهيج الوجدان، وفي المقابل يأتي المسرح بحوادث مماثلة، وتقف

السينما واللقاءات الإذاعية على الخط نفسه!

لا نتكلم عن الإعلام في حد ذاته، الإعلام لا بد منه في عصر يفرض دوره، والأمة التي لا إعلام لها لا وجود لها، وأفرادها يصبحون رهن التشكل في أية لحظة، الإعلام هو التعبير الموضوعي عن فضيلة الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها، به تعبر عن وجودها، وبواسطته تترجم آمالها وآلامها وأحاسيسها، وعملياً فالأمة التي لا إعلام لها كالجسد بلا لسان، يمكن لأي كان أن يتحدث باسمه، وأن يتكلم دونه وكأنه ميت، لم يعد الإعلام يخدم أهداف المجتمع الإسلامي: يعالج أمراضه ويدافع عن خصوصيته، ويرفع من مُثُله وقيمه بقدر ما تخصص في الدعاية والتعمية والتعتيم والتغطية والتشويه والتزييف والمبالغة في تقديم الحقائق والصور.. وهذا كله يستهدف الأسرة المسلمة في قلب البيت، وهي قضية خطيرة في حياة المسلمين اليوم!

أما قضية الإنترنت فهي قضية معقدة وشائكة، فالجيل الجديد نشأ في جو تتوغل فيه العلمانية الانحلالية في كافة ذرات الهواء الذي يتنفسونه، ومن ثم تم خلخلة المنظومة القيمية لدى معظم هذا الجيل...

وهذه المشكلة يمكن ضبطها من خلال:

١ – العمل دوماً على توضيح مخاطر العروض الساقطة على عقيدة الأبناء.

٢ – تيسير وتشجيع الزواج المبكر.

٣ – مراقبة الأبناء جيداً أثناء تعاملهم مع الحاسوب مع وضع الجهاز في مكان واضح لكافة أفراد الأسرة.

٤ – أن يقوم الآباء بتعلم كيفية عمل المسح التاريخي للمواقع التي دخلها الأبناء لمعرفة توجهاتهم وليستشعروا أن هناك مراقبة فعلية.

٥ – هناك برامج ماحية للبرامج غير المرغوب فيها يمكن برمجتها على

الحاسوب يمكن من خلالها حجب المواقع السيئة بقدر الإمكان.

ولا ننس القضية الأخطر في مجال الإنترنت والتي جاءت عن كسر جدار الحياء بين الذكر والأنثى من خلال دعاوى الاختلاط وحقوق المرأة التي تعرف بـ(المحادثة) أو (الدردشة) أو معنى أدق (الشات) باستخدام وسائل ثلاث: البرقيات المكتوبة، والاتصال الصوتي، والكاميرا الحية، وليتخيل المرء ما هو الحديث المتوقع لمراهق ومراهقة هُيئت لهما مثل هذه الظروف. ومن المؤسف أن نسبة الإقبال العربي عليها عالية جداً، ويا ليت الأمر يتوقف عند ذلك، بل يمتد إلى المقابلات الخارجية ليتم تصديق الفعل الانحرافي عملياً، وهناك الكثير من القصص الواقعية لفتيات وقعن ضحايا هذا الشات، ما ذكره د. إبراهيم جوير الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود في جريدة الوطن السعودية: أنه خلال السنوات العشر الماضية ارتفعت نسبة اللقطاء بشكل لافت للنظر بالسعودية؛ ففي زيارته الأولى لدور رعاية الأيتام قبل (١٢ سنة كان ٧٥٪) من سكان الدار من الأيتام الذين فقدوا أحد الوالدين، أما عند زيارته الأخيرة للدور وجد أن (٩٦٪) منهم من فئة اللقطاء [(١)].

وفي النهاية: إننا نسلم بأن العالم أصبح قرية صغيرة لا يمكن للأسرة فيه أن تعيش منكمشة على نفسها، ومنعزلة عن المحيط من حولها، لكن ما لا يمكن التسليم به هو أن نفتح أبواب بيوت المسلمين لسلبيات الحضارة الغربية ومدمراتها. ولا تعني المحافظة على البناء العام للأسرة تزمتاً ولا يعني انغلاقاً، فلا بد من التمييز بين ما هو ضروري لحياة الأسرة وفق خصوصياتها الثابتة، وما هو أساس وحيوي من مستجدات الحياة الحديثة، هذا إذا كانت تعلم أنها النواة الصلبة للمجتمع الإنساني كله، وأن خيرها يتعداها لا إلى المسلمين فحسب؛ بل إلى الإنسانية كلها.

---

(١) الوطن السعودية: السبت ١ شعبان ١٤٢٤ هـ العدد ١٠٩٣.



١٢ أما آن لأهل الصراع السياسي أن يتركوا الخلط بين ثوابت الدين والاختلاف السياسي المصلحي؟!

إن ما يحصل اليوم في مجتمعنا ليدفع إلى الدهشة والاستغراب من الحال التي وصلنا إليها، ويأسى القلب ويحزن لما حل بهذا البلد الطيب، وعملاً بوصية النبي ﷺ : «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن؟ قال: «**لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم**»[١] فإننا نقدم هذه النصيحة لكل غيور على هذا البلد المعطاء والمجتمع الطيب... إلى كل مسئول سيحاسبه الله عن المسئولية التي ألقيت على عاتقه . وقبل أن نقدم النصيحة لابد لنا من تعريف ماهيتها وحقيقتها.

معنى النصيحة والتواصي:

يعني مصطلح النصيحة كما ورد في جامع العلوم والحكم أنها (كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وفعلاً، وتشمل النصيحة لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) [٢].

وقال الجرجاني عن النصيحة:(هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح والنهي عن الفساد) [٣] فهي إخلاص المحبة للغير بإظهار ما فيه صلاحه، وهذا عكس ما يعتقده الناس أن النصيحة تصيّد للأخطاء والبحث عن مواقع الخلل، ومفهوم النصيحة هذا لا يختلف عن مفهوم التواصي بالخير.

ولكن في المقابل هناك مفهوم مغشوش للنصيحة وهي التي فيها غش وتدليس، كمن يكتب ناصحاً عن المصلحة العامة والأولويات الوطنية، والحفاظ على المجتمع وثوابته، وهو يريد شيئاً آخر، فلا يقدم نصيحة مخلصة.

(١) أخرجه مسلم (٥٥).
(٢) جامع العلوم والحكم (٧٦).
(٣) التعريفات (٣٦٠).

كما قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَاصِحُونَ﴾[١]، يقولون هذا الكلام وكل همهم هو التخلص من يوسف حتى يخلو لهم وجه أبيهم، ومن قبل أخوة يوسف نصيحة إبليس الكاذبة لآدم وزوجته بالأكل من الشجرة التي نهاهما الله عنها، وقال لهما: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[٢].

إن التواصي على الحق والنصيحة مبدأ أصيل يتوارثه الأنبياء، قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[٣]، وفي السيرة النبوية المطهرة ما يؤكد واجب المسلم في النصح لأمته ومجتمعه.

وحتى لا يفتري البعض على هذا المبدأ الإسلامي، ويتهم كل صاحب قلب محترق على أمته ومجتمعه بأنه يريد أن يصبح وصياً على المجتمع لمجرد أنه قام بواجب النصيحة في سبيل التصدي لمظاهر الانحراف عن دين الله؛ نذكر قولة جرير بن عبدالله ﷺ، قال: بايعت النبي ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، وأخطر منه حديث معقل بن يسار ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة**»[٤].

إن ما يهم الناصح الصادق هو ظهور الحق من أي مصدر كان، قال ابن رجب: (الواجب على المسلم أن يحب ظهور الحق ومعرفة المسلمين له سواء كان في موافقته أو مخالفته، وهذا من النصيحة لله وكتابه ولرسوله ودينه وأئمة المسلمين وعامتهم، وذلك هو الدين كما أخبر النبي ﷺ)[٥]، وزاد فقال: (إن

---

(١) يوسف: ١١.
(٢) الأعراف: ٢١.
(٣) الشورى: ١٣.
(٤) أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢).
(٥) الفرق بين النصيحة والتعيير (٣٢-٣٣).

الناصح ليس له غرض في إشاعة عيوب من ينصح له، وإنما غرضه إزالة المفسدة التي وقع فيها).

ومن بديع ما قاله الشافعي: (لو تدبر الناس هذه السورة (العصر) لوسعتهم) وهي التي فيها قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾، ولذلك كان رسول الله ﷺ يتعاهد حتى سفرائه بالنصيحة.

وبعد هذه المقدمة نجد هناك فريقاً لا يعجبه أن يقف هذا المبدأ الإسلامي سداً، ودعوتهم لتلوين المجتمع بألوان مختلفة من الفساد ومهاجمتهم لكل كلمة طيبة ونصيحة مخلصة، والافتراء على أصحابها وتزييف مبدأ الوصاية بالادعاء بأن لا أحداً وصي على الدين، وأن مبدأ الوصاية على الدين مبدأ مرفوض، ثم يذهبون بعد ذلك مذاهب شتى في الطعن واللمز والغمز لكل من يقدم النصيحة، ويدعون علانية وجهراً إلى ما يصادم الشريعة ويتجرؤون أكثر وأكثر من خلال الدعوة إلى فهم جديد للدين يناسب أهواءهم ورغباتهم، بل والتطاول على العلماء السابقين والمعاصرين، وإصدار الكثير من نقدهم ونقد مناهجهم على طريقة (هم رجال ونحن رجال) ثم يزيدون الكيل وبعد أن يهاجموا كل من يريد أن يحتكر تفسير النص الديني، يقدمون لنا تفسيراً جديداً للنص الديني لا تزيد مساحة التفكير فيه عن ضائين: الضحالة والضعف!! وهكذا يقعون فيما حذروا الناس فيه وهاجموا غيرهم عليه.

فهم يهاجمون الوصاية على الدين، ثم يريدون أن يفرضوا أسلوب حياتهم وفهمهم الخاص للدين الذي يريدونه بمعزل الحياة.

الجرأة على النصوص:

وهم يهاجمون احتكار تفسير النص الشرعي على الرغم من هذا العلم الراسخ الذي يقوم على منهجية علمية لفهم النص، ثم يفرضون على الناس تفسيرهم القاصر – وأحياناً المضحك– للنص الشرعي، ويتحول هذا

التفسير إلى قانون يفرضونه على الآخرين.

فإذا ما حدث تجاوز على قيم المجتمع وأعرافه، وتنادى المصلحون للأخذ على يد المفسد، استنفرت أصواتهم وأقلامهم للنيل من هؤلاء الذين تجرؤوا على (الحريات الشخصية)!! ونصبوا أنفسهم (باباوات للإسلام)!! وفرضوا (فقههم المتطرف) على الناس!! و(أشاعوا الإرهاب الفكري والنفسي)!! من أجل السيطرة على عقول الناس ونفوسهم.

ووسط كل هذا الهجوم الذي شنوه لا يتعرض واحد منهم إلى أصل المسألة، وهي الدعوة إلى التجاوز على قيم المجتمع وهويته، وإن هم أشاروا إلى ذلك من طرف خفي ميعوا الأمور وخلطوها بدعوى (الحرية الشخصية)، وقد يذرون الرماد في العيون فينكر بعضهم هذه الدعوة في سطر أو سطرين، ويستغل بقية صفحات المقال في التشفي والتعريض بمن عارض تلك الدعوة الفاسدة إلى الرذيلة.

بين الثوابت والمتغيرات:

ضرورة التفريق بين قدسية النص الشرعي الثابت والصحيح، وبين الفهم البشري لهذه النصوص قضية لا تقل أهمية عن ما سبق طرحه.

والتفريق بين النصوص الشرعية التي هي من ثوابت هذا الدين والتي لا تحتمل اجتهاداً ولا خلافاً، وبين النصوص الشرعية التي لها محل من الخلاف المعتبر بين الفقهاء ولها مدارسها الفقهية التي تفهم الدليل بناء على منهجية علمية سليمة لفهم النص.

فالأول من الثوابت: كالحجاب مثلاً، لا يجوز أن يأتي فقيه أو مدعي فقه ويقول لدي رأي مخالف، فهذا رأي شاذ غير معتبر لأنه مخالف للنصوص الشرعية وللثوابت التي أجمعت عليها الأمة، ومثل ذلك حرمة الربا، فهذه ثوابت لا يسعها الخلاف وكل رأي يقول بخلافها باطل ساقط لا حجية له ولا اعتبار.

أما مثال ما يحتمل الخلاف فإخراج زكاة الفطر مثلاً طعاماً أو مالاً، وحتى لو أخذنا بالرأي القائل بإخراج الطعام، فإن للرأي الآخر حظاً من النظر، وقال به الإمام أبو حنيفة، وهو خلاف شهير بين العلماء ويتسع المقام لذلك. أما أن نأتي إلى الثوابت ونقول: نرفض وصايتكم على الدين فهذا ما لا يقوله الله ولا رسوله.

أما رفض الوصاية على النصوص التي تتعلق بثوابت الدين فلم يعد الرفض موجهاً إلى وصاية الدعاة على الدين، بل الرفض أصبح موجهاً إلى نصوص الدين الثابتة التي لا تقبل التأويل أو التحريف، وهنا يصبح النص الشرعي الثابت الصحيح هو الوصي على الجميع ومن لديه رفض لهذه المرجعية يجب أن يعلنها بكل صراحة، بدل اللف والدوران ومحاولة استنساخ دين جديد بدعوى التجديد.

خلط في كل شيء:

إن الخلط قد يكون بسبب المعاناة من الوصاية السياسية التي تمارسها الكثير من أنظمة العالم الثالث تجاه شعوبها فيقع الخلط بين مصطلح (التواصي) الديني ومصطلح (الوصاية) السياسي الذي كان يلعبه الاستعمار سابقاً على الشعوب بهدف نهب ثرواتها، ثم تطور الأمر إلى ادعاء تعليمها أصول (الحرية) و(الديمقراطية) واحترام (حقوق الإنسان).

كما قد يقع هذا الخلط عند محاولة تنميط التجربة الإسلامية بالتجربة البابوية في أوربا في العصور الوسطى، مع الإغفال المتعمد للفروقات الأساسية بين التجربتين، حيث لا يوجد في الإسلام حق احتكار لتفسير النص الشرعي، ولكن بالتأكيد يوجد هناك منهجية واضحة في فهم هذا النص، ومن أراد أن يتمرد على هذه المنهجية بدعوى التجديد فلن يتمكن من تفكيك النصوص الشرعية للوصول إلى الحكم الشرعي السليم وفهم طبيعة النص الشرعي.

العلمانية ونشر الأفكار المغلوطة:

ولعل دعوى التجديد والتغيير هو ما هدفت إليه العلمانية، فبعد أكثر من قرن على زرع العلمانية في المشرق الإسلامي نستطيع إدراك أن حملة العلمانية أصبحوا يشكلون تياراً متنفذاً في المجالات الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كما يتبين لنا انقسام العلمانية إلى اتجاهين:

الأول: الاتجاه السياسي الراديكالي الثوري: وهو اتجاه شتت شمل الأمة ومزق صفوفها ردحاً من الزمن، وجر عليها الهزائم والبلاء والفقر حتى انكسرت وانكشفت بهزيمة (١٩٦٧م) وتم دفنها مع قيادتها بعد تفكك الاتحاد السوفييتي بالذات.

الثاني: الاتجاه الليبرالي المؤمن بالوجهة الغربية لأمريكا ومن دار في فلكها من دول الغرب، وهؤلاء تجنبوا الهوجة الثورية، وجنوا على الأمة جنايات أخرى في مجال الإباحية والتفسخ، والسقوط الأخلاقي وقيادة العداء لدين الأمة وتاريخها.

وتستطيع أن تحصر مهام العلمانية في المشرق الإسلامي بعشرة أهداف حقق فيها أساطين العلمانية ورؤوسها إصابات كثيرة في الجسد الإسلامي، وهذه الأهداف تشمل:

١- الهجوم على التراث الإسلامي ورفضه باعتباره من مخلفات عصور الظلام والتخلف والانحطاط، والمطالبة بإعادة قراءته قراءة عصرية تناسب المتغيرات والمستجدات وتجرؤوا في ذلك على القرآن والسنة.

٢- اتهام التاريخ الإسلامي بأنه تاريخ دموي استعماري عنصري، مع تفسيره تفسيراً مادياً وقراءته قراءة انتقائية ظالمة، مع تجاهل الصفحات المضيئة فيه مع الخلط المتعمد بين الاجتهاد البشري والمنهج الرباني، وإبراز الحركات الباطنية والأحداث الشاذة.

٣- استبعاد أو تهميش الوحي والسخرية من الإيمان بالغيب والترويج لما أسموه بالعقلانية والواقعية الإنسانية.

٤- الهجوم على القيم الخلقية الراسخة في المجتمع الإسلامي، وهذا أدى إلى شهود المجتمع الإسلامي إلى أنواع من الجرائم لم تكن معهودة، وذلك بسبب قيم التحلل الأخلاقي والإباحية التي تحاول العلمانية زرعها في الجسد المسلم.

٥- رفع شعار الحداثة في مواجهة التوحيد، ومادية الحياة مقابل روحانيتها، والنفعية مقابل الإيثار والأخوة، والمصالح مقابل القيم والمبادئ وحوار الثقافات مقابل الغزو الفكري.

٦- الهجوم المستمر على الإسلام ومن يمثله ووصمه بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الجسدي والفكري واتهامه بالغوغائية وتشويه سمعة دعاته، والافتراء عليهم وتخويف الناس من الالتزام بالإسلام.

٧- وهي قضية هامة وخطيرة وهي تمييع قضية الحل والحرمة في المعاملات والأخلاق والفكر والسياسة، وإحلال مفهوم اللذة والمنفعة والربح محلها، ومحاولة فك الارتباط بين الدنيا والآخرة في وجدان المسلم وفكره وعقله.

٨- التسويق للعولمة واعتبارها القدر المحتوم الذي لا مفر ولا خلاص منه، مع ضرورة الاستسلام لشروطها وقيمها دون التمييز بين المقبول المفروض وفق المعايير الشرعية لتحويل البلاد الإسلامية إلى سوق استهلاكية للمنتجات الغربية.

٩- السخرية والاستهزاء والتشكيك في وجه أي محاولة لأسلمة بعض جوانب الحياة المختلفة في الاقتصاد والإعلام والقوانين، مع الهجوم المستمر على كل من يدعو لذلك والنيل منه والسخرية على أطروحاته.

١٠- الترويج المستمر للمظاهر الغربية في الفن والرياضة والحفلات

والأزياء وقضية المرأة، ومع الترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب، وتقديم أصحابها وإبرازهم وتلميعهم في وسائل الإعلام على أنهم الرواد والأساطين والعظماء.

وأخيراً وضمن سياستهم الجديدة تحريض المجتمع الدولي والمؤسسات الدولية على التيار الإسلامي تارة بمحاربة الإرهاب، وأخرى بحقوق المرأة وثالثة بعداوة المجتمع المدني وغيرها من الشعارات البراقة الخداعة من تصريحاتهم.

ولو أردنا أن نورد هنا بعض تصريحات النخبة العلمانية عندنا هنا في الكويت من أقوالهم ومواقفهم تجاه الشريعة والحضارة والهوية الإسلامية لوجدنا أنها خليط من التخليط، فهم يقولون أن: (بيئة التيارات الإسلامية لن تخرج لنا فولتير أو جاك روسو) وأنه (لا بد من إلغاء لجنة تطبيق الشريعة) وهم (يريدون فرض أحكامهم في عصر الهندسة الوراثية) (وأننا لا نتفق معهم على أن الإسلام هو الحل) وأن (قانون منع الاختلاط ينظر للمرأة نظرة جنسية ولا بد من نسفه)، وأن (٩٥٪) من تصرفات التيار الإسلامي لا علاقة لها بالسلف الصالح، وأن (الغرب تطور عندما جعل مكان العبادة في الكنيسة فقط) وأننا (ضد أسلمة القوانين ونطالب بتطبيق تجربة الغرب) .

فهذه بعض العينات المنشورة في الصحف من أفواههم وأقلامهم، والمسألة عند البعض منهم ليس رفضاً لوصاية أحد على الدين أو رفض احتكار تفسير النص الديني، بل المسألة أخذت أبعاداً أخطر برفض أسلمة القوانين، واستبدالها بالتجربة الغربية ولا شك أن هؤلاء على خطر عظيم..

فحالهم في سبيل تقديم نسخة معدلة من الإسلام إلى قدواتهم في الغرب كحال المذيعة التي ضربها زوجها فهاجرت إلى فرنسا وعندما قابلت صحيفة (الغارديان) البريطانية كانت تحتسي نبيذ (سانت إمليون) الفاخر، بعد أن

خلعت حجابها، وقد عرفت نفسها بعد كأس النبيذ وخلع الحجاب بأنها مسلمة محافظة على التقاليد!! أعاذنا الله من زيغ القلوب.

ولقد تعرضت الكويت مثل غيرها (لطشار) من الأفكار العلمانية التي برزت في فترة المد القومي والشيوعي في منتصف القرن الماضي، وعندما انحسرت عنهم الأضواء ولفظتهم الجماهير، وعادت الصحوة الإسلامية بعد غياب لتلعب دوراً أساسياً في إعادة المجتمع إلى هويته التي غيبوها عنه، وبعد صراع استمر طويلاً خلال نهاية السبعينيات وبداية الثمانينات من القرن الماضي سقطت فيه العديد من المعاقل العلمانية وانزوت بعد ذلك في بعض المواقع الإعلامية.

وعندما خلت نوادي العلمانيين من المرتادين أكل الحسد قلوبهم، ولأن (الحسد في الكويت – كما يقولون – يكفي الصين)، فإن نصيب العلمانيين كان الجزء الأكبر وحولوا هذا الحسد إلى برنامج تحريضي ضد من أسقط معاقلهم وكشف عوراتهم الفكرية، وهناك أسباب وجيهة لحسد العلمانيين للتيار الإسلامي في الكويت، وهي أسباب تجعلنا نشفق على التيار العلماني الذي بدل من أن يراجع أطروحاته ذات النبت الغريب المستورد نجده تحول إلى ما يشبه المتفرج الذي يتابع أنشطة التيار الإسلامي عبر الشاشة ويتصيد الأخطاء.

ونتج عن هذه التصرفات الكثير من الأمور المستغربة، والأفكار الهجينة، والخلط بين مواد متجانسة أصلاً. والأمثلة على هذا كثيرةٌ وواضحة، ومنها:

العفة والطهارة مثلاً مسألة اتفقت الأديان بل والمجتمعات الإنسانية بشتى انتماءاتها وإيديولوجياتها على أهميتها لاستقرار المجتمع ونموه واستقراره، خلطت هذه المسألة المتفق عليها مع مسألة الحريات غير المنضبطة، والتفلتات الأخلاقية، والتعهر السلوكي بأشكاله المتنوعة والمختلفة، وصِيغَ الاختلاف بحلة صحفية تدمر المجتمع، وتأجج الصراع على حساب الفضيلة والطهارة، وصيغت العبارات الاستفزازية (ظلاميون، رجعيون، متحجرون، محاربو

البسمة على وجوه الناس ...) عجباً ما علاقة عفة الفتاة، وطهارة الشاب، ونقاء الأسرة، والقضاء على الخنا بهذه العبارات؟

إن عدم تحرير محل النزاع في كل صراع يكون مقصوداً لذاته من البعض، وجهل بحقيقته من البعض، وغفلة عن إظهاره عند البعض الآخر.

هل الحرية هي السبب؟

أن تكون الكويت هي الأولى في الشرق الأوسط في حرية الصحافة ومن الدول العشر الأوائل على مستوى العالم: أمرٌ يثلج الصدور، ومؤشرٌ يسعد كل كويتيٍّ يعتز بوطنه وأهله، أما أن تكون هذه الحرية سبباً في تفلت البعض، وخلط الأمور، والجرأة على الرموز، وفحش الألفاظ، وبذاءة اللسان فهذا ما لا يرضاه أيُّ عاقل.

إن مجتمع الكويت دفع ويدفع ثمناً باهظاً لهذه الحرية؛ لأنها تسببت في جرح وتشويه رموزٍ اجتماعيةٍ ودينيةٍ وسياسيةٍ وفكرية. والأمثلة من الواقع كثيرة، ومنها ما يقوم به بعض نواب الأمة من توجيه عبارات لا تليق بصبيان في الشارع، أو بسكارى في الحانات، فيقول لوزير أقل ما يقال فيه أنه يمثل سلطة ولي الأمر، وأنه قبل مجيئه إلى الوزارة يمثل رمزية مجتمعية في الجانب السياسي أو الأخلاقي أو الديني أو الفكري_ عندما يقوم هذا النائب ويقول للوزير: (سأرميك في زبالة التاريخ) أو يقول لوزير آخر كان يمثل قبل استلامه للوزارة أعلى سلطة في البلد، وهي السلطة التي يلجأ إليها الناس ويحتمون بها، عندما يقول له: (إما أن تفعل كذا أو أعلقك على مقصلة الاستجواب)!! هذا نوع من الخلط بين حرية التعبير، وبين احترام رموز البلد.

عندما تكون الحرية سبباً في هدم قيادات البلد ماذا ستكون النتيجة؟ لن يبقى هناك احترام، ولن تكون هناك هيبة، ولن يكون هناك حكماء، وسيكون المجتمع مجموعة من الرعاع.

إن المجتمعات التي ليس فيها هيبة، وليس فيها احترام، وليس فيها تقدير، وليس فيها رأي مجتمعات منتحرة منتهية، وإن كنت ترى هناك حراكاً كالسراب يظنه الناس ماءً وهو ليس كذلك. والنتيجة أنه مجتمع يمثل ميت الأحياء.

هل يريد أصحاب هذا الخلط أن نصل إلى هذا الأمر؟ أم يظن من يثير هذا الأمر أنه يستطيع أن يحصر هذا الخلط في الحدود التي يقدرها هو؟ ألا يعلم أن هذا الخلط طوفان لا يبقي ولا يذر؟؟

إن ما يقع في الكويت اليوم لأمرٌ عجيب، كيف يمكن لأبناء الوطن أن يدخلوا مجتمعهم بحروبٍ طاحنة، ويزعزعوا الداخل، ويشعلوا الخلافات؟!

من المعروف أن النظم الثورية تستحدث مشاكل خارجية لتلهي الناس عن مشاكلها الداخلية، وتوحد الناس في بنيتها الداخلية، فعلى سبيل المثال المعاش ما قام به صدام حسين عندما دخل في حرب مع إيران لمدة ثماني سنوات ثم النتيجة لا شيء سوى مليون أرملة ويتيم، وتدهور في قيمة الدينار. كل ذلك من أجل أن يلهي الناس عن المشاكل الداخلية التي بدأت تتحرك بعد الثورة الإيرانية. وهذا أمر معروف في النظم الثورية، ولكن لا نعرف شعباً يشعل الداخل، ويصطنع المعارك الداخلية، ليجلب لنا الأعداء من الخارج!! عجباً أهل الكويت حتى في الحفاظ على الدولة وكينونتها نسير على غير ما يسير عليه أهل الدنيا!! إنها معادلة معكوسة أن نثير الداخل من أجل زعزعته لنصبح بعد لقمة سائغة للخارج!! ولعل مسبقات غزو العراق للكويت تعطي مؤشراً لهذا الأمر.

إنها الحرية عندما يساء استخدامها تجعل كل التصرفات الطبيعية للتحركات المجتمعية محل أخذ، ورد، وجدال، ونقاش، وصحافة، وصراع، وسوء ظن، وكأننا أصبحنا ملزمين على أن نملأ صفحات الصحف، ونهيئ

مانشيتات عريضة للصحافة على حساب المجتمع!!

أما آن لأهل الكويت أن يضعوا رحل الأزمات عن أكتافهم؟!

لابد أن ينتصر الإسلام في النهاية:

إن الإسلام في النهاية والبداية دين الله في أرضه، ودين الكويت وأهلها، دينٌ عصيٌّ على الفناء والزوال مهما حاولت الأيادي السوداء أن تمتد إليه، ومهما جهدت الفئات الظالمة أنفسها على أن تعبث به، وبعد هذا كله فلم يعد خافياً بعد كل ذلك أن نجاحات الحركة الإسلامية، والتي تغيظ التيار العلماني ترجع لعدة أسباب منطقية وعقلانية، ومنها:

١- التعامل العقلاني الواعي للحكومة والسلطة في الكويت مع التحريض العلماني الرخيص، ومدى معرفة الحكومة مصداقية التيار الإسلامي وحرصه على الوحدة الوطنية وأمن البلد، وتجلى ذلك في مواقف كثيرة كان الغزو لوحة أساسية فيها.

٢- اعتدال الحركة الإسلامية وتبنيها لمنهج وسطي، وعدم انحدارها للاستفزازات والافتراءات العلمانية، وتقديم العمل على الجدل، والتنبيه على خطورة التطرف أينما كان مصدره مع الحفاظ على اللحمة الوطنية والعمل المدني الناضج.

٣- وجود المتنفس للتعبير الحر والممارسة الديمقراطية أبعدت التيار الإسلامي عن التهميش واستفاد المجتمع من إسهاماته في البناء والتنمية، وعدم وجود سياسة الإلغاء والكبت كما في دول أخرى قريبة وبعيدة.

٤- الاهتمام بهموم الناس والمساهمة في وضع الحلول والعمل الاجتماعي والتربوي والخيري والنقابي، وتنويع لافتات العمل الإصلاحي، وخدمة المجتمع الكويتي ودفع الطاقات المبدعة والمتميزة، وإقامة المشاريع الاجتماعية التربوية والخيرية، وتنظيم الفعاليات والأنشطة الاجتماعية وتنفيذ البرامج

والحلول العملية في كل ما يخدم الشعب الكويتي بدون الاعتماد على منابر التنظير والاكتفاء بمقاعد المتفرجين كما يفعل الفكر العلماني الذي ركب كراسي الصحافة، وأصبح كالمذيع الذي يعلق على مباريات كان الأصل أن يكون لاعباً فيها، فلما عجز عن هذا الدور جلس خلف الميكروفون محاولاً اصطياد عيوب اللاعبين إن وجدت، والافتراء عليهم إن لم توجد.



ثوابت الأمة ومبادؤها بين التأصيل من جهة والممارسات اليومية من جهة أخرى

إن تجربة العمل الإسلامي عامة بحاجة إلى منهجية واضحة تحدد محاورها وأطرها، كما هي بحاجة لوضع أهداف واضحة لها، ومبادئ أساسية تكون تبعًا للسياسة الشرعية الإسلامية التي حددها الفقهاء الأولون من جهة، والاستبصار بفقه النوازل وما يراه فقهاؤها المعاصرون من حاجيات عصرية تتلاءم ومقاصد الشرع الحنيف من جهة أخرى. وهذا ما يمثل اللبنة الأساسية للعمل الإسلامي العالمي الكبير الذي تتعلق به الآمال وتتشوف إليه الرؤى، وسط زخم متراكم من التغيرات العالمية تمر بها المجتمعات الإسلامية في الأيام الأخيرة.

بين الثوابت والمتغيرات:

إن قضية الثوابت والمتغيرات والتي تناولها كثير من العلماء و الكتَّاب والمفكرين الإسلاميين لتفرض نفسها بقوة كقضية أساسية في التحرك الجماعي والفردي للدعوة إلى الله تعالى. فالمجتمع الإسلامي له ثوابته التي لا يقبل الله-سبحانه- الحيد عنها أو التنازل مهما كانت الظروف والأحوال، وله هامش معتبر أيضًا من التحرك حول المتغيرات المقبولة في ظل المتاح من الوسائل المضبوطة بضوابط القواعد الشرعية. فدوران العمل الإسلامي يجب أن يكون دائمًا حول ثوابتها، ووجوده يفترض أن يكون دومًا حول تلك الثوابت مهما تغيرت الأجواء أو لمعت أمام العيون الفرص، ومن ثَم لابد أن يخضع العمل الإسلامي لمحددات السياسة الشرعية وأطرها بين الحين والآخر، وأن لا ينسى القائمون بذاك العمل في حماسة التحرك أنهم محدودون بحدود، وخاضعون لشروط، فلا يمكن أن يتساووا بحال مع العلمانيين.

هل أحكام الأمة في كل الأحوال سواء؟

إذا كان الله –سبحانه– قد أكرمنا بهذا الدين الحنيف، والكتاب الكريم الذي أنزله تبياناً لكل شيء، وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[١]، وإذا علمنا أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان لجميع البشر، وعلمنا أن أحوال الناس تختلف، وأحوال المسلمين والدعاة وأوضاع الأمة غير مستقرة على حال واحدة في جميع الأوقات؛ كان لزاماً علينا أن نعلم أن الأحكام أيضاً تتغير من حال إلى حال كما تقول القاعدة العامة: (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان)[٢]، فإنها لا تتغير. مثال ذلك : جزاء وجوب الشهادة ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾. فهذا الحكم النصي لا يتغير بتغير الأزمان، أما الذي يتغير بتغير الأزمان من الأحكام ، فإنما هي الممارسة اليومية المبنية على العرف والعادة" ومن أمثلتها كما قال الشيخ الزرقا: (لما ندرت العدالة وعزت في هذه الأزمان قالوا بقبول شهادة الأمثل فالأمثل والأقل فجورا فالأقل.. وجوزوا تحليف الشهود عند إلحاح الخصم، وإذا رأى الحاكم ذلك؛ لفساد الزمان) [٣].

محور ثابت لا محيد عنه:

وحول ما سبق قال: الدكتور محمد الزحيلي: أن الأصل في الشريعة هو ثبات الأحكام، وأن لفظ الأحكام في القاعدة ليس عامًا، مع التذكير والتركيز على أن الأحكام الأساسية الثابتة في القرآن والسنة، والتي جاءت الشريعة لتأسيسها بنصوصها الأصلية: الآمرة والناهية، كحرمة الظلم، وحرمة الزنا والربا، وشرب الخمر والسرقة، وكوجوب التراضي في العقد، ووجوب قمع الجرائم وحماية الحقوق، فهذه لا تتبدل بتبدل الزمان، بل هي أصول جاءت بها الشريعة لإصلاح الزمان والأجيال، وتتغير وسائلها فقط[٤].

---

(١) الأنعام : ٣٨.
(٢) مجلة الأحكام العدلية (مادة: ٣٩).
(٣) شرح القواعد الفقهية (٢٢٩).
(٤) من القواعد الفقهية على المذهب الحنفي والشافعي للدكتور محمد الزحيلي (٣١٩)، بتصرف.

إذن وسائل الوصول إلى تطبيق الحكم الشرعي هي التي تتغير، بمعنى أن الاستراتيجية واضحة وثابتة، أما التغير فيكون في التكتيكات العملية، فالحاكمية لله مثلاً، والولاء والبراء، وعزة المسلم، وغيرها... ثوابت لا تتغير ولا يمكن التنازل أو التغاضي عنها إطلاقاً من حيث المبدأ والأصول، أما الممارسة اليومية للتطبيقات العملية فهي التي تختلف من حال إلى حال ومن زمان إلى زمان. فنرى الذين يقعدون لهذه الأصول، ويبحثون فيها، ويدافعون عنها، ويعرون من يردها؛ وإذا أرادوا الممارسة تناسوا الزمان والمكان الذي هم فيه مما يؤدي إلى وقوعهم في حيص بيص فهم إذا وضَّحوا وقعوا في الحرج، وإذا تركوا الأمور من غير توضيح ضاعت الناس وجاء الشباب من غير خلفية ودراية لأصول العمل، وطبقوا هذه القواعد، وأوقعوا أنفسهم وأهليهم وشعوبهم وبلادهم في مشاكل لا حصر لها وما خبر القاعدة عنا ببعيد.

بين حالتي الضعف والقوة:

لا بد في العمل الإسلامي من ملاحظة أمر غاية في الأهمية وهو التفريق بين حالات الأمة في عصورها، فالأمة الإسلامية مكثت قرابة عشرة قرون تحكم العالم، ورسالتها فيه مشهورة، ومكانتها معلومة، ولكن هذه القرون لم تكن سواءً في سنائها وازدهارها، فأوائلها غير أواخرها، ويمر عليها في بعض الأحيان ضعف وفي البعض الآخر قوة. وكل حال من الحالين له أحكام وأحوال خاصة به. من هذه الأحوال:

الحالة الأولى: (حالة القوة) وهي مقتضى الظهور والقوة والمنعة والقدرة؛ وهنا تؤمر فيه الجماعة المسلمة بما يتوافق معها من إقامة الشرائع، وإظهار الديانة، والأخذ على يد الظالم، وما يتعلق بذلك من شئون السياسة الشرعية.

الحالة الثانية: (حالة الضعف) وهي مقتضى الغربة والقلة والضعف والقهر؛ فيؤمر فيها الأفراد بالاستمساك بالعقيدة الصحيحة، وتعلم العلم،

وأداء العبادات المأمورة، وعدم الركون إلى الظالمين، والصبر والثبات على الحق، والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، يقول-سبحانه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١].

وهذا ما فسره حال الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- من الصبر على الإيذاء والتعذيب، وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ، فقد مكث ثلاثة أعوام يدعو سراً، وبعد أن أعلن دعوته لاقى من المشركين ما لاقى هو وأصحابه -رضوان الله عنهم أجمعين، ولم يؤذن له بالجهاد ولو دفاعيًا إلا في السنة الثانية للهجرة عندما قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[٢]، بينما في السابق سئل النبي ﷺ أن يدعو الله على قريش فلم يدع، فقد جاء عن خبّاب بن الأرتِّ قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا : ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ قال: «**كان الرجل قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»[٣]. إذن العجلة والتعجل مرفوضة حتى في مجال الدين، فإن هناك قواعد وتطبيقات يجب أن يعمل بها، ووسائل يجب أن تتخذ في سبيل إقامة هذا الدين، فليس الأمر بالتعجل ولا بالتسرع ولا بالغوغائية أو العشوائية.

---

(١) هود : ١١٢-١١٥.
(٢) الحج : ٣٩.
(٣) أخرجه البخاري (٣٦١٢، ٦٩٤٣).

بين العرض النظري والتطبيق الفعلي:

من المناسب أن نفرق بين آليات العمل الإسلامي على أرض الواقع ومراعاة زمان وحال الأمة من جهة، والالتزام بالثوابت وأصول الدين من جهة أخرى، ولذلك فعند التنظير والتأصيل يجب أن تُعطى حقائق هذا الدين نقية صافية كما وردت في الكتاب والسنة، ولكن حين وضع برنامج العمل وآليات التنفيذ اليومية لابد من النظر في قواعد هذا الدين وكلياته ومقاصده وفهم لطبيعة السياسة الشرعية.

فعلى سبيل المثال: حين النظر في العلاقة مع اليهود تجد أن هناك مجموعة من الأحاديث فيها تأسيس للبناء العقدي عند المسلم في مبدأ التميز والولاء والبراء، فنقرأ قوله ﷺ: «**لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه**»[1]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[2]، لكن حين الممارسة رأينا أن النبي ﷺ قد راعى الظرف الزماني والمكاني الذي تعيشه الدولة الإسلامية، في غزوة الخندق عندما اشتد الحصار وعظمت المؤامرة وتكالب الأحزاب من كفار قريش وحلفائها مع يهود المدينة من الداخل، وهنا التفت النبي ﷺ للأَنْصَار وقال: إن العرب قد كالبتكم ورمتكم عن قوس واحدة فهل ترون أن ندفع شيئا من ثمار المدينة إليهم ؟ فقال الصحابة لما رسخ في أذهانهم ومعتقداتهم من العلو والعزة: **يا رسول الله، إن قلت عن وحي فسمع وطاعة، وإن قلت عن رأي فرأيك مُتبع، كنا لا ندفع إليهم ثمرة إلا بشرى أو قِرى ونحن كفار، فكيف وقد أعزنا الله بالإسلام؟**

ومثال آخر: في غزوة الحديبية رأينا النبي ﷺ تعامل مع الظرف الزماني

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٧).
(٢) التوبة: ٢٩.

والمكاني مع عدم الإخلال في النظام التربوي والتكويني باعتباره أنه الأصل، فحين تم الاتفاق بين النبي ﷺ وكفار قريش كانت شروط المعاهدة متعبة على المسلمين في مبادئهم وعزتهم وكرامتهم، فكيف يردون من جاءهم مسلمًا إلى الكفار في حين أن الكفار لا يردون إلى المسلمين من جاءهم مرتدًا!! وهذا هو الأمر الذي جعل عمر رضي الله عنه يقول للرسول ﷺ: ألست نبي الله حقا؟.. ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟.. فلم نعطي الدنية في ديننا إذا؟ فيقول النبي ﷺ لعلمه بما يعمل، ولتعليمهم ممارسة الدين على الواقع: «**إني رسول الله ولست أعْصِيه وَهُوَ نَاصِرِي**».

فهذه صور تبين السعة والمرونة في الحركة الدعوية اليومية في ضوء الأصول العامة لهذا الدين ومقاصده من غير إخلال بالمبادئ والثوابت فتظل الحاكمية هي الحاكمية التي نزلت معانيها على النبي ﷺ، ويبقى الولاء هو الولاء كما بينه الله سبحانه وتعالى، والحب والبغض هو الحب والبغض كما في نصوص الشريعة، ولكن سياسة الدولة والظروف التي تمر بها تجعل هناك مرونة كبيرة من غير إخلال ولا إفراط ولا تفريط.

فلا بد لنا عند التطبيق من مراعاة قواعد الشريعة ومقاصدها، وفهم روحها وحاجتها حسب الحالة الراهنة والوضع المواكب، وفي مقابل ما ذكرنا رأينا الصديق رضي الله عنه حين حارب مانعي الزكاة مع كونهم مسلمين وقال قولته الشهيرة: (والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها لرسول الله لقاتلتهم عليها)؛ في حين كان بوسعه تأجيل القتال إلى حين استقرار الدولة بعد وفاة النبي ﷺ وتوليه للخلافة ولكنه نظر إلى مصلحة الأمة وحالها ومتطلباتها، فرأى أن قتالهم يأتي في مصلحة الأمة حتى لا تتجرأ القبائل الأخرى من جهة، وحتى لا يبدأ الناس بالتخلي عن الفرائض بالتالي من جهة أخرى. فالحال هنا غير الحال التي كان فيها النبي من الضيق والحرب في الخندق والحديبية، والوقت غير الوقت، والقوة غير القوة،

وعدد المسلمين بالنسبة لعدوهم هنا ليس كعددهم هناك.

العمل الإسلامي بين الواقع والمأمول:

واليوم نرى بعض الرموز في الحركة الإسلامية تخلط بين مختلفين بغير قصد، فمن خلال التتبع لبعض الكتابات نجد أن بعض الإسلاميين قد طوَّفوا في مدارس الفكر الغربي، وتأثروا برشاشها وثقافتها، وانطلقوا ينشرون أطروحاتهم في فهم الإسلام باسم التجديد والإبداع حيناً، وباسم المساحة والتيسير أحياناً أخرى.

نعم! ربما كان كثير من هؤلاء الكتاب لا يريد إلا نصرة الإسلام والذبَّ عنه، وأنه قد آلمهم هجمة التيارات العلمانية الشرسة على الأمة، فأرادوا صياغة فكر جديد، وفقه حديث يسد الثغرات - بزعمهم - على الليبراليين؛ ولهذا كان المعيار الذي استندوا إليه (تحسين صورة الإسلام)! فانهزموا أمام ذلك الواقع المنحرف، وتأثروا بالضغوط الإعلامية والفكرية، وراحوا يطوعون النصوص لتتجارى مع ذلك الواقع، وبدؤوا ينقبون في أقوال الفقهاء والمتأخرين عما يسوِّغ آراءهم..!

فلم يكن المنطلق في تحسين صورة الإسلام هو البحث في النصوص الشرعية المحكمة وتعظيمها والوقوف عند حدودها، بل كان المنطلق هو البحث عن مخارج فقهية - وإن كانت متكلفة - لتتوافق مع الرأي الفكري السائد.

وهنا تتضح المعضلة؛ الانهزامية، والاستسلام لضغط التيار السائد، وجعله حَكَماً على النصِّ..!

وخط آخر من الكتاب حصر نفسه في قوقعة الثبات المطلق، فلا يُميز بين ثابت ومتغير فالكل ثابت، ولا يُفرق بين حال وحال فالحكم لا يتغير، ثم أطلقوا عبارات ومصطلحات جديدة على كل من يحاول التغيير أو مراعاة

الظرف أو الحال دون استثناء ومن هذه العبارات: (الترخص في الدين) (تسويغ المخالفات الشرعية الناجمة عن مسايرة الركب) (اتباع الناس إن أحسنوا أو أساءوا) (علماء الضلال الذين زينوا للناس الشرك والخرافة، والبدع الكفرية...) .

تطبيق عملي على التعامل مع الواقع والثبات على المبادئ:

إن ما عاشته الكويت حول موضوع المذكرة التفسيرية لمفهوم التزام عضوات مجلس الأمة بالأمور الشرعية، وما أثير في الموضوع لبس الحجاب للعضوتين، وما تبع ذلك من استفتاء لوزارة الأوقاف؛ إلى هنا يعتبر الأمر مقبولاً ويمكن النظر والتعامل معه، فهذه الممارسة من مستلزمات دخول الإسلاميين في معترك الديمقراطية، وغيرها من مجموعة ممارسات خارجة عن القواعد الأساسية التي فهمها الدعاة إلى الله -جل وعلا- في بدايات نضجهم وتكوينهم، لكن الذي ليس بمقبول ويتصادم مع ثوابت الفهم عندنا أن نذهب (بإرادتنا) للتحاكم إلى المحكمة الدستورية، والتي قد استقر عند المتعاملين بالدساتير والتشريعات البشرية أنها الحاكمة على (كل التشريعات).

وكل التشريعات تدخل فيها التشريعات الإسلامية والوضعية، ودليل هذا الأمر أن الحكم الشرعي كان واضحاً بإلزام العضوات بحكم في لبس الحجاب الشريعة المبني على النصوص القرآنية والحديثية التي أفتت الوزارة على ضوئها، لكن أن تكون المحكمة الدستورية هي الحاكمة على نصوص الشرع؟ أمر غير مقبول، والالتجاء إليها بعد صدور الفتوى الشرعية تقديم لحكمها على الحكم المستقى من النصوص الثابتة في الموضوع. كما يجب أن لا ننسى أن التزام المرأة باللباس الشرعي حين الدخول إلى البرلمان من الضوابط التي وضعت عند إقرار حق المرأة في الترشح.

فلو أن الإسلاميين في المجلس استفادوا من هذه الحادثة في بيان أصولهم

ودعوتهم وثوابتها لكان الأمر موافقاً للشريعة وأصول الاعتقاد ومستلزمات التحاكم؛ أما أن تكون القضية قضية قطعة قماش تضعها امرأة لا تؤمن أساساً بالمشروع الإسلامي، وتؤمن بما يسمى بالحكم المدني المستقى من النظام الغربي (دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر) فهذا مما لا يمكن أن نسميه إلا انشغالاً بغير ما يلزم، على أن الأمر لا يستحق أن يذهب الإسلاميون إلى (الياسق) ليحكم بينهم في أمرٍ تشريعيٍّ ثابت.

والأمر بالتأكيد ليس داخل في حكم الضرورة، فليست هناك ضرورة ملحة بلباس عضوة أو أكثر حجاباً شكلياً لا يسمن ولا يغني من جوع!!

خطوات على الطريق:

من المناسب هنا أن نذكر ما ينبغي على القائمين على العمل الإسلامي مراعاته[1]:

١- إن مجال التطبيق يحتاج إلى حذر شديد لأن الجمود فيه -مثل التسيب سواء بسواء- عمل على عكس ما يريده الشرع، لذلك يعيب ابن القيم على أناس تشددوا هنا «فسدوا على أنفسهم طرقًا صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له، مع علمهم وعلم غيرهم قطعًا أنها حق مطابق للواقع، ظنًّا منهم منافاتها لقواعد الشرع، ولعمر الله، إنها لم تناف ما جاء به الرسول، وإن نفت ما فهموه هم من شريعته باجتهادهم، والذي أوجب لهم ذلك: نوع تقصير في معرفة الشريعة، وتقصير في معرفة الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر»[2].

٢- المحافظة على الثوابت الدينية التي هي بالأساس القيم المنصوص عليها في القرآن والسنة. ومن تلك القيم: الولاء والبراء، الحاكمية، عزة المسلم الصدق والعدل والشورى ... وغيرها. وتبقى وسائل تنزيل تلك القيم في الواقع مفتوحة في الغالب الأعم لإبداع الأمة واجتهاداتها التي تختلف من

(١) يرجع بتوسع إلى مقالة: دور الوسطية في الاستقرار السياسي، لسعد الدين العثماني.
(٢) الطرق الحكمية لابن قيم الجوزية (١٣) .

عصر إلى عصر ومن بيئة إلى بيئة.

٣- العمل بطريقة منظمة ومتدرجة ورفيقة تراعي الواقع، وتحاول الارتفاع به إلى النموذج المأمول في تدرج، وعلى قدر الوسع والاستطاعة، ودون هزة عنيفة، ويروي لنا التاريخ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز طلب منه ابنه عبد الملك يومًا أن يقضي على المظالم والمفاسد المتراكمة دفعةً واحدةً، دون تأخر مهما تكن النتائج، قائلاً له: (ما لك لا تنفذ الأمور، فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق). ولكن عمر بن عبد العزيز أوضح ذلك قائلاً: (لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة. وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة).

٤- إشاعة المودة وبناء العلاقات الإيجابية، والابتعاد عن التعصب والأحقاد، وتوفير الثقة في الآخرين وإحسان التعامل معهم. وهذه كلها سمات لها دور مهم في بناء أحوال المجتمع على الطمأنينة والشعور بالاستقرار، والتفرغ بالتالي للإنجاز والعطاء.

٥- القدرة على التعامل بنجاح مع الأزمات التي تواجه المجتمع والقدرة على إدارة الصراعات القائمة داخل المجتمع بشكلٍ يستطيع من خلاله أن يتمكن من القيام بما يلزم من تغييراتٍ للاستجابة للحد الأدنى من متطلبات الشرع.

٦- يحسُن بالتيارات الإسلامية أن تنأى بدعاتها عن خطاب المزايدة السياسية، الذي ينطلق من خلفية الإقصاء والاستئصال، مما يؤدي عادة إلى تسميم الأجواء ونشر التدابر والتنافر والصراع عوض التآلف والتكامل والتنافس الإيجابي، وبزرع الثقة وإيجاد أجواء صحية للتنافس تسهم في تهيئة مناخ التوافق بين الفاعلين مما يعزز الاستقرار والعمل.



١٤

حتى لا يصبح عرس الديمقراطية مأتما

في ساحة الانتخابات:

كلما حاولنا الابتعاد بالحديث عن ساحة الانتخابات الكويتية، شدتنا إليها وأعادتنا إلى الحديث فيها وعنها من جديد؛ لأن التصور الصحيح لهذه الساحة أنها ميدان سباق يمكن أن يتقدم إليه من يشاء سواء تدرب قبل ذلك واستعد أم لم يفعل، ويوم السباق يبرز المتدربون المستعدون له بالوعي، والخبرة والمهارة والحنكة، وإثبات القدرة على خدمة الناس في ميادين سابقة من قبل، هؤلاء وأمثالهم يتقدمون في السباق، ويتأخر غيرهم، وليس في هذا السباق من يعوق غيره، ويضع العوائق والأشواك في طريقه ليتقدم هو؛ لأنَّ الأساس في كل سباق أن تُقوِّي نفسك لا أن تعوق غيرك، والذين يضعون الأشواك أمام المنافسين، يضعون جذور الفتنة في المجتمع، تلك التي لو شبت فإنها تقضي على الأخضر واليابس، وتَحَوُّلُ ساحة المنافسة الشريفة إلى ساحةٍ يتطاير منها الشرر كما حدث قديماً في حرب (داحس والغبراء)، لكن هناك صورةٌ واضحةٌ للجميع، وتثير الجميع للتساؤل، وتضع كثيراً من علامات الاستفهام. فالشارع الكويتي لم يعد كالسابق في استقبال الأعراس الديمقراطية ، فالانتخابات على الأبواب، ولكن لا أرى أثراً لذلك، فالحملات الانتخابية بما فيها من دعايات، ولافتات ولقاءات إلى غير ذلك لم تعد كالسابق.

فهل تحول عرس الديمقراطية إلى مأتم؟

الخلاف المذموم والخلاف المقبول:

الخلاف الذي يصل إلى حد المنازعة والمخاصمة بين الأفراد أو الجماعات أو الدول الصديقة والشقيقة مذموم ومرفوض؛ لأنه جاوز حده، وخرج عن الخط الذي ينبغي أن يظل فيه، مما يجعله كفيلاً بهدم جسور المودة بين الناس أو الدول.

وقد يختلف اثنان في الرأي من غير أن تقوم خصومة أو يحدث شقاق بينهما، لأن خلافهما يعبر عن وجهة نظر كل منهما نحو مسألة معينة، وقد يتفق المختلفان على حل مشكلة من المشاكل ثم يختلفان في وسائل هذا الحل، وقد يتفقان على الهدف والوسيلة ويختلفان في المدة الزمنية اللازمة لذلك.

فليس بالضرورة أن يكون الخلاف تاماً في كل شيء؛ إذ قد تتعدد وجوه الاتفاق حول الشيء الواحد وتختلف وجهات النظر حول جزئية محدودة منه، ومن الضرورة اللازمة أن يظل الخلاف في دائرته المحدودة لا يخرج عنها ولا يتجاوزها، ولعل المقولة المشهورة: اختلاف الرأي لا يفسد للودّ قضية، تدخل في إطار الخلاف المحدود الذي يتفهم كل طرف فيه دوافع الآخر وأهدافه، فيلتمس له العذر في هذا الخلاف، ويكون هذا العذر بمثابة نقطة التقارب والالتقاء بين الطرفين، مما يجعل تلاحم الصف وتقاربه يقوم من غير منغصات.

بضاعة في سوق الديمقراطية:

ولسنا نعدم في ساحة الانتخابات من يتقدم بتاريخه في خدمة الناس، تدفعه إلى ذلك الثقة، فلا يشتط في وعوده، ولا يسفُّ في كلامه، ولا يتعرض للأشخاص أو الهيئات بالتجريح، ولا يرمي بالاتهامات هذا أو ذاك من الذين عرف عنهم المجتمع صدقهم وإدراكهم لمتطلبات الناس، وحرصهم على المصلحة العامة، التي تدعوهم إلى الإقدام حيناً وإلى الإحجام حيناً، فلا يتأخرون عند الإقدام، ولا يتباطئون عند الإحجام، ففي ساحة الانتخابات هذا الصنف . وفيها صنف آخر لا يدرك من أبجديات هذا السباق إلا أنَّ عليه أن يشوه صورة هذا أو ذاك، وأن يتهم -بغير دليل- زملاء السباق بتهم صغيرها يستحق المحاسبة وأحياناً المقاضاة أمام القضاة، وهؤلاء وأمثالهم يعتمدون على الطائفية والحزبية، وكل ما يؤدي إلى التمزق النفسي، ويترك في النفس آثاراً قد تبقى زمناً حتى تمحى. فلماذا هذا التشويه وهذا التمزيق؟

إنَّ سوق الديمقراطية- إن صح التعبير- يعرض فيه كل مرشح ما عنده من البضاعة من غير أن يذم هذا بضاعة ذاك، فإن كانت حسنة أقبل عليها الجمهور واشتراها بثمن غال، وإن كانت كاسدةً فاسدةً أعرض عنها وتخوف من شرها أو القرب منها.

إن هذه الساحةَ الانتخابية وُجدت، ليستشعر المواطن فيها أهميته، وليُدرك أن له رأيا في تقرير أمور دولته عن طريق وكلائه وممثليه في مجلس الأمة، فهو بذلك عضو متفاعل مع الآخرين في الدولة، وهذا التفاعل العام من جمهور الناس يؤدي إلى قوة القرار وقوة في النظام وقوة متماسكة في الدولة.

فهل الاتهامات والشائعات للأفراد أو للهيئات تؤدي إلى ذلك؟

وهل تصنع المزايدات المقوتة- في سوق الانتخابات- غير الفرقة والشتات؟

أخطار وتحديات:

إن هذه الانتخابات لا ينبغي أن تجعلنا ننسى أن الوضع الإقليمي ينحو إلى (اللااستقرار) وهذا يستلزم منا فهم العلاقات الدولية ومدى ارتباط الداخل بالخارج، ولنحذر حتى لا نكون كأهل روما الذين جلسوا يتجادلون في صغائر الأمور وروما تحترق من حولهم.

وإن أمامنا تحديات صعبة في القرن القادم وفي العقود الأولى منه على وجه التحديد، حيث تتوالى في كل يوم- تقريبا- اكتشافات بترولية ضخمة، وتدخل إلى سوق النفط دول جديدة مما يجعل المعروض من هذه السلعة يفوق الطلب كما أنه يمكن للدول الصناعية التلاعب بأسعار البترول، أو الإعراض- بعض الوقت- عن استيراده من جهة معينة، فإذا أضفنا إلى ذلك المتطلبات الكثيرة التي تحقق لعدد كبير من الشباب الوظائف والمساكن وتوفر للناس الخدمات الصحية والتعليمية وغيرها أمكننا أن نعرف مدى الجهد الذي ينبغي أن نبذله

لتحقيق المطالب والقضاء على المشاكل. وكل جهد في ذلك المجال تضيع ثمرته إذا صاحبه الخلاف والشقاق والتنازع بين الهيئات أو المؤسسات أو السُّلطات.

ومن هنا تأتي أهمية اتخاذ الوسائل الشريفة للغايات الشريفة، دون أن يـؤثر فيها حدث طارئ ينتهي يوم الانتخاب، فلنحتفظ- دائماً- باحترامنا لأنفسنا وللآخرين، ولنبتعد عن كل ما يسيءُ أو يشين حتى تبقى صفحةُ الانتخابات في حياة الكويت بيضاءَ نقية، وحتى تظل الكويت كلها في قلب كل مواطن، يحرص على سلامتها، ويساهم في حمايتها، ويعمل على بنائها وصيانتها من كل من يحاول العبث فيها.

أيدلوجية العمل في المشروع الإسلامي:

روى البخاري بسنده عن خباب بن الأرت ﷺ قال: هاجرنا مع رسول الله ﷺ، نبتغي وجه الله، فوجب أجرنا على الله، ومنا من مضى، أو ذهب لم يأكل من أجره شيئا، كان منهم مصعب بن عمير قُتل يوم أحد لم يترك الا نمرة كنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطي بها رجلاه خرج رأسُه فقال لنا النبي ﷺ: «**غطوا بها رأسه واجعلوا على رجله الإذخر**»[1].

نسوق هذا الحديث ونحن نعلم أن للنفوس حظوظاً فهي تطمع دائماً لكي ترى نتاج جهدها وفعالها لكن الحقيقة أنها ما تكاد تدخل في صلب العمل حتى تؤجر على كل جهد تبذله، قد ترى نتاج جهدها في الدنيا وقد لا تراه، وهذه حقيقة.

فالفرد في العمل الانتخابي أو العمل الإسلامي الإصلاحي بصورة عامَّة: عليه أن ينطلق من هذا المفهوم ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[2]. والعامل في إنجاح المشروع الإسلامي لا ينطلق من أجل مناصرة شخوص قد تنجح وقد لا تنجح، وإنما ينطلق من

(١) أخرجه البخاري (٤٠٤٧).
(٢) الأحزاب: ٢٣.

أجل مناصرة المشروع الإسلامي بعامة ويناصر المرشح الذي يستطيع أن ينجح المشروع الإسلامي كله أو بعضه. وهنا جانب نفسي نشير إليه، فللنَّفس حساباتها الخاصة، فهي قد تميل إلى هذا المرشح أو ذاك ولها الحق، ولكن في العملية الانتخابية لا اعتبار لهذه المسألة؛ لأن التقدير لابد أن يكون وفق النظرة العقلية التي تقيس الأمور بمبدأ الربح والخسارات في إنجاح المشروع الإسلامي، فالمواطن يضع صوته لمن يملك القدرات التي تؤهله لكي يمثله في المجلس وعنده قدرات كافية لإنجاح المشروع الإصلاحي سواء مالت النفس إليه أم لم تمل.

القوى الإسلامية والليبرالية بين الفوز الشعبي والفوز القبلي:

من حق كل قبيلة، وعائلة أن تزكي بعد مشاورات من لديه القدرة في أن يمثلها في مجلس الأمة أفضل تمثيل، على أن يكون معيار الكفاءة في إطار القدرات هو معيار الاعتبار لا اعتبار قوة العدد أو الأفخاذ في القبيلة.

وهذا الاختيار على أساس من اعتبار الكفاءة لا يحتاج إلى انتخابات فرعية ومطاردات؛ لأن آليات الاختيار كثيرة ولابد أن تكون وفق الطرق الديمقراطية السليمة.

لقد رأينا كيف أنَّ الساحة الأمريكية انشغلت إلى ما يزيد عن ستة أشهر بأمر الانتخابات الحزبية لمن سيمثل الحزب الديمقراطي أو الجمهوري في الانتخابات الرئاسية القادمة، هذه آليات ديمقراطية مقبولة ولا شيء فيها ولعل تطبيقها للقبيلة لا يخالف اللوائح والنظم المتعلقة بالعملية الانتخابية ومن الممكن أن ينظم تنظيماً رسمياً في المجلس القادم، بنفس آلية الأحزاب الأخرى والتصفيات التي تكون في داخلها على أن تكون عملية الاختيار قائمة على الكفاءة والقدرة، وليست على العصبية العددية وحين ذاك لا يكون هناك مخالفة ، وليس في هذا مخالفة لا عقلاً ولا واقعاً، بل إن التكتلات الإسلامية

والليبرالية تمارس هذا الأمر منذ فترة لكن في حدود آلية معينة تخرج الأَكفأَ والأقدر على تمثيل تلك الحركة أو التكتل.

فهل يستطيع مجلسُ الأمة القادم أن يقرر هذا النظام ويتماشى مع النظم العالمية الديمقراطية، بدلاً من المحاربة العشوائية والتعنت في تطبيق القوانين؟

وهذا الأمر الذي نقوله هو الذي يبين الفارق بين تصفيات في إطار الأصلح والأقوى والأكثر تمثيلاً لأي تكتل سياسي أو قبلي، وبين الانتخابات الفرعية التي تنتج أعداداً وأسماءً بحسب عدد فخاذ القبيلة والتنسيق بين الأفخاذ القوية، لإخراج أربع مرشحين، وهذا لاشك سيحرم القبيلة من عناصر جادة تتمتع بالكفاءة ويمكنها أن تثري العملية الديمقراطية.

أما الآن وقد تم الفرز القبلي وفق انتخابات فرعية في إطار لا ديمقراطي، وخرج ممثلون لكل قبيلة فنحن نبارك لهم هذه التزكية لكننا نتمنى أن لا تجري العملية الانتخابية بصورة الصناديق المغلقة وأن يعطوا فرصة أكبر للمشاركة مع أبناء الدائرة الواحدة، فالمراهنة على أن القبيلة تملك عدداً كافياً من الأصوات الذي يضمن النجاح باعتبار أن هناك التزام بصوت واحد للمنتمين، والمقابل أرقامهم وإن كثرت أضعاف رقم القبيلة فهي موزعة، فالمراهنة على هذه المعادلة تحمل من الخطورة الكثير، ما لو تكتلت المجاميع في نفس الدائرة ضمن هذا التكتل القبلي، الذي يريد أن يفرض نفسه من خلال الصورة الملتزمة عنده، وقد يحرم من أسماء لها إثراء في المجلس ومجربة عن أن تشارك في المجلس القادم على اعتبار أنها لا تحظى بتأييد القبيلة لا لشيء إلا لكونها لم تدخل الانتخابات الفرعية.

أمنية على الحركة الإسلامية:

أمنيتنا على الحركة الإسلامية: أن توجد نظاماً يحفظ للقبيلة مكانتها في المجلس، لكن بالكفاءات التي تقدم الوطن ومصلحته على القبيلة والأجندة

الخاصة لناخبي القبيلة.

في دائرة العمل اليومي:

عندما تستقر الأهداف، وتتضح الغايات، وتتنوع الوسائل تبعاً لتنوع الموضوعات وبصورة لا تتعارض مع الغايات والأهداف والاستراتيجيات، حين ذلك يمكنك أن تقول: سنرى أطروحات متميزة وحلولاً واقعية مُجدية.

وهذا ما تفعله الحركة الإسلامية الأصيلة.. فهي إسلامية المنهج، وإسلامية الأسلوب، وإسلامية التقعيد، وإسلامية الموقف والبيان، وإسلامية الأطروحات. لا تسبح في الرمال ، ولا تنحت في الجبال، ولا تبني قصوراً من خيال، تسير بخطوات واقعية، وتتبنى أطروحات لم تصنع في جو من الضوضاء السياسية ،أو المصالح النفعية التجارية؛ لذا نراها قد تميزت وكسبت أنصاراً ومواقف على مدى تاريخها الطويل.

ومن أبجدياتها في فهم واقعها ومشكلاته وإيجاد أطروحات مناسبة، أنها لا تقاس بصراخ اليوم والغد ، بمقدار ما تقاس على تأصيل المواقف وفق استراتيجيتها وأجندتها الوطنية.

ومن أبجديات العمل السياسي المثمر البنَّاء: التخلي عن فرض الأجندات الخاصة، والتي يجيدها البعض بحق، أو بغير حق، والاعتماد على رقعة الأصوات، والحرفية في تلبيس الباطل لباس الحق وتزيين المصالح الشخصية حتى ترى في هيئة المصالح العامة.

ومن الأبجديات أيضاً: أن الخطأ يعالج على قدره فلا مجال للمزايدات التي ليس من ورائها طائل إلا زيادةَ الحرارة في واقعنا السياسي الذي لم يعد يحتمل، فنحن أحوج ما نكون إلى الأطروحات الواقعية المجدية، والابتعاد عن صب الزيت على النار، وإحداث (جعجعة بغير طحين) إن الواقع السياسي لا يزال مضطرباً والإصلاح التنموي المجتمعي لا يزال متوقفاً فلماذا هذا الأمر.. ولماذا

ندخل في حلبة صراع عنوانها: البقاء للأقوى، وأظن أننا الآن في وضع لا نحسد عليه.

لقد أصبحت سياسة التشنيع، والتلفيق، والابتزاز، والتصريحات هنا وهناك بدون نظر إلى العواقب، والتي قد تخفي الحقائق بعض الوقت ولكنها سرعان ما تنقلب على صاحبها كالسحر على الساحر، وهنا يأتي دور الإعلام الذي لا بد أن يبحث عن الحقيقة ولا يتخطاها، ولا يشارك بسمعته وقدره في معارك خاسرة، ولا يسيَّس عن قصد أو عن غير قصد في تنفيذ الأجندات الخاصة التي لا يعود النفع فيها إلا على فئة قليلة على حساب الكثرة الغفيرة.

الحركة الإسلامية بين الولاءات والمصالح:

وقد تتفق رُؤى الحركة الإسلامية في الكويت مثلاً مع رؤى التيارات العلمانية والليبرالية في قضية مكافحة الفساد بأشكاله المختلفة وتفعيل الرقابة على الأداء الحكومي، ولكن هذا لا يؤثر على مبدأ الولاء الأصيل، ورفض التيار الإسلامي لطبيعة الحياة، وأسلوب الحياة العلمانية التي تريد: (ما لله لله، وما لقيصر لقيصر) !! وقد يلتقي التيار الإسلامي مع التيار القومي في ضرورة نصرة القضايا العربية، وخاصة القضية الفلسطينية، وهذا لا يستدعي انتقال الولاء من الفكرة الإسلامية إلى الفكرة القومية، وقد يستدعي التقاء المصالح مع الإمبراطورية الأمريكية في تحرير الكويت من براثن النظام الصدامي البائد، ولكن هذا لا يستدعي استبدال سجادة الصلاة بالعلم الأمريكي، وقد يستدعي الاهتمام بمقدسات المسلمين تقديم الدعم الحيوي والضروري لنصرة فلسطين، ولكن هذا لا يستدعي القبول بأطروحات السلام التي تستهدف إسقاط حقوق المسلمين في المسجد الأقصى وباقي المقدسات الإسلامية.

فالمصالح قضية تكتيكية متغيرة، والولاء قضية تأصيلية ثابتة، فلا توالي الحركةُ الإسلاميةُ إلا الخالقَ سبحانه وتعالى، ومنهجه، ودينه وشرعه، فنوالي من ينتصر لدين الله، ويعمل على رفعته مهما اختلفت رؤانا ومصالحنا الآنية المؤقتة

معهم، ونعلن البراء، والعداء لمن يعادي ديـن الله- سـبحانه وتعـالى- ومنهجـه وشريعته، مهما التقت مصالحنا الآنية المؤقتة معهم، فهذا من عقيدة الإسلام التي نلقى الله عليها لا مبدلين، ولا مغيرين، فلا ننحاز إلى غير الهـمِّ الإسـلامي، ولا مستعدين أن ننسلخ من جلدنا مهما كثرت فيه إصابات الأعداء.

أسرار نجاحات الحركة الإسلامية:

لم يعد خافياً بعد كل ذلك أن نجاحـات الحركـة الإسـلامية، ترجـع لعـدة أسباب منطقية وعقلانية، ومنها:

١- التعامل العقلاني الـواعي للحكومـة والـسلطة في الكويـت، ومـدى معرفة الحكومة مصداقية التيار الإسلامي، وحرصه على الوحدة الوطنية وأمن البلد، وتجلى ذلك في مواقف كثيرة كان الغزو لوحة أساسية فيها.

٢- اعتدال الحركة الإسـلامية وتبنيهـا لمـنهج وسـطي، وعـدم انحـدارها للاستفزازات والافتراءات العلمانية، وتقديم العمل على الجدل ،والتنبيـه عـلى خطورة التطرف أينما كان مصدره ، مع الحفاظ على اللحمة الوطنية ، والعمـل المدني الناضج.

٣- وجود المتنفس للتعبـير الحـر، والممارسـة الديمقراطيـة أبعـدت التيـار الإسلامي عن التهميش، واستفاد المجتمع من إسـهاماته في البنـاء، والتنميـة، وعدم وجود سياسة الإلغاء، والكبت كما في دول أخرى قريبة وبعيدة.

٤- الاهتمام بهموم الناس، والمساهمة في وضع الحلول، والعمل الاجتماعي والتربوي ، والخيري، والنقابي، وتنويع لافتات العمـل الإصـلاحي، وخدمـة المجتمـع الكـويتي، ودفـع الطاقـات المبدعـة، والمتميـزة، وإقامـة المـشاريع الاجتماعية التربويـة، والخيريـة، وتنظـيم الفعاليـات، والأنـشطة الاجتماعيـة، وتنفيذ البرامج والحلـول العمليـة في كـل مـا يخـدم الـشعب الكـويتي بـدون الاعتماد على منابر التنظير والاكتفاء بمقاعد المتفرجين.

شرف الغاية والوسيلة مع العدل والإنصاف:

العمل السياسي في ظل الإسلام محكوم بالضوابط الأخلاقية المستمدة من روح الشريعة الإسلامية، فالغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة، بل إن الوسيلة والغاية كلتيهما لا قيمة لهما إذا انحرفتا أو انحرفت إحداهما عن ميزان الشريعة، والعمل السياسي الواقعي الآن في كثير من بلدان العالم، يعتبر الوسيلة أداةً موصولة إلى الغاية يستوي في ذلك شرف الوسيلة أو عدم شرفها ما دامت الغاية قد تحققت.

وكثيرٌ من غايات الدول تتحقق في عالم السياسة بوسائل غير شريفة، الأغراض، قد تكون شريفة حيناً ،وغير شريفة كذلك في معظم الأحيان، وتاريخ الاستعمار الذي كان يغطي كثيراً من سطح الكرة الأرضية حافظ بالمثالب التي ديست فيها الوسيلة، ومرغت في الأوحال من أجل الوصول إلى الغاية، وفي سبيل هذه الغاية تُقتل نفوس، وتُزهق أرواح ، وتُنهب أموال، وتُنتهك أعراض، وتضيع كرامات، إلى غير ذلك مما لا صلة له بدين ولا خلق.

والعمل السياسي الإسلامي بينه وبين هذه الوسائل الخسيسة حواجز وسدود مهما بلغ الاحتياج إلى تحقيق الغاية، ففي فتوح الشام: اضطر المسلمون للتراجع عن بلدة كانوا قد فتحوها، وأخذوا من أهلها الجزية مقابل الحماية لهم، فلما تراجع المسلمون عن البلدة، ردوا لأهلها أموالهم وقالوا: إنما أخذناها منكم مقابل حمايتكم، وقد اضطررنا للتراجع فنحن نُرجع لكم أموالكم، وكان هذا سبباً في إسلام أهل هذه البلدة بعد ذلك، وحين فتح الجيش الإسلامي مدينة (سمرقند) بعث أهلُها إلى الخليفة يقولون: إن جيش المسلمين لم يلتزم بالقواعد الأساسية حين استولى على المدينة، وهي تخيير أهلها بين الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب، إنما دخل المدينة محارباً من أول الأمر، فما كان من الخليفة إلا أن أصدر أمره بأن ينصب قاضياً ليقضي بينهم فحكم القاضي بالانسحاب من المدينة والخروج منها، وكان هذا المسلك سبباً

في دخول أهل هذه المدينة الإسلام، الذي بهرهم التزامه وعدله، والتمسك بالوسيلة المشروعة في سبيل تحقيق الغاية المشروعة كذلك، التي تنأى عن الهوى والرغبة، وتلتزم العدل، والقسطاس، ولذا كان العدل، والإنصاف من أول الضوابط التي لابد منها للعمل السياسي الإسلامي.

يقول الإمام ابن تيمية: (الأمَّة العادلة تبقى وإن كانت كافرة، والأمة الظالمة تهلك وإن كانت مسلمة).

فالعدلُ هو: ميزان بقاء الأمة وتماسُكها إن وجد فيها، وهو سبب انهيار الأمة وهلاكها إن غاب عنها، ولذا أمر الله به في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[1] وجاء الأمر به في آية، مع النهي عن الجور الذي قد تدفع إليه ضغينة من الضغائن ، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[2] .

ويوم يسود العدل، تتلاشى كثير من المشاكل التي تواجه الأمم، وتذوب العصبيات العرقية، والمذهبية، وتختفي امتيازات بعض الناس على بعض بدون سبب عملي واقع ،ويقبل الناس الأحكام بالرضا ، والامتثال، وإن كانت لغير صالحهم اليوم فستكون لصالحهم غداً، حين يحاول شخص ما أو جماعة ما، أو طائفة ما الاعتداء عليهم فيجدون في رحاب العدل من يكف شر المعتدين، ويزيل الظلم عن المظلومين، وينتصف للضعفاء المستذلين من الأقوياء المستكبرين، فتبقى الأمة، ويقوى بناؤها المبني على أسس متينة من التقوى، قال عامر لعمر بن الخطاب- رضي الله عنهما: عظني، قال: أوصيك بتقوى الله، ودعوتين ترجو إحداهما، وتخاف الأخرى، دعوة لهفان تعينه بالشيء فيدعو لك، ودعوة مظلوم، وهي أوشك صعوداً إلى الله وأسرع كَرَةً. وهذا الذي قال عمر،

(١) النساء : ٥٨ .
(٢) المائدة : ٨.

قد بين به أساس العدل في الأمة وهو تقوى الله، وبين جانبي العدل المتمثلين: في معونة المحتاجين، ورفع الظلم عن المظلومين بكف يد الظالمين.

وهذا بعينه هو ما فعله ذو القرنين الذي مكَّن الله له في الأرض، وآتاه من كل شيء سبباً، حين كفَّ الظالمين فقال ما حكاه القرآن، الكريم عنه: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾[1]، وأحسن إلى المحسنين فقال ما حكاه أيضاً القرآن الكريم: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾[2].

وللقصة ظلال عديدة، وحواشي وفيرة، كلها تمت إلى العدل بسبب، ولكنَّا نُعرضُ عن تفصيلاتها، أن دعائم العدل ثابتة البنيان، راسخة الأركان، ولذا تَبقى الأمةُ العادلة، وتزول الأمةُ الظالمة، وقد فهم المسلمون الأولون هذه الحقائق، فقاموا بالعدل خيرَ قيام، وحرصوا على تنفيذ أمر الله به، دون نظر إلى من يُطبَّق عليه، وقصة القبطي المصري الذي ضربه ابن عمرو بن العاص والي مصر، قصة مشهورة معروفة، حيث اشتكى هذا القبطي إلى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب، الذي جاء بعمرو وابنه، وأمر القبطي أن يضربَ ابن عمرو بن العاص ، فضربه، ثم أمره أن يضرب عمرو بن العاص، معللاً بقوله: لأن ابنه ضربك بجاهه، ولكن القبطي اكتفى، وقال: يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني، وقد سجل التاريخ مقولةَ ابن الخطاب في ذلك: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أُمهاتهم أحراراً) ، فالعدل العدل، والإنصاف الإنصاف، حتى ولو على أنفسكم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[3].

---

(١) الكهف : ٨٧.

(٢) الكهف : ٨٨.

(٣) المائدة : ٨.



١٥ أ ـ الدولة والمواطن بين النصح والنصيحة
ب ـ المال في سوق السياسة
(نظرة في القواعد الفقهية)

أ ـ الدولة والمواطن بين النصح والنصيحة:

مفهوم المعارضة:

للمعارضة في الإسلام اعتبارها، لا حبا في المعارضة وإلا كانت جدلاً مذموماً لا قيمة له، وإنما هي بيان لأفضل السبل وأحسن الآراء التي تحقق مصالح الناس وهي بهذا المفهوم منهج لعدل قويم يلتزم به المسلمون، فلا يأنف كبير من أن يقال له: أخطأت ولا يخشى صغير من أن يقال له: تجرأت، فالحق رائد الجميع، والصواب في الأعمال والأقوال هو المبتغى، وهو الوسيلة لبيان الأخطاء دون تعرض للأشخاص بتجريح أو إساءة، وإنما التعرض للأعمال والأقوال حيث توزن بميزان الشرع مع الالتزام بالضوابط اللازمة لذلك، ومع الأخذ في الحسبان بتقاليدنا الأصيلة والعادات القويمة التي لا تحيد عن الدين.

نقول هذا لعلمنا أن منهج المعارضة الإسلامية يقوم على قواعد شرعية:

أولا: المنكر يزال:

وهل يرضى أحد من الناس يحب الخير للمجتمع والناس أن يعيش في عفة والناس من حوله يكتوون بالمنكر؟ إن إزالة المنكر أمر فرضه الشرع لينفي عن المجتمع خبث الشر والإثم والبهتان، وليبقى عنصر الصلاح فيه قائماً، والأخلاق فيه سائدة.

والقرآن الكريم قرر ذلك قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ

ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [(١)].

وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[(٢)].

وقد بين رسول الله ﷺ أن إزالة المنكر قد يدفع الإنسان ثمنها حتى يصل به الأمر إلى حد أن تزهق نفسه وهذا غير مانع من العمل الجاد على إزالة المنكرات لأن من يقتل في سبيل الله هو من الشهداء بل هو سيد الشهداء، قال ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**»[(٣)].

ثانيا: درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة:

إذ لا قيمة لمنفعة تقوم بجانبها مفسدة، وإلا لأودت المفسدة في النهاية، وسد الذرائع مقدم على جلب المصالح، فإنكار المنكر يجب ألا يترتب عليه ما هو أكبر منه أو يضيع على صاحب الفضيلة من الخير ما هو أكبر من أثر إنكار المنكر.

ثالثا: الأخذ بأخف الضررين واجب:

المنكر لا يزال بمنكر أشد منه وإلا عم الضرر وساد الفساد، فدور اللهو تأخذ من وقت الناس وأموالهم ما لا طائل وراءه، ولا جدوى منه ولا نفع له في خلق ولا دين منكر ينبغي أن يزال، ولكن إزالته بالاعتداء على العاملين فيه قد يكون منكراً أشد، ولا يزال المنكر الأخف بالمنكر الأشد؛ لأن ذلك يترتب عليه أضرار قد تلحق بالكثيرين من الناس، فيكون الضرر أشد والمنكر أعم.

رابعا: بين النصح والنصيحة:

الانتخابات تستحوذ على النصيب الأكبر من الاهتمام عند المواطن الكويتي، وصار شغل الناس الشاغل هو الحملات الانتخابية وما يدور فيها

---

(١) التوبة: ٧١.

(٢) أخرجه مسلم (٤٩).

(٣) أخرجه الحاكم (٤٨٨٤)، وصححه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٧٥).

وما يتعلق بها من عقد مؤتمرات وحضور ديوانيات ولقاءات صحافية ومقالات سياسية، وهذا أمر طبيعي في بلد زاد فيها وبشكل ملحوظ الوعي السياسي إلى أن وصل –أحياناً– حدود الإفراط لكن في زحمة هذه الحملة والتي ستضع أوزارها– بإذن الله– بعد منتصف مايو قد يغيب عن ذهن البعض فيها أن المقصود من ذلك كله هو تحقيق مفهوم النصح والنصيحة، فهدف الجميع المصلحة العامة التي تعود على كل فرد من أفراد الكويت، وهذه المصلحة العامة إنما تتحقق إذا عاش الناس وتعايشوا مع مفهوم المناصحة المتبادلة، والتي جعلها النبي ﷺ هي الدين فعن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**الدين النصيحة**»، قلنا: لمن يا رسول الله؟ فقال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1]. واللفظ النبوي للنصيحة جاء مبهماً حتى يستفهم الصحابة، ولما استفهموا وسألوا قال لهم، لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

والنصيحة لله تتضمن إخلاص العبادة له– سبحانه– والشهادة بوحدانيته وربوبيته والنصيحة لكتابه تتضمن تصديقه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والنصيحة لرسوله تتضمن الإيمان به، وتصديقه، والسير على منهجه.

أما النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم، فهي التي لابد أن تتجلى في هذه الفترة ولابد أن تكون الخلق العام للجميع، فيصير هدف الجميع هو العمل في إطار النصح والمناصحة لترتفع المصلحة العامة وتعلو على المصالح الشخصية فلا ينظر إلى الانتخابات على أنها مباراة بين خصوم لتحديد الرابح من الخاسر، ولا ينظر إلى المرشحين على أنهم في حلبة صراع والبقاء للأقوى، فلا نرى إلا حالة من التأهب لرد الادعاء، بادعاءات ولا يظهر على صفحات الجرائد إلا المساوئ والعيوب وتغيب لغة الحوار الهادئ والمثمر، أما الخطورة فتكمن في أن

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥).

ذلك سيورث واقعاً سياسياً عقيماً لا يخرج من دائرة التنابز بالألقاب، ولعل مفهوم النصح والمناصحة هو الذي يضع الأمور في نصابها فيشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتق كل فرد في الأمة بداية من ولي الأمر وانتهاء بأقل الناس منزلة، هذه المسؤولية فهمها الصحابة- رضوان الله عليهم- فحين بايعوا النبي ﷺ بايعوه، على السمع والطاعة والنصح لكل مسلم.

فالمناصحة دين ومنهج وسلوك اجتماعي عام ويحقق معنى الترابط بين الأفراد على أساس من الأخوة كما قال النبي ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه**»[1] فالمسلم لا يظلم مسلماً أبداً، وكذلك لا يدعه يظلم، بل يكون معه ناصحاً أميناً يحب له ما يحب لنفسه،وحاله كحال لرجل الصالح الذي قال لموسى عليه السلام ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴾[2] ولا يكون كالذي قال لآدم وزوجه كما حكى القرآن: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[3] ففرق بين الناصح الأمين والخائن المتصنع الذي يبطن مصلحته الشخصية ويظهر أمام الناس مصلحة الصالح العام.

وما أحوجنا في هذه الأيام إلى أن يعم خلق التناصح والمناصحة الأمة الإسلامية بعامة والشعب الكويتي بجميع أفراده بصفة خاصة، فينصح ولي الأمر لشعبه وينصح الشعب لولي أمره، وينصح المدير والعامل وكل في مستواه لغيره فنخطو هذه الكبوة ونرى مجتمعاً فاضلاً ننعم به.

فالدين النصيحة، ونصيحة الحاكم مقدمة على نصيحة غيره؛ لأن في صلاحه صلاح الأمة كلها؛ وأولى بنا أن نبتعد عن المنابذة مهما كانت المغريات

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٣١٠).

(٢) الكهف: ٦٩.

(٣) الأعراف: ٢٠-٢١.

من حولنا، وأن نبدأ بالمناصحة وأن نحرص عليها حتى تثمر ثمرتها وتؤتي أكلها.

ب ـ المال في سوق السياسة حكمه وأشكاله (نظرة في القواعد الفقهية):

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[2].

وفي الحديث الشريف الذي ورد في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان، قال رسول الله ﷺ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له**»[3].

واليوم في ظل الفترة التي تمر بها الكويت نتمنى أن يختفي أصحاب الضمائر الضعيفة والذمم الفاسدة حتى لا تشوه هذه العملية الانتخابية بالمال السياسي، فيصل إلى كرسي البرلمان من يستطيع أن يدفع لا من يستطيع أن يقنع، وهذه الممارسة المشوهة والمرتشية للعمل الديمقراطي، لا تلائم أبداً التطورات الأخيرة في المنطقة، فليس من المناسب وقد سبقت الكويت كل دول الجوار في هذه الممارسة الحضارية، أن تتعرض للتشويه والتزوير على يد من يبيع ويشترى بالصوت والوطن، والإمام علي ﷺ يقول: (من ضيع الأمانة، ورضي بالخيانة، فقد تبرأ من الديانة)، فكيف بالأمانة إذا كانت متعلقة بالوطن ومستقبل أجياله، فإنها والله مسؤولية ﴿ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾.

وإذا كان البعض يفضل تلوين الألفاظ فيسمى الأشياء بغير أسمائها، فإن الصوت الذي سيضعه الناخب في الصندوق سيعتبر بمثابة الشهادة التي يسأل الفرد عنها أمام الله، فالرشوة هي الرشوة حتى لو تسمت باسم الإكرامية والهدية والمساعدة والتقدير والتعاون والمحبة، فهي رشوة بنية واضحة، ونحن هنا

(١) الأنفال: ٢٧.
(٢) الأحزاب: ٧٢.
(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥)، وابن حبان (١٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧١٧٩).

لابُد أن نشد من عضد وزارة الداخلية على تتبعها وملاحقتها وتحريها لعملية الرشوة، كما لابد من توجيه لابد من توجيه التكبير والثناء للقضاء التكويني على قوة تتبعه وملاحقته للقضايا السياسية وتجريم القانون لها، كما لابد أن تكمل المشوار في إبراءٍ للذمة أمام الله أن نبين بشيء من التفصيل الرشوة ومضارها وحكمها، وقد اعتمدنا في ذلك فتوى أفتى بها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز- طيب الله ثراه- بيّن فيها الرشوة وحكمها وخطورتها وأبعادها الاقتصادية والاجتماعية على المجتمع فقال- رحمه الله:

(إن مما حرمه الإسلام، وغلظ في تحريمه: الرشوة، وهي دفع المال في مقابل قضاء مصلحة يجب على المسئول عنها قضاؤها بدونه، ويشتد التحريم إذا كان الغرض من دفع هذا المال إبطال حق أو إحقاق باطل أو ظلماً لأحد).

وقد ذكر ابن عابدين- رحمه الله- في حاشيته: أن (الرشوة هي: ما يعطيه الشخص لحاكم أو غيره ليحكم له، أو يحمله على ما يريد) وواضح من هذا التعريف أن الرشوة أعم من أن تكون مالاً أو منفعة يمكّنه منها، أو يقضيها له.

والمراد بالحاكم القاضي، وبغيره كل من يرجى عنده قضاء مصلحة الراشي، سواء كان من ولاة الدولة وموظفيها، أو القائمين بأعمال خاصة كوكلاء التجار والشركات وأصحاب العقارات ونحوهم، والمراد بالحكم للراشي، وحمل المرتشي على ما يريده الراشي: تحقيق رغبة الراشي ومقصده، سواء كان حقاً أو باطلاً.

والرشوة من كبائر الذنوب التي حرمها الله على عباده، ولعن رسوله ﷺ من فعلها، فالواجب اجتنابها والحذر منها، تحذير الناس من تعاطيها، لما فيها من الإفساد العظيم، والإثم الكبير، والعواقب الوخيمة، وهي من الإثم والعدوان اللذين نها الله- سبحانه وتعالى- عن التعاون عليها في قوله- عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [1] .

(١) المائدة: ٢.

وقد نهى الله- عز وجل- عن أكل أموال الناس بالباطل، فقال سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾(١)، وقال سبحانه : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

والرشوة من أشد أنواع أكل الأموال بالباطل، لأنها دفع المال إلى الغير لقصد إحالته عن الحق.

وقد شمل التحريم في الرشوة أركانها الثلاثة، وهو الراشي، المرتشي، والرائش، وهو الوسيط بينهما، فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه «**لعن الراشي والمرتشي في الحكم**»(٣).

واللعن من الله هو: الطرد والإبعاد عن مظان رحمته نعوذ بالله من ذلك، وهو لا يكون إلا في كبيرة، كما أن الرشوة من أنواع السحت المحرم بالقرآن والسنة، فقد ذم الله اليهود وشنع عليهم لأكلهم السحت في قوله سبحانه: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾(٤)، كما قال تعالى: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ﴾(٦).

وقد وردت أحاديث كثيرة في التحذير من هذا المحرم وبيان عاقبة مرتكبيه، منها ما رواه ابن جرير عن ابن عمر- رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «**كل**

(١) النساء : ٢٩.
(٢) البقرة : ١٨٨.
(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٩٣).
(٤) المائدة : ٤٢.
(٥) المائدة : ٦٢-٦٣.
(٦) النساء : ١٦٠-١٦١.

لحم أنبته السحت فالنار أولى به» قيل: وما السحت؟ قال: «**الرشوة في الحكم**»[(١)]، وروى الإمام أحمد عن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من قوم يظهر فيهم الربا إلا أخذوا بالسنة، وما من قوم يظهر فيها الرشا، إلا أخذوا بالرعب**»[(٢)]، وروى الطبراني عن ابن مسعود ﷺ قال: (السحت: الرشوة في الدين)، وقال أبو محمد موفق الدين ابن قدامة- رحمه الله- في المغني: قال الحسن وسعيد بن جبير- رحمهما الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ وهو الرشوة، وقال: إذا قبل القاضي الرشوة بلغت به الكفر لأنه مستعد للحكم بغير ما أنزل الله ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[(٣)].

وروى مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله طيب لا يقبل إلى طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمره به المرسلين**» فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[(٤)] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[(٥)] ثم ذكر «**الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب له؟**»[(٦)].

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا سخطه، وتجنبوا أسباب غضبه فإنه – جل وعلا- غيور إذا انتهكت محارمه، وقد ورد في الحديث الصحيح «**لا أحد أغير من الله**»[(٧)]، وجنبوا أنفسكم وأهليكم المال الحرام، والأكل الحرام، نجاة

(١) أخرجه الطبري قي تفسيره (١٠/ ٣٢٣) والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٨٤) ونسبه لعبد بن حميد، وابن مردويه مرفوعا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٥)، وضعفه الألباني في الجامع (٥٢١١).
(٣) المائدة: ٤٤.
(٤) المؤمنون: ٥١.
(٥) البقرة: ١٧٢.
(٦) أخرجه مسلم (١٠١٥).
(٧) أخرجه البخاري (٤٦٣٤)، ومسلم (٢٧٦٠).

بأنفسكم وأهليكم من النار التي جعلها الله أولى بكل لحم نبت من الحرام كما أن المأكل الحرام سبب الحجب الدعاء وعدم الإجابة، لما مر من حديث أبي هريرة عن مسلم، ولما رواه الطبراني عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: تليت عند رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾[1] فقام سعد بن أبي وقاص فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال النبي ﷺ: «**يا سعد: أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمدٍ بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يقبل الله منه عملاً أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به**»[2].

ذكر ذلك الحافظ ابن رجب- رحمه الله- في جامع العلوم والحكم عن رواية الطبراني- رحمه الله، فدل ذلك على أن عدم إطابة المطعم وحلية المأكل مانع من استجابة الدعاء، حاجب عن رفعه إلى الله، وكفى بذلك وبالاً وخسراناً على صاحبه -نعوذ بالله من ذلك، والنجاة بها من عذاب الله وأليم عقابه، حيث قال -سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[3]، فاستجيبوا أيها المسلمون لنداء ربكم وأطيعوا أمره، واجتنبوا نهيه، واحذروا أسباب غضبه، تسعدوا في الدنيا والآخرة قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[4].

وبعد هذا الكلام الجامع والواضح في حرمة الرشوة ولعن الراشي

(١) البقرة: ١٦٨.
(٢) أخرجه الطبراني فى الأوسط (٦٤٩٥)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٨١٢).
(٣) التحريم: ٦.
(٤) الأنفال: ٢٤-٢٥.

والمرتشي، نوجه كلامنا لمن يعنيهم الأمر، فنقول بلا مواربة ولا مجاملة: إن هذه الممارسة المسيئة للتجربة الديمقراطية لابد أن تنتهي وإلى الأبد، ولا نستثني من ذلك المرشحين الذين يرشحون أنفسهم فقط من أجل ابتزاز المرشحين الجادين في دوائرهم الانتخابية، أو لمجرد الوجاهة والاستعراض وكأن مشاكل البلد قد انتهت ولم يبق إلا أن يمارس هؤلاء وجاهتهم من خلال الحملات الانتخابية المبالغ فيها عن الحد المعقول والمنطقي.

رشوة من نوع خاص:

نقول هذا الكلام، ونحن نتابع بشكل يومي تصريحات الإخوة المرشحين النارية، التي تطعن في الحكومة والمجلس السابق، وتعيد سرد وطرح كل المشكلات العالقة والمزمنة، وقد يتجاوز بعض المرشحين الحد المعقول من النقد، فينتقل من النقد والنصيحة إلى التجريح والهجوم وتوزيع الاتهامات، كل ذلك ليضمن حضوراً جماهيرياً في مقره، حتى ولو كان على حساب الحقيقة والمصلحة العامة.

نعم نحن أمة تجيد الكلام، ولدينا لغة بليغة تساعد على ذلك كثيراً، ولدينا مشاكل ومعوقات، تجعل الأبكم فصيحاً، والعي خطيباً، لكن ذلك يا يجعلنا نغفل عن الوضع الإقليمي في المنطقة، ولا الأحداث المستجدة والتطورات الخطيرة، ولا ينبغي أن نركن على الاسترخاء والتهاون وكأن كل مشاكل المنطقة قد تم القضاء عليها نهائياً، فربما يكون القادم أخطر، وربما تطور الصراع في المنطقة وتحول إلى أشكال وصور أخرى، وتأخذ موجات العنف مستويات جديدة وغير مسبوقة في المنطقة.

ألا فلنتق الله- تعالى- في تعاملاتنا وفي أخذنا وعطائنا، ولا نجعل المصالح الشخصية معول هدم لمشاريع الإصلاح، والنهوض بكويت آمن مستقر .



وحدة المسلمين
١ـ أحلام... وعقبات

بحمد الله وفضله عمت الصحوة الإسلامية أرجاء العالم الإسلامي من جديد، وانطلق الدعاة إلى الله ينشرون الإسلام في كل بقاع الأرض وأصقاعها حتى في أوربا وأمريكا ومختلف بقاع المعمورة، وحققوا بعون الله ومنه الشيء الكثير من نشر الإسلام والدعوة له.

ومع انتشار الصحوة الإسلامية وتوسع العمل الدعوي كانت هناك وكالعادة أخطار وعقبات في مواجهة مدها السريع تسببت في بعض العثرات.

وكان من أهم العقبات التي واجهة الدعوة الإسلامية العمل على وحدة الأمة وترتيب صفها، وإزالة خلافها وفرقتها وجمعها تحت مظلة التوحيد.

(وحدة الأمة) كلمة تهفو إليها كل قلوب المؤمنين المخلصين لدينهم وربهم، وهدف سعى ويسعى إلى تحقيقه جميع الدعاة والمصلحين على مرّ التاريخ، ولا يشك أحد في عظمة هذا الهدف وأهميته العقلية والتشريعية، فما دعا إليه الإسلام من عزّة ورفعة ومنعة وشوكة للمسلمين يتحقق في ظل الوحدة.

والتجزئة والتمزّق والتشتت الذي يعيشه المسلمون منذ فترة طويلة هو سبب ذهاب ريحهم وتسلط أعدائهم عليهم، حتى أضحت مسألة العودة إلى المجتمع الإسلامي الموحّد هدفاً بعيدَ المنال أو مستحيلاً.

وإن مما يعتصر له القلب، وتدمع له العين ما تسمعه الأذن وتراه العين وتتناقله الأخبار عن دمٍ سُفك هناك، وروحٍ أُزهقت هنا، وإبادةٍ بين هنا وهناك، ويزيد في الألم أنها ربما كانت بين المسلمين بعضهم مع بعض، والساحة

الإسلامية عجت بالأمثلة على خلافات بين المسلمين جرتها لخوض الحروب فيها بينها، وسفك دمائها، ونكاد نَصدقُ لو قلنا أن من قُتل من المسلمين على يدي المسلمين أنفسهم يفوق عدد المسلمين الذين قتلوا على أيدي الطغاة والكفرة.

فالعراق أضحى ميدان تطاحنت فيه السنة والشيعة، وتقاتلت فيه الأفكار والسيوف، فهذا قتيل سني سفك دمَه رمحٌ شيعي، وهذا مقتول شيعي أنهى حياتَه سيفٌ سني.

حتى بلغت الإحصائيات الكثير ممن قُتلوا من السنة بأيدي شيعة أومن الشيعة بأيدي سنية، أو من الشيعة بأيدي شيعية، أو من السنة بأيدي سنية، وحسبي الله ونعم الوكيل.

ففي استطلاع مجلة لانسيت الطبية أظهرت أن ٤٪ من الناس لا يعرفون سبب موت ذويهم، وكما أظهرت بيانات (CNN) المستندة إلى إحصاءات الحكومة العراقية، أن عدد المدنيين الذين قتلوا في العراق انخفض إلى أدنى مستوى وتراجع عدد القتلى من المدنيين في العراق تدريجياً على مدى عامين مع بدء انحسار العنف الطائفي الذي تفجر بين السنة والشيعية.

وأما الصومال فإذا كان (زياد بري) قد قاد الصومال مباشرة نحو المجاعة والانفجار، وقد قاسى الشعب من ظلمه وجوره، إلا أن المشهد الفوضوي الذي وجد بعد انهيار نظامه ليطرح الكثير من الأسئلة، حيث تم قتل الكثيرين باسم الإسلام من قبل عصابات متأسلمة محسوبة على الإسلام زوراً وبهتاناً وقوى التكفير والتحريم والأصوليات.

بل أصبحت تلك العصابات المتمسحة بالدين، تمارس (إرهابها) وتعاويذها وطقوسها وتعدياتها على الحريات العامة والشخصية وعلى كرامات

الناس، وتتدخل في أشد خصوصياتهم، يقول شريف زياد وهو مؤذن في أحد مساجد ايستليه: (المحاكم الإسلامية جلبت السلام لكنها لم تعرف كيفية القيادة. نحتاج لحكومة تستطيع قيادة الشعب الصومالي بأكمله)[1]، هذا بالإضافة إلى وجود قوى صهيونية وصليبية تعمل من خلف الستار، بدليل أن بنادق (العوزي) الإسرائيلية تنتشر في أيدي الفريقين، ويوجد أفراد غربيون يعملون ضمن قيادات القوات المتقاتلة.

وهذا المشهد الخلافي والحربي بين أبناء الإسلام ليس حبيس بعض الدول بل هو شامل للوطن العربي عامة وما دول الخليج بمنأى عن ذلك، فدول الخليج مليئة بالاقتتال الفكري، واستخدام سيئ لآداب الحوار، وتقاتل بالألسن والألقاب والخطابات، ومن نعمة الله- تعالى- علينا أنه ليس عندنا أسلحة، ولا ندري ربما لو توفرت الأسلحة مع عدم معالجة الأمر لحصل فيها ما حصل في الدول الأخرى.

وعادة تجار الخلاف لهم نفوذ، وما يختلفون عن تجار الحروب، فتاجر الحرب يتكسب من بيع الأسلحة وتاجر الفكر يتكسب من بيع خيوط اللعبة لمن له مصلحة في شراء أحد الخيوط، فكم من شخص من تجار الاختلاف تبوأ منصباً أو تحصل على جاه ببيعه لخيوط اللعبة.

لكن ورغم كل هذا لا بد أن نؤمن أن المستقبل للإسلام، وأن تشييد هذا المستقبل يكون بتحقيق الوحدة؛ كيف لا، وكلمة التوحيد تنادينا بتوحيد الكلمة.

العمل على وحدة الكلمة والصف:

وحدة المسلمين فريضة من آكد فرائض الدين، وضرورة لازمة لظهور سلطانه في العالمين، وهذه حقيقة بدهية لا جدال فيها بين العاملين للإسلام

(١) جريدة الشرق الأوسط.

أفرادا وجماعات، فهم جميعا يقرون بوجوب التناصر والاجتماع ويذمون التفرق والنزاع، ويدركون -قبل غيرهم -مخاطر هذا الشتات الذي تعيشه الساحة الإسلامية، وما يترتب عليه من آثار سيئة على حاضر الأمة ومستقبلها.غير أن الأمر المحير الذي يطول منه العجب حقا هو فشل جماعاتنا وأحزابنا الإسلامية المعاصرة في الوصول إلى صيغة اتفاق تلم شعثهم، وتوحد جمعهم، وتجعل لهم مكانا بين الناس.

إن العمل على وحدة الكلمة اقترن دوماً بالعمل على نشر كلمة التوحيد في إطار الرسالات السماوية؛ لأن مظهر الاختلاف والتفرق من مظاهر الابتعاد عن الفطرة الإنسانية، أو بعبارة أخرى عن دين الله.

ومن هنا كان من أهم أهداف الدعاة لكلمة التوحيد إعادة التكوين الموحّد للأمة، باعتبار أن هذه العملية خطوة هامة على طريق استتباب كلمة التوحيد وعودة الأمة إلى دين الله، ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [(١)] .

إن الرسالة الإلهية هي القادرة على الوحدة الإنسانية، وذلك من خلال تربية الفرد الإنساني والمجتمع الإنساني وفق قيم ومعايير تزول معها كل ألوان الصراع المصلحي المادي بين أبناء البشر، فالفترة القصيرة التي مرت بها التجربة الإسلامية، قبل انحراف المجتمع الإسلامي، سجّلت في تاريخ البشرية أروع انتصار في خلق المجتمع الموحّد في الأفكار والعواطف والأهداف.

لقد جاء الإسلام والعرب في الجزيرة آنذاك فرق وطوائف لا تربطهم رابطة، ولا تجمعهم جامعة، يسودهم ألوان الصراع القبلي والعنصري

(١) البقرة:٢١٣.

والطبقي، وكانت على التفرق والخصام أقرب منها إلى الوحدة والوئام.

فما إن انتصرت كلمته، واستقرت دولته حتى خلق مجتمعاً رافضاً لكل تمييز عنصري أو طبقي أو قبلي، فألّف الإسلام بين قلوب المسلمين على حقيقة واحدة صارخة، وهي الإيمان بإله واحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[1]، وعَن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مثلُ الْـمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْـجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْـجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[2].

إلام الخلف بيننا إلام ؟

والناظر إلى أحوال المسلمين اليوم يصيبه الأسى والألم والحسرة لما وصلوا إليه من تفرق وذلٍّ وتأخر، وما ذلك إلا بسبب بعدهم عن الدين واتباعهم لسنن اليهود والنصارى، وقد أدرك الأعداء ذلك فاستغلوا فينا وصمة التشتت والافتراق، فأصابونا في ديننا وفي علاقاتنا، وألهونا بمسائل هامشية على حساب جوهر الدين والإسلام.

إن الناس إن لم يجمعهم الحق شعّبهم الباطل، وإن لم توحّدهم عبادة الرحمن مزّقتهم عبادة الشيطان..

وواجبنا اليوم أن نتحد وأن نرجع إلى ديننا، ومما يعين على ذلك:

أ – نبذ الخلاف والشقاق لأنه سبب للذل والفشل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[3]، ومن ذلك: تناسينا للخلافات المذهبية والفرعية والانطلاق من نقاط الاتفاق الكثيرة.

ب – القيام بالفروض الكفائية وإقامة المؤتمرات، والعلم والدعوة والأمر

(١) الأنبياء: ٩٢.
(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).
(٣) الأنفال: ٤٦.

بالمعروف والنهي عن المنكر، وإغاثة الملهوفين، ونصرة المظلومين، وإقامة المؤتمرات التي تناقش وحدة المسلمين والسبل الكفيلة بتحقيق ذلك.

ج ـ الاهتمام بالنشء لأنهم جيل المستقبل.

في رحاب أمة واحدة إسلامية:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[(١)] فليست أمة الإسلام مِزقاً شتى، ولا طرائق قدداً، ولكنها كلٌ واحدٌ، لأن الجميع يتجه إلى رب واحد، ويتبع نبياً واحداً، ويستهدي بنور الكتاب والسنة في الحياة، «**تركت فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وسنتي**»[(٢)] ولذا كان المؤمنون جميعاً يداً واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم[(٣)]، وكانوا إذا اشتكى منهم أحد في المشرق تداعى له من في المغرب، وكانوا «**كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**»[(٤)]؛ ولذا كان أي اعتداء على بلد مسلم إنما يعد اعتداءً على المسلمين أجمعين، يجب عليهم دفعه وتخليص إخوانهم من شره، فكانت الأمة بذلك قوية السلطان، مهيبة الجانب، عظيمة الصولجان، يخشى بأسها ويرهبها عدوها.

وظلت بهذه القوة قروناً كثيرة، حتى تخلى الناس عن عروة الدين الوثقى، ولم يعتصموا بحبل جميعاً فتفرقوا، وظهرت العصبيات التي تنخر في جسم الأمة، عصبيات عرقية أو مذهبية، أو طائفية، وغاب منها العدل والإحسان، وظهر فيها البغي والبهتان، فضعفت بعد قوة، وتحللت بعد تماسك، وانهار بناؤها بعد تشييد، ووجدها أعداء الدين فرصة نادرة، فأذكوا نار الخلاف وأضرموها، وضربوا بعض المسلمين ببعض وأخذوا هم يحصدون حصاد

(١) الأنبياء:٩٢.

(٢) أخرجه مالك (١٥٩٤)، والحاكم (٣١٩) وصححه الألباني، وقال الألباني في (منزلة السنة): رواه مالك بلاغا والحاكم موصولا بإسناد حسن.

(٣) أخرجه أبو داود (٢٧٥١)، والنسائي (٤٧٤٨)، وابن ماجه (٢٦٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦).

هذا الضعف والتفكك فاستعمروا البلاد، وأذلوا العباد، وغرسوا بذور الفتنة في أرض الإسلام، فما تكاد تنطفئ حتى تشتعل من جديد.

ولذا كان من الضروري أن نبين الأصول التي قامت عليها الأمة، لنتمسك بها ولا نحيد عنها، وهي - إن شاء الله- واصلة بنا إلى تحقيق الأمة الإسلامية كياناً واحداً متجسداً، يتغلب على كيد الأعداء.

شريعة الله صنعت الأمة:

إنها أمةٌ من صنع شريعة الله، فسداها ولُحمتها كتاب الله وسنة رسوله، على حين أن الأمم الأخرى هي التي تصنع قوانينها تلبية لاحتياجاتها الخاصة، فشريعة الإسلام جاءت لتبني الأمة على العدل والحق والخير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾[(١)].

خصائص الشريعة:

إن الأمة المسلمة ترتكز على خصائص الشريعة ومن أهمها:

١ـ أن الله –سبحانه- خالق الإنسان هو الذي شرع له شريعته، ولذا فقد سلمت من عيوب التشريع التي يضطر أصحابها إلى التغيير كل حين في قوانينهم، فواضعها هو علام الغيوب ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[(٢)].

٢ـ أنها جاءت في صورة كلية عامة تقبل التفريغ والتطبيق في الجزئيات المتجددة والأحوال المتغيرة، فسلمت بذلك من الجمود عند زمن بعينه أو حوادث بعينها؛ لأن قابليتها للتطبيق صالحة لكل زمان ومكان.

٣ـ أن كلياتها العامة جاءت شاملة لكل أصول الحياة الإنسانية وجوانبها جميعاً سواء منها ما كان على مستوى الفرد أو الأسرة أو الجماعة، ونظمت العلاقة بين المؤمنين وبين غيرهم ممن يعيشون في بلاد الإسلام، ونظمت

---

(١) النحل: ٩٠.

(٢) الملك: ١٤.

العلاقة بين أمة الإسلام وغيرها من الأمم في إطار العدل المحكم، والحق المبين والقسطاس المستقيم ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ (١) ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (٢).

ولقد استمد المجتمع الإسلامي من طبيعته الخصائص السابقة، فكان مجتمعاً عالمياً يتفاوت فيه الناس بأرزاقهم ويتفاضلون في التقوى، مع بقاء المساواة بينهم في الحقوق والواجبات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ (٣) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ وكان مجتمعاً ربانياً لا يتخلى عن عقيدته في سبيل أمور مادية، بل كانت العقيدة فيه هي الباعثة والموجهة لكل الأمور المادية، التي كانت قوية في المجتمع الإسلامي يوم كانت العقيدة قوية، فكان المجتمع المسلم قوياً في إيمانه قوياً في يقينه، قوياً في الأمور المادية اللازمة للحياة، والباعثة للحضارة، مع تناسق تام بين كل ما يحتاج إليه المسلمون وفهم وفقه للأولويات، فكان هذا النظام غير قابل للترقيع، وغير قابل أن نستعير له ما نطلق عليه قطع غيار من خارج، فالعقيدة والعبادة والسلوك والمعاملة كلها مترابطة، ومتناسقة، يقوم بها الإنسان المسلم، وتقوم بها الأسرة المسلمة، ويقوم بها مجتمع المسلمين، ولذلك كان المجتمع الإسلامي قادراً دائماً على حل كل مشاكله، لأنه يمنح الإنسانية المؤمنة العدل والطمأنينة والوفاء، في عبوديته خالصة لله رب العالمين يقول فيها المؤمن: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (٤).

---

(١) المائدة: ٨.
(٢) الممتحنة: ٨.
(٣) الحجرات: ١٣.
(٤) الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

كيف يتحقق الأمن في مجتمع المسلمين ؟

الأمن والأمان للناس الذين يظلهم المجتمع الإسلامي على اختلاف توجهاتهم ضرورة لازمة، حث عليها الدين، واستمسك بها السلف الصالح، فلم يفزع إنسان بسبب دينه أو لونه أو غناه أو فقره؛ لأن التفزيع والردع لا يكون إلا للمعتدين الظالمين: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾(١)، ويلاحظ حرص المسلمين على رد العدوان بمثله دون زيادة إن كانوا متقين حريصين على عون الله لهم.

وبهذا الأمن العام في جنبات المجتمع المسلم، يتجه الناس إلى العمل الجاد دون خوف من أحد، لأنهم آمنون على أنفسهم «**لقتل امرئ مسلم أعظم عند الله من زوال الدنيا**»(٢) ولأنهم آمنون على أموالهم : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾(٣) آمنون على أعراضهم وأشخاصهم «**سباب مسلم فسوق وقتاله كفر**»(٤) آمنون على أعماله، مكفولة لهم الحرية بحيث يؤدون شرع الله كما أمر ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾(٥)، وكل هذه النصوص القرآنية والنبوية تفرض الأمن فرضاً على جماعة المسلمين، بحيث تحافظ على أوطان المسلمين من أن يعمها الفساد، ويشترى فيها الجور.

ولكي يتحقق ذلك لابد من إزالة أركان العدوان، ثم بناء دعائم الأمان.

وتتمثل أركان العدوان في محاور عدة من أهمها:

١- **الظلم**: وقد حرمه الله- سبحانه- في كل ملة، جاء في الحديث القدسي:

---

(١) البقرة: ١٩٤.
(٢) أخرجه النسائي (٣٩٩٧)، وصححه الألباني.
(٣) النساء : ٢٩ .
(٤) أخرجه البخاري (٤٨) ، ومسلم (٦٤).
(٥) التوبة : ٧١ .

«**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا**»[(١)] وجاء في الحديث النبوي: «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة..**»[(٢)] وقد جاء في كتاب الله: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾[(٣)]. وغير ذلك من النصوص التي نهت أعظم النهي عن الظلم وجعلته مهلكة للأمم وللأفراد على السواء.

والظلم محرم بجميع صوره، فظلم الفرد نفسه، وظلم الفرد غيره، وظلم الفرد للجماعة، وظلم جماعة لأخرى، وظلم جماعة لفرد، كل هذه صور من الظلم حرمها الإسلام وأباها، ودعا إلى ردها ليتحقق العدل حسب منهج الله، فيسعد الناس ويأمنوا.

قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[(٤)].

٢- كفر النعمة: وأنعم الله على عباده لا حصر لها، وواجبهم نحوها الشكران لا الكفران فإن شكروا زادهم الله من نعمه ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[(٥)]، وإن كفروا مسهم العذاب وتبدلت نعمتهم وضربوا بسياط الخوف والجوع ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾[(٦)]، ومن شكر النعمة أن تشكر من أجراها الله لك على يديه، فقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»[(٧)].

٣- البطر: وهو الاستخفاف بنعمة الله، ومعاندة الحق ورفض الخضوع له،

(١) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).
(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).
(٣) النحل: ٣٣.
(٤) الأنعام: ٨٢.
(٥) إبراهيم: ٧.
(٦) النحل: ١١٢.
(٧) أخرجه أبوا داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤) وصححه الألباني.

فهو يجمع بين الاستهزاء والعناد والتحدي لنعم الله وفي ومقدمتها النعمة الكبرى، نعمة الإيمان، ومصير هؤلاء الذي أصابهم البطر محدد في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾[1] تلك هي أهم (أركان العدوان في المجتمع فإذا ما تخلى عنها المجتمع أمكن إقامة دعائم الأمن على أسس راسخة من تقوى الله ورضوانه: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾[2].

ومن أهم أسس بناء الأمن في المجتمعات:

١- **العمل الصالح**، بمعناه العام الشامل الذي لا يقتصر على الصلاة والزكاة والصيام والحج، وإنما يمتد ليشمل إماطة الأذى عن الطريق «**وتميط الأذى عن الطريق صدقة**»[3] ويمتد لإصلاح ما لابد منه(لو عثرت دابة بشط الفرات خشيت أن يسأل عنها عمر أمام الله).

وبين إصلاح الطريق للدواب وإماطة الأذى عنه وبين التقرب إلى الله بالصلاة أشواط من العمل الصالح تتفاوت في أهميتها وأولوياتها ولكنها كلها لازمة ينبغي أن تؤدى ليحقق الله لنا وعده الذي أخبر به في قوله سبحانه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[4].

٢- **الإيمان والتقوى**، وبداهة لا يكون العمل صالحاً إلا إذا بني على إيمان وتقوى، وحين تتحقق التقوى والإيمان تتنزل البركات على الناس ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ

---

(١) القصص : ٥٨ .
(٢) التوبة : ١٠٩ .
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).
(٤) النور : ٥٥ .

ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[1] .

٣- الإنفاق في سبيل الله. والإنفاق في سبيل الله مدعاة إلى النجاة قال سبحانه: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[2]، ولا غرابة في أن ينفق المسلمون في سبيل الله بعض ما أعطاهم الله وجعلهم مستخلفين فيه، فغيرهم ينفق المليارات في سبيل الشيطان، إن حجم الأموال المخصصة للشئون الدينية من التبرعات والعائدات في أمريكا وحدها بلغ مائة مليار دولار، ومعروف أين تنفق هذه المليارات، فلماذا يقصر المسلمون في الإنفاق في سبيل الله.

ونكتفي بذلك هذه الدعائم الأمنية اللازمة لبنائه في مجتمعات المسلمين إثر هدم أركان العدوان، مع البعد التام عن الرغبات والأهواء والعصبيات وحينئذ يتحقق الأمن، وينعم الجميع بعيداً عن الخوف والقلق والاضطراب والفساد.

---

(١) الأعراف : ٩٦ .

(٢) البقرة : ١٩٥ .



وحدة المسلمين
٢ـ أحلام .. وعقبات
وضوابط العمل الإسلامي

تكملة للحديث السابق عن وحدة الإسلام نتعرض هنا إلى ما يعيد الناس إلى صف واحد، وذلك من خلال ذكر الضوابط والقواعد التي تحكم العمل الإسلامي لنرشد الطريق ونمنع البعض من مجاوزة الحد والبغي على حدود الله، ومحاربة الفرقة والاختلاف، وليكن شعارنا في ذلك: (لنتعاون فيما اتفقنا فيه وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه).

ضوابط العمل السياسي الإسلامي:

أولاً: شرف الغاية والوسيلة مع العدل والإنصاف :

العمل السياسي في ظل الإسلام محكوم بالضوابط الأخلاقية المستمدة من روح الشريعة الإسلامية، فالغاية في الإسلام لا تبرر الوسيلة، بل إن الوسيلة والغاية كلتيهما لا قيمة لهما إذا انحرفتا أو انحرفت إحداهما عن ميزان الشريعة، والعمل السياسي الواقعي الآن في كثير من بلدان العالم يعتبر الوسيلة والأداة الموصلة إلى الغاية، يستوي في ذلك شرف الوسيلة أو عدم شرفها ما دامت الغاية قد تحققت.

وكثير من غايات الدول تتحقق في عالم السياسة بوسائل غير شريفة الأغراض قد تكون شريفة حينا وغير شريفة كذلك في معظم الأحيان، وتاريخ الاستعمار الذي كان يغطي كثيرا من سطح الكرة الأرضية حافل بالمثالب التي ديست فيها الوسيلة ومرغت في الأوحال من أجل الوصول إلى الغاية، وفي سبيل هذه الغاية تقتل نفوس، وتزهق أرواح وتنهب أموال، وتنتهك أعراض، وتضيع كرامات، إلى غير ذلك مما لا صلة له بدين ولا خلق.

والعمل السياسي الإسلامي بينه وبين هذه الوسائل الخسيسة حواجز وسدود مهما بلغ الاحتياج إلى تحقيق الغاية، ففي فتوح الشام اضطر المسلمون للتراجع عن بلدة كانوا قد فتحوها وأخذوا من أهلها الجزية مقابل الحماية لهم، فلما تراجع المسلمون عن البلدة ردوا لأهلها أموالهم وقالوا: إنما أخذناها منكم مقابل حمايتكم، وقد اضطررنا للتراجع فنحن نرجع لكم أموالكم، وكان هذا سببا في إسلام أهل هذه البلدة بعد ذلك، وحين فتح الجيش الإسلامي مدينة (سمرقند) بعث أهلها إلى الخليفة يقولون: إن جيش المسلمين لم يلتزم بالقواعد الأساسية حين استولى على المدينة وهي تخيير أهلها بين الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب، وإنما دخل المدينة محارباً من أول الأمر، فما كان من الخليفة إلا أن أصدر أمره إلى الجيش بالانسحاب من المدينة والخروج منها، وكان تنفيذ أمر الخليفة سبباً في دخول أهل هذه المدينة الإسلام، الذين بهرهم التزام العدل، والتمسك بالوسيلة المشروعة في سبيل تحقيق الغاية المشروعة كذلك، التي تنأى عن الهوى والرغبة، وتلتزم العدل والقسطاس، ولذا كان العدل والإنصاف من أول الضوابط التي لابد منها للعمل السياسي الإسلامي.

يقول الإمام ابن تيمية: (الأمة العادلة تبقى وان كانت كافرة، والأمة الظالمة تهلك وان كانت مسلمة)، فالعدل هو ميزان بقاء الأمة وتماسكها إن وجد فيها، وهو سبب انهيار الأمة وهلاكها إن غاب عنها، ولذا أمر الله به في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾ [1]، وجاء الأمر به في آية مع النهي عن الجور الذي قد تدفع إليه ضغينة من الضغائن قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾[2]، ويوم يسود

(١) النساء: ٥٨.
(٢) المائدة: ٨.

العدل تتلاشى كثير من المشاكل التي تواجه الأمم، وتذوب العصبيات العرقية والمذهبية، وتختفي امتيازات بعض الناس على بعض بدون سبب عملي واقع ويقبل الناس الأحكام بالرضا والامتثال.

ثانياً: من الإنصاف الحكم على المعاني دون المباني:

الناصح والناقد إما أن يريد الإصلاح والبناء أو يريد الهدم والإفناء، ولهذا طريقه ولذلك كذلك، والبعد عن التعميم ومحاكمة الآحاد من العبارات والجمل مع عدم تعميمها على غيرها والبعد عن إلزاماتها التي ليست بلازمة لها ولم يلتزم بها قائلها هو طريق الإنصاف الذي سلكه علماء السلف- رضوان الله عليهم.

والمؤمن الكيس يوافق كل قوم فيما وافقوا فيه الكتاب والسنة، وأطاعوا فيه الله ورسوله، ولا يوافقهم فيما خالفوا فيه الكتاب والسنة أو عصوا فيه الله ورسوله.

وبهذا يكون المنصف من لم يتأثر باللفظ والمبنى بل يعطي الحكم بعد النظر في المعنى.

والحقيقة أنه من سوء الظن الاستعجال والحكم على مباني الكلام بظاهره دون إمعان النظر في المعاني، وسوء الظن يدفع صاحبه إلى تصيد الأخطاء للعلماء، وإذا كانت هذه هي نفسية من يبحث عن الأخطاء، فإنه حتماً سيجد ضالته في مباني الكلام التي قد توحي بمعان غير سليمة، وفي هذا يقول صاحب كتاب (تصنيف الناس بين الظن واليقين) [(١)]:

ومن طرائقهم ترتيب سوء الظن، وحمل التصرفات قولاً، وفعالاً على محامل السوء والشكوك.

---

(١) ص ٢٢.

ومنه التناوش من مكان بعيد لحمل الكلام على محامل السوء بعد بذل الهمّ القاطع للترصد والتربص، والفرح العظيم بأنه وجد على فلان كذا، وعلى فلان كذا، ومتى صار من دين الله فرح المسلم بمقارفة أخيه المسلم للآثام.

ألا إن هذا التصيد جاء خبيثاً، متى ما تمكن من نفس أطفأ ما فيها من نور الإيمان، وصيَّر القلب خراباً يباباً، يستقبل الأهواء والشهوات، ويفرزها، نعوذ بالله من الخذلان.

ثالثاً: الاستفادة من ملاحظات الطاعنين وعدم الالتفات لتثبيط الحاسدين:

بلا شك أن السائر في طريق الدعوة والعلم يتعرض لعثرات وتحصل منه هفوات ينبري لها من يرد عليها.

وهنا لا يرد كلامه كله ولا يعفى على قلمه رسمه، بل يستفاد مما في كلامه من حق، ولا يلتفت إلى ما فيه من طعن، فللداعية خيره وعلى الطاعن شره والداعية لا يلتفت ولا يرتجف، لسان حاله يردد:

وكلمةُ حاسدٍ من غير جُرمٍ ... سمعت فقلت: مُرِّي فانفِذِيني
وعابوها عليّ ولم تُعبني ... ولم يعرق لها يوماً جبيني
وما من شيمتي شتم ابن عمّي ... ولا أنا مخلف من يرتجيني

رابعاً: الاستمرار في العطاء وفعل الخير وعدم الالتفات إلى المهاترات:

الاستمرار في الخير مطلب شرعي قرآني قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[1] وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل**»[2].

وليس من أمر يحفظ المسلم من الانزلاق كالعمل الصالح، فهو نمو للمسلم، وحصن له من العادات الجاهلية، لذلك نرى أن الأعمش بقي قريباً

(١) الحجر: ٩٩.
(٢) أخرجه البخاري (٦٤٦٤)، ومسلم (٢٨١٨).

من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، فالاستمرار نتاج الوضوح بـأن العمـل والسعي في فعل الخير من أجل مرضاة الله.

وقال اعملوا يا قومنا والله يجزي العاملين والله موف وعده فاستبشروا يالمؤمنين

فمن سمع للمخذلين والمرجفين أدى إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر وهذا ينتهي به إلى الموات، قيل لحذيفة: ما ميت الأحيـاء؟ قـال الـذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه.

خامساً: النهاية المشئومة لمن تعمد الطعن والانتقاص من علماء الأمة المرحومة:

كلمات يرتجف لها القلب حين سماعها: لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أعراض منتقصيهم معلومة، ومن وقع فيهم بالثلب، ابتلاه الله قبل موتـه بموت القلب[(١)].

والتعرض لأهل الصلاح قد يدفعهم لرفع أيديهم بالدعاء على من آذاهـم، وفي هذا خطر عظيم.

وإيذاء المسلم لأخيه إثم وبهتان، فما بالك إذا كان الإيذاء بحق عالم، قال الله تعـالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[(٢)].

قال الدورقي- رحمه الله تعالى: (ومن سمعته يذكر أحمـد بـن حنبـل بـسوء فاتهمه على الإسلام).

وقال الحافظ ابن عساكر[(٣)]- رحمه الله تعـالى: (واعلـم يـا أخـي وفقنـا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء- رحمة الله

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ١٥٤ ترجمة الأعمش أبو محمد سليمان بن مهران.
(٢) الأحزاب : ٥٨.
(٣) تبيين كذب المفتري، ص٢٩.

عليهم– مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منه لِنعيش العلم خلق ذميم..).

(وفي عصرنا الحاضر يأخذ الدور في هذه الفتنة دورته حيث ظهر من نصب نفسه لرمي الدعاة بالتهم الفاجرة، المبنية على الحجج الواهية، واشتغلوا بضلالة التصنيف).

وهذا بلاء عريض، وفتنة مضلة في تقليص ظل الدين، وتشتيت جماعته، وزرع البغضاء بينهم، وإسقاط جملته من أعين الرعية، وما هنالك من العناد وجحد الحق تارة، ورده أخرى.

سادساً: ستر العيوب مع عدم الغفلة عن بيانها لصاحبها:

ما منّا من أحد إلا وله زلة أو سقطة أو كبوة، وهذا نقص بشري معروف، لهذا كان الستر أحب إلى العلماء من الفضيحة، قال بعض تلاميذ أبي العباس تميم بن محمد بن أحمد التميمي: (كنت مع أبي العباس يوماً جالساً على باب داره، إذ وثب وقال لأصحابه: قوموا فادخلوا، فدخلوا وأغلق الباب، ولا يدرون ما السبب، فقال: رأيت رجلاً من أصحابنا سكران فلم أرد أن تروه، فقالوا له من هو؟ فقال: أنا سترته منكم، ثم أخبركم به)[1]، وما هذا إلا ليبقى حسن الظن قائماً بين المسلمين.

قال عمر بن الخطاب ﷺ: (لا يحل لامرئ مسلم يسمع الكلمة من أخيه المسلم أن يظن بها ظن سوء، وهو يجد لها في شيء من الخير مصدراً).

والحقيقة أنه في هذه الأيام تجرأ العامة على علماء الأمة، حتى أصبحت هواية عند البعض.

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٥٣٣).

سابعاً: الخطأ مردود على صاحبه المجتهد به مع بقاء فضله:

كثير من مجتهدي السلف والخلف قد قالوا وفعلوا ما هو بدعة ولم يعلموا أنه بدعة، إما لأحاديث ضعيفة ظنوها صحيحة، وإما لآيات فهموا منها ما رد منها، وإما لرأي رأوه وفي المسألة نصوص ما تبلغهم، ولكن صاحب المعروف من أهل الاجتهاد لا يقع فإن وقع وجد متكأ ووقوعه متوقعاً ومع ذلك يبقى فضله في الأمة.

فهذا الحافظ الذهبي- رحمه الله تعالى- يقول في ترجمة كبير المفسرين قتادة ابن دعامة السدوسي المتوفى سنة (١١٧ هـ)- رحمه الله تعالى- بعد أن اعتذر منه[(١)]: (ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه يغفر الله زلته، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم: ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ونرجو التوبة من ذلك) ا.هـ.

وقال أيضاً[(٢)] : (قلت: ما زال الأئمة يخالف بعضهم بعضاً، ويرد هذا على هذا، ولسنا ممن يذم العالم بالهوى والجهل) ا.هـ.

ثامناً: الاختلاف في فروع العقيدة لا يوجد التخاصم والقتال ولا يمنع من النصح والحوار:

إن من مسائل العقيدة ما هو أصول، ومنها ما هو فروع، وإن كانت تسمى بالجملة أصول الدين، تعظيماً لمكانتها، وحديثنا هنا عن الاختلاف في الفروع.

فالغضب من شخص والاختلاف معه في المسائل الاجتهادية لا يوجب قطيعته وحرمانه من العلم، فعن سعيد بن المسيب، عن أبي موسى الأشعري قال: عدت الحسن بن علي فوجدت عنده أباه علياً قال: ما جاء بك إلينا؟ ما

---

(١) السير (٥/ ٢٧١).
(٢) السير (١٩/ ٢٤٢) .

يوجك علينا؟ قلت: ما إياك أتيت، ولكن أتيت ابن ابنة رسول الله ﷺ أعوده: قال علي: أما إنه لا يمنعني غضبي عليك أن أحدثك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا عاد الرجل أخاه لم يزل يخوض في الرحمة، حتى إذا جلس عنده غمرته**»[(١)].

تاسعاً: إذا غلبت محاسن الرجل لم تذكر مساوئه:

وهذه قاعدة كثرت فيها الحوادث والنقول والتي منها:

قال سعيد بن المسيب: (إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل إلا وفيه عيب ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، ومن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله).

عاشراً: تُحفظ الدعوة الإسلامية وأهلها بدوام الاتصال بالله سبحانه :

قال أبو عثمان النهدي: تضيفت أبا هريرة سبعاً فكان هو وامرأته وخادمه يعتقبون الليل أثلاثاً، يصلي هذا ثم يوقظ الآخر فيصلي ثم يوقظ الثالث.

وهذه الرتبة العالية إنما هي نتاج اليقظة وميراث مدرسة قيام الليل، ذكر ابن اللباد أن محمد بن عبدوس صلى الصبح بوضوء العتمة ثلاثين سنة، خمس عشرة من دراسة، وخمس عشرة من عبادة.

مفهوم المعارضة في الإسلام:

للمعارضة في الإسلام اعتبارها، لا حبا في المعارضة وإلا كانت جدلاً مذموما لا قيمة له، وإنما هي بيان لأفضل السبل وأحسن الآراء التي تحقق مصالح الناس وهي بهذا المفهوم منهج للعدل قويم يلتزم به المسلمون، فلا يأنف كبير من أن يقال له: أخطأت، ولا يخشى صغير من أن يقال له: تجرأت، فالحق رائد الجميع، والصواب في الأعمال والأقوال هو المبتغى، وهو الوسيلة لبيان الأخطاء دون تعرض للأشخاص بتجريح أو إساءة، وإنما التعرض

(١) السير (١٩/ ٢٤٢)، والحديث أخرجه الترمذي (٩٦٩) وابن ماجه (١٤٤٢)، وصححه الألباني.

للأعمال والأقوال حيث توزن بميزان الشرع مع الالتزام بالضوابط اللازمة لذلك، ومع الأخذ في الحسبان بتقاليدنا الأصيلة والعادات القويمة التي لا تحيد عن الدين، نقول هذا لعلمنا أن منهج المعارضة الإسلامية يقوم على قواعد شرعية، ومن أهم هذه القواعد:

ـ **أولاً: المنكر يزال،** وهل يرضى أحد من الناس يحب الخير للمجتمع والناس أن يعيش في عفة والناس من حوله يكتوون بالمنكر؟ إن إزالة المنكر أمر فرضه الشرع لينفي عن المجتمع خبث الشر والإثم والبهتان، وليبقى عنصر الصلاح فيه قائماً، والأخلاق فيه سائدة.

والقرآن الكريم قرر ذلك قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ﴾[١].

وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[٢].

وقد بين رسول الله ﷺ أن إزالة المنكر قد يدفع الإنسان ثمنها حتى يصل به الأمر إلى حد أن تزهق نفسه وهذا غير مانع من العمل الجاد على إزالة المنكرات لأن من يقتل في سبيل الله هو من الشهداء بل هو سيد الشهداء، قال ﷺ: «**سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**»[٣].

ـ **ثانيا: درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة؛** إذ لا قيمة لمنفعة تقوم بجانبها مفسدة، وإلا لأودت المفسدة بالمنفعة في النهاية، وسد الذرائع مقدم على جلب المصالح، فإنكار المنكر يجب ألا يترتب عليه ما هو أكبر منه أو يضيع على

(١) التوبة : ٧١ .
(٢) أخرجه مسلم (٤٩).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٨٨٤) وصححه الطبراني في الأوسط (٤٠٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٤).

صاحب الفضيلة من الخير ما هو أكبر من أثر إنكار المنكر.

ـ ثالثا: **الأخذ بأخف الضررين واجب، المنكر لا يزال بمنكر أشد منه وإلا عم الضرر وساد الفساد**؛ فدور اللهو التي تأخذ من وقت الناس وأموالهم ما لا طائل وراءه، ولا جدوى منه ولا نفع له في خلق ولا دين منكر ينبغي أن يزال، ولكن إزالته بالاعتداء على العاملين فيه قد يكون منكرا أشد، ولا يزال المنكر الأخف بالمنكر الأشد؛ لأن ذلك يترتب عليه أضرار قد تلحق بالكثيرين من الناس، فيكون الضرر أشد والمنكر أعم.

ـ رابعا: **الأصل في العلاقة مع الحاكمين المناصحة لا المنابذة**؛ فالدين النصيحة، ونصيحة الحاكم مقدمة على نصيحة غيره، لأن في صلاحه صلاح الأمة كلها وأولى بنا أن نبتعد عن المنابذة مهما كانت المغريات من حولها، وأن نبدأ بالمناصحة وأن نحرص عليها حتى تثمر ثمرتها وتؤتي أكلها .

ـ خامسا: **اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية**، وهذا يتحقق إذا انتفت الذاتية الشخصية، وبرز الصالح العام فصار هو المهيمن والمحرك، حينئذ يبقى الود رغم ظهور الخلاف لأن النيات سليمة، والرغبة في الإصلاح العام هي أساس القول والعمل على السواء.

ـ سادسا: **إن المجالس المنتخبة ليست عصى موسى التي تحل بها كل المشكلات**، بل هي منهج للوصول إلى القرار الصحيح ثم متابعة هذا القرار ومراقبته، بحيث تتوفر له عوامل التنفيذ الكفيلة بالإصلاح وتنفي عنه الموانع الكفيلة بالإخفاق.

ـ سابعا: **التغيير لا ينصب على فئة دون أخرى**، التغيير إلى الأفضل والأحسن أمر يشترك فيه النظام بجميع مؤسساته وأفراده على اختلاف توجهاتهم بحيث يكون التغيير عميقا نابعا من أعماق النفوس فتعلو الهمم، ويتغير الأداء من الفتور إلى القوة، ومن قلة الإنتاج إلى غزارته، ومن التغافل

والأثرة، إلى اليقظة والإيثار ومن هنا يحدث التغيير الحقيقي الذي جاء في كتاب ربنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [1].

وفي هذا الإطار فإن الهواجس القائمة بين القوى بعضها وبعض وبين المفكرين بعضهم وبعض ينبغي أن تتغير لتحل محلها الثقة والاحترام المتبادل، في ضوء الأخلاقيات التي لا تمتهن المقدسات ولا تعتدي على الحرمات، ولا تسخر بالأشخاص أو الهيئات، وإن بعض الأنماط التي بدأت تظهر في مجتمعنا مما يخالف عاداته وتقاليده، ومما لا يرتضيه شرع ولا دين ينبغي أن تتغير، فلا يكاد يمر يوم دون أن تقرأ في الصحف عن جريمة هنا، أو سرقة هناك، أو اعتداء على أعراض الناس أو إهمال للمصالح التي بها يتقدم المجتمع ويرقى، وكل ذلك يجب أن يلحقه التغيير، حتى يقوم البناء الحضاري للأمة على أساس سليم، بهذه الضوابط الكلية والقواعد العامة، تكون المعارضة منهجا للحياة الرشيدة القويمة، التي يعلو فيها صالح المجموع على صالح الفرد والتي تختفي فيها الذاتية والأثرة ليحل محلها المجموع والإيثار فيتحقق بها الرشاد والخير.

(١) الرعد: ١١.



١٧

وحدة الأمة
أمل هل يتحقق ؟!

إذا كان من رحم الخلاف تتخلق الفتنة، ومن رحم الفتنة يتولد الأمل، والشيء يطلب حينما يعز وحينما ندعو إلى وحدة للأمة (فكرية – عضوية) لا نطلب إلا علاجاً لجراحات الأمة المختلفة علاجاً لا مسكنات وقتية وليس مطلباً غريباً عسيراً بل وحدة الأمة أصل من أصول الدين قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾[1]، وقال تعالى :﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» ، وقال ﷺ : «**تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»، وقال ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**» نعم هذا هو أصل هذه الأمة، أنها قوية بوحدتها، ضعيفة بفرقتها.

وإن جماعة المسلمين تقوم على علماء الدين، لأن المسلمين تبع لعلمائهم، فإذا اتفق علماء المسلمين على أمر وسط لا يفرقهم ولا يفسد ذات بينهم، فإن جماعة المسلمين تقوم بهم، سواء اتفقوا على رأي واحد أو تمسك كل واحد منهم باجتهاده، لأنهم حينما يأخذون جميعاً بمنهج تخطئة المخالف المجتهد وعدم الحكم عليه بضلال أو ابتداع، فإن وحدة القلوب تظل قائمة، وبإمكانهم بما بينهم من مودة وتآلف أن يتفاهموا على الأمور العملية التي لابد فيها من وحدة الكلمة، وإذا تم ذلك بين العلماء فإن هذه الروح الأخوية والمودة الإيمانية تسري إلى كل طبقات الأمة .

---

(١) المؤمنون : ٥٢ .

(٢) الحجرات : ١٠ .

إن الذين يضعون في حسابهم أهمية قيام جماعة المسلمين وتوحيدهم على هدف واحد تكون دعوتهم أعظم تحصيناً من حدوث الفرقة في الدين، ذلك لأنهم يأوون في دعوتهم إلى ركن شديد، وهو الدعوة إلى اجتماع كلمة المسلمين فأي خلاف يجري بين من يؤمنون بأهمية هذا المطلب العظيم فإنه يعالج سريعاً إذا علموا بأنه سيكون له أثر في تحطيم هذا الأصل أو إضعافه.

لماذا مشروع وحدة أمة:

لأمور كثيرة لا يمكن أن نحصيها ولكن نذكر بعض الأمور على سبيل المثال:

أولاً: لأن الوحدة أمر بديهي في حياة الحضارات والشعوب والأمم التي تبغي العزة والرفعة فلا يمكن أن يتم عمل، والتعاضد مفقود، ولا يكون فشل، والاتحاد موجود، فالاتحاد قوة كما تقول العرب في حكمها وأمثالها .

ثانياً: لأن الإسلام دين التوحيد، قال تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1]، فالمسلمون يجمعهم دين واحد، وقبلة واحدة، ورسول واحد، فلا يملكون - والأمر كذلك - إلا أن تكون هذه القواعد العامة من أسباب التوحد القوية .

ثالثاً: لأن الوحدة سر قوة الأمة الإسلامية، فالمسلم له رؤية شاملة للكون والحياة، وله كذلك غاية من وجوده يسعى لتحقيقها بوسائل مشروعة حددت الشريعة أطرها العامة، والإسلام دين شامل لكل شئون الحياة، كما أنه مصلح وصالح لكل زمان ومكان، وهذا التميز يستدعي كما قال الرسول ﷺ أن نكون : «**أمة واحدة من دون الناس**»، فالإسلام استطاع أن يذيب القوميات والعرقيات واللغات، وأن يحيي في قلوب الناس الحياة وفقاً لمنهجه الذي رسم خطوطه الكتاب والسنة، ولذلك نجد أن أحاسيس المسلمين بالوحدة قوية

---

(١) الأنبياء : ٢٥ .

في العصور السابقة وفي العصر الحديث .

رابعاً: لأن طبيعة هذا الدين عالمية ولا يمكن تحقيق هذه العالمية، وأمة الإسلام مفترقة مخترقة، بل الوحدة هي التي تهيئ الأمة للانطلاقة العالمية، وتقدم لشعوب الأرض أمة واحدة مجتمعة بمنهج رباني، فمن الصعب إقناع شعوب الأرض بعالمية الإسلام وأتباعه لم ينجحوا في تحقيق الوحدة فيما بينهم على الرغم من اعتقادهم بوجود عوامل قوية وداعمة للوحدة، وفي الحديث الشريف : «**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[1]، فعالمية الإسلام منضبطة بالكتاب والسنة لصياغة الهوية الخصوصية لأفراد الأمة في مختلف مناحي الحياة، وهذه الخصوصية هي التي تؤدي إلى حدوث التدافع بين عالمية الإسلام والعولمة البشرية ولا يمكن مواجهة استحقاقات هذا التدافع بلا وحدة حقيقية تجمع الأمة الإسلامية في كيان وحدوي قادر على الاستجابة للتحديات .

خامساً: وحدة الأمة ذات جذور ممتدة عبر التاريخ، وحتى في فترات الضعف والفرقة كانت الدويلات الإسلامية حريصة على الحصول على التقليد الرسمي لحكامها من قبل الخليفة، وذلك لإثبات شرعيتها أمام شعوبها، وعندما كانت الهجمات الصليبية تهدد قطراً من الأقطار كان يطلب النجدة من الأقطار المجاورة، وهذا ما حدث عندما هددوا مصر سنة (٥٦٤ هـ) فاستنجد حاكمها الخليفة العاضد بنور الدين محمود فأرسل له قائده أسد الدين شيركوه، فالتاريخ يشهد أن الأمة الإسلامية عاشت الوحدة في ظل الخليفة الأموي أو العباسي أو العثماني، وكانت وحدتها هي مصدر قوتها حتى خاطب الخليفة هارون الرشيد السحابة غير مهتم أين تمطر لأن خراجها في النهاية سيجبى إليه، فالوحدة الإسلامية واقع تاريخي كان دائماً هو الأصل،

---
(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) .

وما عداه كان وضعاً شاذاً لا يمثل الحالة الطبيعية للأمة التي يمتلك أفرادها إحساس وجداني بضرورة التوحد.

سادساً: لأن الوحدة الإسلامية تمتلك المقومات والدعائم الأساسية لكي تتحقق، فهناك وحدة الدين، حيث يولد الإسلام تجانساً روحياً وثقافياً وسلوكياً وتشريعياً تذوب معها فوارق القوميات والبيئات والتنوع الجغرافي، فيشعر المسلم من الصين بتقارب نفسي وروحي مع المسلم في أوروبا وأفريقيا دون شعور كبير بالاختلاف والتميز، فالرابطة الدينية محل اعتبار وتقدير ومن مقومات الوحدة كذلك التاريخ المشترك، وهذا التاريخ يتجلى في الاهتمام بأمر المسلمين على أي أرض كانوا، وما الاهتمام الذي يوليه المسلمون اليوم لقضية فلسطين إلا ترجمة لهذا التاريخ المشترك من الدفاع عن أراضي المسلمين وحرماتهم .

ومن مقومات الوحدة لغة القرآن الكريم التي هي وعاء الثقافة الإسلامية، ومن أهم العوامل التي تحدد سمات المجتمع بعد الدين .

ما تحقق من لا شيء يتحقق من أشياء:

فقد كانت الحياة قبل الإسلام عدماً أو أشبه بالعدم وحياة الناس فيها لا تزيد على حياة الأرض التي يعيشون عليها حيث صحراء مجدبة تفرق ولا تجمع تنفر ولا تجذب حتى بُعث النبي ﷺ فكان كالماء الذي نزل على الأرض الميتة فأحياها من بعد موات وناداه الشاعر قائلا:

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم إلا مع صنم قد هام في صنم
أخوك عيسى دعى ميتاً فقام له وأنت أحييت أقواماً من الرمم

فمن لا شيء صارت هناك دولة إسلامية قوية تناطح بصحيح منهجها واستقامة غايتها أقواماً ظنوا في أنفسهم البقاء فكان ظهور الإسلام من أمة العرب إيذاناً بفنائهم.

يقول أحدهم : لقد أدركت غلبة فارس على الروم وأدركت غلبة الروم على فارس وأدركت غلبة المسلمين على فارس والروم وكل ذلك في خمسة عشر عاماً وليس غريباً أن يقول عمر: كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام .

إن كان هذا الأمر قد تحقق وأحيى الله الأمة بعد موتها فكيف بنا اليوم وتراثنا بين أيدينا ومنهجنا واضح لا مجال فيه لأخذ ورد، فهذه الأرضية العامة وهذه الصحوة المشهودة والتي بدأت في عصور الضعف في إبان سقوط الدولة العثمانية، والتي حاول الغرب مستعيناً بمن رباهم في الشرق طمس هذه الصحوة بفتح السجون على مصراعيها، ليخرج الجميع من السجون لتبدأ العمل للإسلام بوعي رشيد مواجهاً للواقع الجديد ومستفيداً من أخطاء الماضي.

فهناك الصحوة المباركة وهناك الحركات الإسلامية الكثيرة وإن تعددت أسماؤها فهي في النهاية تصب في حقل الدعوة، فالواقع مشجع لأن تلتقي كل هذه الأطياف في حراك مجتمعي ناضج كبير واع يصرخ بصوت واحد نريد العزة لأمتنا والنصرة لمنهجنا وفق كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ كما يقول ابن خلدون : ليس هناك مجال للعرب أن يلتقوا إلا لسلطان الدين، ونحن نقول: إن الدين هو المفتاح الصحيح الذي يمكننا من خلاله فتح كل المغاليق وتخطي كل العقبات فالأمر ليس بالمستحيل ولا بالسهل فقط يحتاج منا إلى همة وصحوة .

هل كتب علينا أن نعيش على أمجاد الماضي ؟

إن نجاح الأمس ليس ضرورة على استمرار النجاح للزمن المستقبل اللهم إلا إذا استمرت عوامل النجاح التي صاحبته في الماضي. أما التغني بالماضي لا لشيء إلا لأنه ماضي فهذا مؤشر خطير على الفشل .

فبلا شك أن الأمة حققت نجاحات رائعة ولها رصيد قوي من المجد حق

لكل مسلم أن يفتخر به وليس هذا بافتخار إن لم يحقق لنجاحات الماضي الديمومة والاستمرار فإن كان كل مجهود المرء في أن يفتخر بماضيه وحسب فقد أساء لنفسه ولمنهجه ولكن إن افتخر وأخذ ما مضى وبنى عليه ليسلمه إلى الأجيال القادمة بناء صحيحاً ضخماً مستمراً للأجيال التي بعده فهذا هو المنهج الصحيح، ولا شك أننا نملك من الإمكانات التي تجعل الأمة قادرة على أن تنمو وتستمر وتضيف إلى ما سبق.

وما يعين الأمة ويجعلها مستمرة في نجاحاتها أن منهجها ليس منهجاً أرضياً بشرياً إن أصاب مرة لازمته الإخفاقات مرات عديدة فالبشرية لم تشهد منهجاً سماوياً واضح المعالم بين الخطوات كمنهج الإسلام ذلك المنهج الذي: ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1] فهو منهج رباني نزل بالوحي لإصلاح وصناعة أمة قائدة ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾[2] فبالفعل صنع الإسلام رجالاً صدقت فيهم الرجولية وتوفرت عناصرها ومفرداتها فغيروا مجرى الحياة وصنعوا أمجاداً كتبت لهم ويبقى أن نكتب نحن لأنفسنا أمجاداً مستفيدين بماضينا ناظرين إلى قدراتنا فرقعة المسلمين واسعة من الشرق إلى الغرب وعدد المسلمين تعدى المليار ونصف المليار من البشر ولدينا العقول المفكرة والمبدعة ولا نحتاج إلى بيان طويل فنظرة واحدة إلى كل مراكز البحث في العالم في أمريكا وأوربا تبين ذلك الكم الهائل من المسلمين العاملين في الغرب بجدية حينما لم تتح لهم الفرصة في الشرق .

(١) فصلت : ٤٢ .
(٢) طه : ٣٩.



قبل أن تذهب نفسي حسرات على وطني!!

عنوان غريب يكتب وخاصة أن الوهم قد لف العقول وغلف الأفئدة بأن الأمن والاستقرار هما حليفا المنطقة، وأنه لا مبرر من الحذر على الوطن، فالاستقرار بدأ يعم المنطقة والاقتصاد يشهد نمواً متسارعاً، ومشاريع الإعمار تشهد طفرة جيدة، والكويت جددت بنيتها التحتية، والوضع الاقتصادي مطمئن، وكل المؤشرات إيجابية، فلماذا الشعور بالخوف إذن؟!!

الخوف والحذر شعور طبيعي في الإنسان، وهو كما جاء في التعريفات (ص١٣٧): توقع حلول مكروه أو فوات محبوب، وهو شعور لا يعيب الإنسان إذا لم يتحول إلى فزع أو يأس وقنوط، وهي حالة تمر بالإنسان إذا فقد عنصر الأمن، ولذا شرعت صلاة الخوف، وكان المتنبي يقول:

وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ... ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمناً

والخوف في القرآن الكريم قد يأتي بمعنى الظن كقوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾[1]، أو يأتي بمعنى القتال كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾[2]، وقد يأتي بمعنى النكبة التي تصيب المؤمن من قتل أو هزيمة كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ﴾[3]، وقد يأتي بمعنى الخوف ذلك الشعور الطبيعي كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4].

وللأستاذ سيد قطب- رحمه الله- تعليق لطيف على الآية حيث يقول:(إن

---

(١) البقرة : ٢٢٩ .
(٢) الأحزاب : ١٩ .
(٣) النساء : ٨٣ .
(٤) آل عمران : ١٧٥ .

الشيطان هو الذي يضخم من شأن أوليائـه، ويلبـسهم لبـاس القـوة والقـدرة ويوقع في القلوب أنهم ذوو حول وطول، وأنهم يملكون النفع والضر.. ذلـك ليقضي بهم لباناته وأغراضه، وليحقق بهم الشر في الأرض والفساد، وليخضع لهم الرقاب ويطوع لهم القلوب، فلا يرتفع في وجوههم صوت بالإنكـار، ولا يفكر أحد في الانتقاض عليهم، ودفعهم عن الشر والفساد.

والشيطان صاحب مصلحة في أن ينتعش الباطـل، وأن يتـضخم الـشـر وأن يتبدى قوياً قادراً قاهراً بطاشاً جباراً، لا تقف في وجهه معارضة، ولا يـصمد لـه مدافع، ولا يغلبه من المعارضين غالب. الشيطان صـاحب مـصلحة في أن يبـدو الأمر هكذا، فتحت شعار الخوف والرهبة، وفي ظل الإرهـاب والـبطش، يفعـل أولياؤه في الأرض ما يقر عينه يقلبون المعروف منكراً، والمنكر معروفاً وينـشرون الفساد والباطل والضلال، ويخفتون صوت الحـق والرشـد والعـدل، ويقيمـون أنفـسهم آلهـة في الأرض تحيـي الـشر وتقتـل الخـير.. دون أن يجـرؤ أحـد عـلى مناهضتهم والوقوف في وجههم، ومطاردتهم وطردهم من مقام القيادة.. بل دون أن يجرؤ أحد على تزييف الباطل الذي يروجون له، وجلاء الحق الذي يطمسونه.

والشيطان ماكر خادع غادر، يختفي وراء أوليائه، وينـشـر الخـوف بهـم في صدور الذين لا يحتاطون لوسوسته.. ومن هنا يكـشفه الله، ويوقفـه عاريـاً لا يستره ثوباً من كيده وفكره، ويعرف المؤمنين الحقيقة: حقيقة مكره ووسوسته، ليكونوا منها على حذر، فلا يرهبوا أولياء الشيطان ولا يخافوهم، وهو أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى ربه، ويستند إلى قوته.

حذري اليوم على وطني نابع من حرصي :

إن القوة الوحيدة التي تخشى وتخاف هي القوة التي تملك النفـع والـضـر، هي قوة الله، وهي القوة التي يخشاها المؤمنون بالله، وهم حين يخشونها وحدها أقوى الأقوياء، فلا تقف لهم قوة في الأرض، لا قوة الـشيطان ولا قـوة أوليـاء

الشيطان[١].

إن حذري اليوم على وطني نابع من حرصي على استتباب الأمن، الأمن الداخلي تلك النعمة العظيمة التي تفتقدها دول وشعوب، ونحن ننعم بها ولكننا بممارساتنا المجحفة بحقها لا نقدرها حق ما تستحق من شكر وتقدير.

لا يمكن أن يستقر بلد ما بدون أسباب للعيش وأمن يحيط بتلك الأسباب، وقد ذكر الله -سبحانه وتعالى- من نعمه على قريش أنه سبحانه: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[٢] وهي نعم عظيمة لا أدري لماذا بعض أبناء جلدتنا يستهزئون بها، ويحاولون أن يمحقوها من حياتنا بممارساتهم الرعناء الطائشة.

لقد كان من دعاء أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام لربه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[٣] فالأمن من الثوابت التي لا يختلف عليه أحد من أهل هذا البلد، بل هو مقوم أساسي من مقومات المجتمع، فالأمن والطمأنينة والسلام متطلبات أساسية للإنسان، ونحن الكويتيون في غنى عن التذكير بأهمية هذا الثابت، وقضية الأمن اليوم أصبحت أساساً من أسس الاستقرار الاجتماعي والسياسي والتربوي، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[٤].

ومقومات الأمن أوسع من أن تشملها اتفاقيات أمنية مع قوى عظمى، فهناك ما يستدعي عمله لتأمين الأوضاع الداخلية ونزع فتيل الخلافات السياسية والفكرية وغيرها، وهناك أيضاً ما ينبغي عمله لتوفير مقومات الأمن الدائم الذي يرتبط بتراث هذه الأمة أكثر من ارتباطه بقوى عظمى معرضة في يوم من الأيام إلى التفكك والانهيار.

---

(١) الظلال (١ / ٥٢١).
(٢) قريش: ٤.
(٣) إبراهيم: ٣٥.
(٤) الأنعام: ٨٢.

إن حديثنا عن الأمن جزء لا يتجزأ من حديثنا عن الهوية، فالهوية التي دعونا إليها هي بمثابة المظلة التي يستظل بها الأمن الداخلي والخارجي للكويت.

ليس من أسباب الأمن..

فليس من أسباب الأمن هذه المماحكات السياسية المستمرة التي تجاوزت كل الأعراف والتقاليد السياسية وتحولت إلى خصومات شخصية وتصفية حسابات شخصية على حساب الصالح العام وأمن البلد واستقراره، والدفع بالأمور نحو التأزم المستمر والسير على حافة الهاوية بشكل متوتر، وإدمان الإثارة المفتعلة وضياع الأولويات والبرامج الوطنية، والدخول بنفق المزايدات القبلية والطائفيات، ومحاولة فرض المحاصصة السياسية التي لا تقوم على تقسيمات اللعبة السياسية وإنما على تقسيمات تفتيتية الاستدراج لها سيكون في غاية الخطورة والخروج منها بلا إصابات في أمن الوطن أشبه ما يكون بالمستحيل.

وليس من أسباب الأمن في بلدي أن يحترق جزء كبير من وقت القيادة السياسية العليا للأسف في يوميات العمل التنفيذية، فهذا بلا شك سيدخلها في نفق ضياع الأوقات وبعثرة الجهود وتشتت التركيز وغياب النظرات الكلية، والغرق في تفاصيل المشاكل المالية والاجتماعية، والشئون الداخلية والخارجية.

نعم.. ليس من أسباب الأمن في بلدي أن تضيع هيبة القيادات الكبرى في البلد، لأن الجرأة السوقية على قيادات البلد وضياع الحكم سيجعل المواطن قلقاً على أمنه واستقراره، وهيبة الحكم لا تكون بقدرة الحاكم على فتح أبواب السجون ولا التلويح بسياسة العصا والجزرة، وإنما بالسياسات القيادية والممارسات الاستراتيجية التي تفرض رؤيتها على الموجودين.

نعم.. نريد الحوار ونشجع على إبداء الرأي، لكن أن يتحول الحوار إلى المس بهيبة الحكم، وأن تتفلت لغة الحوار من كل الضوابط القيمية والأخلاقية

التي رضعناها من مبادئ ديننا وأعرافنا الكويتية فهذا نذير خطر على الروح الأسرية التي تعودناها في العلاقة بين بيت الحكم وبيت الشعب، ومن يجهل هذه الأعراف فليقرأ تاريخ الكويت وعلاقة الحاكم مع المحكوم قبل ٦٠ سنة فقط لا أكثر، ليرى كيف يتعامل الناس حكاماً ومحكومين في حياتهم الاجتماعية والسياسية..

أقول بمثل الممارسات.. نعم.. إني حريص على وطني!!

فليس من أسباب الأمن تلك الكتابات التحريضية على هوية الأمة، وهذا الهجوم الصريح المباشر على الرموز الدينية والهوية الإسلامية والانسلاخ من الفرات، والاحتكار لكل موروث والانتقاص من المكون النفسي والاجتماعي للشعب الكويتي، والانقضاض على القيم الاجتماعية ومحاولة تسفيه الأصالة، وإحلال القيم المتغربة التي أنهكت الشعوب التي صدرتها وبثتها ومحاولة فرضها على الشعب الكويتي وتصنيف الناس بناء على قبولها وردها، وسيل سيف القلم على هذه الثوابت الكريمة الأصيلة التي تعاني من تنكر أبنائها بسبب الإصابات المباشرة أصابتهم بالهزيمة النفسية وما استتبعها من محاولات إيجاد تفسير جديد للإسلام يلائم هذا الضغط المدفوع لتحقيق مصالح الآخرين في بلاد المسلمين.

وليس من أسباب الأمن هذه الخصومات الفكرية التي تحمل لواء التشنج والتسفيه واتهام النوايا، واللعب بالمناطق المحظورة، واستجلاب شواذ الأقلام العربية واستضافتها على صفحات جرائدنا المحلية، ولينفثوا سمومهم ويخرجوا مكبوت صدورهم تجاه صاحب كل موقف صلب وشجاع يبتغي من خلفه الكرامة والسيادة لأمته ودينه.

وليس من أسباب الأمن هذا الصوت العالي في تداول شئون بلدنا، وهذا التوتر المستمر للأعصاب، وهذا الرفض الشديد للرأي الآخر مهما كان منطقياً

ومعتدلاً في طرح فكرته، وهذا الجدل اليومي المستمر حول شئون البلد، وهذه البيانات المتكررة التي تحدد مواقف أو تبين مطالب بشيء من التشنج وحدة في الألفاظ والكلمات، وهذا التذمر المستمر، وهذه القناعة المفقودة، وهذه الشكاوى المستمرة، وهذا التجهم الذي يحكم الجميع، وهذه السلبية القاتلة في التعامل مع القضايا الحيوية، وهذه المعارك المستمرة التي لا يسلم فيها مغلوب بحق، ولا يتواضع فيها غالب بحكمة.

وليس من أسباب الأمن في بلدي هذه الاستهانة العجيبة بالقانون، وهذا الانتهاك المستمر لقوانينه ونظمه ولوائحه، وهذا التعدي الخطير على سلطته، وهذه الممارسات الفئوية التي تريد أن تفرغ القانون من مضمونه وتعود بنا إلى قانون العرف والعلاقات الشخصية وتصنيف الناس والتمييز في تطبيق القانون وأحكامه.

وليس من أسباب الأمن هذا التعدي المؤذي المستمر على المال العام، وصورة البقرة الحلوب التي لا تريد أن تغادر أذهان البعض في تعاملهم مع المال العام في الكويت وهذه السرقات والاختلاسات التي نسمع بها ونقرأ عنها ما بين فترة وأخرى.

وليس من أسباب الأمن في بلدي هذا التطرف الأعمى الذي يريد أن يدخل وطني في دوامة العنف الأسود حيث القتل والدماء والدمار واستحلال الأموال والأعراض، وحيث العقول المسلحة بفكرة احتكار الحقيقة المقدسة وتكفير المخالفين وتسفيه الآخرين.

وليس من أسباب الأمن في بلدي مبارزة الله بالمعاصي والموبقات والفواحش والمنكرات، ونشر هذه الرذائل على أجهزة النقال والحاسب الآلي والفضائيات في الشقق المشبوهة، والأماكن المرذولة، وهذا البغاء المستتر، وهذه الوجوه غير البريئة المنتشرة بين المقاهي والشواطئ والمطاعم والتي تبحث عن صيد بين

شبابنا الغض الطري الذي يستجيب لنداء الشهوة الآثم مدفوعاً بلقطة بلوتوث أو مشهد قناة عري أو موقع مشين على شبكة الإنترنت.

وليس من أسباب الأمن أن لا ندرك أبعاد جميع ما سبق من مخاطر ومستجدات ذات تأثيرات سلبية على وطني وأبناء وطني ومواجهة ذلك بالبرامج الوطنية الجادة التي يتفق عليها الجميع، وعدم ترك تلك المخاطر للزمن حتى تستفحل وتصل إلى نقطة اللاعودة كقضايا أخرى أهملناها فأصبحت من الصعوبة أن نتعاطى معها الآن وربما نعالجها بأسلوب المهدئات لا أكثر ولا أقل.

حكموا العقل والشرع في ما قاله الرفاعي:

إن ما طلبه السيد (فؤاد بن السيد عبدالرحمن الرفاعي الحسيني) في مركز (ذكر) يشتمل على مطالب إسلامية من أهمها: البراءة من تكفير أبي بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وعائشة وبقية الصحابة -رضوان الله تعالى عليهم، والدعوة إلى تعظيم كتاب الله -سبحانه- الذي نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام.

وإنه بهذه المطالب لم يأت بجديد ولم يتعرض لأحد، فكل الذي ذكره مطلب لكل مسلم، فعدم تكفير المسلمين وعدم الطعن بجبريل عليه السلام، واحترام القرآن الكريم وغيرها من المطالب هي مطلب لكل مسلم.

فأين الطائفية في كلام الرفاعي، فالبيان لم يحدد فئةً معينة أو طائفة محددة إنما هو بيان لجميع المسلمين، فلم هذا التجاهل.

ثم لنحكم العقل والشرع فيما ذكر السيد الرفاعي، هل هذا المطلب فيه شك.

فإن كان فيه شك أو خلاف بالنسبة لتكفير الصحابة وغيرهم فالمسألة أكبر من طائفية والمسألة متعلقة في دين أو لا دين عندما لا نبرأ ممن يكفر الصحابة

ويتهم جبريل عليه السلام.

وأنا أدعو السيد (علي المتروك) وهو ممن يدعو إلى وحدة الصف والتقارب ويعرف بعقلانيته أن ينظر بقراءة متزنة للبيان وفيها ذكر الرفاعي، وأن يكون حكماً وأن يكون الجواب عقلانيا لا سياسيا! ثم هل فيها ذكر الرفاعي في بيانه دعوة للطائفية أو للفرقة.. ؟!

من حقي أن أكون حريصا:

من أجل كل ذلك أنا حريص على بلدي، وكل بلاد المسلمين، لا أريد أن ينتصر الظلام على النور ولا أن يستوطن الخوف في قلوب الأطفال، ولا أن يخطف الإرهاب زهرة الشباب ولا أن يكون المستقبل هو ضحية خلافات الحاضر.

من حقي أن أكون حريصا على بلدي ويجب أن يشاركني في هذا الخوف كل من يراقب الساحة المحلية فيها وسيجد أن خوفي المشروع هذا يصلح بداية حسنة يمكن البناء عليها لمستقبل أفضل.


٢٠

إشكالية تعامل الحركات الشعبية مع الأنظمة الحاكمة

الوطن ليس إقطاعية لأحد كي تأخذه الأنظمة، كما أنه ليس ألعوبة كي تسخرها الحركات لصالحها -فقط- في سبيل الوصول إلى مصالحها. وبين الأنظمة الحاكمة والحركات الإسلامية في بعض الدول يقع الإنسان في حيرة فهل يمكننا القول بأن فقدان الثقة بالأنظمة المتسلطة الحاكمة، دفع الكثير من الشعوب إلى نهج التطرف من خلال نافذة الحركات التكفيرية؟! وإذا كان الأمر كذلك فمن المسئول؟ هل هم الحكام في تلك الأنظمة الذين أرضعوا شعوبهم حليب الذل والمهانة؟ أم هي الحركات المتطرفة التي تقرن الكرامة بالجهاد لسفك الدماء من دون تحقيق أي هدف استراتيجي ينأى بالشعوب من هول ما هو آتٍ؟! أم هي الشعوب العربية التي تآمرت على أنفسها فانزلقت إلى دوامة استمراء التخاذل واستمزجت علف الذل والمهانة؟!

أسئلة كثيرة مطروحة دونها مجيب، وما هي إلا أصوات من هنا وهناك، أحدهم يتكلم بلغة المدافع والمتفجرات، وسفك الدماء، وإزهاق الأرواح في سبيل الهدف المنشود..!! وعلى الجانب الآخر من سفح الجبل تصيح (نعامة).. إنهم (طغاة)، فقد أرعبونا (الحكام) بديكتاتوريتهم !! وفريق آخر يسمى (المعارضة)، والتي تعزف سيمفونية الهيام المتطفل، فتتلاطم بها الأمواج إلى أن تجمعها الأطراف المستنفعة، فتعمل على أدلجة مفاهيمها لتقترب من العمل ضد مصلحة الوطن من حيث تشعر أو لا تشعر.. والكرامة المهدورة ما زالت متلونة باللون الأحمر لا يدرى أخجلاً وحياءً ؟ أم هي نتيجة الحنق والغل من فورة الدم التي تبقى حبيسة، ولا تجد لها مخرجا؟

إن الشعوب العربية منهزمة، ولكن انهزامها لم يكن فقط نتيجة فساد بعض

الأنظمة الحاكمة التي هي ديكتاتورية الطبائع، بل الأسباب كثيرة والكل يريد التبرئة لنفسه، والهروب من المسئولية، ولا أسهل من إلقاء نتيجة التقاعس والفشل على ظهر الأنظمة الحاكمة!! في حين أن كلمة (التخاذل) تقرن باستمرار إلى الكثرة (الشعب) . وفي النهاية تقع المسئولية على عاتق الجميع: الأنظمة، والشعب والحركات التي تمثله. وحتى تتضح الصورة لا بد من معرفة أنواع الأنظمة الحاكمة والحركات، وطبيعة العلاقة بينهما.

أنواع الأنظمة العربية:

إن الناظر في العالم الإسلامي، والمتأمل في طبيعة الحكم فيه يجد أن سبل الوصول إلى السلطة أو الحكم في بلاد العرب والمسلمين تنقسم إلى أقسام عديدة، وأنواع مختلفة، منها:

النوع الأول: الوراثي وهو الوصول إلى الحكم عن طريق الوراثة، وذلك في المملكات والإمارات والسلطنات وغيرها مما يعتمد مبدأ الوراثة، في انتقال الحكم.

النوع الثاني: ظاهرة حكم جديدة، يمكن إضافتها إلى النوع الأول، وهي ظاهرة الجمهوريات الوراثية (أي تبدأ جمهورية ثم تنقلب وراثية) كما هو الحال في بعض الدول العربية، ويمكن أن يسمى حاكم مثل هذا الدول (الملك الجمهوري الجديد) حسب قول البعض.

النوع الثالث: هو الجمهوريات الانقلابية، وهي التي لا وسيلة فيها للوصول إلى الحكم إلا على متن الدبابات والمجنزرات، ويؤخذ فيها الحكم بالحديد والنار.

النوع الرابع: وهو نوع يصعب تحديده، فهو مزيج من أنواع مختلفة من الحكم، فيه نوع من الديمقراطية، لكنها تقوم على أساس المحاصصة الطائفية كما هو الشأن في لبنان، فالرئيس يجب أن يكون مسيحياً، ورئيس الحكومة

سنياً، ورئيس مجلس النواب شيعياً!

النوع الخامس: وهو ما يقوم على مبدأ الديمقراطية، والانتخابات، وإن كان هذا النوع كبيضة الديك- فإنه يقال: إن الديك يبيض مرة في العمر، وقيل: لا يبيض مطلقاً- وعلى الرغم من وجود بعض الدول تعتمد المنهج الديمقراطي في انتقال الحكم إلا أن الكثير يشكك في مصداقية هذه الديمقراطية.

لسنا هنا في معرض الحكم على هذه الأنظمة، وبيان تفصيلاتها، بل ما نريده هنا، بيان هذه الأنظمة من ناحية الشعبية والسلطوية، بمعنى علاقتها مع الشعب من ناحية القبول أو التسلط، كما يجب لفت الانتباه هنا إلى أن الحديث يأخذ شكل توصيف وليس نقداً أو محاكمة للنيات وتوزيعاً للاتهامات. فعلى الرغم من وجود بعض الأنظمة المرضي عنها جزئياً، والتي تكون شعبوية إلى حد ما، إلا أن البعض من الأنظمة الحاكمة مهما اختلفت أيديولوجيتها، تضع نصب أعينها هدفاً لا تحيد عنه، وهو الاستمرار في السلطة وممارسة حكم الشعب بأي شكل وثمن، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها عند البعض، وأمام هذا الوضع المتردي نقول: إن المسئول الأول هو الشعوب أنفسها أو الحركات التي تنوب عنها، ولسنا هنا بصدد الدعوة إلى التصادم العنفي مع الحكام. ولكن هناك سؤال ذو هالة كبيرة من الاستغراب يراد له إجابة مقنعة، وهو لماذا لم تتمكن الشعوب العربية من التأثير على الأنظمة الحاكمة وبشكل سلمي كي يرتقي الحكام وإداراتهم التنفيذية في تعاملاتهم إلى درجة الدولة الديمقراطية؟ ولعل الحركات الشعبية ومنها الإسلامية نشأت عبر محاولة للإجابة على هذا السؤال، وهذا ما يدفعنا إلى الكلام عن نشوء الحركات.

نشوء الحركات:

نشأت الحركات الإسلامية استجابة للواجب الذي حدده النص القرآني :

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1] ويبينه الهدي النبوي الكريم بالتوجيهات القولية والسيرة العملية، أما عن طبيعة التكوين الحركي والفكري لهذه الحركات ففي الغالب تكون من وجود الأزمات التي تضطر الشعوب للنهوض في مقابلها لردها فهي مولود (أزمة) وطبيعة هذه الأزمة تحدد بشكل كبير طبيعة المولود، فالحركة الإسلامية مثلاً التي نمت في مصر كحركة الإخوان المسلمين، جاءت بناء على ثلاث إصابات وقعت في جسد الأمة، الإصابة **الأولى هي غياب الخلافة الإسلامية** التي كانت تجمع المسلمين وهي إصابة مباشرة وخطيرة أصابت جسد الأمة إصابة مؤلمة وتسببت في الإصابتين **الثانية والثالثة وهي وقوع دول العالم الإسلامي تحت الاستعمار**، وتنحية الشريعة الإسلامية عن التحكيم في حياة الناس، واستبدالها بقوانين المستعمر المدنية.

العلاقة بين الحركات والأنظمة:

من الصعوبة بمكان توصيف العلاقة بين الأنظمة والحركات الشعبية ومنها الإسلامية، فمثل هذا التصنيف يعتمد على عدة عوامل، منها طبيعة السلطة، السلطة وأسلوب تعاطيها مع المعارضة السياسية بشكل عام، والمعارضة السياسية الإسلامية بشكل خاص، وطبيعة نشأة التيار الإسلامي، وطبيعة البرنامج الذي يتبناه، والمعطيات الدولية والإقليمية، وموقع (الممارسة الديمقراطية) في فكر النظام الحاكم، وغيرها من المتغيرات التي تحدد موقف طرفي المعادلة: النظام الحاكم/ الحركات الشعبية أو الإسلامية. على أن بعض الأنظمة العربية تتعامل مع الحركات الإسلامية بحذر شديد، وبعضها بالطرق القمعية والإلغاء والإقصاء، وباعتبارها النقيض الأساسي و(العدو الرئيس)؛ ولذلك فإن وجودها الاجتماعي والسياسي يتراوح بين (الحظر القانوني)

(١) آل عمران: ١٠٤.

و(السماح الفعلي المحسوب)[1].

هذا من جهة الأنظمة، أما من جهة الحركات الشعبية- ومنها الحركات الإسلامية- فلا يمكن تعميم مواقفها، بل إن أسباباً واقعية وظروفاً تاريخية ساهمت في توزيع وتنويع مواقف الحركة الإسلامية من السلطة، بعضها يعود إلى طبيعة السلطة وبعضها يعود إلى الظرف التاريخي البحت، وبعضها يعود إلى المنهج الفكري الذي يحكم مسار الحركة الإسلامية. لهذا يمكن تقسيم مواقف الحركات من السلطة إلى ثلاثة اتجاهات.

اتجاهات الحركات مع السلطة:

الاتجاه الأول: الاتجاه القريب من السلطة، وهو اتجاه يمثله في الغالب المؤسسات الرسمية الدينية، وهو اتجاه نما بشكل متزايد بعد تأميم الأوقاف الإسلامية مما سلب تلك الرموز والمؤسسات استقلالها الفكري، وأخضعها لخدمة السياسة العامة للسلطة، وهذا الاتجاه مذاهب وأطياف ودرجات فمنها المغالي والمتطرف الذي يذوب في السلطة ويبرر سياستها، ويعيب على خصومها ويرفض أي نقد موجه لها، كما يضفي عليها حالات من القدسية والتبجيل، بل ويتمادى في الدفاع عن أخطائها حتى تلك التي تصادم الشريعة مصادمة فاضحة.

ولا بد من التنويه هنا إلى أن هذا التيار يحوي داخله تياراً آخر لرموز وشخصيات علمية ذات وزن من النوع الثقيل وتحظى باحترام وإجماع في العالم الإسلامي، وينطلق هذا التيار من قواعد شرعية لها اعتباراتها ووزنها العلمي في التعامل مع السلطة، معتبراً أن الخروج على السلطة لا يجوز إلا بشرطين: **أحدهما**: وجود كفر بواح فيه من الله عليه برهان. **والثاني**: القدرة على إزالة السلطة إزالة لا يترتب عليها شر أكبر. كما إن منهج هذا التيار مع النصح

(١) ينظر للتوسع: دراسة في مظاهر وأسباب التراجع السياسي للحركة الإسلامية.

للإمام أو ولي الأمر دون أن يأخذ هذا النصح شكل المعارضة العلنية التي تجرأ الغوغاء على الفوضى والاضطراب.

الاتجاه الثاني: وهو اتجاه مقابل للاتجاه الأول يرفض شرعية السلطة وتسويغ شرعية الخروج عليها، وهذا الاتجاه يمثله بشكل واضح فكر فرقة الخوارج، أو جماعة التكفير والهجرة، وهذا الاتجاه يدين الاتجاه الأول باعتباره اتجاهاً لا وزن ولا قيمة له ما دام يمثل (علماء السلطان).

ونرى أن هذين الاتجاهين متقابلين متناقضين بين الانصياع والثورية، ولعل انجراف أجزاء من جسم الحركة الإسلامية إما إلى سيف السلطة وإما إلى ذهبها ينشأ في الغالب من خلال الإحباط من تحقيق برامج التيارات الإسلامية بسبب العنف الذي تمارسه السلطة تجاه التيارات الإسلامية وتخوفها الدائم من شعبيتها الكاسحة، والنظر لتلك التيارات على أنها مصدر خطر دائم على استقرار السلطة في مواجهة رياح التغيير التي تحركها التيارات الإسلامية.

الاتجاه الثالث: هو الاتجاه الوسطي الذي يحاول أن يستفيد من الفرص التي توفرها السلطة دون أن يضطر إلى التغاضي عن أخطاء السلطة وابتعادها عن المواصفات الشرعية للسلطة، كما أنه يعارض السلطة دون أن يخرج عليها ويقع تحت طائلة سيفها، وهذا التيار في الغالب يدرك المعطيات الدولية وخطورة تسطيح الأدلة الشرعية في وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية دون النظر إلى افتقاد البيئة التي تسمح بمثل هذا التحول النوعي والاستراتيجي في بنيان السلطة وعلاقتها مع المجتمع الدولي والمعطيات الإقليمية.

مواطن الاتفاق ونقاط الاختلاف:

على الرغم من تغاير الوجهات بين الأنظمة والحركات في كثير من الأمور، إلا أن لديها الكثير مما تتفق عليه، ولديها أرضية مشتركة يمكن أن تجمع بينها، وتوحد منهجها، وتنطلق بها نحو السعادة والوفاق الأمر الذي يؤدي إلى بناء

دولة قوية متماسكة الأطراف، ولعل أهم مواطن الاتفاق تتمثل فيما يلي:

١- أن الأنظمة والحركات أبناء وطن واحد، وتجمعهم أرض واحدة، وينتمون لمجتمع واحد، مما يوجب على الجميع السعي إلى بناء هذا الوطن.

٢- لا أحد من كلا الطرفين يرغب باستمرار النزاعات والصراعات إلى الأبد، ولا ينوي واحد منهما الاقتتال لأجل الاقتتال، فإن مثل هذه النزاعات تعود على الجميع بالسوء والضرر سواء بسواء، فتمنع الاستقرار والتنمية على وجه العموم، والراحة والاستقرار والأمن على وجه الخصوص.

٣- أن الجميع يحمل على عاتقه البناء الحضاري والإنماء الاقتصادي، ويحب لهذه الدولة أن تكون مزدهرة متفوقة على غيرها من الدول في جميع المجالات، وأن يعم الرخاء على شعبها، ويسعى جاهداً لتحقيق هذا المطلب، سواء بالأفعال أم بالكلام والخطابات.

٤- أن كل من في الوطن الواحد أو الدولة الواحدة سواء أكانوا حكاماً أو حركات أو شعوباً يعتزون بانتمائهم إلى هذه الدولة أو ذلك الوطن، ولا يرضون بأن ينازعهم عليه أحد من الخارج؛ لذلك نرى في حالات الحروب الاستعمارية أن الكل يدافع في صف واحد.

وإذا نظرنا إلى نقاط الاختلاف بين الأنظمة والحركة الإسلامية لرأينا أنه يمكن تلخيصها في اختلاف الرؤى بصدد الأهداف وأساليب الإصلاح والتغيير، فنقاط الخلاف هي عبارة عن مجموعة من التصورات المختلفة، والرؤى المتناقضة، وغير المتناسقة عن ملامح الإصلاح والتغيير، وكذلك النظرة المختلة إلى طبيعة الصراع والتحديات التي تواجه الأمة ومن ثم أساليب التعامل معها والاستجابة لها. كما أن جوهر متطلبات الحركة الإسلامية هو التغيير، وأغلب الأنظمة القائمة في المنطقة ترفض التغيير وتسعى إلى المحافظة على الاستقرار، وبالتالي ينشأ التوتر والاختلاف.

الاستفادة من قواعد الاختلاف والاتفاق في نزع فتيل الصراع:

إن الناظر في حال الأمة وتاريخها ليرى أن الأمة بلغت أوج حضارتها وازدهارها المادي والمعنوي، واتسعت حدودها على الرغم من وجود فئات مختلفة في طياتها، فقد وجد فيها المعتزلة والشيعة والكرامية والجهمية، في الوقت الذي كان فيه هارون الرشيد يتحدى الغيمة في السماء: أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك، وبلغت الأمة أوج عزتها وكرامتها في عهد عمر ابن عبد العزيز حتى صار يطاف بالأموال في الشوارع فلا يأخذها أحد. لماذا لم يصل الاختلاف بين حكامها وشعوبها الحد الذي وصلنا إليه؟ لعل مرد ذلك إلى قواعد الاتفاق والاختلاف في الإسلام، ألا تلغي الآخر ولا تصادر عقله وتفكيره، مع الحفاظ على الثوابت التي لا يمكن العبث بها، والموازنة بين الثوابت والمتغيرات، والتفريق بين التنظير القولي والتطبيق العملي.

وإذا انتقلنا بسرعة نحو تاريخنا المعاصر ورأينا ما الذي حل في الحركات الإسلامية وبأصحابها وبمستقبلها سواء في مصر أو سورية أو غيرها؛ تبين لنا أن هناك خطأ ما أودى بنا إلى هذه الحال. كما أن عمليات العنف السياسي والقتال التي اعتبرتها بعض التيارات وسيلة للتغيير السياسي وصلت إلى أفق مسدود من وجهة نظرها وأعلنت بعض قياداتها وقفها والتراجع عنها. إننا ما لم نستفد من تجربتنا في السنين الماضيات، ونتقارب بل نتلاحم فإن العوادي ستعدو علينا، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

مدى حاجتنا إلى الاتفاق:

لا يمكن أن يبقى النزاع إلى ما لا نهاية؛ فإنه لا يمكن للحركات التخلص من الأنظمة، وفي الوقت نفسه الأنظمة الحاكمة لن تستطيع أن تتخلص من القاعدة العريضة من الشعوب. ولكن بكل تأكيد يستطيع العدو الخارجي المتربص التخلص من الاثنين معاً، فدعونا نبدأ من جديد. فالساحة اليوم

تحتاج إلى جهود الجميع، فإن الجهود المبعثرة لا تغني فتيلاً، ولا تروي ظمأ المتعطشين. وتكتل جهود العاملين- اليوم قبل الغد- أمر لا محيص عنه، إذا أردنا أن نخطو خطوة على الطريق الصحيح، فمن المعيب أن يكون أصحاب الحقوق خطاءون بحق أنفسهم، ولهذا يجب عليهم العمل على تهذيب الفكر السياسي لما فيه مصلحة الوطن والمواطنة.

إن القائد صلاح الدين الأيوبي عندما نظر إلى حال الأمة في حينه، ورأى أن الإسلام والمسلمين كلٌ يرثي حاله المتردي والمتضعضع إلى ولاة الأمر؛ لم يرفع هذا القائد راية أن الدين الإسلامي في خطر كي يوحد شعوب الأمة، بل نادى بأن الدولة (الوطن) في خطر ثم تلا ذلك الدفاع عن المقدسات سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية. فتصدى للهجمة الصليبية كي ينأى بالأمة عن ويلات الاحتلال. فقد أثبت أن الدين لا ينطفئ نوره ما حيي.

خطوات على طريق اللقاء على هامش واحد:

إن المواطنة الحقة تفرض واجبات يجب تحقيقها في إطار سلمي من خلال إيجاد نقطة تلاقٍ مع الأنظمة الحاكمة. وحتى ترتقي الأمة، ويسمو قدرها بين الأمم، لا بد لها من التقاء جميع أبنائها على صف واحد في صعيد العمل والجهود، وهذه ضرورة لا بد منها، مع اتحاد الهدف الذي هو بناء الدولة ورفعة شأنها وعزتها وكرامتها ورخاء أهلها. فإذا وجدت هناك عقبات في الطريق من تجاذبات أو تخالفات في الآراء، أو وجهات النظر، فلا أقل من هامش يلتقي عليه الجميع ليصلوا في النهاية إلى الهدف المنشود. وفي سبيل الوصول إلى هذا الهامش يتعين ملاحظة نقاط بالغة الأهمية ومنها:

١ - أننا بحاجة إلى جهد يبذله أي إنسان في هذا الوطن، ونحن بحاجة إلى أن تتسع الصدور، وتتلاقى الجهود، ويجتمع العمل، ولو أن الحركات الإسلامية مدت يدها إلى الأنظمة الحاكمة واتسعت الصدور لكثير من

التوجهات التي لا تخالف روح الإسلام؛ فلربما كانت لنا اليوم صورة أفضل وأحسن مما هي عليه الآن.

٢- المواقف المتخذة بخصوص القضايا الإسلامية والقومية في شكل عام كالقضية الفلسطينية- مثلاً- يكون لها بعض الخصوصيات بخلاف القضايا المتعلقة بالسياسات الداخلية؛ إذ عندما تتخذ الجماعات الإسلامية مواقف تتعلق بالسياسات الداخلية يؤثر ذلك إيجاباً أو سلبا على شعبيتها لدى الأنظمة، فيما تنظر الأنظمة بحذر تجاه هذه المواقف، فلو رتبت هذه الجماعات أوراقها، وعرفت كيف تتصرف مع واقعها لتجنبت الكثير من الأزمات[١].

٣- اعتبار الحركة جزءاً من المشروع التحديثي للدولة، فلا ينظر للحركة الإسلامية على أنها جزء مهمش من بنية (الدولة المحدثة) ومن النخبة التحديثية المرتبطة بها، فهي لم تنبت خارج هذه الأرض، ولم تصنع في مصانع خارجية، بل ولدت طبيعياً في أحشاء هذه الأمة ولم تكن من سفاح.

٤- احترام التخصصات فإن الأنظمة الحاكمة والحركات الإسلامية على السواء تبدي في أدبياتها النظرية احتراماً كبيراً لمسألة التخصص لكن الممارسة حتى في الأنشطة التي تعتبر بطابعها تخصصية لا تعرف ذلك واقعياً؛ إذ غالباً ما يسيطر عليها العقل الإجرائي والبيروقراطي[٢].

٥- الاستفادة من كل الطاقات الموجودة في المجتمع، والجدية في كل الأعمال، وإعطاء الشباب الثقة في التكليف وتحمل المسئولية.

وفي النهاية أقول- والخطاب موجه إلى الجميع: إلى متى التخالف والصراع وإلغاء الآخر؟ الحركات والأنظمة ليستا منفصلتين بل هما أبناء وطن واحد يكمل كل منهما الآخر، فلماذا هذا الفصام النكد؟.. الحركة الإسلامية هي كل

---

(١) للتوسع: مستقبل العلاقة بين الإسلاميين والأنظمة: خديجة الزغيمي.

(٢) للتوسع: دراسة في مظاهر وأسباب التراجع السياسية للحركة الإسلامية.

مسلم والإسلام لا يمكن تلخيصه بحركة! في الجو الذي نعيشه اليوم مساحة كبيرة للتعايش بين المشاركة الشعبية والأنظمة الديمقراطية فلماذا لا نتعاون لرفعة هذا البلد؟! المرجو من الجميع أن يزيلوا العوائق التي بينهم، ويرفعوا الحواجز التي تحول دون ترابطهم بإخوانهم، وأن يعملوا جميعاً في تآلف وتوادّ حتى يكونوا كالبنيان المرصوص . فهل وصلت الرسالة ؟

نموذج صارخ لإثارة مفتعلة:

يقول علماء الطبيعة: (لكل فعل ردة فعل مساو له في المقدار مضاد له في الاتجاه) وعلى هذه القاعدة نرى بأن كثيراً من التصرفات التي قد تُفسر في التطرف أو غيره من المصطلحات الأمريكية الجديدة التي توصم بها الحركات الإسلامية تكون أساساً وتأسيساً على تصرفات بعيدة عن أي دراسة متأنية أو تحقيق علمي أو تثبت إيماني، بل قد تكون مقصودة لإثارة المقابل لكي يستشيط غيظاً ويتصرف بتصرفات تكون تبريراً للجهات المتربصة بالحركة الإسلامية باختيارها أو بالإملاء عليها.

والناظر منذ أكثر من خمسين سنة في واقعنا العربي يرى هذه الحقيقة وهو يستقرئ كل ما تعرضت له الحركات الإسلامية أو المجاميع الشبابية في عالمنا العربي والإسلامي، ونحن إذ نذكر ذلك نؤكد أننا لسنا في محل الدراسة والتقويم ولكننا في محل الوصف والتعليل، ونحن إذ نستوعب هذه الأمور في الأنظمة الثورية الديكتاتورية والأجهزة الغربية المحكومة من ال CIA الأمريكي والموساد اليهودي لا يمكننا أن نستوعب هذا التصرف في دولنا الخليجية على وجه العموم والكويت على وجه الخصوص فهي دولة شهد لها العدو قبل الصديق بأنها نظام متفرد يجمع بين الديمقراطية والحرية وتحقيق القيم والأخلاق والتعاملات الإسلامية، نظام منفتح على المواطنين بكل أطيافهم وعلى التجمعات بكل أشكالها. فهي دولة لا يُظلم فيها فقير ولا

يبخس فيها حق مظلوم، أبواب المسئولين مفتوحة والحكام آذانهم صاغية يعرفون أن كل خطاب شعبوي لهم لا عليهم بخلاف الأنظمة الثورية الطاغوتية الذين ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾[1] والذين حذرنا الله منهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ .

وإنني كتبت هذه مضطراً بعدما رأيت فاجعة أخلاقية تعجبت من حصولها في بلدي الكويت في موطني الغالي من وزارة الرأس فيها محافظٌ على الصلاة، يرتاد المساجد، يحارب الظلم بأشكاله وصوره، من وزارة تطل علينا الصحف برجالاتها من مدراء ومسؤولين عليهم سمة الصلاح والله حسيبهم، هذه وزارة الداخلية، التي وللأسف الشديد تصرفت بتصرف لا يمتُ لأخلاقنا الكويتية ولا لقيمنا الإسلامية ولا لأعرافنا الكويتية بشيء، بل عرفنا الكويت في تاريخ علمائها أنهم محل تقدير عند ولاة الأمر وكذلك ضيوفهم من العلماء محل تقدير وتبجيل لما وضعه الله- جل وعلا- من قدر للعلماء في الشريعة الإسلامية بياناً وتبياناً قرآنياً وتوضيحاً نبوياً وإن شئتم فاقرؤوا تاريخ علماء الكويت للشيخ الباحث عدنان الرومي، علماؤها من أبنائها كالشيخ العلامة يوسف بن عيسى والشيخ عبد الله بن خلف الدیحاني وآل العدساني الكرام قضاة الكويت، ومن جاء إليهم من علماء العالم الإسلامي، من مصر وسوريا وبلاد شنقيط (موريتانيا) هذا الحذي ذكرناه حقيقةٌ لا تطمسها تصرفات خاطئة ونرجو التصحيح والرجوع إلى الحق.

فضيلة وزير الداخلية كان ينادي بذلك دائماً وهو كذلك إن شاء الله رجاع للحق تأسياً بولاة الأمر في تاريخنا الإسلامي.

وإننا نرجو أن لا تغيب شمسُ يوم الأحد (١١/ ٤/ ٢٠١٠) وهو يوم نزول هذا البيان إلا وقد رفع اسم الشيخ العلامة حجة زمانه محمد الحسن

(١) المنافقون: ٤ .

الددو الشنقيطي آية عصره علماً وولاية. بل يُعتذر له عما حدث له في مطار الكويت في مساء الخميس من منع وإيقاف بحجة أنه ممنوع من دخول الكويت مع أنه ضيف لوزارة الأوقاف في كل مؤتمراتها السابقة وعند البحث والتنقيب وجدنا أن السبب لا يمنع سفيهاً من دخول الكويت فكيف يُمنع علامة زمانه. السبب يا أهل العقل والرأي هو أنه كما قيل: وَقَّع مع أكثر من ستين من العلماء وطلبة العلم على بيانٍ يُبين خطأ إجراء منع الشيخ الداعية الدكتور أحمد العريفي من دخول الكويت!! أقول: مع علمي يقيناً أنه لم يوقع مع إمكانية وضع اسمه على البيان، ولكن لو أنه وقع وساعد في صياغة البيان، فأي خطأ ارتكب الشيخ حتى يُمنع أهل الكويت من الاستفادة من علمه وفضله وصلاحه؟! أليست حرية الرأي والفكر معمول بها في بلدنا ؟! أليس من واجب العلماء أن يذكروا ما يعتقدون صوابه وصحته؟!

أمر عجيب رأيناه ليلة الجمعة !! ولو كان في أول إبريل لظننا، على عادة العوام بإطلاق كذبة إبريل !! لكنها حقيقة نذكرها عند غياب التحقيق والتمحيص قبل اتخاذ القرار.

وأنا إذ أذكر ذلك أرجو من كل غيور أن ينكر هذا الأمر بكل ما يستطيع، نواباً ووزراء وكتاباً ومفكرين. وأن نحذر ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1] فالذين ظلموا وتحركوا لمنع الشيخ، ووضعه في قائمة ممنوعي الدخول، تحركوا ظالمين لأنفسهم ولمذهبهم ولوطنهم.

---

(١) الأنفال : ٢٥ .



٢١ التبصر والتثبت قبل إنكار المنكر

قضية إنكار المنكر قضية لا يزال اللجاج فيها قائماً، ولا تزال بعض الاتجاهات الإسلامية تروح وتغدو على غير بينة فيها، وكم سالت دموع وكم ضاعت حرم، وهتكت أستار، وضُيع صبية.. وقوضت أركان دعوة قائمة من جراء تسرع أو تعجل في دفع منكر، فعاد من دفعه ما هو أشد منه.

والشواهد متوافرة ومتكاثرة على ذلك، وكثير من شباب الصحوة الإسلامية ينزلق بحميته ويتبع عاطفته فتستثار ويغيب عنه العقل فيقدم على إنكار فاحشة أو إبداء اعتراض على باطل فيتولد من تعجله ما هو أشد نكراً وأعظم فاحشة..

ولست أصادر على المطلوب أو أزعم أن القضية من المحكمات المطلقة البيان بحسب المنهج الرياضي الذي لا يجاوز الصواب وإنما أقول أن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من القضايا التي فيها ثوابت لا ينبغي أن نحيد عنها من مثل عقد النية الصحيحة لله وذلك عمود الإخلاص.. وأن يكون الفعل المأتي منكراً مجمعاً على نكارته، وأن يكون صاحبه مجاهراً به يستحق التغيير وكلها دليل على الشريعة وسماحتها إلى غير ذلك من الأمور الثوابت.

وهناك –أيضاً– أمور نسبية تقدر بحسب الحال والوضع وهذه جولة سريعة نطوف فيها على مأساة التثبت والتبصر قبل إنكار المنكر..

إذ هذه قضية جليلة على درجة كبيرة من الخطورة لا ينبغي لعالم ولا لجاهل أن يقدم عليها متهجماً دون تثبت وتبصر، وإلا فإن المآل وخيم والعاقبة تعم الخاص والعام، ومن غير السهل رأب الصدع وجبر الكسر.. وطالما أظلمت

السماء على الأمة بسبب ذلك.

وحسبنا أن نقتبس هنا لمحات من سيرة رسول الله ﷺ في التعامل مع هـذه القضية:

١ـ استأذن الصحابة الرسول ﷺ في قتال الأمراء الذين يـؤخرون الـصلاة عن وقتها وقالوا: أفلا نقاتلهم، فقال: «**لا ما أقاموا الصلاة**»، وقـال ﷺ: «**مـن رأى من أميره ما يكرهه فليصبر ولا ينزعن يداً من طاعته**»[(١)].

ولله در ابن القيم في تعليقه على هذه الأحاديث وغيرها، قال: (ومـن تأمـل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هـذا الأصـل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته، فتولد منه ما هو أكبر منه).

ولذلك فقد صبر النبي ﷺ على كبائر المنكـرات في مكـة قبـل هجرتـه، ولم يستطع تغييرها فكف عنها، بل لما فتح مكة وصارت دار إسلام تكفكـف عـن تغيير البيت ورده إلى قواعد إبراهيم ﷺ، ومنعه من ذلـك –مـع قدرتـه عليـه ووفرة المكنة والعتاد وعصمة الوحي – خشية وقوع ما هو أعظم منه نكراً.

٢ـ ومن ذلك أيضاً أن النبي ﷺ رخص في ترك حد قطع الأيدي في الغـزو فيما رواه أبو داود في سننه خشية أن يترتب على ذلك ما هو أبغـض إلى الله مـن تعطيله أو تأخيره؛ إذ إقامة الحـد عـلى هـذه الحـال مظـان أن يكـشف جـيش المسلمين وينفض الغزو بظفر جيش الكافرين، حيث يخشى من لحوق صاحب الحد بالمشركين حمية وغـضباً، ثـم ذكـر ابـن القـيم أن علـماء الإسـلام كأحمـد والأوزاعي وإسحاق بن راهويه ذهبوا إلى أن الحدود لا تقام في أرض العدو.

وروى سعيد بن منصور في سننه بإسناده عن الأحوص عن حكيم عن أبيه أن عمر كتب إلى الناس (لا يجلدن أمير جيش ولا رجل من المسلمين حداً وهو غاز حتى يقطع الدرب قافلاً لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار).

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥) بنحوه.

وعن علقمة أنهم كانوا في جيش بأرض الروم ومعهم حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ وعليهم الوليد بن عقبة أميراً، فشرب الخمر فأرادوا أن يحدوه، فقال حذيفة : أتحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم فيطمعوا فيكم؟!

ومن ذلك أيضاً ما كان من سعد بن أبي وقاص مع أبي محجن الثقفي وقد شرب الخمر، فقيده سعدٌ وحبسه.. وكانت الحرب ضد الفرس قائمة في معركة القادسية فتاق أبو محجن إلى الجهاد وكتب قائلاً :

كفى حزناً أن تردي الخيل بالقنا وأترك مشدودا علي وثاقيا

فرأته زوجة سعد بن أبي وقاص فعاهدها على أن يجاهد في سبيل الله ويرجع إلى قيده وحبسه بعد انتهاء الجهاد، فأطلقته وأخذ فرساً لسعد كانت تدعى البلقاء، وجعل يحمل على الفرس في نواح متعددة فيهزمهم، حتى ظن الناس أنه ملك من شدة ما رأوا من شجاعته واختراقه لصفوف العدو، وجعل سعد يقول: (الصبر صبر البلقاء، والظفر ظفر أبي محجن) فلما أخبرت بنت سعد أباها الخبر قال: (والله لا أضرب اليوم رجلاً أبلى المسلمين ما أبلاهم فخلى سبيله).

فقال أبومحجن عن الخمر: (قد كنت أشربها إذ يقام عليّ الحد وأطمر منها فأما إذا بهرجقني (أي أسقطت عني الحد) فوالله لا أشربها أبداً).

قال ابن القيم معلقاً على الحادثة: (وليس في هذا ما يخالف نصاً ولا قياساً ولا قاعدة من قواعد الشرع ولا إجماعاً، بل لو ادعى أنه إجماع الصحابة لكان أصوب).

ثم قال: (وأكثر ما فيه تأخير الحد لمصلحة راجحة، إما من حاجة المسلمين إليه، أو من خوف ارتداده ولحوقه بالكفار ...

وتأخير الحد لعارض أمر وردت به الشريعة، كما يؤخر عن الحامل والمرضع، وعن وقت الحر والبرد والمرض فهذا تأخير لمصلحة المحدود، فتأخيره لمصلحة الإسلام أولى).

٤ـ ومن مظاهر يسر الشريعة أيضاً، ما ذكره الفقهاء من قاعدة عظيمة الشأن تنبني عليها سماحة الإسلام قوامها (أحكام الدنيا تبنى على الإسلام وأحكام الآخرة تبنى على الإيمان) .

ومعنى هذه القاعدة أن الإسلام هو دين النزاهة والحرية إذ لم يأمر بالتنقيب عن القلوب، ولا شق بطون الناس لتتعرف مخابئهم وما يضمرون في نفوسهم.. بل يجرى عليهم أحكام الله في الدنيا إذا دخلوا في دينه، ويجري أحكامه في الآخرة على قلوبهم ونياتهم.

ولهذا قبل النبي ﷺ إسلام الأعراب.. وقبل إسلام المنافقين ظاهراً وأخبر أنه لا ينفعهم يوم القيامة شيئاً، وأنهم في الدرك الأسفل من النار .

وقال لأسامة بن زيد لما قتل من ألقى عليه الإسلام متأولاً : أنه إنما فعل ذلك خوف السيف، قال له: «**هلا شققت عن قلبه**». وفي رواية: «**كيف بك ولا إله إلا الله يوم القيامة ؟**»[(١)] .

إذن أحكام الرب –سبحانه وتعالى– قائمة على ما يظهر للعباد ما لم يقم دليل على أن ما أظهروه خلاف ما أبطنوه .

ولذلك فإن الله– سبحانه– لم يجر أحكام الدنيا على علمه في عباده، وإنما أجراها على الأسباب التي نصبها أدلة عليها، وإن علم– سبحانه وتعالى– أنهم مبطلون فيها مظهرون لخلاف ما يبطنون، وهذا ما جرى عليه رسول الله ﷺ حتى مع اطلاع الله له على بواطن بعض المنافقين في عصره ممن خالف قولهم اعتقادهم، وقد أصّل النبي لهذا المبدأ بقوله ﷺ: «**إنما أقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فإنما أقطع له قطعة من النار**»[(٢)] .

نخلص من تلك الشواهد الماضية إلى توكيد أن شريعة الإسلام هي شريعة

(١) أخرجه مسلم (٩٦).
(٢) أخرجه البخاري (٦٩٦٧).

المقاصد والمعاني، وليست شريعة الطلاسم والحروف والجمود ولذلك فقد سمى العالم بها فقيهاً، وتلك لعمري هي الخصيصة الغراء بل والفريدة العصماء التي يطنطن بها أدعياء القوانين الوضعية وفقهاء النصوص البشرية الوضعية، والذين لا يألو أصحابها جهداً في تغييرها، والسعي لسد ثغورها..

حيث يعتريها التغيير ويعتورها النقص في كل وقت، لأنها نتاج فكر بشري محدود ومقيد بحدود الزمان وحدود المكان وحدود المعرفة ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] .

وهيهات لشريعة بشرية بلغت ما بلغت من الرقي والتنقيح والمراجعة أن تستديم حقباً وأن تسد خلالاً، وإن بدا ذلك من ظاهرها؛ إذ شتان بين الوحي الإلهي الرباني المعصوم وبين فكر عارض هو نتاج مفرزات بيئية معينة فيها ما هو متغاير متعارض متناقض، وإنما شريعة الله خالدة باقية نامية حية متقدة وإن تقصدها الآثمون، ولغا فيها العابثون، وسبها العلمانيون﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2] .

وهكذا هي شريعة الإسلام، شريعة الهدى وقنديل الدجى في ليل العولمة المدلهم، وهي شمس السعادة والرفاه للبشر في ألفيتهم الثالثة الثرية في عالم المادة، والقاحلة في عالم الروح .

(١) الإسراء : ٨٥ .
(٢) الصف : ٨ .



٢٢ الدعاة بين صهوة الجياد وترف النساء

يروي لنا التاريخ: (أن رجالاً خرجوا من الكوفة، ونزلوا قريباً يتعبدون، فبلغ ذلك الصحابي عبد الله بن مسعود ﷺ، فأتاهم، ففرحوا بمجيئه إليهم، فقال لهم: ما حملكم على ما صنعتم؟ قالوا: أحببنا أن نخرج من غمار الناس نتعبد، فقال عبد الله: لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم فمن كان يقاتل العدو؟ وما أنا ببارح حتى ترجعوا، وقد أثرت هذه القصة في العالم المجاهد عبد الله ابن المبارك الذي أورد هذه القصة في كتابه (الزهد)، فكان رحمه الله يحج سنة ويجاهد سنة، وفي بعض الروايات كان يغزو كل سنة بلاد الروم، ويتخذ من طرطوس مقراً لرباطه في سبيل الله)[1].

ولم يمنعه علمه وروايته للحديث وطلب العلم من القيام بالجهاد، بل إن ابن خلكان يصف هذا الإمام الجليل فيقول: هو الحافظ شيخ الإسلام المجاهد، التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، وقد جمع الحديث والفقه والعربية والشجاعة والسخاء، وله كتاب في الجهاد وهو أول من صنف فيه.

ولأن عبد الله بن المبارك يدرك قيمة الجهاد وأثره وهو الذي اتخذ رباطاً في كل عام، يرى أن العالم يجب أن لا تشغله عبادته وتنسكه عن الجهاد في سبيل الله، ولذلك نراه ينكر على رفيقه الزاهد العابد الثقة الفضيل بن عياض- رحمه الله- اعتزاله ومجاورته في مكة وتركه الجهاد وأرسل له رسالة هي من عيون الشعر يقول فيها :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب جيده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب

(١) تقع طرطوس في جنوب تركيا الآن.

أو كان يتعب خيله في باطـــــل فخيولنا يوم الكريهة تتعـــــب
ريح العبير لكم، ونحن عبيرنا رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتـــانا عن مـقـال نبينـا قول صحيح صادق لا يـكذب
لا يستـــوي غبار خـيل الله في أنف امرئ ودخان نار تلـهب
هـــذا كـــتاب الله ينطق بيننا ليس الشهـــيد بميت لا يكذب

وقد وجه ابن المبارك هذه الرسالة إلى الفضيل بن عياض الذي كان يلقب بعابد الحرمين، فماذا نقول اليوم لمن انصرف عن الجهاد والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا إلى كثرة العبادة، بل إلى الراحة وترف النساء وجمع الأموال والحرص على إرضاء الزوجات والتبسط مع العيال وترك أمور المسلمين كالشياه الضائعة في الليلة الشاتية، على الرغم مما أتاه الله من سعة علم واتساع معرفة في الشريعة وأصولها.

إن من علماء المسلمين اليوم للأسف قد أصبح بوقاً للتخذيل، وجسراً لتكبيل معاني الدعوة إلى هذا الدين والجهاد في سبيل تبليغه إلى الناس كافة، واتخذوا من العبادة وحلقات العلم- على الرغم من جلالها وقدرها- وسيلة لإماتة واجبات الدعوة والجهاد الحق، وقد أصبحت تخاريج هذه الطائفة من العلماء للتخذيل، وتقديم الأعذار محفوظة ومعلومة، فهم يدعون تارة أن اللعبة السياسية تتطلب حفظ الموازنات، وأن التعقل مطلوب، والرفق والحنو واللين أمر مرغوب، وأن دفع المفاسد أولى من جلب المصالح، وهي بلا شك كلها معاني صحيحة لا نختلف عليها، ولكنها للأسف استعملت في المواقع الخاطئة والظروف الخاطئة، فجعلوا منها أعذاراً وستاراً يسترون بها تقصيرهم في واجب الدعوة والجهاد في سبيل الله.

المنهج الصحيح:

لقد أصبحت (المصالح الشرعية) هذا الزمان، يستخدمها كل من يشاء

ليفلت من واجب الدعوة والجهاد في سبيل الله، وكأن المصالح الشرعية لا أصول ولا ضوابط لها، فترى الفريق الذي يعتدي على الأبرياء ويقتل الأطفال والشيوخ يضع اجتهاده على شماعة (المصالح الشرعية) وترى الفريق المقابل يستخدم نفس الشماعة؛ ليجلس آمناً في سربه بعد أن تملص من واجب الدعوة والجهاد، وكأنه يود أن يكون بادياً في الأعراب يسأل عن أخبار المسلمين.

إن الهجمة على الإسلام وأمته، والعقيدة الإسلامية أصبحت واضحة لا تحتاج إلى طول نظر لكي يدرك حتى بادي الرأي أن الإسلام وقيمه هي التي باتت مستهدفة، وأن زلات الألسن تكشف ما في صدور أعداء هذه الأمة، وأن شعارات القيم الإنسانية، وحقوق الإنسان سقطت أمام الممارسات اليومية التي تنقلها وسائل الإعلام بدءاً من كابول وانتهاء بكوبا، حيث المعاملة اللاإنسانية التي يتم التعامل بها مع أسرى المعارك.

إن علماء الإسلام مطالبون اليوم، وأكثر من أي وقت مضى، لأخذ الكتاب بقوة، والثبات على المنهج الصحيح والدفاع عن قيم الأمة وهويتها، بلا مداهنة زائفة، ولا مجاملات كاذبة، وليبتعدوا عن فقه (المعاذير) فالتخاذل لا يصنع تاريخاً، واستنساخ الإسلام كما يريد الأعداء لا يعفى علماء الإسلام من المساءلة أمام الله- سبحانه وتعالى- في يوم الحشر العظيم.

فقه الجهاد:

إن الجهاد في سبيل الله ماضي إلى يوم القيامة، لا يضره لا تشويه من أساء إلى قيمته وقام به دون أن يفهم ضوابطه وأصوله وأحكامه، ولا من تخاذل عنه ولبس رداء العافية وانشغل مع امرأته بلون الستائر في المنزل ونوع الهاتف النقال في الجيب وكمية الذهب والمال في البنوك!!

لقد أصبح من الواجب إعادة إحياء فقه (الجهاد) في النفوس، فأخطر ما يمكن أن يفعله العدو أن يصيبنا بالهزيمة النفسية، فبعدها لا محالة الهزيمة الميدانية

قادمة، ولنا في سلفنا وعلمائنا السابقين خير معين، فقد فصلوا في هذه المسألة تفصيلاً لم تبق لسائل سؤال، ولا لكاتب مقال، ففي المغني (لابن قدامة الحنبلي) قال : (والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين، ويتعين في ثلاثة مواضع: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام، وإذا نزل الكفار ببلدة تعين على أهله قتالهم ودفعهم، وإذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه، وأقل ما يفعل مرة كل عام).

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد قال : (لا أعلم شيئاً من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد)، كما أن الإمام ابن حزم ذكر في (المحلى): (والجهاد فرض على المسلمين فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم في عقر دارهم ويحمي ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين، وإلا فلا)، بل إن الله -سبحانه وتعالى- يرفع الحرج عن المسلمين وهم يجاهدون في سبيله، فعندما قطع المسلمون بعض (نخل) بني النضير، بعد أن حاصروهم في حصنهم، أشاع اليهود أن المسلمين يقطعون الزرع، فتحرج المسلمون حيث كانوا منهيين قبل هذا الحادث وبعده عن مثل هذا الاتجاه في التخريب والتحريق، فاحتاج هذا الاستثناء إلى بيان خاص يطمئن القلوب فجاءهم هذا البيان الذي يربط الفعل والترك -بإذن الله- قال تعالى: ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1] .

فأمر الجهاد قائم ومن يرغب في النصرة الجهاد بالنفس وهو في بلد بعيد فلا بد أن يعلم أولاً أن الجهاد بالنفس ليس مطلوباً منه؛ لأن الجهاد بالنسبة له فرض كفاية وليس فرض عين، فالمجاهدون ليسوا بحاجة إليه، وإذا دعت حاجتهم إلى الرجال، فيلزم أقرب البلاد إليهم وهم أهل البلاد المجاورة، فإن انضموا للجهاد واحتاجوا إلى مدد من الرجال فيلزم من يلي بلادهم وهكذا،

(١) الحشر : ٥ .

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

ويقول الإمام ابن تيمية: (إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب)، ويقول الإمام ابن عابدين: (إن هاجم العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب من قرب منه، فأما من وراءهم يبعد عن العدو فهو فرض كفاية، إذا لم يحتج إليهم، فإن عجز من كان بقرب العدو على المقاومة مع العدو، أو لم يعجزوا عنها ولكنهم تكاسلوا ولم يجاهدوا فإنه يفترض على من يليهم فرض عين كالصلاة والصوم لا يسعهم تركه، وثم إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقاً و غرباً على هذا التدريج)، وقد أفتى بهذا الحكم الكاساني وابن نجيم وابن الهمام.

وإذا سقط الجهاد بالنفس عن أهل البلاد البعيدة، فإن نصرتهم بالمال لا تسقط ماداموا قادرين على البذل، فالجهاد بالمال لا يتقيد ببعد البلاد وقربها وإنما بالقدرة على البذل، وهذا ما يسع المسلمين وغيرهم من الميسورين في شتى البلاد، والجهاد بالمال من أبلغ الجهاد وأعظمه إذا كانت الحاجة له؛ ولذا قدمه الله- تعالى- على بذل النفس في جميع المواضع فقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ (٣)، وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ

---

(١) التوبة : ١٢٣ .

(٢) الصف : ١٠-١٣ .

(٣) الأنفال : ٧٢ .

وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [١]، وقال تعالى: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ [٢]، ومن لا يتيسر له المال فيدعو لهم وهو من أعظم العبادات .

وإذا كان الجهاد بالنفس فرض كفاية على البعيد، فلا يخرج للجهاد إلا بإذن الوالدين، لأن بر الوالدين مقدم على الجهاد حينئذ لما روى عبد الله بن عمرو ابن العاص قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال عليه الصلاة والسلام : «**أحي والداك؟**» قال : نعم . قال: «**ففيهما فجاهد**»[٣] ولأن الأصل في الجهاد أنه فرض على الكفاية ينوب عنه غيره فيه، وبر الوالدين والعناية بهما فرض متعين.

صعوبة التغيير:

نعم إن التغيير صعب على النفس البشرية، والتحول من حال الترف إلى صهوات الجياد تتطلب مكابدة النفس، وتدريبها على خشونة العيش، وإعداد البيت المسلم للجهاد وحياة الجهاد، وفي ذلك يقول ابن خلدون : (فإن من أدرك أباه وأكثر أهل بيته يلبسون الحرير والديباج، ويتحلون بالذهب في السلام والمراكب، ويحتجبون عن الناس في المجالس والصلوات، فلا يمكن مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في اللباس والزي والاختلاط بالناس؛ إذ العوائد حينئذ تمنعه وتفضح عليه ما ارتكبه).

أما الأسرة التي تربى وليدها على التوسط في المعيشة، والبعد عن الترف والكسل، فهي التي تنشئ جيلاً قادراً على حماية الأمة وحفظ فريضة الجهاد، ولذلك كان التابعون يعلمون أبناءهم المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ كما يعلمونهم السورة من القرآن، ويروى عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي

(١) التوبة : ٢٠ .
(٢) التوبة : ٨٨ .
(٣) أخرجه البخاري (٣٠٠٤) .

وقاص ﷺ قال : كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا، وكان يقول : (يا بني هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها)، لذا وجدنا كيف كان كتائب الجهاد تغدو شرقاً وغرباً لنشر الدعوة الإسلامية، حتى غدا البيت المسلم بيتاً مجاهداً.

ويروى في ذلك أن تقدم المسلمون في أواسط آسيا فاتحين مبشرين بقيادة حبيب بن مسلم الفهري، الذي خرج ذات يوم للجهاد قائلاً لزوجته : إلى اللقاء، وهو يودعها، فقالت : أين؟ قال : في خيمة قائد جيش العدو، أو في الجنة- إن شاء الله- ونشبت المعركة، وحمى وطيسها، ونصر الله جيش المسلمين، وما إن وصل حبيب إلى خيمة قائد جيش العدو حتى فوجئ بزوجته تقف في وسطها وبادرته : ألم تقل عند خروجك: إلى اللقاء في هذه الخيمة أو في الجنة؟ فما بال نسائنا اليوم مشغولات بالتنقل بالأسواق والاهتمام بالغيبة والنميمة وبرامج الريجيم ودورات الطبخ، والتنقل بالأولاد من مطعم إلى آخر، وإذا كانت نساء المسلمين في السابق على هذا القدر من الفهم لمستوياتهم فأين علماء الأمة اليوم من تحمل هذه التبعات والمسئوليات في هذه الأوقات العصيبة والفتن التي تمر بها الأمة؟

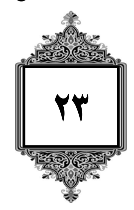
أولا يذكرون مقولة ابن الوليد الرائعة ﷺ: (وما من عمل أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة شديدة الجليد، في سرية من المهاجرين، بتّها وأنا متترس والسماء تنهل عليّ، وأنا انتظر الصبح حتى أغير على الكفار، فعليكم بالجهاد).

العلماء المجاهدون :

ولذلك ضرب علماء الأمة من السلف الصالح أروع الأمثلة في الجمع بين العلم والعمل، والدعوة والجهاد ومجالس العلم وساحات الوغى، ودروس العلم وبوارق السيوف فكان البدر العيني شارح البخاري الفقيه المحدث يغزو سنة ويحدث العلم سنة، ويحج سنة، وكان القاضي أسد بن الفرات المالكي أميراً للبحر في وقته، وكان الإمام الشافعي يرمي عشرة أسهم ولا

يخطئ، وكان نور الدين محمود زنكي يحضر مجالس العلم، ولم يـر مبتـسماً قـط، وكان يقول: (إني لأستحي من الله أن يراني مبتسماً، والمسلمون يحاصرهم عبـاد الصليب)، وكان الإمام ابن تيمية يواجـه التتـار بعـد أن أخـذ دعـاة الهزيمـة والتردد ينشرون الفزع في القلوب، فطلب ابـن تيميـة مـن الجنـد والأمـراء أن يفطروا وكان شهر رمضان، فاستمرت المعركة مع التتار طوال اليوم الرابع من رمضان حتى أذن الله بالنصر مع وقت العصر.

وهكذا استمر العلماء يقودون الجهاد في كل عصـر ومصـر لا يتوانون عن واجبهم ولا يتعذرون بالتفرغ لنشر العلم ورعايـة طلبـة العلـم، عـن الـدعوة للجهاد ونصرة الإسلام، حتى قال أحد الأمراء عندما وجد سبابة أحد العلماء في جيشه وهي مرفوعة تدعو بالنصر للمسلمين: إن هذه السبابة أحب إليَّ مـن مائة ألف مقاتل، وصدق الإمام البنا عندما قال: (**إن الأمة التي تحسن صـناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيـزة في الـدنيا والنعيم الخالد في الآخرة، ومـا الـوهن الـذي أذلنـا إلا حـب الـدنيا وكراهيـة الموت**)، فلا نامت أعين الجبناء .



رايات الثبات في حياة الدعاة

حل النور في قلب المسلم فيلتزم ديناً ويحول رحاله في الحياة نحو غاية واحدة هي رضوان الله- سبحانه وتعالى، ومن ثم حشد كافة الأهداف الفرعية والتفصيلية في حياته لتحقيق الغاية الكبرى من وجوده في هذا الكون وهو تحقيق معنى العبودية لله، فإن صافرة الانطلاق للحظة النور هذه والتي تعلن بدء الانضمام لقافلة الدعاة تشهد حماسة متوقدة تترجم إلى التزام بشعائر الإسلام، وحرص على العلوم الشرعية، وانكباب على مجالس العلماء، وتمسك بالصحبة الصالحة والرفقة الطيبة، والانحياز للمشروع الإسلامي وتبنيه والدفاع عنه.

وقد تشهد هذه الرايات تصورات غير مكتملة، وأفكاراً غير ناضجة، وربما حصلت اندفاعة غير مدروسة تقف خلفها حماسة متوقدة لتعويض ما فات من العمر في الارتقاء بالنفس والنجاة من مسالك الغفلة في هذه الحياة، وتعتبر سنوات البداية لأي داعية هي السنوات الذهبية في النفسية المندفعة، والحماسة المتوهجة لخدمة الدعوة والقيام بأعبائها.

ولأن نفس الحياة وروتينها يلقي بظلاله على النفوس، ولأن طبيعة النفس ملولة تحب التغيير والتجديد، ولأن تكاليف هذا الدين تحتاج إلى صبر على الطاعات وصبر على المعاصي، مع فعل المأمورات والامتناع عن المنهيات والإقلال من المباحات خوفاً من أن تجر إلى حرام، كانت النفس في حاجة إلى زاد ومعين لا ينضب يجدد اندفاعة النفس في سيرها إلى خالقها، وربما يجد الدعاة هذا المعين في القربات والطاعات وابتغاء وجه الله واللجوء إليه في أوقات السحر، وبين صفحات القرآن، والصيام والقيام والأذكار ومجالس

القلوب والرقائق، وهذه كلها مطلوبة تغني عن فن المراقبة للنفس وتقويمها، وفن محاسبة النفس ومراجعتها خوفاً من تغير النوايا أو دخول الهوى أو الانشغال بالتوافه وما لا يليق بالداعية.

والهدف الأكيد من وراء تلك القربات وإعمال المراقبة على النفس ثم المحاسبة والمراجعة فيما فعلت من خير وشر هو تأكيد بقاء الداعية على العهد مع خالقه لا يبدل ولا يغير، لا يليق ولا يستكين مهما توالت الخطوب وتغيرت الأزمان وأقبلت الفتن بالألوان، ومهما تقلب الداعية ما بين محنة ومنحة ووطن ومهجر وتنقل واستقرار، فهذا لا يغيره شيئاً ما دامت رايات الثبات خفاقة والاستقامة سيدة الموقف.

وفي صحيح مسلم عن سفيان بن عبدالله الثقفي ﷺ قال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، وفي رواية: (غيرك)، قال: «**قل آمنت بالله ثم استقم**»[1]، وقد ذكر الإمام القرطبي في تفسير الاستقامة أكثر من عشرة أقوال للصحابة والسلف، ثم عقب: وهذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها: (اعتدلوا على طاعة الله عقداً وقولاً وفعلاً وداوموا على ذلك).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[2] إن الذين آمنوا بالله ثم استقاموا فلم يشركوا به في عبادته أحداً فأدوا الفرائض واجتنبوا النواهي وماتوا على ذلك هؤلاء تتنزل عليهم الملائكة أي تهبط عليهم، وذلك عند الموت بأن تقول لهم: لا تخافوا على ما أنتم مقدمون عليه من البرزخ والدار الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم وراءكم وأبشروا بالجنة.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨).
(٢) فصلت: ٣٠، ٣١.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]، وانظر كلمة (ثم) في الآية الكريمة فهي تفيد التراخي؛ لأن الإيمان يحصل بالنظر والتأمل دفعة واحدة، أما الاستقامة فتحتاج إلى مراقبة النفس وذكر الوعد والوعيد في كل طاعة من فعل أو ترك.

والاستقامة لغة: ضد الاعوجاج، **واصطلاحاً**: الاعتدال في السلوك عن الميل إلى جهة من الجهات، ويقال: هي ألا يختار العبد على الله شيئاً، وسببها: كمال العلم بالأحكام، ومجاهدة النفس في كسر الهوى، وثمرتها السلامة من الحساب، والتخلق بشريف الآداب.

الاستقامة: درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حياته ضاع سعيه، وخاب جهده، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾[2]، ومن لم يكن مستقيماً في صفته لم يرتق من مقام إلى غيره، ولم يبن سلوكه على صحة.

قال الدقاق: الاستقامة لها ثلاثة مدارج: **أولها**: التقويم، ثم الإقامة، ثم الاستقامة، فالتقويم من حيث تأديب النفوس، والإقامة من حيث تهذيب القلوب، والاستقامة من حيث تقريب الأسرار، **فالأول**: تمحيص، **والثاني**: تحقيق، **والثالث**: توفيق.

والاستقامة: بالنظر إلى محالها خمسة أنواع: **أولها**: استقامة اللسان، واستقامة القلب، واستقامة الروح، واستقامة السر، **فالأولى**: بالنطق بالحكمة، **والثانية**: بصدق الهمة، **والثالثة**: بحسن الخدمة، **والرابعة**: بتعظيم الحرمة، **والخامسة**: بالاشتغال بالمنعم دون النعمة.

وقال أبو بكر الصديق ﷺ في معنى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾[3] لم يشركوا،

(١) الأحقاف: ١٣.
(٢) النحل: ٩٢.
(٣) الأحقاف : ١٣ .

وقال عمر: لم يروغوا روغان الثعالب، فقول الصديق محمول على طلب التأويل، والقيام بشروط العهود.

وقال ابن عطاء: استقاموا على انفراد القلب بالله تعالى.

وقيل: إن الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر؛ لأنها الخروج عن المعهودات، ومفارقة الرسوم والعادات، والقيام بين يدي الله- تعالى- على حقيقة الصدق.

وقال الواسطي: الخصلة التي بها كملت المحاسن، وبفقدها قبحت المحاسن الاستقامة.

ويقال: الاستقامة في الأقوال بترك الغيبة، وفي الأفعال بنفي البدعة، وفي الأعمال بنفي الفترة، وفي الأحوال بنفي الحجبة.

والاستقامة توجب دوام الكرامات، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾[1]، ولم يقل: سقيناهم بل قال: لأسقيناهم، يقال: أسقيت إذا جعلت له سقيا، وسقيته إذا ناولته ليشرب، فهو يشير إلى الدوام.

وقال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر: زيادة أو نقصان.

وقال النبي ﷺ لعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**يا عبدالله بن عمرو، إن لكل عامل شرة، ولكل شرة فترة، فمن كانت فترته إلى سنة أفلح، ومن كانت فترته إلى بدعة خاب وخسر**»[2]، قال له ذلك حين أمره بالاقتصاد في العمل.

السلف الصالح والاستقامة:

الاستقامة روح تحيا به الأحوال وزكاة تربو عليها الأعمال، فلا زكاة للعمل ولا صحة للحال بدونها.

---

(١) الجن: ١٦.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٨) وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، ولنقف مع أولئك الأخيار، وحالهم مع الاستقامة على طريق الرب الغفار.

عن مسلم البطين: (أن الربيع بن خثيم جاءته ابنته فقالت: يا أبتاه، أذهب ألعب؟ قال: اذهبي فقولي خيراً).

فيا لله لا ينطق أبداً بكلمة اللعب.. فما بال أقوام لا يفيقون من اللهو واللعب والغفلة.

وقال رجل: صحبنا ربيع بن خثيم عشرين سنة، فما تكلم إلا بكلمة تصعد، وعن رجل من بني تيم: جالست الربيع عشر سنين، فما سمعته يسأل عن شيء من أمر الدنيا إلا مرتين، قال مرة: والدتك حية؟ قال مرة: كم لك مسجداً؟ وقال بعضهم: صحبت الربيع عشرين عاماً، ما سمعت منه كلمة تعاب.

قال بكار بن محمد السيريني: ما رأيت عبدالله بن عون يماري أحداً ولا يمازحه، ما رأيت أملك للسانه منه، وكان إذا جاءه إخوانه، كأن على رؤوسهم الطير، لهم خشوع وخضوع، وما رأيته مازح أحداً، ولا ينشد شعراً، كان مشغولاً بنفسه، وكان له ناقة يغزو عليها ويحج، وكان بها معجباً، فأمر غلاماً له يستقي عليها، فجاء بها وقد ضربها على وجهها، فسالت عينها على خدها، فقلنا: إن كان من ابن عون شيء، فاليوم، قال: فلم يلبث أن نزل، فلما نظر إلى الناقة، قال: سبحان الله، أفلا غير الوجه، بارك الله فيك، اخرج عني، اشهدوا أنه حر.

قال وهب رحمه الله: إن استطعت ألا يشغلك عن الله -تعالى- أحد، فافعل.

وعن عبدالله بن المبارك قال: قيل لوهيب بن الورد: أيجد طعم العبادة من يعصي الله؟ قال: لا، ولا من هم بمعصية.

وقال رحمه الله: لا يكون هم أحدكم في كثرة العمل، ولكن ليكن همه في إحكامه وتحسينه، فإن العبد قد يصلي وهو يعصي الله في صلاته، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه.

ولله ما أجمل قوله في ترك ظاهر الإثم وباطنه، قال: (اتق الله أن تسب إبليس في العلانية، وأنت تصدقه في السر).

قال بندار: (اختلفت إلى يحيى بن سعيد أكثر من عشرين سنة، ما أظنه عصى الله قط، لم يكن في الدنيا في شيء).

قال أبو حفص النيسابوري- رحمه الله: من لم يزن أحواله كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا تعده.

ولله دره، وما أعلى استقامته حين يقول: (حرست قلبي عشرين سنة، ثم حرسني عشرين سنة، ثم وردت علي وعليه حالة صرنا محروسين جميعاً).

قال عثمان بن عفان ﷺ: (استقاموا: أخلصوا العمل لله)، وقال علي بن أبي طالب ﷺ : (استقاموا: أدوا الفرائض).

قال مجاهد – رحمه الله: (استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله).

قال حذيفة بن اليمان- رضي الله عنهما: (يا معشر القراء استقيموا، فقد سبقتم سبقاً بعيداً فإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله: (أعظم الكرامة لزوم الاستقامة)، وقال أيضاً: (استقاموا على محبته وعبوديته فلم يلتفتوا عنه يمنة ولا يسرة).



العولمة هي الاستعمار بأشكال جديدة

لقد شاع في العقد الأخير من القرن العشرين استخدام الباحثين والمحللين في عالمنا العربي والإسلامي لمصطلح العولمة (Globalization) وكثر حوله الجدل العلمي والخلط الشديدين في منتجاتهم الفكرية والثقافية، وبعضهم أفرط في تمجيده والإطراء عليه والتبشير به إلى حد تصويره على أنه المنقذ، والبعض الآخر رفضه تماما وتعامل معه على أنه رجس من عمل الشيطان، وفريق ثالث رأى أن العولمة أصبحت واقعا ولا فكاك منها، والأمر يقتضي إعداد برامج مقاومتها، والتحصن بمصدات واقية إلى جانب الاستفادة من حسناتها إن وجدت.

وفي هذا الصدد يمكن القول بأن ظاهرة العولمة ليست نظرية طارئة أو مجرد فكرة ولدت بشكل عفوي في رحم الفكر الغربي وإنما هي فلسفة منظمة ومنهج علمي يستهدف تحقيق استراتيجيات محددة على صُعد شتى في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية؛ إذ بعد اندحار الخطر الأحمر في مطلع التسعينيات وانتهاء الحرب الباردة التي دامت قرابة نصف قرن انفردت الولايات المتحدة الأمريكية بالأحادية القطبية، وراحت تكرس وجودها وحضورها المباشر عبر التدخل في شئون بعض الدول وخاصة الدول العربية والإسلامية، وعلى الوجه الآخر تحالفها السياسي والعسكري والاقتصادي والاستراتيجي مع الكيان الصهيوني لكي تضمن له التفوق على خصومه من العرب والمسلمين.

وقد اعتقدت الولايات المتحدة الأمريكية أنه بعد انتهاء الشيوعية لم يعد أمامها أية عقبة لفرض هيمنتها على العالم، والقيام بدور الشرطي المنظم لحركة إيقاعاته لكنها تنبهت إلى ما أطلق عليه في الكتابات الغربية بالخطر الأخضر

(الصحوة الإسلامية) الذي بدأ يتململ في مرقده، وهذا ما تحدث عنه ريتشارد نيكسون في كتابه (الفرصة السانحة)، وهنتنجتون في مؤلفه (صراع الحضارات)، ومن ثم اعتبر المعسكر الغربي بزعامة أمريكا المد الإسلامي هو العدو الأول الذي يهدد مصالحه، وهنا بدأ خطر العولمة يتعاظم وتتفاقم حدته ووصلت العولمة إلى أن أصبحت ظاهرة ملموسة بعد أن صار العالم أشبه بالقرية الصغيرة بفضل الثورة الاتصالية الهائلة التي تملكها أمريكا وتعمل من خلالها على عولمة كل مجالات الحياة المادية والأدبية وتذويبها في سراديبها.

هذه الكوكبية أو ما يسمى بالكونية ليست وليدة اليوم، ولكنها نتاج لعصور سابقة وإن حملت أشكالاً مختلفة وحلقات متباينة، ومن هنا نستطيع أن نقول: إذا كانت السياسة هي الحرب بوسائل أخرى فإن العولمة هي الاستعمار بأطياف جديدة، وقد عضد هذا المعنى اللورد بالميرستون عام (١٨٤٨) بقوله: (لا يوجد عندنا صداقات دائمة ولا عداوات دائمة وإن مصالحنا هي الباقية والدائمة، ومن واجبنا الحفاظ على تلك المصالح).

إذن لا مشاحة في المصطلح كما يقولون فالمقاصد واضحة والأهداف محددة والاستراتيجيات مرسومة فهناك محاولات تهميشية واضحة للفكر العربي والإسلامي أمام التهديدات العولمية من خلال فرض اتجاهات الأسواق المفتوحة دون دراسة لواقع الاقتصاديات العربية فضلا عن فرض إصلاحات اقتصادية غير ملائمة للظرف الحالي، وإشاعة قيم الاستهلاك والنفعية والربح السريع عبر آلياتها الخطيرة الممثلة في اتفاقية الجات وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي والشركات متعددة الجنسيات، وقد انتقد التقرير السنوي الأخير لبرنامج الأمم المتحدة بشدة مخاطر ظاهرة العولمة مؤكدا أنها تخدم مصالح الدول الغنية وأرباح الشركات المتعددة الجنسيات ولا تخدم مصالح الشعوب لا سيما في الدول النامية كما أنها لا تخدم مستقبل البشرية بشكل عام.

مشروع استحواذ وسيطرة:

وتتعاظم خطورة العولمة بإصرارها على فرض ثقافة عالمية واحدة عبر الآلة الإعلامية الضخمة التي تتمثل في استغلال مبتكرات الاتصالات والمواصلات والفيديو والكمبيوتر والإنترنت وغيرها في نشر الثقافة الوافدة ومما يؤسف له أن إعلامنا العربي يردد ما تبثه أبواق الغرب دون تمييز يبن غث وسمين وقد وجد بين ظهرانينا من ينكر حقنا في احتفاظ أمتنا بخصوصيتها الحضارية والثقافية والاجتماعية إلى درجة التأثر بالأجواء الغربية والدعوة إلى الفكر الليبرالي الغربي.

هذا الفكر الهيكلي الذي يسعى الغرب بزعامة أمريكا إلى تجذيره في أوساطنا ما هو إلا محاولات تنميطية ترفض قيام المجتمع الإنساني على أساس التعدد والتنوع وهذا ما يصطدم بالسنن الإلهية القائمة على التنوع والتعدد ويؤكد أن العولمة مشروع استحواذ وسيطرة وإشاعة فكر عالمي واحد.

وسائل مقاومة:

ولما كانت ظاهرة العولمة الجديدة في مفهومها القديمة في جوهرها أصبحت أمرا واقعا وملموسا فإن مصلحتنا بل ووجودنا يقتضي إعادة صياغة المنظومة العربية والإسلامية بما يقيم لها وزنا ذا شأن في الميزان الدولي الإستراتيجي خاصة أنها تمتلك المعطيات التي تجعلها ذات قوة لا يستهان بها، ومن ثم لا بد أن يُعمل الباحثون والمنظرون أقلامهم وأفكارهم في الدعوة إلى استثمار فكرة العولمة على صعيدي الاستفادة من محاسنها المتصلة بالإنجازات العلمية خاصة أن البحث العلمي والتقني في عالمنا العربي يحتاج إلى جهود كبيرة، لعل أهمها محاولة تهيئة الأجواء لإعادة الأدمغة العربية المهاجرة والتي تشكل ٣٠٪ من العقول الأمريكية حسب آخر إحصاء، الأمر الثاني أن وجود العولمة في حد ذاته والحذر من مخاطرها يستوجبان استنهاض عزيمة الأمة وهمتها، ولن يتأتى

ذلك إلا من خلال تدشين مجموعة وسائل مقاومة لعل أهمها:

أنه في إطار فن الممكن لا بد من تفعيل التجمعات والكيانات والتكتلات والمنظمات العربية والإسلامية أمثال: (منظمة المؤتمر الإسلامية وجامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية وتجمع الدول الثمانية الاقتصادي ومجلس التعاون الخليجي) إلى درجة أنه لا بأس من تغيير الدساتير والقوانين الحاكمة لبعض المنظمات بهدف تفعيلها، فضلا عن الدعوة المستمرة إلى السوق العربية والإسلامية المشتركة، وتنمية الاتحادات والتجمعات المهنية العربية والإسلامية، وتعميق الاهتمامات المشتركة بينها، وتوحيد الأجهزة الإعلامية لتكوين رأي عام موحد إزاء مخاطر العولمة، وإنشاء جيش عربي وإسلامي قوي، وصبغ التعليم في جميع درجاته ومستوياته بالصبغة الإسلامية لصد الغزوة الثقافية الشرسة التي تروج لها العولمة، والتنسيق بين جامعاتنا بهدف أسلمة العلوم الإنسانية.

تأسيس مشروع عربي وإسلامي مواز ومغاير للمشروع الأمريكي الصهيوني والصليبي بات أمراً حتمياً وضرورة ملحة تفرضها الخبرة التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية للأفكار العربية لمواجهة برامج العولمة، وهذا لن يحدث إلا من خلال حوار شوري وديمقراطي نزيه داخل الدولة الواحدة أولا لاستثمار طاقات القوى الحية وتوحيد الجهود الداخلية، ثم ننتقل بهذا الحوار إلى الحوار العربي العربي أو ما يعرف بالتطبيع العربي الإسلامي حتى نستطيع إقامة مصالحة عربية فعلية تستند إلى وحدة العقيدة والشريعة أو تجسد في النهاية منظمة دولية.

هذه الأخطار العولمية ينبغي أن تفرض على حكام العرب والمسلمين اللياذ بشعوبها والتحصن بها عبر تحسين سجلات حقوق الإنسان والالتزام العقائدي بالخصوصيات الدينية والحضارية حتى لا نغرق في طوفان الغربنة

والأمركة كما أن التمسك بهويتنا الدينية والثقافية يسهم في حفظ ذاتنا وحمايتنا من هذه الأخطار.

لا بد من التأكيد بأن العولمة بمعنى العالمية هي فكرة إسلامية صميمة نادت بها الأديان السماوية نظريا وعمليا، وتجلت بمصداقيتها الأخاذة في دعوة الناس كافة إلى الإسلام، وبالتالي فنحن أولى بعولمة قيمنا وأدبياتنا الإسلامية السابقة التي تستهدف تحقيق الخيرية والسعادة للإنسان في الدنيا والآخرة ومعروف أن الإسلام دين عالمي يلائم النظرة التي فطر الله- سبحانه وتعالى- الناس عليها دون حرج أو مشقة، ومن الأدلة القرآنية لعالمية الإسلام ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾[1] ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾[3]، ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[4]، وقال النبي ﷺ: «**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**»[5].

هيمنة قوة واحدة أمر مستحيل:

والأمر الذي نحب أن نختم به ونطمئن الخائفين على ثقافتنا وهويتنا من هذه العولمة، بل ونهدئ من روعهم أن الخبرة البشرية تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنه من المستحيل الهيمنة على العالم بواسطة قوة واحدة فقد فشلت من قبل الإمبراطورية الرومانية في تحقيق هذا الهدف كما سقط الاستعمار الغاشم، وخرج مهزوما مدحورا، وانهزمت الشيوعية في عقر دارها معلنة الرحيل، بل سقطت كل قوى الظلم والبغي، وانهارت الأيديولوجيات والتيارات الاستعمارية التي بشرت بقيم الهيمنة، وها هي الرأسمالية التي ادعى منظروها أنها المثالية كما قال فرنسيس فوكوياما المؤرخ الياباني الأمريكي في كتابة نهاية

(١) البقرة: ٢٠٨.
(٢) الحجرات: ١٣.
(٣) النساء: ١.
(٤) الحجرات: ١٣.
(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦١).

التاريخ، هذه الرأسمالية الآن تحمل في طياتها بذور انهيارها، فانتشار الانحلال والتفسخ الاجتماعي والانفلات الأخلاقي مؤشر قوي على هذا الانهيار، وهناك أرقام وإحصائيات مرعبة ولا تخطئ التقويم في هذا الشأن، وعلى جانب آخر يبقى الإسلام حصنا منيعا بقوته الذاتية وحفظ الله له ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [(١)]، ولكي يسود في الأرض لا بد أن تفرز هذه الأمة من بين أبنائها من يستحقون النصر ويأخذون بأسبابه فيتحقق التغيير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [(٢)].

---

(١) الحجر: ٩.
(٢) الرعد: ١١.



العولمة
نوع من الغزو الجديد

دلالة العولمة:

العولمة تعبير مستحدث أخذ يجري على الألسنة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي السابق، وتبلور إلى نظام عالمي جديد، أحاديّ القطبية، تقوده أمريكا، ومن ورائها دول عديدة تسعى في نفس المضمار، ولا يحدث بينها -غالبا- خلاف في قرار، فشاع استعمال (لفظ العولمة) للدلالة على اكتساح الرؤية الغربية في السياسة الدولية لوجه الأرض.

ولم يقف تعبير (العولمة) عند المجال السياسي وحده، بل تعداه إلى مجالات أخرى عديدة حتى صار يعني: خضوع الشعوب لمجموعة النظم والأفكار والعادات والتقاليد السائدة في (الغرب) في المجالات الاجتماعية والسلوكية والاقتصادية بجميع مظاهرها وعللها، ما صلح منها وما فسد على السواء إلى جانب المجال السياسي بالطبع، وهذا ما أعلنه الرئيس كلينتون في خطابه في الأمم المتحدة في دورة انعقادها الثامنة والأربعين، حين بيّن سياسة بلاده الخارجية التي تقوم على الأسس الأربعة الآتية:

١ - تقوية وتوحيد المجتمعات الديمقراطية الصناعية.

٢- التبشير بالديمقراطية والعمل على نشرها في العالم.

٣- التبشير باقتصاديات السوق (الخصخصة) والعمل على تطبيقها في العالم.

٤ - حصر وتطويق الدول غير الديمقراطية.

وسائل تسويق العولمة

أولا: إقامة المؤتمرات: وبالطبع فإن نشر هذه المبادئ في العالم يستتبعها نشر القيم الغربية ومعالم السلوك، وغيرها مما يصطدم في كثير من الأحيان مع قيم الشرق الإسلامي ومبادئه والعادات والتقاليد السائدة بين الشعوب

الإسلامية، ولعل العمل على نشر هذه القيم الغربية كان وراء إقامة مجموعة كبيرة من المؤتمرات في عديد من البلاد أذكر منها مؤتمر الإسكان الذي أقيم في القاهرة، وواجه معارضة شديدة، ومؤتمر المرأة الذي عقد في بكين وواجه -أيضا- معارضة شديدة للتوجيهات والقيم التي يرغب الغرب في تسويقها ونشرها بين الشعوب، لا لشيء إلا لأنها سائدة عنده.

ثانيا التعليم: ولم تقف محاولة الغرب فرض مجموعة النظم السائدة عنده على العالم عند عقد عدة مؤتمرات في بلدان مختلفة، بل اتخذ عدة وسائل أخرى تؤدي إلى نفس الغرض، فعمل على إتاحة فرص تعليم بعض القيادات الشابة التي تعود إلى بلادها حاملة مبادئ الغرب وقيمه، رافضة نظم بلادها، وطرائق تفكيرها وأسلوب تعاملها (وقد تعلم في أمريكا -وحدها- في الفترات الأخيرة مليونا طالب آسيوي، بينما لا يوجد طلبة روس في أمريكا سوى (١٠ آلاف) كما يقول ميخائيل كرامر في مقال له بمجلة تايم الأمريكية بتاريخ (١٢/ ٤/ ١٩٩٣م)، ويذكر في مقاله أن حوالي نصف أعضاء البرلمان الألماني درسوا في أمريكا الأمر الذي ساعد على تماسك الديمقراطية في بلادهم على حد قوله.

وقد دعا السيناتور الأمريكي بيل برادلي إلى إحضار الروس إلى أمريكا بأعداد ضخمة لأنهم سيتعلمون الرأسمالية بطريقتهم الخاصة، وهذا سيأخذ وقتا ولكن لا يوجد شيء مختصر في تبادل الأفكار على مستوى كبير)[1].

ثالثا العادات والتقاليد: ثم بدأت تنتشر في العالم الطريقة الأمريكية في المطعم والمشرب بحيث أحاطت بالكرة الأرضية مجموعة من المطاعم الأمريكية المنتشرة في كل الأرض، تقدم الوجبات السريعة الجاهزة على الطريقة الأمريكية، وغزت طريقة ونوعية الملابس الأمريكية الشباب، وصار (الكاوبوي) راعي البقر بزيّه المعروف الذي ما يزال ينشر في الإعلانات على

(١) (قضايا دولية العدد ١٧٣ ص٢٤).

أنه الرجل العصري الذي لا تهزه الأعاصير، صار هذا النموذج الموضوع في كل حين أمام الشباب هو القدوة وهو الأمل الذي يحلم به كثير من الشباب في كثير من البلاد.

وليس معنى هذا أن هذا الغزو في طرائق الطعام والشراب والملبس قاصر على الناحية الشكلية الخارجية، فهذا هو المظهر البادي للعيان، والحقيقة أن هذا الفتى الآخذ بالمظاهر الغربية لم يأخذ بها إلا بعد أن تفتت جزء من هويته، وهبط جزء من ذاتيته، وسقطت من حسابه قيم كان يدين بها ويتمثل آدابها فتخلى عنها وتمسك بغيرها.

وهنا مكمن الخطر ومستوقد الشر الذي قد لا ينطفئ إلا بعد أن يجتاح العقول ويمسك بزمام العاطفة، وحينئذ يكون الغرب قد استكمل هيمنته من غير حرب وبلا أي سلاح وبدون أي خسائر، بل يكون قد صنع لنفسه مددا جديدا، يأخذ منه -عند الحاجة- ما يريد.

رابعا التقنية الحديثة في وسائل الاتصال:

وقد تسأل: وما الجديد في ذلك كله بعد أن شاع خبره وعمّ ذكره؟

والجديد هو في التقنية الحديثة التي تطرأ كل يوم على وسائل الاتصالات والمواصلات، وتطور بها أجهزة الإعلام أداءها على نحو غاية في السهولة والإتقان، بحيث تصل إلى من يعيش فوق الجبال، أو يركب ظهر البحار، أو يسكن سحيق الأودية، أو يطير سابحا في الفضاء، فلم تترك هذه الأجهزة ذات التقنية الحديثة ركنا إلا دخلته، تاركة لصاحبه أن يختار من بينها ما يشاء من فضائيات، تخاطبه بلغات مختلفة، وتعرض عليه من الأفلام والمسلسلات الجيد والرديء، وما يخاطب العقول، وما يدغدغ الغرائز، وما على الإنسان إلا أن يضغط بلمسة رقيقة من إصبعه على زر لتعرض عليه الفضائيات المتعددة- وهو نائم في فراشه- ما يشاء.

وكـان آخـر مـا توصـلت إليـه التقنيـة الحديثـة في مجـال الاتـصالات هـو (الستلايت المترجم) أي الذي يقوم بدورين في آن واحد التقريـب والتوضـيح ثم تخرج منه الكلمات الملقاة على ألسنة الممثلـين أو قـارئي الأخبـار، أو غيرهـا مترجمة إلى اللغة التي يريدها المشاهد.

ولا شك أن للغتنا العربية نصيبها الوافر من الترجمـة، لأن الـسوق العربيـة واسعة كبيرة، والشركات المنتجة لا تستغني عنها، وإلا ضاع عليها جـزء كبـير من مبيعاتها، وقد تلحق بها بعض الخسارة إن فقدت هذا السوق.

والربح المادي لهذه الشركات يأتي على حساب القيم الأخلاقية والفـضائل الكريمة للشعوب الإسلامية، ورغم انتشار (الستلايت) إلا أنه كان يحـد مـن أثره الاحتياج إلى الترجمة المصاحبة لكل ما يبثه من أفلام ومسلسلات أجنبيـة، وهذا أمر ترهق به ميزانية أجهزة الإعلام نظرا للأموال التي تـدفعها للقـائمين على الترجمة والمشرفين عليها.

وكان كثير من غير القارئين ينصـرفون عمّا يبثه الستلايت، نظـرا لأنـه غـير مترجم، وغير مفهوم، ومن لم ينصـرف كانت المشاهدة بالنسبة له قاصرة عـلى صورة يراها أو منظر يمر عليه ضمن مسلسل أو فيلم، ثم يمضي لحـال سـبيله يرى ما يراه، فلم تسمع أذنه ألفاظا تخدش الحياء مع وجودها والنطق بها؛ لأن حاجز اللغة منع عنه هذا الأذى، وكانت أجهزة الترجمة -وما تزال- تحاول أن تغير بعض الألفاظ التي تصك الأسماع بقبـيح القـول، فتجعـل بـدلها ألفاظـا مقبولة.. أما مع اختراع الـستلايت المـترجم فقـد سـقطت كـل الحـواجز بـين المشاهد وبين ما يشاهده، تصل إليه الصورة، وتصل إليه الكلمة، قبيحة أو غير قبيحة، صريحة أو مغلفة، والذين يحسنون اللغات الأجنبية وعندهم من الوقت ما يشاهدون بعض المعروض بهذه اللغات يخبروننـا أن بهـذا المعـروض الـذي يعالج مشاكل الشباب أو الأسرة أو المـشاكل الاجتماعيـة وبعـض المـشكلات

الاقتصادية كثيرا من الكلمات التي تصطدم بجدار الحياء فتخرقه وتنفذ منه، لتستقر في ذهن المشاهد مرتبطة بأحداثها ومقدماتها ونتائجها، فلا تغيب عن وعيه إلا بعد وقت طويل وجهد كبير.. ويا له من بلاء!! ويا له من ابتكار قد يجر علينا كثيرا من المصائب والمتاعب ما لم نقاومه ونصد الناس عنه. والمقاومة المادية بجميع صورها قد لا تجدي في حالات كثيرة، ولذا فلم يبق أمامنا إلا أن نقاوم هذا البلاء مقاومة معنوية.

المقاومة:

وفي مقدمة هذه المقاومة المعنوية إيجاد الوازع الديني في ضمير كل فرد بحيث يصده هذا الوازع عن السعي نحو الشر، أو عن البحث عنه، وعن متابعته والتأثر به، والانغماس في هوّته؛ لأن أمثال هذه الشرور التي تبث من خلال الأجهزة العصرية، لا تزيد عن سراب خادع يحسبه الظمآن ماء، وما هو بماء، ولكنه هراء يثير نفوس الشباب بما يعرضه أمامهم، ويفسد أخلاقهم، وقد يدفع بهم -وهم يجرون خلف السراب- إلى الجريمة وهم يظنونها غنيمة، وما هي إلا غرامة وندامة وحسرة وخسارة يوم القيامة، يوم يؤتى بأنعم أهل الأرض فيغمس في النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت نعيما قط؟ فيقول: لا.

ومن عناصر هذه المقاومة: تعميق الجانب الثقافي والفكري والاهتمام بإحياء القيم الأصيلة في نفوس الأفراد، بحيث يدركون أن هذه القيم متعلقة بأشخاصهم وذواتهم، فإن هم نفضوها عنهم خلعوها من سلوكهم فقد لا تحيا من بعدهم، ولا يبقى لها أثر في حياة قومهم؛ ولذا فإن الحرص على هذه الجوانب الثقافية والفكرية تعميق للمشاعر الوطنية وإحياء لها في النفوس، فإذا ما تعرضت هذه القيم للضياع ضاعت معها فكرة الأوطان، وضربت الوطنية في الصميم؛ لأن الوطن ليس أرضا فقط، بل إنه مجموعة من الناس تتفاعل وتتعاون حول مبادئ معينة فوق قطعة من الأرض تعارفت المجتمعات على

حدودها، وكما أن الحدود الجغرافية يهب الناس للدفاع عنها حين يعتدي عليها المعتدون، فكذلك ينبغي أن يدافع الناس عن ثقافتهم وأفكارهم ومبادئهم وقيمهم حين يعتدي عليها –كذلك– المعتدون.

ونضيف إلى هذين الأمرين المهمين أمرا آخر وهو قيام المؤسسات الفنية بواجبها نحو حماية الشباب من هذا الغزو الداعر الممقوت بعرض القيم الصحيحة، التي نشأنا عليها وتربى عليها الآباء والأجداد، وهي بحمد الله قيم وفيرة من الممكن أن تعمل فيها الأجهزة الفنية سنوات ثم سنوات من غير أن تنضب أو تجف.

ولسنا نشك في أن من بين العاملين في هذه المجالات من مخرجين ومنتجين وممثلين نماذج تحرص على دينها وعلى وطنها، وتحاول أن تقدم الفن الراقي الذي لا يعرف الإسفاف، ولا يقيم أعمدته في الخمارات أو دور العاهرات، وإنما يقدمون الواقع المستمد من البيئة وحدها غير متأثر بما عند الغرب أو بما عند الشرق. فيكونون بهذا قد شاركوا في صد هذا الغزو الجديد. ومن يدري فلعل عملهم هذا يكون بديلا نافعا عمَّا يأتي من الخارج. فهل هم فاعلون؟

وقبل هؤلاء وأولئك فإن دور الأسرة في رعاية أبنائها ومعرفة ماذا يرون ويشاهدون أمر لا مفر منه، ولا يغني عنه شيء آخر، بل إن جميع المؤسسات التربوية يكون دورها مكملا لدور الأسرة، فإذا ضيعت الأسرة واجبها نحو أبنائها فقد ضاعت جهود المؤسسات التربوية، ولم تعد لها قيمة تذكر أو عمل يرجى.

إن الخطر كبير ولكن الأمل في مقاومته عظيم، فهل ننجح في إقامة جدار أمام هذا الموج الهادر؟



٢٦ لا بد من أسس علمية ومعايير موضوعية للحكم على الأشخاص

هل هناك أسس علمية ومعايير موضوعية نحكم بها على الأشخاص أو أن الحكم عليهم متروك للانطباعات الشخصية، ومدى الصلة التي تربطهم بغيرهم؟

إن الأسس العلمية والمعايير الموضوعية التي توضع لاختيار الأشخاص غالبا ما تؤدي إلى وضع الشخص المناسب في المكان المناسب، فيكون مردود فعله على الدعوة والحركة جيدا أو على الأقل مقبولا يخلو من القصور، ويبرأ من الأغراض، بخلاف ما إذا تم اختيار الأشخاص بناء على الانطباعات الذاتية، فإنها كثيرا ما تصيب الدعوة والحركة بالفتور الذي قد يصل في بعض الفترات إلى الجمود.

ومن هنا تأتي خطورة التمسك بالانطباعات في اختيار الشخصيات، ومعرفة أقدار الرجال والانتفاع بهم، ودفعهم لتحمل المسئولية شيئا فشيئا، هو ما دأبت عليه الحركة الإسلامية في معظم أوقاتها، فقد كانت تحاول -جاهدة- أن تستفيد بكل الطاقات المتاحة، فأتاحت لكل فرد أن يبذل فيها ولها ما يستطيع دون فرض من أحد أو إلزام، اللهم إلا شعوره بواجبه نحو دينه ونحو دعوته، وهذا ليس جديدا على الدعوة.

فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يبذلون للدعوة كل بقدر استطاعته، فمنهم من كان يتصدق بماله كله، ومنهم من كان يتصدق ببعضه وإن كان قليلا، والمهم أن الدعوة في عهد رسول الله ﷺ استفادت من كل الجهود التي كان يبذلها كل فرد بقدر استطاعته، وكان ذلك بناء على معرفة تامة بأقدار

الرجال ومدى إمكاناتهم، ووضع كل واحد في مكانه المناسب فمنهم من يندب لقيادة الجيوش، ومنهم من يندب لجمع الصدقات، ومنهم من يندب لكتابة الوحي، ومنهم .. ومنهم ..

ولم يكن ينظر لأحدهم بناء على خطأ صدر منه فيما سبق.

وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ حين أخطأ حاطب بن أبي بلتعة، فأرسل كتابا لأهل مكة يبلغهم فيه بخبر (الفتح) الذي يعد له الرسول ﷺ، وجيء بالصحابي حاطب أمام رسول الله ﷺ وكان الصحابة يتميزون غيظا من فعلته، حتى طلب عمر السماح له بضرب عنقه، ووصفه بالنفاق، ولكن رسول الله ﷺ عفا عنه بعد أن أعلن الصحابي سبب فعلته، وحسن نيته، وإن كان قد أخطأ التصرف، نظر رسول الله ﷺ إلى سابق جهاده وحسن بلائه في الدعوة، وقال: «**لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[(١)].

فكان جهاده الماضي بلسما يمسح به جرح اليوم فيبرأ ويزول كل أثر لهذا الخطأ رغم عظمته وكبير ضرره بالإسلام والمسلمين لو نجح.

وهكذا ينبغي على الحركة ألا تقف -عند الحكم على الأشخاص- عند بعض الأوقات فلا ينبغي تركيز النظر على بعض الأخطاء لدى الأشخاص في الحاضر، بل قد يكون من جهاد الماضي وتحمل المشاق فيه، ما يغطي على أخطاء اليوم مالم يكن هناك إصرار عليها، وقد يكون في جهاد اليوم وتحمل أعباء الدعوة والحركة فيه ما يغطي على أخطاء سابقة وقع فيها بعض الناس.

فالحكم على الأشخاص لا ينبغي النظر إليه في مرحلة واحد -حاضرة كانت أم ماضية- بل ينبغي النظر إليه في ضوء مراحل العمر المختلفة ومدى قدرتها على العمل من أجل الدعوة.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤).

مع إدراك أن الناس بشر يخطئون، «**وخير الخطائين التوابون**»[1]، فمن أخطأ خطأ ثم تاب، تجاوزنا -عند الحكم عليه- عن خطئه، وراعينا عمله وجهده، وأقلنا عثرته، ومددنا له يدا ليكون لنا عونا وليكون لنا سندا، من غير أن يؤثر ذلك في حكمنا عليه.

لقد نظر بعض أهل المدينة إلى الجيش العائد من مؤتة على أنهم فرار، فروا من المعركة، ولكن رسول الله ﷺ نظر إليهم على أنهم كرار إن شاء الله، فلم يؤثر ذلك الانسحاب من المعركة في حقيقة الحكم عليهم ولم يمنعهم أحد بعد ذلك من المشاركة في القتال، ولم يقف هذا الانسحاب بقيادة خالد بن الوليد حائلا دون أن يظل خالد قائدا لجيوش المسلمين فترة ليست بالقصيرة في عمر الفتوح والفاتحين، فأين نحن من هذه الأسس والمفاهيم..؟

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وحسنه الألباني.



المسلم
بين الشمولية والجزئية

إن كلمة (مسلم) مؤلفة من أربعة حروف لفظية وإذا ما أردت أن تزيدها تخصيصاً وتحقيقاً تضيف لها (ال) التعريف فتصبح (المسلم).

هذا بالنسبة للفظ والمبنى أما بالنسبة للحقيقة والمعنى فالمسلم حقيقة عظيمة وكبيرة تشمل كل خير وبر وتعني كل إحسان ومعروف، وما أعظم المثل الذي ضربه النبي ﷺ عندما شبهه بالنخلة التي يستفاد من كل جزء منها.

وكذلك المثل الذي ضربه النبي ﷺ في حديث آخر حيث قال: «**مثل المؤمن مثل النحلة لا تأكل إلا طيباً ولا تضع إلا طيباً**»[(١)].

فكل خير وبر في دين أو دنيا، علم وعمل، قديم أو حديث، معاملة وخلق، صناعة وتجارة، دعوة أو عادة كل خير في أمر من هذه الأمور فإن للمسلم فيه حظاً ونصيباً، بحثاً ومشاركة، علماً وعملاً وتطبيقاً.

وهذه الشمولية لكل المناحي الخيرية الدنيوية والأخروية إنما يكتسبها المسلم من شمولية الدين لكل شيء، وإنها لتستلزم من الفرد المسلم أن يكون له علم يتخصص فيه، يكون فيه بحراً واسعاً مطلعاً فيه على كل صغيرة وكبيرة، وعمومية وجزئية، وذلك كله بالإضافة إلى علمه واطلاعه على كل شيء بشكل شمولي، وهذا ما نتعلمه من كتاب ربنا- سبحانه وتعالى- وسنة نبينا محمد ﷺ فنقرأ في كتاب الله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[(٢)].

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٦٣٧)، وابن حبان (٢٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٨٦).

(٢) آل عمران: ١٠٤.

ونقرأ أيضاً: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١)

التخصص في العلوم عند الصحابة ومن بعدهم:

نجد في أحاديث النبي ﷺ أنه يصف بعض الصحابة بما هم متخصصون فيه ومبدعون فيه فيقول عن زيد بن ثابت: «**أفرضهم زيد**» ويقول عن معاذ: «**أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل**»، وعن أبي بن كعب أنه أقرؤهم لكتاب الله، يقول هذا مع أن أكثر صحابته يقرؤون القرآن، ولهم علم بالفرائض والحلال والحرام.

فعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ: «**أرحم أمتي بأمتي أبوبكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال و الحرام معاذ، ألا إن لكل أمة أميناً وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**»(٢).

وكذلك ما نقرؤه في تراجم العلماء من الصحابة التابعين ومن بعدهم نجد في التفسير ابن عباس ومجاهداً والطبري والقرطبي والنسفي وابن كثير وغيرهم، وفي الفقه نجد عائشة وابن مسعود وابن المسيب ومالكاً وأبا حنيفة والشافعي وأحمد، وفي الحديث نجد أكثر الصحابة يروون عن النبي ﷺ ومن بعدهم التابعون، ثم بعد ذلك نجد التخصص في الحديث عند البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد وأبي داود وغيرهم.

ومع كل هذه التخصصات التي اشتهر بها هؤلاء وغيرهم فليس معنى ذلك أن يهملوا كل شيء غير تخصصهم، ويبقوا سجناء محصورين في هذا التخصص فحسب بل كانت لهم الشخصية الحقيقية للمسلم الحق، والتي

---

(١) التوبة : ١٢٢ .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٩٠) ، وابن ماجه (١٥٤) ، وصححه الألباني .

تستدعي من المسلم أن يحمل بين جنبيه شخصية تتوزع توجهاتها على جميع جوانب الحياة اليومية العلمية والعملية والاجتماعية والسلوكية.

فترى أحدهم مع علمه وفقهه وعبادته وتقواه له اهتمامات دنيوية ببيع أو شراء أو تجارة أو سياسة؛ فأبو حنيفة الذي كان فقهه يملأ الأطباق كان خزازاً، وعالم المدينة مالك بن أنس كان له تجارة وبيع وشراء.

بالتخصص حفظت العلوم الإسلامية:

إن التخصص المؤسس وأقصد به الذي له شمولية علمية وفكرية تدعمه هو دعم للفرد من حيث إجادته وإتقانه وإبداعه فيما هو متخصص فيه، ودعم للأمة ككل، فالأمة في أمس الحاجة إلى المتخصصين في شتى العلوم والمعارف والتوجهات.

فهذا يفيد أمته بتخصصه الشرعي، وهذا باهتمامه بالطب، وهذا باهتمامه بالتربية النفسية، وذاك بالبدنية، والآخر بإعلامه، وآخرون بأدبهم ونشرهم وطبهم وهندستهم وإدارتهم، وهكذا كل واحد منهم يخدم أمته على ثغر من الثغور العلمية والفكرية والاجتماعية الدينية والدنيوية والأخروية.

وهنا يحضرني قول الإمام الدارقطني- رحمه الله: (يا أهل بغداد لا تظنوا أن أحداً يقدر أن يكذب على رسول الله ﷺ وأنا حي).

وقول ابن قتيبة- رحمه الله- عن أهل الحديث: (ولم يزالوا في التنقيب عنها، والبحث لها حتى عرفوا صحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، وعرضوا من خالفها إلى الرأي).

هكذا كان المحدثون المتخصصون حافظوا على ثغرهم، وحموه من كل دخيل فكانوا هم فرسان الميدان وحاملي ألويته، شمروا عن سواعدهم وذادوا عن حمى السنة المطهرة، ومنعوا كل لصيق أو دخيل عليها وكشفوا عوراته وسوآته.

فهذا ثغر من ثغور الإسلام الكثيرة فمثلاً المحافظة على التوحيد والعقيدة الصحيحة ثغر وله أهله المبدعون فيه، وتفسير القرآن الكريم ثغر له أهله المتفننون فيه والمتقنون له، وقيادة الجيوش وخوض المعارك له أهله المخططون المبدعون والمتخصصون فيه وهكذا كل الثغور الإسلامية.

وإن القارئ في سير وتراجم السابقين ليجد كثيراً من الأوصاف والألقاب التي تدل على تخصص من يقرأ عنه فتجد مثلاً: المحدث- المفسر- الحافظ- الفقيه- الأصولي- القائد- المقرئ- المجاهد- الصوفي- العابد- الشاعر- الطبيب- النسابة- اشتهر بعلم تعبير الرؤى- اشتهر بالورع والزهد- اللغوي- القاضي- اشتهر بالرياضيات والمنطق- اشتهر بالمخلص لأنه يخلص الذهب من القش.

وفي أكثر الأحيان تجد أكثر من وصف، وهذا يدل على أنه كان لصاحبها اهتمام عام بأمور كثيرة فترى مثلاً أنه يقولون: له علم بالتراجم والحديث والفلك والفرائض والأنساب – كان له في التفسير والحديث وأسماء الرجال يد جيدة.

الشمولية تشمل علوم الدين والدنيا:

و إن المسلم ينبغي أن يكون لديه شمولية في كل الأمور المتعلقة بدينه ودنياه فينبغي:

١- أن يكون داعياً سلفياً يدعو إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله.

٢- وصاحب طريقة سنية يحمل نفسه على العمل بالسنة المطهرة في كل شيء، وبخاصة في العقائد والعبادات ما وجد إلى ذلك سبيلا.

٣- وأن يكون صوفياً في طهارة النفس، ونقاء القلب، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب في الله، والارتباط على الخير.

٤- و سياسياً يطالب بإصلاح الحكم في الداخل وتعديل النظر في صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم في الخارج، وتربية الشعب على العزة والكرامة .

٥- ورياضياً يعتني بجسده وصحته؛ لأنه يعلم أن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

٦- وعالماً مثقفاً؛ لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة.

٧- و اقتصادياً ؛ لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه.

٨- واجتماعياً يهتم بأدواء المجتمع الإسلامي ويحاول الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها.

هكذا ينبغي أن يكون المسلم وهكذا يجب أن يسير في حياته لا يوجد ميدان من ميادين الخير الدنيوي والأخروي إلا ولديه اطلاع واسع فيه، وله اليد الطولى في معرفة خطوطه العريضة الموضحة له، ومع هذه الشمولية لا بد له من التخصص في جانب من جوانب الخير الدنيوية والأخروية الكثيرة التي لا يمكن التخصص فيها جميعاً ؛ فلذا لا بد له من التخصص في ميدان من الميادين يكون ملماً فيه على كل شاردة وواردة، وصغيرة وكبيرة تخص الميدان الذي تخصص فيه .

لا بد من التخصص في علم والتبحر في العلوم:

وإنه ينبغي أن يكون بين الشمولية والجزئية لدى الفرد تلازماً واضحاً بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر أبداً ؛ لأن الاقتصار على الشمولية وحدها دون التخصص في ميدان محدد يجعل الإنسان ضعيفاً في كل الميادين، ومن هذا القبيل كانت المقولة المشهورة : (من أراد كل شيء لم يحصل على شيء) .

وكذلك العكس فأن يتخصص الفرد في ميدان واحد، ويكون أمياً في باقي

الأمور فإنه يتضرر في تخصصه نفسه، ويظهر عواره وبواره، وهذا معلوم مشاهد مجرّب.

• ومما يُذكَر عن بديع الزمان سعيد النورسي قوله: (العلوم الدينية هي ضياء الوجدان، والعلوم المدنية هي نور العقل، ومن امتزاجهما تتجلى الحقيقة. والطالب يطير بهذين الجناحين، فإن افترقا تولد التعصب عند الأول، والشبهة والتردد والحيلة عند الثاني).

• وقال بعض العلماء: مما يزيد العالم الديني:

١- قوة في الحجج.

٢- وتوقُّدًا في القريحة.

٣- واستقامةً في النّظر.

٤- ووضوحًا في البيان.

٥- وغوصًا في المعاني.

والاستزادةُ من العلوم الكونية إلى جنب ما احتواه من العلوم الشّرعيّة.

فالعالم الذي يجمع بين المعقول والمنقول تكون له المنزلة العُليا بين العلماء في جميع الأدوار. **بشرط** أن: يحافظ على التّوازن بين معارفه في المعقول والمنقول بدون أن يسمح لطغيان أحد العلمَين على الآخر.

فيكون مثل هذا العالم قرّة عيون العلماء وغرة ناصعة في جبين الدهر.

فمن قصّر في أحدهما يكون تفكيره متضايق الأفق وبصيرته قصيرة المدى جامدًا أو جاحدًا.

وأما من جمع بينهما بشرطه فهو الموفق لخدمة الدين وتنشئة العلماء الموفقين[1].اهـ.

---

(١) المقالات (٤٢٣) طبعة التوفيقية.

الشمولية والجزئية لدى المؤسسات:

وإن المؤسسات والجماعات التي تعمل على العمل الخيري لهي النموذج الكبير للمسلم الحقيقي، فينبغي أن تكون ذات طابع شامل لكل المشاريع الخيرية من مساعدة الفقراء والمساكين والمرضى واليتامى، إلى إنشاء المراكز القرآنية والدعوية، إلى بناء المساجد والمراكز الصحية ، إلى المشاركة في الارتقاء بالعلاقات الأسرية والاجتماعية، إلى المشاركة الفعالة في النهوض بالمجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً، وتكون في المقابل ذات اختصاص محدد تعرف وتشتهر بالاختصاص به..

ومن المعلوم أن يداً واحدة بمفردها لا تصفق أبداً، فلذا يطلب من جميع المشاركين في العمل الخيري بشتى مجالاته أن تجتمع قلوبهم وعقولهم وجهودهم على قلب رجل واحد حتى ينجحوا في تحقيق أهدافهم.. ولن يتحقق ذلك إلا إذا خلصت النوايا وتضافرت الجهود وتحلى المشاركون بروح المحبة والتعاون والإرادة التي لا تلين، وكلها عوامل تلعب دورا حاسما في تذليل الصعاب؛ لذا تنبع أهمية التكامل بين الجمعيات المهتمة بالعمل المدني ودورها في تحقيق العمل التطوعي لأهدافه..

وإن هذا التعاون والتلاقي والتنسيق ليؤدي إلى ثمرات عظيمة منها:

- تطوير الابتكارات.
- شحذ الهمم إلى التسابق.
- التقدم والإنتاج والتفوق.
- العمل بأكثر من عقل.

قال أحد السلف: (العاقل من أضاف إلى عقله عقول العلماء، وإلى رأيه آراء الحكماء، فالعقل الفرد ربما زل، والرأي الفذ ربما ضل).

- تسهيل العمل وتيسيره.

الأهداف العامة الشاملة لا تحقق الغرض فلا بد من اختصاص:

ولكي لا يطغى جانب على جانب، ولا تتجه كل الجهود إلى وجهة واحدة على حساب وجهات أخرى من وجهات الخير الكثيرة فلا بد أن تتخصص كل جمعية أو مؤسسة أو مركز بالاهتمام والتركيز على جانب محدد بالإضافة إلى التوجه الشامل والعام الذي يجمعها جميعاً وهو الاهتمام بما فيه الخير والنفع للإسلام والمسلمين في الدنيا والآخرة.

فلا بد أن تعرف كل جمعية هويتها ورسالتها وتعرف ماذا تريد أن تفعله في المجتمع القائمة فيه، وتضع تصوراً لأهدافها المستقبلية، فبهذا التواصل مع غيرها من الجهات وتفعيل العمل الجماعي بينها يتحقق التكامل بين الجمعيات والعمل معا والالتفاف حول الهدف الكبير والقيمة العامة التي قامت من أجله، وهنا يجب أن نشير إلى أهمية التذكير دائما بالأهداف الأساسية التي قامت عليها الجمعية حتى لا يتم نسيان هذا الوقت بمرور الوقت.

ولا بد من تقييم مرحلي بين كل فترة وأخرى لتقييم النتائج التي تم تحقيقها سواء في الأمور العامة أو في الجانب الجزئي الذي تخصصت فيه .

ثمرات التكامل بين الجماعات:

وعندما يتم التعاون والتنسيق بين الجهات في شموليتها جميعا وجزئية واختصاص كل واحدة منها، فإن ذلك يطل بها جميعاً على المجتمع، فكل مؤسسة وجمعية تعرف حجم طاقاتها ومجال خدماتها:

فالإنسان لا يتبين له حجمه وقدراته إلا عند المقارنة مع الآخرين، فقد يظن أنه بلغ شأوًا بعيدًا في العمل، وقدم خدمات ضخمة للمجتمع، فحين يرى إخوانه في الجهات الخيرية الأخرى يعرف وزنه ومكانته حقيقة بعيداً عن الأوهام والخيالات.وبهذا يتحقق التنافس المحمود في مجال الخير والبر، أمر الله- عز وجل: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ حقيقة واقعية بعيدة عن كل شحناء أو بغضاء.

- وكذلك عند التنسيق والتعاون بين أي جهة أو جمعية أو مبرة أو جماعة حزبية وبين غيرها يتم الاطلاع على عدد كبير من شرائح المجتمع لم يتم التعرف عليها من قبل فضلاً عن أن يقدم لها خدمات، بل إن عامة العمل الخيري تركز مع الأسف على شرائح محدودة من المجتمع التي تستمتع بخدماته، وأما الباقي ففي طي النسيان أو الإهمال.

- يشغل لك جميع الطاقات.

الكثير من الجهات الخيرية تشكو من قلة العاملين والمتعاونين المتطوعين مع أن المجتمع مستعد في كثير من طبقاته وطاقاته للمساهمة في أعمال البر والخير بل مسارع وباذل لنفسه ووقته فيه، ويبقى دور الجمعيات في تسهيل الوسائل وتيسير الطرق لوصول مثل هذه الطاقات للجمعيات الخيرية، وكيف تستطيع أن تكيف نفسها وأنشطتها وفق أوقات المتبرعين وطاقاتهم، وبرمجة التعاون الجزئي وسعة الأفق في فهم وإدراك أسلوب الاستفادة من جميع طاقات المجتمع، ومشاركة الجميع فيه، والعمل على استقطاب أكبر عدد ممكن من المتطوعين؛ إذ إن مقياس رقي الجمعيات برصيدها البشري من المتطوعين.

والإسلام جاء بتشغيل جميع طاقات المجتمع الغني والفقير، القوي والضعيف في العمل الخيري، فبين رسول الله ﷺ أن فعل الخير ليست وسيلته المال فحسب، بل كل ما ينفع الناس في أمر دينهم ودنياهم من عمل الخير.


٢٨

الدعاة والتعاقب

الأجناس والأنواع والأشياء يتعاقب عليها الخير والشر، وما يسوء وما يسر، وما ينفع وما يضر، وهذا التغير والتبدل يؤثر فيها نوعا من التأثير، قد يصل إلى درجة التوقف، والاندثار والفناء، وقد لا يؤثر فيها إلا كما تؤثر الرياح في الصم الصلاب، وقد لاحظ الشاعر الجاهلي امرؤ القيس ذلك في بقايا الدمن والأطلال التي وقف عليها ليذكر أهلها، وبين أنها ثابتة باقية لأن رياح الجنوب التي تسفي عليها الرمال، تعقبها رياح الشمال التي تزيح هذه الرمال عنها، فتبقى الآثار شاهدة على أهلها أطول مدة ممكنة، قال قصيدته (قفا نبك):

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب وشمأل

والإنسان يعتريه التغيير، ويتقلب على حياته العسر واليسر، ويمتحن ويبتلى بالشدة والرخاء، والغنى والفقر، فمنهم من يسقط في الاختبار، ولا عرف أن التعاقب سنة الأحياء والأشياء، ومنهم من يتماسك، وإن اشتد اختباره وزاد بلاؤه واصطباره.

والدعاة إلى الله هم أشد الناس احتياجا لفهم مثل هذه السنن، والتعامل معها بالرضا والأمل، مدركين أن مع العسر يسرا، فقد يحاربون في أرزاقهم أو يصيبهم طول الطريق بشيء من الفتور، أو يصيبهم ضعف الهمة، أو غير ذلك من عوامل التثبيط، فلا ينبغي أن يستسلموا لها؛ لأن هذه الحالات لا تبقى ولا تطول عند إنسان إلا إذا أراد صحبتها وأراد بقاءها، فسنة التعاقب التي أوجدها الله في كونه قد تأتي بالغنى بعد الفقر، وبالفرج بعد الشدة، وقد تبعث

فيمن أصابه الفتور الهمة من جديد، فيكون له على الدعوة إقبال ما عليه من مزيد، والرسول ﷺ أشار إلى شيء من ذلك حين قال: «**يبتلى الرجل على قدر دينه**»(١).

وما على الدعاة خاصة، والناس عامة إلا الصبر ومدافعة أسباب الضعف بالطرق المشروعة، وفي مقدمتها الالتجاء إلى الله والضراعة إليه، والامتثال لأوامره، والرضا بقدره، مع الإحساس بتماسك النفس حتى لا تطير شعاعا أمام النازلات، بل لا بد لها من التجلد الذي يعصم من الزلل، ويحمي من السقوط.

وكثيرا ما كان معاوية رضي الله عنه يتجلد حين تنزل به النازلات، ويتصبر أمام الملمات، ويتمثل ببيت أبي ذؤيب الهذلي:

وتجلدي للشامتين أريهم   أني لريب الدهر لا أتضعضع

وكان لموقفه المتجلد هذا أثر في تحقيق ما يصبو إليه وما يريده.

ولا ننسى في ذلك أن نقرر أن الاستحياء من تناول النافع المفيد والأخذ به يضر بصاحبه في بعض المواقف، ويشين تصرفه في مواقف أخرى؛ لأن الحياء يمنع الإنسان من ارتكاب القبيح، فإذا منع من ارتكاب الجميل فقد أضر بصاحبه، ومنع عنه الخير الكثير، وسهل الشدائد أن تتغلب عليه، وأن تأخذ بخناقه.

وسيرة السلف الصالح فيها نماذج كثيرة دالة على أن الحياء يحول بينهم وبين تحقيق الخير حتى ولو بصورة لم يألفها الناس.

وهذا أحمد بن أم مكتوم، أحد الفضلاء العلماء، يجلس وهو متقدم في السن، مقدم لدى الناس، يجلس لسماع الحديث من الشيوخ المحدثين، ويعيبه قوم لذلك فيدفع تهمتهم بشعر جيد جميل يقول فيه:

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٤)، وصححه الألباني.

وعـاب سماعي للحـديث بعيـد مـا كبرت، أناس هم إلى الجهـل أقـرب
وقـالوا: إمـام في علـوم كثـيرة يـروح ويغـدو جاهـدا يتطلـب
فقلـت مجيبـا عـن مقـالتهم، وقـد غـدوت لجهـل مـنهم أتعجـب
إذا استدرك الإنسان ما فات من علا إلى العلم يعزى، لا إلى الجهل ينسب

وهذا الإمام البيروني أحد العلماء الأعلام، يدخل عليه بعض الفقهاء يعودونه في مرض وفاته، فإذا به يعتدل ويسأل مسألة في علم الفرائض أشكلت عليه، ويريدون أن يؤجلوا الإجابة عنها والنقاش حولها لأن صحته لا تتحمل، فيقول لهم: لأن ألقى الله وأنا عالم بها أحب من أن ألقاه جاهلا بها.

بهذا التجلد، وبهذه الهمم، وبهذا الحرص على العلم والحق ولو لم يألفه الناس يتم التعاقب، فتزول الشدائد والعسر، ويعود الرخاء واليسر، وتستمر الحياة على الخير والهدى والفلاح.

يميز الدعوة الربانية عن غيرها من الدعوات الأرضية معايير التقييم التي يتم بناءً عليها حساب الربح والخسارة، بحيث تحسب الدعوات الأرضية حسابات الربح والخسارة بالمكاسب المادية وربما المعنوية المحصورة فقط في الحياة الدنيا، دون امتداد لما وراء هذه الحياة الفانية، من أبعاد أخرى ومكتسبات حقيقية تهتم بها الدعوة الربانية وتضعها نصب عينيها كغايات عليا تسعى لتحقيقها، وأي غبش في هذا التصور ربما ينزع من هذه الدعوات الربانية خصائصها التي تميزها عن الدعوات الأرضية.

وهذا بلا شك إن حدث سيشكل قصوراً واضحاً في برامج وأهداف واستراتيجيات الدعوات الربانية ويصبح الثبات على هذه الأصول والمبادئ العليا التي تجعل موازين الربح والخسارة مرتبطة بتحقيق غايات تعبيد الناس لله- سبحانه وتعالى- هو التحدي الحقيقي للحركات الإسلامية بالنسبة لواقعنا اليوم الذي يشهد ظرفاً استثنائياً وضع الحركات الإسلامية مؤسسات

وأفراداً تحت الضوء بشكل غير مسبوق.

وهذا ربما أدى إلى ردات فعل غير موزونة تارة بمحاولة الانسجام مع الواقع ومحاولة مسايرته للحصول على القبول النفسي والاجتماعي، وتارة باستعجال الثمار من خلال الانتصار في المواقف وحساب المنجزات حتى لو كانت على حساب القيم والمبادئ التي تعتنقها التيارات الإسلامية، وحتى لو كان على حساب تراجع أدبيات وأصول الحركة الإسلامية، وربما تحول في لحظات الضعف والضغوط قياسات الخسائر والأرباح إلى قياسات مادية مباشرة تفتقد الرؤى الاستراتيجية التي تجعل الدنيا جسراً للآخرة حيث الربح الحقيقي والخسارة الحقيقية التي تجاوز الأرباح والخسائر المجازية في الدنيا.

هذا الغبش في الرؤية هي التي تجعل بعض أصحاب المبادئ يتساقطون، وليس بالضرورة أن يتمثل هذا التساقط بالابتعاد عن سرب الدعوة وقافلة العطاء، بل إن التواصل الهيكلي والاتصال المادي يستمر بالعمل ظاهرياً لكن جفاف القلوب وتراجع الزاد النفسي والروحي وشعور الانتماء لمنظومة المبادئ التي يلتقي عليها أفراد التيار الإسلامي تبدأ بالانقراض والتآكل وتتحول إلى مظاهر وآثار يدركها المخضرمون في ميدان الدعوة.

خاصة إن رافق ذلك بيئة مترفة ومكاسب دنيوية سهلة تغري من جف قلبه وتحولت نفسيته عن قبلة الدعوة وسقط في براثن مسايرة الواقع وحب التأقلم معه، وساعتها يغادر الداعية مرحلة الربيع الدعوي، ويدخل إلى مرحلة الخريف الدعوي حيث تذبل أوراقه وتجف وتتكسر من أول لمسة، عندها يتحول الدعاة الذين يصيبهم هذا المرض من الارتباط بالغايات العليا للدعوة إلى إعادة فلترة الأفكار لتصبح قريبة من الواقع المعاش، طلباً لرضا الناس وتجنباً لسخطهم ورفعاً للضغوط التي تمارس على الحركات الإسلامية.

هذه الظاهرة بدأت بالبروز بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، خاصة

إذا ما اجتمعت مع تلك الضغوط الخارجية والرغبة في التخلص منها وجود هوى وضعف مقاومة تجعل الداعية في لحظات ضعفه يبحث عن القبول من الناس وتحسين صورته من خلال الاقتراب من صورتهم، ولو كان ذلك على حساب أصول ومبادئ وقيم يعرف في قرارة نفسه مدى سموها والتصاقها بالحق الذي كانت نفسه ممتلئة به وتعمل من أجله حتى ليكاد يقترب من صورة الإمعة التي وردت في الحديث :«**لا تكونوا إمعّة تقولون: إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا**»[1].

وقد رأيت في مسيرة الدعوة نماذج عديدة لمثل هذا السقوط، وفقدان الثبات على مسيرة الدعوة بعضه يصب في مسايرة الواقع على ما فيه من خطأ وصواب، وعدم القدرة على الخروج من العادات والممارسات الاجتماعية المخالفة للشريعة، أو تقديم التنازلات التي تضر بالدعوة، مع إعادة تقديم بعض المفاهيم الدعوية بفكر جديد يرضي الأطراف الأخرى وتجد قبولاً اجتماعياً مع الظن بأن هذه التنازلات لا تضر الدعوة ولا الداعية على الرغم من مخاطرها النفسية والفكرية على الداعية، وحالة التمييع التي تصيب الدعوة، وفقدان المصداقية والنكوص بالدعوة إلى الوراء.

نعم لقد رأينا نماذج كثيرة من ذلك، قدم فيها بعض الدعاة المكاسب الصغيرة الشخصية على المكاسب الدعوية العامة، رأيناها في الممارسات السياسية وفي الممارسات الاقتصادية وفي الممارسات الاجتماعية وتحول الداعية إلى إمعّة لا يريد منها أن يتحمل نصيبه من تكاليف الدعوة، ويدفع الثمن المطلوب في سبيل غاياتها العليا.

عندها تتحول وسائل الدعوة التي هيأها له إخوانه ومن هم في مركب الدعوة بسببه إلى وسائل للانتفاع الشخصي، والترويض ليصل إلى رضى

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٠٧) وضعفه الألباني.

الناس مهما كان في ذلك الرضا من مخالفة للحق ولمبادئ وقيم الدعوة التي من المفترض أن ينتمي إليها، وهكذا يتحول الداعية في فترة من الفترات إلى مسوق للمنهج الحركي الأصولي إذا كانت المصلحة المباشرة في هذا المنهج، وإلى المنهج الصوفي المتزهد إذا جاءت الظروف والمصالح والنجاة من الضغوط في هذا المنهج، وإلى المنهج التوافقي مع السلطة إذا كانت المصلحة الآنية في هذا المنهج، حتى تحولت الدعوة إلى جزر منعزلة محيطة داخل وطن الدعوة كل جزيرة يقودها شخص باتجاه رفع الضغوط ومسايرة الواقع، والنتيجة المحتمة هي تفكك هادئ لبنيان الدعوة لا يشعر به إلا الذين لم يبدلوا ولم يغيروا، ولا يعود موجود من حقيقة الدعوة إلا الهياكل الخالية على عروشها، وساعتها لا يعود الاسم هو الاسم ولا الرسم هو الرسم.

تلك معضلة تواجه الدعوة في وقتنا المعاصر، وبالتحديد منذ بداية الألفية الثالثة حتى رأينا من يعتبره البعض ممثلاً للفكر الحركي الإسلامي، في زيارة رسمية لدولة العدو يضع إكليلاً من الورود على ضريح ضحايا الهولوكست المزعوم، كما رأينا من الرموز من يزكي بعض رموز المبتدعة ويضمهم جنباً إلى جنب مع رموز الدعوة في قارب واحد.

هذه المجاملات والمداهنات التي تضرب بقيم ومبادئ الدعوة وتعطي نماذج سيئة لقواعد الدعوة ما كانت لتظهر لو كانت الأصول مصانة في داخل النفوس وعليها يدور الأمر كله، فمن الصعب وسط الضغوط والبحث عن القبول وسط الناس أن يستطيع بعض الدعاة تجاوز عقدة الواقع والارتفاع للحياة مع عقيدة تفرض مبادئها سواء سخط الناس أم رضوا، بحيث يصبح كل همهم تغيير واقع الناس للأحسن لا مسايرته للأسوأ.

وصفة الثبات:

إن فتنة الخضوع للواقع تحتاج من الداعية إلى مجاهدة كبيرة للنفس، ولن يتم

ذلك إذا لم يستشعر الداعية حساب الخسائر والأرباح ولكن بمعايير الدار الآخرة، حيث الأجر على قدر المشقة، ويعلم أن هذا الجهاد محل تقدير عظيم أشاد به رسول الله ﷺ حيث قال: «**إن من ورائكم أياماً الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**» فلما سئل الرسول عليه السلام: أجر خمسين منهم، قال: «**خمسين منكم**»[1] أي أجر خمسين من الصحابة.

ومن الوسائل المعينة للداعية على الثبات على قيمه ومبادئه مهما ألقت الفتن بظلالها، ومهما زادته الضغوط وتكالبت عليه، الإقبال على القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[2] مع التزام أوامر الشريعة والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[3] مع كثرة الذكر والدعاء والثقة بنصر الله وعدم الاغترار بالباطل والاعتبار بقصص الأنبياء والرسل والصالحين والشهداء في الصبر والثبات، والبعد عن مواقع الهلاك والشبهات والاستبراء للعرض والدين، واستشعار المسئولية الشرعية، والابتعاد عن الدنيا وملذاتها، والعزة النفسية بدلاً من الانهزامية والتراجع أمام الواقع الفاسد، وفهم سنن الابتلاء، والجدية وعلو الهمة.

وفي المسيرة والتاريخ عبرة:

وجه الله -سبحانه وتعالى- رسوله إلى الثبات على القيم والمبادئ الربانية التي ارتضاها الله للبشرية، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وصحح الألباني الجزء الوارد من الحديث .

(٢) الفرقان: ٣٣.

(٣) إبراهيم : ٢٧.

تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾[(١)].

وقد قام رسول الله ﷺ بالأمانة خير قيام، ولو ود أن يداهن قريش لفرض دعوته منذ البداية عندما عرضوا أن يعبدوا إلهه سنة، وإلههم سنة، بل طلبوا أبسط من ذلك وهو أن يجتمع بالأغنياء وأصحاب الجاه والسلطان بعيداً عن الفقراء والمعدمين ولو وافقهم لحصل ما يريد من مكاسب سريعة، ولكن دين الله الخاتم ليس محل مساومة أو تجزيء ولا يرضى الله لدينه الخاتم أن يصل إلى البشرية مشوهاً ناقصاً، والروايات التي في السيرة تدل على شدة أخذ الرسول ﷺ لهذا الأمر وعدم مداهنته فيه، قال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[(٢)].

وقد اتخذت مساومة المشركين لرسوله ﷺ في دعوته صوراً شتى، من المساومة على الدعوة كلها بأساليب التهديد والترغيب كما جاء في كتب الحديث والسيرة إلى المساومة على جانب منها للالتقاء معه في منتصف الطريق.

ومن ذلك ما روي عن عقيل بن أبي طالب ﷺ قال: (جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا، فقال: يا عقيل ! انطلق فائتني بمحمد، فاستخرجته من كنس، أو قال: خنس، يقول: بيت صغير فجاء به في الظهيرة في شدة الحر، فلما أتاهم قال: إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم، فحلّق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال:«**ترون هذه الشمس**»، قالوا: نعم، قال:«**فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منه بشعلة**»، وفي رواية: «**والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار**» فقال أبو طالب: «والله ما كذب ابن أخي قط؛ فارجعوا راشدين»[(٣)].

---

(١) الإسراء: ٧٣- ٧٤.

(٢) القلم: ٩.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ١٩١)(١٤١٩٩)، وصححه الألباني في صحيح السيرة (١/ ١٤٤).



الاختراق الفكري الإسلامي ـ الإسلامي

أولا: معناه:

يعني الاختراق الفكري، أن يهاجم فكر ما، فكرا آخر بدليل أو بغير دليل، ويقصد المهاجمة لذات المهاجمة سعيا لتبديل هذا الفكر ومحوه والتشكيك في ثوابته.

ثانيا: أهدافه:

يهدف الاختراق الفكري إلى (تصفية حسابات) فردية مثلا، أو جماعية، أو هي نزوة تصيب بعض الاتجاهات والحركات، فتظن نفسها الممثل الوحيد لفكرة ما، أو هي الوريث الوحيد لحزب وتنظيم ما، ومن ثم تسعى لفرض ذلك على الآخرين، إما بالأوامر المباشرة والدعاوى العريضة، أو بالاختراق الفكري والتشكيك في ثوابت الآخرين.

ثالثا: أنواعه:

يتنوع الاختراق الفكري إلى أنواع:

١ـ اختراق محلي: وهو أيضا يتنوع إلى:

أ ـ (اختراق إسلامي – إسلامي).

بمعنى أن تتوجه حركة، أو اتجاه أو جماعة إسلامية بآلياتها وقدراتها لكي تشكك في ثوابت وأصول لاتجاه أو جماعة أو حركة إسلامية أخرى.. مع فرض رؤياها الاجتهادية، والمبالغة في تصحيح منظورها ومباركة خطواتها الحركية على حساب مبادئ وأسس وفكر الاتجاه الإسلامي الآخر.

ب ـ اختراق (علماني – إسلامي).

وهذا النوع من الاختراق يكمن في أن يسعى العلمانيون أو التنويريون كما يزعمون إلى تشويه صورة الآخر بالتشكيك في ثوابته وفرضياته.. والطعن في

رؤاه وقواعده وغاياته ووسائله ولا يكتفوا بذلك بل يسعوا لاختراق الفكر الإسلامي ومحاصرته في المنتديات ووسائل الإعلام، وتشويه رموزه وأقطابه، بل قد يسعى بعض العلمانيون إلى تجفيف منابع الإسلاميين، ومصادرة كتبهم، وتتبع عناصرهم، فيخرج بذلك الاختراق من مقارعة الحجة بالحجة، والفكرة بالفكرة إلى تصفية الأبدان واضطهاد الأشخاص.

٢ـ الاختراق الخارجي:

ويطلق عليه في الفكر الإسلامي اسم (الغزو الفكري) أو (الاستلاب الفكري) ويعد هو الأقوى والأخطر في مجال الاختراق الفكري ..!

وهو يتنوع ويتعدد إلى:

أ ـ غزو فكري وضعي: ونقصد بالغزو الفكري الوضعي، تلك المذاهب الوضعية كالعلمانية، والماركسية، والإلحاد، .. وغير هاتيك من الأفكار والمذاهب التي وضعها البشر.

ب ـ غزو فكري ديني: وهو الغزو الديني فنعني به ذلك الكيد اليهودي والمسيحي على وجه الخصوص .. وذلك لأنهما ديانتان سماويتان في الأصل، وإن أصابهما التحريف والتبديل بعد .. ولكلٍ مسالك وتشعبات، وآليات معنية في الغزو الفكري، وخاصة تلك الموجات التي عرفها العالم الإسلامي قبل منتصف القرن الماضي من:

١- موجات التبشير.
٢- موجات الاستشراق.
٣- موجات الاستعمار العسكري والفكري معا.

ويهمنا في هذا المقام أن نتحدث عن النوع الأول (أ) الاختراق المحلي ألا وهو ما سميناه (بالاختراق الإسلامي - الإسلامي).

ظاهرة الاختراق الإسلامي – الإسلامي:

سبق أن عرفنا في صدر الموضوع معنى الاختراق وأهدافه، وهذه التعاريف السابقة تنطبق على ما سميناه بـ (الاختراق الإسلامي – الإسلامي) في الأساس.. لأنه أصبح للأسف يمثل ظاهرة منتشرة بين الحركات والاتجاهات الإسلامية.. على مستوى الأفراد، وعلى مستوى التنظيمات بل والمؤسسات أيضا.

حتى أن بعض الاتجاهات الإسلامية المحترمة تصرف جهدا غير قليل من وقتها وطاقاتها في التربص بالاتجاهات الإسلامية الأخرى من غيرها .. نقدا، وتشكيكا، وطعنا .. وتتبعا للعثرات والزلات.!

أما على مستوى الأفراد فحدث ولا حرج.. لأنه أصبح ركيزة راسخة عند كثير من البارزين في الاتجاهات الأخرى فضلا عن أشبال الدعوة وشبابها منهم، بل أصبح البعض متخصصا ورمزا في نقد الاتجاهات الإسلامية الأخرى، كأنما هو موكل بها، وكأن هذه هي رسالته.!! التشكيك والنقد والطعن، وتتبع الزلات والعثرات .. والأدهى من ذلك أنه قد يُساعَدُ على ذلك من اتجاهه، أو جماعته، أو حزبه فيلقى التأييد منهم!!

موقفنا من تلك الظاهرة:

إننا نقف مذهولين أمام تلك الظاهرة الخطيرة من حيثيات عدة إسلامية وواقعية، وهذا ذكر لأهم تلك الحيثيات:

أولا: الحيثيات الدينية: قد علمنا أن الإسلام نهى عن الغيبة والنميمة وتتبع العورات والزلات والمثالب وتلك من مكارم أخلاق الإسلام بل ومن أوثق عراه.

حيث نهى الإسلام عن الغيبة صراحة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1] .

(١) الحجرات: ١٢.

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتات**»[(١)]، وقال أيضا: «**من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة**»[(٢)]، وقال أيضا: «**من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو كان في عقر داره**»[(٣)] أو كما قال ﷺ.

وهذا ما درج عليه الراشدون والأئمة المهديون من سلفنا الصالح- رضوان الله عليهم جميعا- من كف اللسان وكف الأذى وستر المسلمين والنصح بالتي هي أحسن.

ولله در الإمام الشافعي لما قال:

إذا شئت أن تحيا مصونا من الأذى ... وحظك موفور وعرضك صَيِّنُ

لسانك لا تذكر به عورة امرئ ... فكلك عورات وللناس ألسن

وعيناك إن أبدت إليك مساوئا ... فصنها وقل: يا عين للناس أعين

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى ... وخاصم ولكن بالتي هي أحسن

وعليه فإننا نرى أن ما سبق ذكره من الوشاية والطعن والهمز من المنهيات شرعا والمحرمات التي ينبغي أن يعف عنها عامة الناس فضلا عن خاصتهم من أصحاب الاتجاهات الإسلامية ورموز العمل الإسلامي ومؤسساته..

ثانيا: الحيثيات الواقعية:

وهذه الحيثيات تمليها ظروف الواقع وتشهد بها وهي تكمن في:

١-اجتماع الأحزاب جميعا على ضرب الحركة الإسلامية محليا وعالميا...

وهذا الاجتماع الآثم ظاهر للعيان في كل المحافل الدولية والعالمية بل والقطرية والإقليمية.. فالإسلام في بؤرة الاصطياد، وقادة الغرب يقولون (دمروا الإسلام أبيدوا أهله) وناهيك عن مظاهر الطعن في الإسلام والإسلاميين.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (٥٧٠٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).
(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٣٢).

وهذا يدعو للتكاتف والتعاضد على مواجهة ذلك العدو المشترك.

٢- تراجع دور الحركة الإسلامية نسبيا في العقد الأخير مما يدعونا لمراجعة أنفسنا ومواقفنا وأن نتساند في إسداء النصح والتذكير والمراجعة بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ (١) .

٣-التأكيد على حقيقة أنه لن يقوم بالإسلام كله فصيل واحد، ولن تنهض بكافة أعبائه مطلقا حركة واحدة، وإن تفاوتت الحركات في مساحة الممارسة العملية للإسلام.

وعلى ذلك فإننا نعلن عن منهجنا مع الآخرين بأنهم إخواننا، وهم على ثغر من ثغور الدعوة ونحن على ثغر منها، فكل يعمل في ثغره ويجد فيما بين يديه، (ولنتعاون فيما اتفقنا عليه وليعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه) .

٤-الاعتراف بحقيقة سعة مجالات الدعوة وتنوع ميادينها وتعدد أساليبها.. مع الالتزام بأصولها الرئيسة في الاستمداد والإخلاص واعتماد البصيرة ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ (٢)، والتزام روح الحكمة والموعظة الحسنة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ (٣)، واتخاذ الجدال -عند الضرورة- بالتي هي أحسن ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ (٤)، مع الارتقاء إلى مقام الإحسان والعفو ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ (٥)، وقال سبحانه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (٦) .

٥-الاعتراف بقصورنا جميعا حركات ومؤسسات واتجاهات .. إذ لا نزال

(١) العصر :٣ .
(٢) يوسف : ١٠٨ .
(٣) النحل : ١٢٥ .
(٤) النحل : ١٢٥.
(٥) المؤمنون : ٩٦ .
(٦) الشورى : ٤٠ .

نرسف في عوالم الأوهام والتخيلات والطموح دون أن نبذل من الجهد ما تستقضيه التبعة والأمانة العظمى في الدعوة إلى الله.

وإلا لما كان هذا حالنا .. وإلا لرزقنا التمكين في الأرض ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (١).

وأخيرا فإنني أدعو كافة الاتجاهات الإسلامية للتناصح والتشاور دون تجريح، ولا تحقير، ولا إغماض لحقوق الآخرين ..وحبذا أن تؤلف الكتب في المراجعات والمناصحات مع طرح البديل العملي والواقعي الصحيح، مع التزام حق الغير من ستره والإحسان في وعظه، ولله در الشافعي لما قال:

تعمدني النصيحة بانفراد وجنبني النصيحة في الجماعه

فإن النصح بين الناس شيء من التوبيخ لا أرضى استماعه

وفي الختام جدير بي أن أنوه بالعاصم من شرور القواصم سواء كانت قواصم فكرية من الشبهات أو قواصم مادية من الشهوات ألا وهي التربية؛ إنها الحرز الأمين والأساس المتين الذي يعصم شبابنا وأبناءنا وذوينا، ومن ثم أمتنا عن كل غزو فكري واستلاب ذهني.. نعم إنها التربية بمعناها الواسع ومفهومها الواعي سواء كانت فردية أو مؤسسية .

وقبل البدء في العلاج التربوي ينبغي الوقوف على النقاط الآتية حتى **تتكشف لنا أركان تلك القضية التربوية وهذه النقاط كالتالي:**

أولا: ضرورة التربية مطلقا:

نعم التربية ضرورية مطلقا على مستوى القادة فمن دونهم، لأنه بالتربية

---

(١) النور : ٥٥ .

وحدها.. يتورث المنهج ويتصل السند الفكري والروحي في العمل الإسلامي، ولذلك كان أول ما ابتدأ به رسول الله ﷺ في مكة هو التربية وما ذلك إلا لجلالتها وعظم أثرها.

ثانيا: أنواع التربية :

لأن إسلامنا دين أخلاقي في المقام الأول على ما صرح به رسول الله محمد «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1]، فإن البعد التربوي الأخلاقي يرتبط بكل عناصر الإسلام ولذلك يمكن تعديد أنواع التربية إلى:

١- تربية عقدية:

وهذه تربية للضمير الخلقي، وتطهير الوجدان القلبي، والفكر العقلي عن أدران الوثنية ولوث الشرك، والرقي بها جميعا في نظم توحيد الله وتنزيهه وإفراده الكامل بالعبادة، والالتجاء والطاعة بما يتحقق معه توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

٢- تربية شرعية:

وتلك لعمري ميزة من مزايا التشريع الإسلامي عن التشريع الوضعي، حيث إنه متشبع بروح الأخلاق وملتزما بغرسها وحمايتها في كل ربوع الحياة، ولا يخفى ما لهذا من الأثر العظيم في التزام الناس وامتثالهم للأحكام والتشريعات الإلهية، حيث أوجدت القيم الأخلاقية وازعا قويا في دفعهم لاحترام تلك التشريعات، وتقبلها دون النفور منها، أو التحايل عليها.

٣- تربية أخلاقية:

وهي تلك التربية الإسلامية القائمة على التحلي والتخلي، حيث التحلي بالفضائل جمعاء، والتخلي عن الرذائل جمعاء، وقد تميزت شريعتنا الغراء بإيجاد

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٨١)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١٩١)، والحاكم في المستدرك(٤٢٢١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥).

أحكام مثالية معيارية ثابتة لا تتغير بتغير الزمان ولا المكان على شاكلة الأخلاق الوضعية الغربية، وإنما هي أخلاق ربانية ثابتة تكفل للنفس تزكيتها وتطهر الروح وترفع مكانتها، وهي ميسورة وعملية، بحيث تتهيأ لها النفوس وتستقبلها عن رضا ورغبة راجية المثوبة من الله والنجاة من عقابه .. وجماع هذه التربية الأخلاقية في اتباع سلوك النبي المعصوم محمد ﷺ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [1].

التربية الفردية والجماعية والمؤسسية:

أولا: التربية الفردية:

هي تلك التربية التي يلتزمها المربي مع أحد تلامذته أو بنيه أو ذويه .. وفيها يتابع المربي من هو تحت يده ويلازمه بالتذكير والإفهام والوعظ، وأبلغ آثار هذه التربية هو في امتثال التلميذ لسلوك مربيه، ومن ثم يلزم على المربي أن يعي تلك الحقيقة بأنه لا يستقيم الظل والعود أعوج، وصدق الشاعر في قوله:

لا تصلح الناس وأنت فاسد هيهات ما أبعد ما تكابد

ومن هنا فإنه ينبغي على المربي أن يكون قدوة ومثالا حيا لمن يربيه؛ لأن ملاحظة السلوك هي ذات الأثر البليغ في التأثير في المتربي.

وأهمية هذه التربية أنها تمثل المرحلة الأولى لأية دعوة، وفيها تنتشئ الكوادر الدعوية ويستتم البناء القاعدي لمن سيخرج حاملا لواء الدعوة وقيادها من شباب وأشبال الدعوة، الذين هم أمل الغد، وعدة المستقبل الدعوي.

ثانيا: التربية الجماعية :

وهي تلك التربية الجماعية التي ينتظم في سلكها أكثر من فرد واحد، مع اختلاف الميول الفكرية والأطباع والأمزجة، وهنا ينبغي أن تكون المادة التربوية موجهة وهادفة وفيها بعد فكري واضح في إعدادها وصياغتها حتى

(١) الأحزاب : ٢١ .

تبلغ الهدف المرجو منها، وهي مرحلة تالية للتربية الفردية .. وطالما يخرج منها المنتظمون فيها ذوي أفكار وثابة، وأصحاب روح عمل جماعية عالية، وهذا مطلوب جدّ الطلب في ركب الدعوة إلى الله ..

ولأن الإسلام يخاطب الجموع ويقود الأفراد والشعوب والأمم والأجناس جميعا ويتسع لكافة الأطباع ومختلف البيئات -لأنه خاتم الأديان وهو الباقي إلى يوم الدين- فإن عوامل السعة والمرونة والتنوع والتعدد تتسع وتتمدد بحسب أصول عقدية ثابتة، وتمثل الركيزة والمنطلق لحيويته وديمومته.

ثالثا: التربية المؤسسية:

ويقصد بها تلك التربية الممنهجة المبرمجة التي تقودها مؤسسة ما .. سواء كانت مؤسسة إسلامية أو حكومية أو أهلية عامة ..

وأهم ركائز هذه التربية أن يوجد منهج تربوي وبرنامج عملي مؤصل تقوم عليه جهة (مؤسسية)، وهذا النوع من التربية ليس بجديد كل الجدة على الأمة، لأنه امتداد لتلك المؤسسات التربوية العتيقة في الإسلام والتي قادت الجموع الإسلامية نحو الوعي الإسلامي والإشباع الفكري بقيم وروح الإسلام الاجتماعية والفكرية والسياسية ..

ويأتي على رأسها مؤسسة المسجد والأربطة والزوايا والمدارس والمعاهد العلمية والمؤسسات الوقفية، وقد خرجت الكثيرين ممن حملوا مشاعل العلم والهدى، وينبغي علينا الإفادة من التنظيمات المؤسسية الحديثة وابتناء المناهج التربوية الفاعلة، وبثها في تلك المؤسسات، وأخذ الأمور بحزم وجد .. لأن الأمة تتهاوى أخلاقيا وتتناقض عراها التربوية وأصولها القيمية الإسلامية تحت رزح الغزو التربوي الغربي من قيم وتقاليد دخيلة .. وتحت وطأة المغريات والماديات التي جففت كثيرا من ينابيع الأصول والقيم الإسلامية الرفيعة ..

ثم إن هذا النوع من التربية يعد فرض كفاية على الجميع وفرض عين على المقتدرين على قياد زمام التربية المؤسسية لتوعية الأمة بمختلف شرائحها وطبقاتها الاجتماعية، فهكذا كان النبي ﷺ يبعث السفراء كمربين وينشئ المساجد ويعقد الألوية ويبثها في كل البقاع حوله لينشر الوعي الإسلامي ويبشر بقيمه الأخلاقية الراقية.

فعلينا أن نَجد في الأخذ بصيغة التربية المؤسسية المتأنية لإشاعة ونشر وإفشاء الوعي التربوي الإسلامي العام، ولإحسار المد العلماني والغربي في ألفية العولمة هذه.



٣٠ الصدق في الخطاب الدعوي

أهمية الصدق ومنزلته:

الصدق قيمة أخلاقية واجتماعية عليا، قيمة في ذاتها وقيمة في مؤداها، فعن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا**»(١).

فالصدق من دلائل الإسلام وعمق الإيمان، ولا يصبر عليه إلا من كان يرجو الله واليوم الآخر.

والصدق من صفات المرسلين، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾(٢)، ولعظم مكانة الصدق وسمو معانيه نسبه الباري- عز وجل- لنفسه في العديد من الآيات البينات في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾(٣)، وكذلك: ﴿ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾(٤)، وأيضا: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ ﴾(٥)، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾(٦).

أما على مستوى رسالة الإسلام، فقد تحلى رسول الله ﷺ بالصدق منذ ما قبل الرسالة، فكان يعرف بالصادق الأمين، وعلى هذا رباه الله- سبحانه وتعالى- ليكون نبراسا للبشرية وقدوة للمؤمنين، ولقد شهد له المشركون بذلك قبل الرسالة، لكنهم تحولوا بعد دعوتهم للإسلام استكبارا منهم

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).
(٢) يس: ٥٢.
(٣) آل عمران: ٩٥.
(٤) الأحزاب: ٢٢.
(٥) الأنبياء: ٩.
(٦) النساء: ٨٧.

واستعلاء، يروي الطبري أنه لما نزلت آية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد على الصفا، فهتف: «**يا صباحاه**»! فقالوا: من هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمد، فقال: «**يا بني فلان، يا بني عبدالمطلب، يا بني عبد مناف**».. فاجتمعوا إليه، فقال: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل، أكنتم مصدقي؟**» قالوا: ما جربنا عليك كذبا[2].

لقد كان رسول الله ﷺ في كل أقواله وأعماله صادقا داعيا للصدق لما فيه من سلامة ونظافة للنفس وللمجتمع، فالمجتمع الإسلامي مجتمع متعاضد مرصوص مؤسس على الإيمان والأخوة .. والصدق مدعاة للأخوة ورابط من روابطها، وطمأنينة للمجتمع ونمو صحيح لعلائقه، قال رسول الله ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة**»[3]، ولقد أمر الله تعالى المؤمنين بالصدق ودعاهم إليه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[4]، وبين لهم ما أعد للصادقين وللصادقات منهم تشجيعا ودفعا إيمانيا لمزيد من الصدق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[5].

هذا المعيار الإسلامي للصدق هو من الثوابت الإسلامية التي لا تتغير ولا تتبدل مع تغير الظروف وتطور الحياة، وإذا كان الصدق مطلوبا في حياة وسلوك المسلم بكافة أبعادهما، فإن ذلك يمتد في حياته الخاصة والعامة،

(١) الشعراء : ٢١٤ .
(٢) ابن جرير الطبري – تاريخ الطبري (٢/ ٣١٩) – دار المعارف – مصر .
(٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٨) ، وصححه الألباني.
(٤) التوبة : ١١٩ .
(٥) الأحزاب : ٣٥ .

وينطبق على الأفراد والجماعات .. وإذا كان الرعيل الأول حريصا على تحري الصدق فما بال الرعيل الحالي في تحري الصدق في خطابه الدعوي العام للمجتمع، وفي خطابه الدعوي التنظيمي الخاص في الجماعة، وفي علاقته الخالصة مع الله سبحانه وتعالى؟

الصدق مكابدة:

الحركة الإسلامية بلا شك تحمل مشروعا إسلاميا شاملا متكاملا، منطلقة من خلال خطابها الدعوي الذي عم أرجاء المعمورة بين مد وجزر، وعلى الرغم من كل الصعوبات والتضييق على الحركة بقي خطابها الدعوي محط احترام القريب والبعيد، وأنتج هذا الخطاب بصدق أبنائه وتضحياتهم صحوة إسلامية مباركة غيرت ملامح المجتمع الإسلامي بأسره بعد انقطاع وبعد عن الإسلام، إلا أن ذلك لم يمنع الأبواق المتعددة المتضررة من دعوة الإسلام، أن تكيل التهم والإشاعات وتلفق الأقاويل على أبناء الحركة الإسلامية، وهذا قدر المؤمنين شبيها لسير الأنبياء والرسل، وهذا هو رسول الله الأكرم محمد ﷺ الذي عرف في قومه بالصادق الأمين افتروا عليه بعدها بالشاعر والكذاب والمجنون..

استمر الخطاب الدعوي، شفافا صادقا، ولكن هذه المسيرة لم تمنع من وجود بعض الضعفاء الذين سقطوا بسوء خلقهم، وبشعب النفاق التي تغلغلت إلى نفوسهم، وهذه سنة الحياة، يميز الله تعالى الخبيث من الطيب، فالصدق ليس بالتمني بل بالمغالبة والمكابدة، ويكون في القصد والقول والعمل، القصد في كمال العزيمة وقوة الإرادة على السير إلى الله.. وصدق القول يكون بنطق اللسان بالحق والصواب فلا ينطق بالباطل أي باطل كان، ويكون الصدق في الأعمال بأن تكون وفق المناهج الشرعية والمتابعة لرسول الله ﷺ[1]، وحيث أن الإنسان خطاء بطبعه، فإن انحرافه عن الصدق لغاية في نفسه أو لكسب سريع بتوقعه،

---

(١) عبدالكريم زيدان – أصول الدعوة – مكتبة المنار الإسلامية – بغداد (١٩٨١) (٣٣٤).

يحصل في الكثير من الأحيان ويلتزم بشكل دائم مع ضعف الإيمان.

والإنسان بخير ما دام يحس بخطئه، ثم يعمل على تصحيحه .. أما دعاة الإسلام فينبغي أن يكونوا أشد الناس حرصا على معرفة عيوبهم .. والوسائل التي يمكن بها التعرف على العيوب الكثيرة أهمها: مجالسة العلماء العاملين والدعاة الصالحين ومصارحتهم وطلب النصح منهم، واتخاذ أخ متدين تقي صادق ليكون رقيبا عليه، وأن يتعرف الشخص على عيوبه من عيوب الناس، فكل ما رآه قبيحا مذموما عندهم فليجتنبه(١).

توسع الحركة الإسلامية:

ومع انفتاح الحركة الإسلامية على الجماهير، وتوسع إطار عملها ونشاطها تنوعت خطاباتها الدعوية والسياسية بما تمليه المناسبات والظروف، هذا التوسع كان في الغالب على حساب الخطاب الدعوي الداخلي التنظيمي.

أمام هذا الواقع الجديد وجدت الحركة نفسها تجاه عدة أشكال من الخطابات تختلف في المضمون باختلاف الأشخاص والشرائح الموجهة إليها، من هنا صرنا نشهد منذ فترة الثمانينات تحولات هامة في الخطاب السياسي، على مستوى المفاهيم السياسية وعلى مستوى العلاقات مع الآخرين وعلى مستوى المطالب.. وكانت تحكم تلك الخطابات بالظروف الآنية المحيطة بها .. وهذا ما قد يتراءى للبعض بأنه انحراف عن المنهج وخروج من دائرة الصدق والمصداقية.. إلا أن المتتبع للموضوع بدقة وتجرد يرى أن الحركة الإسلامية ما تزال متمسكة بثوابتها السياسية والدعوية ولم يخرج خطابها عن هذا الإطار، إنه التبديل والتجديد كان وما يزال يحصل في الفتاوى الاجتهادية التي يمكن أن تتبدل من زمن إلى زمن، ومن قطر إلى قطر.

أما فيما يتعلق بالخطاب السياسي، فقد شهد تغييرات أكثر من الخطاب

---

(١) فتحي يكن- مشكلات الدعوة والداعية- مؤسسة الرسالة- بيروت (١٩٨٨) ط٠ (١٨٤-١٨٧).

الدعوي، والحركة بشكل عام لم تتمرس في الخطاب السياسي كما تمرست بالخطاب الدعوي، من هنا نرى في كثير من الأحيان تداخل الخطابين معا، وعدم وضوحهما، أو منافاتهما للموضوعية والعقلانية، حيث يحويان على الكثير من المبالغة كسائر الخطابات السياسية الحزبية.

إن انطلاقة الحركة الإسلامية للعمل العام بشكل واسع، ودخولها في أجهزة الدولة على مستوى المشاركة في السلطتين التشريعية والتنفيذية، دفع ببعض قيادييها إلى عدوى الحزبية التي تفتش على منصب ومركز، وتناور من أجل ذلك، وقد يؤدي بها الأمر إلى التحول عن خط الصدق الذي لا يعتبر جزءا من عقيدتها ودعوتها، إن الحركة الإسلامية تأثرت إلى حد ما بالجو الحزبي الذي تعيشه البلاد العربية.. حتى كادت تتلوث طبيعة العمل الإسلامي وأساليبه بالروح الحزبية الضيقة التي لا تتفق بحال ونزعة الانفتاح والإنسانية في الإسلام.. إن للإسلام طبائع خاصة مميزة في عقيدته -ومبادئه- وأساليبه، وأهدافه -وغاياته- كما أن له مقاييس ثابتة ليس للظروف والأحداث المتحركة من السلطان عليها أو تأثير فيها.

ومن تلك المقاييس الثابتة موضوع الصدق الذي إذا ما ابتعد عن الخطاب الدعوي والسياسي للحركة الإسلامية ابتعدت هذه الحركة عن الإسلام، وكما أشرنا فقد يختلف الخطاب الدعوي عن الخطاب السياسي في فترات التحول وقد يضمحل هذا الخطاب أو يكبر إلا أن المصداقية فيه يجب أن تبقى وتستمر، فالمسلمون صادقون لا يبيعون وعودا ولا يستغلون حاجات الناس ومتطلباتهم فيغرونهم بالوعود ثم ينكثونها، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [1] إنه الصدق حتى النهاية، الصدق في الكلمة، الصدق في النية، الصدق في الجهاد، الصدق في

(١) الأحزاب: ٢٣.

الشهادة، تلك هي صفة المؤمنين في رسول الله ﷺ وصحبه، ومن سار على دربه بإحسان إلى يوم الدين.

والصدق في العمل والقوى والمؤدى، يتطلب أيضا الصدق في النقل، فكم مشكلة حصلت وفرقت بين الإخوان جراء نقل مغلوط وكاذب للأحداث، وكم أدت عدم الأمانة في النقل إلى تخريب المجتمعات، إن كان في عهد النبوة والصحابة أم في عهدنا الحالي، إلا أن الإسلام تصدى لهذه الظاهرة الخطيرة التي يستغلها المنافقون لتخريب المجتمع وتصفيته من داخله وتحليل قيمه.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1]، يخاطب الباري- عز وجل- المؤمنين بأن لا يسمعوا لكل خبر، ولا يصدقوا كل إنسان، بل يتحققوا من الأمر، لكن المهم أن يلتزم المسلمون بهذا التوجيه، وأن لا تبنى الخطابات والمواقف على هكذا أنباء لا ندري صدقها من كذبها، وبخاصة مع تطور وسائل الإعلام والدعاية التي تستعمل الحرب النفسية لتحوير الحقائق وتسخر كل وسائل التكنولوجيا لذلك، فالعدو متربص والمنافقون لا يزالون يرتعون كما في عهد النبوة وعهد الصحابة، ولا نستطيع أن نواجه إلا بما أعطانا الله- سبحانه وتعالى- من تعاليم تضمنها القرآن الكريم نبراسا لنا وهديا.

ويبقى الأصل أن نحافظ على خصوصيتنا، وأن يعبر خطابنا عن مرادنا لا أن يكون ترددا لما يريده الآخرون، وأن لا ننزلق في الخطاب لمصالح شخصية زعامية يلوح شبحها من حين إلى آخر.

الالتزام بمبادئ الإسلام:

وإن كان ذلك الأمر معتمدا لدى الأحزاب غير الإسلامية، فإن خصوصية الحركة الإسلامية تفرض عليها التزاما إسلاميا بتطلعاتها وخطواتها وخطابها،

(١) الحجرات: ٦.

فإنه بسلامة الوسيلة وضمان مشروعيتها، وموافقتها لروح الإسلام، تتحقق صيانة العمل الإسلامي في كل انحراف.. وإذا كانت طبائع الحركات الحزبية، تعتمد -مثلا- الطرق الملتوية غير الكريمة في سبيل تحقيق أهدافها، وتستسيغ من أجل ذلك كل لون من ألوان الخداع والتضليل، فإن الحركة الإسلامية تأبى عليها عقيدتها هذا النوع من الوسائل.

ولا يقل أهمية عن صدق الخطاب الدعوي والسياسي الموجه إلى الجماهير صدق الخطاب الداخلي الموجه إلى القواعد؛ لأنه عندما تكون القواعد مبنية بناء سليما، الصدق من سماته، فإن ذلك يشكل لها قوة تنعكس على الخطاب الجماهيري والعكس بالعكس.

فقد يتسع الخطاب الدعوي والسياسي الموجه، ويشغل الجميع وتبذل فيه كل الطاقات، ولكن لا يرافقه خطاب تنظيمي على ذات المستوى للقواعد، فيصبح أبناء الحركة في غربة، فالخطاب الجماهيري يوجه للجماهير ولا يواكبونه تنظيميا، فهم لا يدرون ماذا يحصل، وهكذا يصبحون لقمة سائغة للشائعات والأقاويل التي تستبد بهم وتكون بمعظمها عارية عن الصدق والحقيقة، إضافة إلى ذلك يجب أن يحصل تجاوب وتوازن بين الخطاب الجماهيري والخطاب الداخلي، وأن يكون الصدق منطلقا للخطابين تجنبا لأي تناقض، فإنه وفي كثير من الأحيان وبسبب قلة المعلومات وندرة الاتصال بين المسؤولين والقاعدة تدخل أمور كثيرة من الظنون والأفكار والتخيلات والدعايات تحاول النيل من مصداقية الدعاة وخطابهم.

وهنا لا بد أن نحيي فينا وفي المجتمع تحري الصدق في الأقوال والتلقي عن الناس والذي يتحرى الصدق لا يسمح لنفسه بأن يلقى كلاما جزافا دون ترو ولا بصيرة، ولا يسمح لنفسه بأن يتبع ما ليس له به علم، فيحكم بالظنون التي ليس لها ما يؤيدها من الأدلة الكفيلة للإثبات والنفي، ولا يسمح لنفسه بأن

يرائي أو ينافق في أعماله؛ لأنه يحرص على الصدق ويتحرى بإرادته الجازمة الصدق في أقواله وأعماله.

إن الصدق دعامة أساسية للخلق الفاضل والمجتمع الفاضل، كما أن الصدق دعامة أساسية لنهضة المجتمع وتقدمه وتماسكه، فإن تحري الصدق في جميع المواقف يدفع عن المجتمع المسلم غائلة الظنون لتبقى الحقائق راسخة لا يغشاها ظن أو ريب، ما دامت عادة الصدق تسود سلوك أفراده.

ومن أولى من الحركة الإسلامية، لأن ما يبنى على الصدق يبقى بناؤه قويا، وما يبنى على الكذب يكون بناؤه هشا ومتداعيا.

والصدق يكون مع العدو والصديق، فلا يحل الكذب في التعامل اليومي (الاجتماعي والدعوي..)، ولا يحل خيانة الأمانة، والنكث بالعهد مع الصديق والعدو على السواء، وكم حري بنا أن نتعلم مسلك الصدق من رسول الله ﷺ مع أهل مكة الذين كادوا له وأخرجوه وأصحابه وهو يستعد للهجرة فأمر عليا رضي الله عنه أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس، ليس بمكة أحد عنده شيء يخشي عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته.

لقد جاهد رسول الله ﷺ صادقا أمينا حتى أتاه النصر والرضا من الله تبارك وتعالى، ونحن في هذه المرحلة من مراحل الأمة الإسلامية إنما نحتاج لأن نكرر تجربة رسول الله ﷺ بصدقه وجهاده وأمانته، متوسلين من الله – تعالى- أن يكتب لنا نصره، إنه نعم المولى ونعم النصير.



٣١ آداب الاختلاف

الحوار أحد الأساليب الشائعة في اللغة العربية، وهو يجمع كثيرا من السمات الفنية التي تنتج عن يقظة الوعي، وحضور الفكر، وسلامة الحجة، وقوة التعبير، وبلاغة التصوير، وغيرها من الخصائص الأسلوبية التي بها يثري الحوار، ويجذب الأذهان.

وقد استخدم القرآن الكريم أسلوب الحوار في مواقف متعددة، وذكر أدلة المخالفين وحججهم، ثم ردّ عليها وأزال الشُّبَه منها.

ونحن –المسلمين- لنا في أساليب الحوار القرآنية أسوة نتأسى بها عند اختلاف الآراء، وتنازع القضايا من غير إسفاف ولا تهجم، ولا اتهام لأشخاص أو هيئات، مع التزام الصدق وقبول الآراء المخالفة إن التزمت بالحق وقامت على الدليل.

ولا أدل على ذلك من اختلاف الصحابة- رضي الله عنهم- في الأمور الفقهية.

صور لاختلاف الصحابة مع بعضهم في الأمور الفقهية:

١- اختلافهم في بعض المسائل الفقهية: فأبو بكر ﷺ يرى سبى نساء المرتدين وعمر ﷺ لا يرى ذلك، وفي الأرض المفتوحة كان أبو بكر يرى قسمتها وكان عمر يرى وقفها ولم يقسمها عند خلافته، فرضي الله عنهم لم يفسد الخلاف في هذه المسائل الكبيرة الحب والود بينهم.

٢- بين عمر وعبدالله بن مسعود- رضي الله عنهما:

أ- قول الرجل لامرأته: (أنت علي حرام):

١- عمر بن الخطاب ﷺ يرى أنها طلقة واحدة.

٢- ابن مسعود ﷺ يرى أنها يمين.

ب- اختلافهم في رجل زنى بامرأة ثم تزوجها:

١- عمر ﷺ لا يرى أنهما زانيان ويُعتبر أوله سفاحا وآخره نكاحا.

٢- ابن مسعود ﷺ يرى أنهما لا يزالان زانيين ما اجتمعا.

قال ابن القيم في إعلام الموقعين: إن المسائل الفقهية التي خالف فيها ابن مسعود عمر -رضي الله عنهما- بلغت مائة مسألة.

واختلاف الآراء بين الناس أمر طبيعي إن لم تغب عن المختلفين حول هذا الشأن القاعدة المعروفة: (اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية)، ولو أن مثل هذا الأمر وردت فيه نصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة، لما كان هناك اختلاف. ولكن النصوص الواردة ليست قطعية الدلالة على المنع أو الإيجاب، ولذا فإن فيها مجالا لاختلاف الآراء، دون أن نقول: إن هذا الرأي هو الصواب، وإن ذلك الرأي هو الخطأ، فتعدد وجهات النظر في المسائل غير القطعية أمر ورد كثيرا في كتب الفقه والأصول؛ إذ إن الأحكام الظنية هي مجال الاجتهاد سواء أكانت أحكاما لا نص فيها، أو فيها نص ظني الدلالة أو ظني الثبوت أو ظنيهما معا، ومذهب الإمام أحمد -وهو يقوم على تتبع الأثر- فيه روايات متعددة في المسألة الواحدة، وكتاب الإنصاف دليل على ذلك. وصدر الإسلام -في هذا الإطار- يتسع لاختلاف الآراء ولا يضيق عن الجهاد.

يسعنا ما وسع السابقين:

ومن الممكن أن تتناقض أو تضارب آراء الفقهاء والمفكرين بناء على فوارق كثيرة بينهم، بحيث يجيز بعضهم ما لا يجيزه الآخر، دون أن يكون لهذا التناقض أو الاختلاف أدنى أثر في الطعن على بعضهم بعضا أو إحداث أي خصومة بينهم أو غير ذلك مما يحدث الآن بين المختلفين، وينبغي أن يسعنا ما وسع السابقين الاختلاف، فقد اختلفوا في أهم الأمور التي يجب أن يعنى بها

المسلم وهي الصلاة.

فالإمام الشافعي بناء على فهمه للنصوص يقرر أن قراءة الفاتحة فرض في الصلاة، والإمام أبو حنيفة يقرر أن قراءة أي شيء من القرآن تكفي، وبقية الأئمة لهم آراء مختلفة في هذه المسألة، وكذلك اختلفوا في وجوب القراءة خلف الإمام أو عدم وجوبها، وغير ذلك مما اختلف فيه الأئمة دون أن يطعن أحدهم على الآخر، ودون أن يَزْوَرَّ المسلمون أجمعون عن رأي بعينه، وإنما الآراء معروضة أمام الجميع، مستندة إلى النصوص التي استمدت منها، والناس أحرار في اختيارهم للرأي الذي يجدونه أقرب إلى الحق وأدنى إلى القصد، دون أن يُخرج أي فريق منهم الآخر من إطار الحق إلى إطار الباطل، لأن مرونة الشريعة وسعتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان يمكن أن تنظر للشيء الواحد من وجوهه المختلفة، وحديث «**لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»[١] أصل في هذا الموضوع حيث أجاز النبي ﷺ رأي كل فريق من الفريقين، ولم يأمر فريقا بإعادة الصلاة أو ينبهه إلى خطأ وقع منه، مما يدل على سلامة تصرف الجميع.

فلم يكن الذين نظروا إلى مقاصد الحديث ومراميه مخطئين، ولم يكن الذين وقفوا عند ألفاظ الحديث مخطئين.

ولقد وضع الله على الحق معالم، وجعل على الصراط المستقيم منائر ولذلك كان الاستثناء ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[٢]، فهداية الله للحق متحققة ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾[٣]، فالنفوس إذا تجردت من أهوائها، وجدّت في تلمّس الحق، فإنها مهدية إليه، فأصول الدين وأمهات الفضائل، وأمهات الرذائل بينها الله بنصوص بينة لا تقبل تحريفا ولا تأويلا،

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠).
(٢) هود: ١١٨، ١١٩.
(٣) البقرة: ٢١٣.

وقد جعلها الله أم الكتاب، وما دون هذه الأصول فقد عذر الله الخلق إذا ما اختلفوا فيها ورفع الحرج عنهم، بل جعل للمخطئ أجرا وللمصيب أجرين.

وما دام الأمر كذلك فإن اختلاف الفقهاء المعاصرين حول بعض الأمور المستجدة بين مانع رافض محرم، وبين مجيز لا يرى في ذلك بأسا، لا ينبغي أن يخرج عن حدود الخلاف الذي حدث بين السابقين الأولين في صلاة العصر في بني قريظة، طالما أن النصوص لم تحسم هذا الأمر حسما شافيا، بل تركت للناس أن يجتهدوا في ضوء المعطيات الواقعية والاجتماعية المختلفة بحسب الأحوال والظروف، وهذا ما سار عليه الفقهاء في غير الأمور القطعية الدلالة كأحكام المواريث والأعداد والمقدرات وغيرها.

وقد أردنا أن نذكر بهذا الأصل قبل أن نعرض لآداب الحوار.

ونذكر في إيجاز شديد بعض المصطلحات المستخدمة وهي:

أولا الحوار: هو المراجعة في الكلام.

ثانيا المجادلة: هي تبادل الأدلة والبراهين بين الأطراف دعما لما يراه كل منهما من فكر، وما يعتقده من رأي.

أصل الاستعمال للجدل: يستعمل لمن خاصم بما يُشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب وهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة فكل واحد من المتجادلين يحاول أن يُفتل صاحبه استعمل في مقابلة الأدلة لظهور أرجحها.

مراد الحوار والجدل في مصطلح الناس ومقاصده:

مناقشة بين طرفين أو أطراف يُقصد بها: (١) تصحيح كلام (٢) إظهار حجة (٣) إثبات حق (٤) دفع شبهة (٥) رد الفاسد من القول والرأي.

وهناك مقاصد فرعية منها:

(١) إيجاد حل وسط يُرضي الأطراف (٢) التعرف على وجهات النظر كتمهيد للحوار (٣) البحث والتنقيب من أجل الاستقصاء والاستقراء في

تنويع الرُّؤى والتصورات المتاحة من أجل الوصول إلى نتائج أفضل وأمكن.

ثالثا الاختلاف: أن ينهج كل شخص طريقا مغايرا للآخرين ومن استيضاح النصوص القرآنية المتحدثة عن الخلاف، والاختلاف يتبين أنه يراد به.

مطلق المغايرة في القول أو الرأي أو الحالة أو الهيئة:

فالاختلاف الظاهري دال على الاختلاف في الآراء والاتجاهات والأغراض قال تعالى: ﴿وَلَوْشَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [1].

قال الفخر الرازي: (والمراد اختلاف الناس والأديان والأخلاق والأفعال)ا.هـ. فالله –سبحانه– خلق الناس بمقتضى حكمته:

أ- كاسبين للعلم لا مُلهمين.

ب- عاملين بالاختيار لا مجبورين ولا مضطرين.

ت- متفاوتين في الاستعداد وفي كسب العلم.

استدراك:

أما قول الله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [2] في الآية فليس المراد أنه –سبحانه– خلق الناس ليختلفوا، وإنما الكلام للعاقبة والصيرورة أي أنهم حين يختلفون سيئولون إلى فريقين – فريق في الجنة وفريق في السعير.

قال محمد رشيد رضا في اختلاف الناس: إنهم (خُلقوا مستعدين للاختلاف والتفرق في علومهم وآرائهم ومشاعرهم، وما يتبع ذلك من إرادتهم واختيارهم في أعمالهم ومن ذلك الإيمان والطاعة والمعصية) .

أدب الحوار والاختلاف:

يقولون (الوقاية خير من العلاج) ومنع أسباب المرض أفضل من علاجه بعد أن يقع، ولذلك ورد في الحديث: «**المعدة بيت الداء، والحمية رأس**

(١) هود: ١١٨.

(٢) هود: ١١٩.

الدواء»[1] فحتى لا يقع الخلاف المذموم بين الناس لابد من مراعاة أصول الحديث والاستماع والأخذ والعطاء، كما أنه من الضروري معرفة ما يجوز وما لا يجوز فيه الخلاف، ووجود الحوار في الناس أمر لابد منه، وفوائده يحتاجها الداعية في طريقه كالمسافر لحديث رفيق السفر من أجل قطع الملل، ورفع الضجر، وتهوين البعد، قال سليمان بن عبدالملك بعد أن عدد عظيم نعم الله عليه وما هو فيه من ملك قال: وما أنا اليوم إلى شيء أحوج مني إلى جليس يضع عني مؤونة التحفظ، ويحدثني بما لا يمجه السمع، ويطرب إليه القلب، ولهذا الأمر سنتحدث عن الحمية التي مع وقوع الاختلاف في الحوار من خلال عدة محاور:

المحور الأول: اتباع أصول الحوار الصحيح

١- بدء الحديث والحوار بمواطن الاتفاق وذلك من أجل:

أ- أن يتحقق في الحوار الهدوء والاتزان وإصابة الهدف.

ب- فتح آفاق الاتفاق والتلاقي.

ت- الابتعاد عن تغير القلوب وتشويش الخواطر.

ث- التقليل من روح التحفز في الرد والتتبع للثغرات والزلات.

٢- سلوك الطرق العلمية في الحوار والتزامها:

أ- تقديم الأدلة المثبتة للدعوى.

ب- صحة النقل في الأمور المنقولة.

وبهاتين الطريقتين جاءت القاعدة: (إن كنت ناقلا فالصحة، وإن كنت مُدّعيًا فالدليل) .

---

(١) أروده الغزالي في الإحياء مرفوعا، وقال الحافظ العراقي في تخريجه: لم أجد له أصلا، وأقره الحافظ السخاوي في المقاصد الحسنة (١٠٣٥)، وقال ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ٩٧): (هو من كلام الحارث بن كلدة طبيب العرب) .

٣- قبل البدء بالحوار لابد من الاتفاق على المسلمات العقلية والدينية:

فقبل البدء بالحوار لابد من التأكد من أن المسلمات العقلية ثابتة نحو حُسن الصدق، قُبح الكذب، شكر المُحسن، معاقبة المذنب، وكذلك الاتفاق على المسلمات الدينية، الإيمان بربوبية الله وعبوديته اتصاف الله بصفات الكمال، وجوب الحكم بما أنزل الله، وجوب حجاب المرأة، حرمة الزنا والخمر والربا، فالحجاج للمرأة أمر محسوم بجملة نصوص منها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾[1]، فأصل الحجاب ليس محلا للاجتهاد، وقد يسوغ النقاش في فرعيات الحجاب كمسألة كشف الوجه والكفين.

٤- التجرد وقصد الحق والبعد عن التعصب في الحوار:

قال الإمام الغزالي أبو حامد: (التعاون على طلب الحق من الدين، ولكن له شروط وعلامات، منها أن يكون في طلب الحق كناشد ضالّة، لا يُفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد مُعانه، ويرى رفيقه معينا لا خصما، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهره له) .

٥- وضوح قطعية النتائج ونسبيتها عند المتحاورين:

من المقرر أن الرأي الفكري نسبي الدلالة على الصواب أو الخطأ، والذين لا يجوز عليهم الخطأ هم الأنبياء عليهم السلام فيما يُبلغون عن ربهم سبحانه، وما عدا ذلك فيندرج تحت المقولة المشهورة: (رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي الآخر خطأ.. يحتمل الصواب)، ولذلك فإنه ليس من شرط الحوار الناجح أن ينتهي أحد الطرفين إلى قول آخر، يقول ابن قدامة في المغني: (وكان بعضهم يعذب كل من خالفه في المسائل الاجتهادية، ولا يكلفه أن يوافقه فهمه) .

٦- الرضا والقبول بالنتائج التي يتوصل إليها المتحاورون والالتزام الجاد بها، وبما يترتب عليها، قال الإمام الشافعي ﷺ: (ما ناظرت أحدا فقبل مني

(١) الأحزاب: ٥٩.

الحجة إلا عظم في عيني).

الأخذ بأصول الحوار:

١- الابتعاد عن الغلظة في الخطاب، ففي الحديث: «**إن الله يُحب الرفق في الأمر كله**»[1].

والغلظة في القرآن لم تأت إلا في موضعين:

أ- في قلب المعركة ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [2].

ب- في تنفيذ العقوبات الشرعية على مستحقيها وتضييق الحدود ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [3].

٢- الابتعاد عن سوء الظن بالآخرين والنظر إليهم من خلال منظار أسود، يخفي حسناتهم، ويضخم سيئاتهم.

٣- معرفة مراتب الأحكام الشرعية، وأنها ليست في درجة واحدة من حيث ثبوتها وبالتالي من حيث جواز الاختلاف فيها.

الأخذ في الاعتبار طبيعة الفروق الفردية بين البشر:

مما لا شك فيه أن مستويات فهم الناس للكلام تتفاوت، مع تساويهم من حيث الجملة أمام الرؤية بالعين المجردة، قال ابن الجوزي: (ما أكثر تفاوت الناس في الفهوم، حتى العلماء يتفاوتون التفاوت الكثير في الأصول والفروع، لذلك لابد من مخاطبة الناس على قدر أفهامهم)، قال ابن مسعود: (ما من رجل يُحدث قوما حديثا لا تدركه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم) .

التسليم في الحوار ببشرية الناس في كونهم خطائين:

ومثال ذلك كثير فعلى سبيل ذلك ابن حزم على ما عنده من فضل ومن علم، ولكنه فضل نساء النبي ﷺ على العشرة المبشرين، فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (وبالجملة فهذا قول شاذ لم يسبقه إليه أحد من السلف)

(١) أخرجه البخاري (٦٠٢٤) ، ومسلم (٢١٦٥) عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) التوبة : ١٢٣ .

(٣) النور : ٢ .

وهذا ليبقى الناس في بشريتهم قال ابن القيم رحمه الله: إن العالم قد يزل ولا بد إذ ليس بمعصوم فلا يجوز قبول كل ما يقوله وينزل قوله منزلة المعصوم.

المحور الثاني: الالتزام بأخلاقيات الحوار

١- التزام القول الحسن وتجنب منهج التحدي والإفحام:

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2] وقال تعالى في بيان أرقى صور الحوار: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[3]، وذلك لأن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف.

وقد تُفحم الخصم ولكنك لا تقنعه، وقد تسكته بحجة ولكنك لا تكسب تسليمه وإذعانه؛ ولذلك لا بد من الابتعاد عن:

أ- إغلاظ القول.

ب- رفع الصوت أكثر من الاحتياج.

حسن الاستماع:

قال الحسن لابنه: (يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وإن طال حتى يمسك)، وبين ابن المقفع أشكال ومظاهر حسن الاستماع بأنها:

أ- إمهال المتكلم حتى ينتهي.

ب- الإقبال بالوجه على المتكلم والنظر إليه.

ت- الوعي لما يقول.

تقدير الخصم واحترامه:

فيخاطب بالعبارات اللائقة والمستحبة، وأن لا يظن أن الحق لا يغار عليه ولا يحبه ولا يدافع عنه ولا يتبناه إلا هو، وأن ينتبه وهو في دائرة الحوار من

(١) الإسراء: ٥٣.
(٢) النحل: ١٢٥.
(٣) سباء: ٢٤.

حظوظ النفس.

الابتعاد عن العجب:

قال ابن القيم- رحمه الله- في المدارج: (أنك إن تبيت وتصبح نادما، خير من أن تبيت قائما وتصبح معجبا).

التجمل بالصبر والرفق:

فلابد للمحاور من طلاقة الوجه، والتبسم دون تكلفة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض ما يعين على حسن الخلق: (لابد من هذه الثلاثة: العلم، والرفق، والصبر) العلم قبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرفق معه، والصبر بعده.

ومن مظاهر الرفق في الحوار:

من المقرر: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[1] ومظاهر الرفق كثيرة منها:

١- التمهيد للأمر بالحسنى.

٢- اجتناب الألفاظ القاسية والعبارات الجافة.

٣- المناداة بأحب الأسماء.

٤- الابتعاد عن التعبير.

٥- الابتداء بالتلميح دون التصريح.

مثال الرفق:

تأمل امتثال موسى لما أُمر به كيف قال لفرعون: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾[2]، فأخرج الكلام معه مخرج السؤال والعرض لا مخرج الأمر، وقال: ﴿إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ ولم يقل إلى أن أُزكيك، فنسب الفعل إليه هو، وذكر لفظ التزكي دون غيره لما فيه من البركة والخير والنماء، ثم قال: ﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أكون كالدليل بين يدك الذي يسير أمامك، وقال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ استدعاء لإيمانه

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٤).

(٢) النازعات: ١٨، ١٩.

بربه الذي خلقه ورزقه، ورباه بنعمه صغيرا ويافعا وكبيرا.

وعلى المحاور أن يعرف، أنه ليس المقصود إقامة الحجة على الناس وإنما دعوتهم للخير ونهيهم عن الشر امتثالا لأمر الله والكلمة قد لا تؤتى ثمارها في وقتها، ولكنها تؤتى بعد حين.

الابتعاد عن التطرف بالرأي في الحوار:

أ- التعصب للرأي تعصبا لا يعترف للآخرين بوجود.

ب- اتهام من يخالفه في الرأي بالجهل واتباع الهوى كأنما جعل نفسه نبيا معصوما، ومن قوله وحيا يوحى، وهذا العنصر يجيز لنفسه أن يجتهد في أعوص المسائل، ولكنه لا يجيز لعلماء العصر المتخصصين أن يجتهدوا في رأي يخالف ما ذهب إليه.

ت- إرهاب المقابل لا بالعصا بل بالاتهام بالبدع والاستهتار بالدين.

الحوار الهادئ وإعطاء الناس مكانتهم سبيل لكسبهم:

إننا نرى ذلك في قصة حصين الخزاعي والد عمران حين جاء وفد قريش فدخل على النبي ﷺ، فلما رآه النبي ﷺ قال: «**أوسعوا للشيخ**»، فقال حصين: ما هذا الذي بلغنا عنك إنك تشتم آلهتنا، فقال ﷺ: «**يا حصين كم تعبد من إله؟**» قال: سبعا في الأرض وواحدا في السماء، فقال: «**فإذا أصابك الضر فمن تدعو؟**» قال: الذي في السماء، قال: «**فإذا هلك المال فمن تدعو؟**» قال: الذي في السماء، قال: «**فيستجيب لك وحده وتُشرك معه؟ يا حصين أسلم تسلم**»، فأسلم فقام إليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه، فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله ﷺ : «**شيعوه إلى منزله**»(1).

استخدام التلميح والتعريض:

التعريض والتلميح من صور القول الحسن، ولذلك كان الغالب في سنة النبي ﷺ في الخطاب «**ما بال أقوام يفعلون كذا ويقولون كذا**».

(1) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣)، وضعفه الألباني.

المحور الثالث: وحدة الصف ونبذ الخلاف المذموم

إن الإسلام ما أكد على شيء مثل تأكيده على الإيمان والأخوة، أو بعبارة أخرى تأكيده على (كلمة التوحيد) (وتوحيد الكلمة) قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ﴾(١)، والخلاف عندما يفقد أخلاقياته يسقط المجتمع فريسة سهلة للتآكل الداخلي، والتنازع والتناحر الذي أورثنا معيشة ضنكا وذهاب الريح، قال تعالى: ﴿تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾(٢).

والخلاف منه ما هو مرفوض وما هو مقبول، وسلف هذه الأمة اختلفوا لكنهم لم يتفرقوا؛ لأن وحدة القلوب والغايات والأهداف كانت أكبر من أن ينال منها شيء، والاختلاف حين لا يتجاوز حدوده، وحين يلتزم الناس بآدابه يكون ظاهرة إيجابية لها آثار، منها:

١- التعرف على جميع الاحتمالات التي يمكن أن يكون الدليل أومأ إليها بوجه من وجوه الأدلة.

٢- الاختلاف الملتزم بالآداب يعتبر رياضة للأذهان وتلاقحا للآراء.

حالة الأمة في الأحقاب الأخيرة ومسألة الخلاف:

الأمة في الفترة الأخيرة من الدولة العثمانية إلى سقوط الخلافة إلى سيطرة ما يُسمى بالأنظمة الثورية عاشت في مجموعة إحباطات من خمول في العقيدة، وزعزعة في الإيمان والسلوك والاستقامة ومع هذا الواقع بدأت فئات كثيرة من أبناء الأمة تدرك الحقيقة الكبرى (أن آخر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح بها أولها) وظهر ما تم الاصطلاح عليه (بالصحوة الإسلامية) فبدأت المعركة مع هذه الصحوة في الداخل والخارج، وأخذت الصحوة تتعثر عند صخرة الخلاف المقيتة فعلى إطار المسائل الفقهية بدأ الصراع بين من ينتسب إلى

(١) الأنبياء: ٩٢.
(٢) الأنفال: ٤٦.

المذهبية ومن يدعو إلى اللامذهبية، وبدأت الاتهامات حتى وصلت إلى التفسيق والتبديع، وفي هذا الصراع كانت هناك غفلة عما يتعرض له الإسلام من هجمات خارجية شرسة، وعند التحقيق نرى أن الجميع يأخذ من الأئمة الكبار! فلماذا لا يلتزمون بآداب الاختلاف التي عاش في كنفها كرام الأئمة من السلف، ولعل ما نعيشه من اختلاف بعيد عن آداب الحوار يرجع إلى الجهل بالإسلام أو العلم الناقص به وهذا يستلزم أمورا منها:

١- أن شباب الدعوة لا بد أن يأخذوا بالأدوات التي يتعاملون بها من منبع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وكتب العلماء.

٢- التعامل مع الشريعة بالمقصد الذي جاءت به من إدخال السعادة على الناس في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1] وتحقيق المقاصد والكليات الخمس.

٣- إدراك أن من أهم واجبات المسلمين أن يدركوا أن أخوة الإسلام ووحدة صفوف المسلمين تأتي في أولويات العمل، كما أنه لابد من معرفة خطورة عدم الالتزام بآداب الحوار وسياج هذا كله مراقبة الله -سبحانه- في كل تصرف ولفظ.

---

(١) البقرة: ١٨٥.



٣٢

إلى متى توأد هذه الفتاة ؟!

ماذا أقول.. ومن أين أبتدي.. وقد دهانا ما يلجم اللسان، ويفطر الجنان .!!

لا توجد ظاهرة تصم الآذان وتصدع القلوب مثل هذه الظاهرة الفريدة والتي يراها ويشعر بها العدو قبل الصديق، ألا وهي مرحلة الذل والهوان التي تمر بها أمتنا وتتعرض له مجتمعاتنا وشعوبنا.

فقد أصبح تدنيس المقدسات عند أمتنا شيئاً لا تهتز له قلوب كثير منا وكأن الصمم أصابهم، والمقدسات ليست لهم، ومما يزيدنا غيظاً أنهم يسارعون إلى استنكار أي حادثة في أي بلد غربي، ويرسلون رسائل التعازي والتضامن والسلوان، ويعلنون الحزن والأسى، ويظهرون الغضب والاستنكار في حين لا تتحرك شعرة فيهم لانتهاك مقدساتهم، فهذا الحرم الإبراهيمي ومسجد بلال في مدينة الخليل يصبحان ما بين عشية وضحاها- في مرحلة الذل وهوان- تراثاً يهودياً لعصابة الإجرام والإرهاب العالمي، ويدخلان موسوعة الآثار الصهيونية التي لم تغلق بعد، ولن تغلق حتى تأتي على كل المقدسات الإسلامية في فلسطين بما فيها المسجد الأقصى الشريف.

ولكن ماذا فعلنا؟ ماذا صنعنا؟ ماذا قدمنا؟

تنديد، كلام، صياح وصراخ، عويل وضجيج، ثم تهدأ العاصفة، وتوأد القضية وينمحي أثرها.

بل ما زال الكثيرون من الذين يغترون بمعسول الكلام الأمريكي، فهم ما زالوا يصدقون، أو ربما يحاولون أن يجعلوا أنفسهم تصدق أن اليهود يمكن أن يصلوا إلى سلام مع الفلسطينيين أو أن أمريكا يمكن أن تضغط عليهم وهي التي لم تستطع أن تجعل اليهود يوقفون الاستيطان في الأراضي الفلسطينية

المحتلة مع العلم أن الاستيطان أمر مخالف لقوانينهم الدولية .

ولكن مع كل هذا مازال العرب ينشدون الصلح والمفاوضات والسلام مع اليهود .

أقول لهؤلاء : اسألوا أنفسكم ثم أجيبوها بصدق: هل يمكن أن يكون مع هؤلاء اليهود سلام ؟!

أما اختراق العدو لبلادنا فأصبح أمراً مكشوفاً- يدخل ويقتل أبناءنا وإخواننا ويجرم ويعربد ويزوِّر جوازات سفر، ثم لا تجد ممن نعدهم أصدقاء لنا ما يشير إشارة إلى التنديد بالجريمة، وإنما عتاب فقط وفي العلن فحسب على استخدام جوازات سفر تلك الدول (دون علمها) والله أعلم هل كانوا يعلمون أم لا؟!

أليس هذا وأدا لقضية فلسطين بل ووأدا للأمة وقضاياها ؟!

هذا الواقع المرير من جدار يغير ملامح فلسطين بأكملها، وحصار يجوع شعباً بأكمله، ومن خطط لجعل فلسطين المحتلة دولة يهودية خالصة، بل ومع هذا كله يجب على العرب والمسلمين الاعتراف بيهوديتها.

أليس هذا وأدا لقضية الأمة في فلسطين؟!

ومع كل هذا الذي يقوم به أعداؤنا ومع كل الطعنات والضربات والصفعات التي تتلقاها منهم ترى الإخوة في فلسطين قد انقسموا إلى حركات وأحزاب . فخلاف بين فتح من جهة وحماس والجهاد وغيرهم من جهة أخرى.هذا الخلاف الذي طال أمده وعظم أثره، والعدو الإسرائيلي ينظر ويضحك معجباً بالانتصار الذي حققه بالتفريق بين الإخوة والأشقاء.

وخلاف يقوم به البعض الآخر يريد إمارة إسلامية داخل غزة كما فعل عبد اللطيف موسى من قبل عندما أصبح يكفر حماساً وغيرها ويستبيح دماء المسلمين ويعلن دولة من داخل المسجد ونسي أن هناك عدواً لم يدع جريمة إلا

وارتكبها بحق شعبه وأمته هو أولى بتوجيه الحراب والسهام إليه.

هذا غير الانقسامات الأخرى التي لم نعلم بها.

وهذا كله إنما هو من سذاجة بعضنا بأن جعل إخوته في بلده أعداء له، ونسي هو وهم أعداءهم الحقيقيين من اليهود والصهاينة

أليس هذا وأداً للقضية وقتلاً لها من بعض أهلها وأبنائها؟!

هدية من العرب لليهود:

ثم يأتي العرب من بعد هذا كله ليقدموا هدية للصهاينة على ضمهم الحرم الإبراهيمي ومسجد بلال إلى تراثهم وعلى قتلهم المبحوح وعلى اختراقهم للبلاد العربية وارتكابهم ما يشاؤون من جرائم وفظائع .

قدموا لهم هدية وهي: أن يعودوا للمفاوضات غير المباشرة معهم. وهنا يتبادر إلى الأذهان أسئلة:

ماذا قدمت لهم المفاوضات المباشرة حتى تثمر لهم غير المباشرة؟

ماذا جنوا من تضييع الوقت بالمفاوضات إلا ذلاً وهواناً لهم وزيادة في الطغيان والاحتلال والقتل والجرائم من قبل اليهود؟

أليس جديراً بهم أن يتركوا الكلام والأقوال ويظهروا لعدوهم الأفعال؟

لماذا لم يدعوا إلى الجهاد، أم يخافون أن يوصفوا بالإرهاب، أم يخشون الناس أكثر من خشيتهم لله سبحانه وتعالى؟!

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [1].

ماذا ينفع القول والخطب جلل؟

جل الخطب، وعظم المصاب.. وانفض الأحباب.. وتولت الدنيا عن سادتها.. على حقارتها.. واستدار الزمان موليا.. وحل البلاء عادياً.

(١) التوبة : ١٣.

غير أني أعتذر إلى الله بهذه الكلمات.. وأبرأ إليه بتلك العبارات فأستذكر كتاب الله وأقول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ (١)

ولا تحول عن حال، ولا قوة على تحول إلا بالله..

وقد علمت وعلمتم، أن الإنشاء لا يفك القيد.. ولا يحرر الأرض، ولا يقيم المجد.. كما أن ضروب الكلام، لا تبدي ولا تجدي في إحياء موءود.. ولا في رد مسلوب.. وأن أفانين البلاغة لا تبلغ العلياء.. ولا تدفع الشقاء.. وأي بلاء.. وأي خطب أعظم وأفجع مما حل بنا.. حتى تحييه الكلمات.. وتبعثه العبارات.

ذل ما بعده ذل:

ولكن إلى متى سنبقى في الذل والهوان غائصين، وفي الغي مكبلين؟! أطفال المسلمين يقتلون، وأعراضهم تنتهك، وأراضيهم ومقدساتهم تسلب، يسفك دم المسلمين وكأن قطاً دُهِسَ على أحد الطرقات، لا أحد يحس بهم، ولا أحد يشعر بمعاناتهم ومشاعرهم فقط لأنهم مسلمون فالكلام والصراخ والعويل لن يُنقذنا فنحن بحاجة إلى أفعال لا أقوال:

ولله در القائل الصائل:

السيف أصدق أنباء من الكتب   في حدهِ الحدُّ بين الجد واللعب

الموءودة.. هل تعرفون قدرها وحقيقتها؟؟

أحبتي في الله:

لنتذكر تلك الموءودة إذا سُئلت.. بأي ذنب قتلت..؟!

ليت شعري أي موءودة هي.. وأي مسلوبة تلك.. التي جل مصابها.. وعظم خطبها..؟!

إنها ليست فتاةً وضاءة.. أو غادة حسناء.. يحزن لوأدها ذووها، وينتحب

---

(١) البقرة: ١٥٦ .

لمصابها أهلوها؟!

إنها ليست امرأة حصينة..ولا زوجة رزينة.. ضاع بوأدها بنوها، وشقي بفقدها ذووها.. وأظلم بيتها.. ونعاها زوجها، وتلظى بنار فقدها.. واحتمل هول مصابها؟!

تالله لو كانت الموءودة بعض ما سبق لحزنا وامتعضنا.. واستحق علينا ديننا أن نهب رياحاً.. وندفع نواحاً.. ونضمد جراحاً ونواسي مصاباً.. ونصلح معاباً.. وندفع ارتياباً عن هذه الفئات.. ونقيل عنهم تلك النكبات.

غير أن الخطب أعظم والمصاب أجل.. وموءودتنا أكبر من ذلك كثيراً.. ونكبتها أعظم قيلاً.. وأحد مثيلاً!

ولله در القائل:

فلو كان سهماً واحداً لاتقيته ولكنه سهم وثانٍ وثالثُ

إذن من هي تلك الموءودة.. وما خبر هذه المسلوبة..

إنها أمة الإسلام التي تم وأد عزتها وكرامتها على أرض فلسطين

فادمعي يا عين..

وتفطر يا قلب..

وذوبي يا نفس..

واهتف يا لسان.. (إنا لله وإنا إليه راجعون)!

يالله.. ! يا للعجب.. يا للخطب.. يا للمصاب الجلل في تلك الموءودة.. وهذه الضائعة المسلوبة!

إنها والله لتستحق أن نخط اسمها بدموعنا ونخضب نحورنا بدمائنا.. ونجود لها بأموالنا وأنفسنا.

إنها أمة الإيمان.. إنها أمة القرآن.. إنها أمة: لا إله إلا الله.

أمة : ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾[١].

أمة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[٢].

أمة: ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾[٣].

أمة: ﴿حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾[٤].

أمة: ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾[٥].

أمة: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾[٦].

أمة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٧].

أمة: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ...﴾[٨].

أمة: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[٩].

أمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾[١٠].

أمة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[١١].

أمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[١٢].

أمة: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[١٣].

---

(١) المائدة : ٥١.
(٢) البقرة : ٢١٧.
(٣) التوبة : ٣٢.
(٤) الأنفال : ٦٥ .
(٥) البقرة : ٢١٨.
(٦) النساء : ١٤١.
(٧) آل عمران : ١٣٩.
(٨) المجادلة : ٢١.
(٩) النور : ٥٥.
(١٠) آل عمران : ١١٠.
(١١) آل عمران : ١٠٣.
(١٢) البقرة : ١٤٣.
(١٣) الأنفال : ١.

أمة: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾[(١)].

أمة: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾[(٢)].

أمة: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡ﴾[(٣)].

أمة: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾[(٤)].

أمـــــة: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[(٥)].

أمة: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[(٦)].

انظروا.. وأبصروا أي أمة تلك التي وئدت.. ونكست أعلامها وطمست معالمها؟!. إنها أمة الإسلام وأمة نبي العزة والكرامة محمد ﷺ.

أمة: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي**»[(٧)].

أمة : «**إن الله يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله**»[(٨)].

أمة : «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق...** »[(٩)].

أمة: «**إني أباهي بكم الأمم يوم القيامة**»[(١٠)].

أمة: «**ستقاتلون اليهود حتى يقول الحجر والشجر: يا مسلم خلفي يهودي**

---

(١) الأنفال : ٤٦.
(٢) التوبة : ٤١.
(٣) الأنبياء : ١٠.
(٤) الأنفال : ٣٣.
(٥) الجمعة : ٢.
(٦) الحج : ٧٨.
(٧) سبق تخريجه .
(٨) أخرجه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦٠).
(٩) أخرجه مسلم (١٩٢٠).
(١٠) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (١٠٣٩١).

تعال فاقتله»[١] .

إنها أمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي..

إنها أمة عمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد وصلاح الدين والمظفر قطز..

أما الآن فهي أمة استعاضت عن عليائها بِضَعة، وعن رفعتها بذل، وعن كبريائها بخنوع وخضوع .

أمة كانت في مقدمة الركب الحضاري والقيادي وها هي اليوم كأضعف ما يكون تأخراً وتخلفاً وتقوقعاً.

أحبتي..

أين نحن من جثث وأشلاء الموتى في الأرض المقدسة؟!

أين نحن من الله إن سألنا عن الأمة الموءودة في فلسطين ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتۡ﴾[٢]؟

أين نحن من مقدساتنا التي تسلب أمام سمع العالم وبصره ولكن لا حياة لمن تنادي؟

أين نحن من شهدائنا الذي دفعوا دمائهم وأنفسهم لدفاع من كرامة الأمة وعزتها ومقدساتها؟!

لا تحسبن الحق صيحة عاجزٍ الحق عزم صادق وجلاد
الله أكبر يا خلائف أحمد أتضيع أوطان لكم وبلاد
صوني فلسطين الذمار وجاهدي إن العدو عن البلاد يذاد

جثث.. أشلاء..جدار.. حصار.. سلب للمقدسات ألا تحركنا؟!

أحبتي في الله.!

لقد فاحت رائحة الشهداء.. تزكم أنوف اليهود، وتعطر أنفاس الباسلين

(١) أخرجه مسلم (٢٩٢٢).
(٢) التكوير : ٩.

الصامدين من المجاهدين .

فهبوا يا أمة الإسلام، وتنبهوا من رقادكم وانفضوا عن أكتافكم غبار الكسل والدعة والراحة، وامسحوا عن أجفانكم آثار النعاس والنوم المقيت، ولا تقنعوا من تفاعلكم مع آلام الأمة في فلسطين وغيرها بالدعاء فهو لا يكفي، ولا يصلح الحال بالدعاء ما لم يصحبه عزم وإرادة على التغيير، وذلك هو الإسلام الحق وهو المنهج الذي تربت عليه الأمة من خلال جراح أحد وصد الحديبية وحادثة الإفك. لقد اقتضت حكمة الله أن ينصر هذا الدين بالجهد البشري ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [1] .

إسلامنا لا يستقيم عموده بدعاء شيخ في زوايا المسجد

إسلامنا لا يستقيم عموده بقصائد تتلى بمدح محمد

إسلامنا نور يضيء طريقنا إسلامنا نار على من يعتدي

لقد تجمعت الذئاب..، وامتدت المخالب، ونصبت الشباك هناك في أرض الأقصى.. مفاوضات.. طاولات.. تنسيقات أمنية صفقات مشبوهة.

جثث.. أشلاء.. قتلى.. جرحى.. طعنى.. موتى.. عرض يهتك.. يهودي يملك.. مسلم يقتل.. حرم يستباح.. آلام وجرحى.. ثكلى.. موتى.. أرامل.. أيتام.. كهول.. أطفال.

فالله الله في فلسطين.. والله الله لأمة الإسلام.

وا إسلاماه..

وا قدساه..

وا عرباه..

وا صلاحاه..

(١) العنكبوت: ١، ٢.

وا حطيناه..

هل من مغيث.. هل من مجيب..؟!

أحل الكفر بالإسلام ضيماً يطول به على الدين النحيب

فحق ضائع وحق مباح وسيف قاطع ودم صبيب

فقل لذوي الكرامة حيث كانوا: أجيبوا الله ويْحَكم أجيبوا

الخيانة واليهود شيئان متلازمان:

وإذا كانت الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال كما ورد في الحديث فإن الخيانة والغدر عناصر خلقت منها قلوب اليهود، فمجزرة غزة مثلاً لم تكن استثنائية، بل تندرج في مسلسل دموي طويل بدأ منذ النكبة عام (١٩٤٨) مروراً بمحطات صراعٍ راح ضحيته الآلاف من إخواننا الفلسطينيين، فتاريخ الصهاينة البغيض منذ أن زرعوا أنفسهم ككيانٍ غاصبٍ على أرضنا العربية يشهد لهم بدمويتهم، فالصهيونية نفذت أكثر من ثلاثة وثمانين مجزرة بحق الفلسطينيين منذ عام (١٩٤٨) استهدفت التطهير العرقي والاستيلاء على الأرض، فهذه مجزرة دير ياسين في ابريل (١٩٤٨) تشكل ذروة الإرهاب الصهيوني، وتتوالى المجازر والمذابح الوحشية، فتأتي مجزرة قرية مجدل، في العام نفسه بعد أن أغارت طائرات العدو الصهيوني على المدينة فقتلت عدداً كبيراً من أهلها.

وبعدها مجزرة الدوايمة وعيلبون والحولة والدير والبعنة وعرب المواسي ومجد الكروم وأبو زريق وأم الشوف وحيفا وطبرية وكلها مدن عربية فلسطينية تمت فيها مجازر صهيونية في عام واحد، وهو عام (١٩٤٨).

وفي العام (١٩٥٥) قام الصهاينة بمذبحة قبية وفي العام (١٩٧٠) قاموا بمذبحة مدرسة بحر البقر وكان من ضحايا هذا الحقد الأسود أطفالٌ صغار، وفي عام (١٩٨٢) حدثت مجزرتا صبرا وشاتيلا اللتان قتلا فيهما (٣٠٠٠) شخص أعزل من النساء والأطفال والشيوخ، بل لم تتوان إسرائيل عن قصف مخابئ

تحت الحماية الدولية فهذه قانا الجريحة وعناقيد غضب صهيوني أسود يقتل أكثر من (١٠٦) مدنيين أغلبهم أطفال ونساء، احتموا في مقر لقوات الأمم المتحدة وقد كان ذلك في العام (١٩٩٦).

وأما قضية اغتيال المجاهدين والأبطال فحدث ولا حرج فقد قتلوا من أبناء فلسطين الأعداد الكثيرة، وسفكوا دماءهم بطائرتهم وصواريخهم وعملائهم قتلوا الشيخ أحمد ياسين والشيخ عبد العزيز الرنتيسي وغيرهم وغيرهم.. - رحمهم الله جميعاً- وها هم الآن قد اغتالوا الشهيد محمود المبحوح- رحمه الله- على أرض عربية إسلامية، استغلوا حرية الدخول إليها، وكرم ضيافة فيها لينفذوا جرائمهم وفظائعهم التي اعتادوا عليها، ولا يستطيعون العيش بدونها، فما هم إلا عصابة الإجرام والإرهاب في العالم جمعوهم في هذه البقعة من أرضنا، وأعطوهم ظلماً وزوراً وعدواناً مسمى (الدولة) مع أن وصفهم لا يتجاوز أن يكون عصابة وحثالة من المجرمين من شتى بقاع الأرض.

فبذلك نعلم أن بين اليهود والغدر صلة رحم لا تقطع، وقرابة لا تعطل أسبابها فكيف نطمئن إليهم ونصدقهم في مواعيدهم ومواثيقهم؟!

النداء الأخير للذود عن حياض هذه الأمة:

فيا حكامنا ويا علماءنا ويا رجالنا ويا نساءنا ويا شبابنا ويا بناتنا يا أمتنا كلها لتكن من كل واحد منا صنيعة لهذه الأمة وعزتها وكرامتها..

ليكن من كل واحد منا أفعال تسبق الكلام والأقوال..

لنعد لديننا.. لنعد لجهادنا.. لنقف صفاً واحداً خلف مقاومتنا.

فأعداؤنا لن يرهبونا ولن يحسبوا لنا أي حساب إذا بقينا قوالين لا فعالين..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[1].

---

(١) آل عمران: ٢٠٠.



٣٣ عندما نستدعي أسوأ ما في التاريط ونبش الماضي لإثارة الفتن وإشاعة الخلاف

هذه سطور أخطها، وما كنت أتمنى أن أخوض فيها ولا أن يجري قلمي بها، ولا أن أفتح بوابات النار، ولا أن أجلب رياح الفتن، ولكنني أجد نفسي مضطراً للخوض فيها، فما ذا أفعل إذا كان بعض تجار الفتن وخُطَّاب الفرقة ممن عُرفوا بعدائهم للأمن والأمان والاستقرار الاجتماعي، قد أطلقوا العنان للباطل وغرّهم خلو الساحة، فتمادوا في نشر سمومهم، فقاموا يزرعون اليوم بذور الفتنة التي اشتروها من تاريخٍ قديمٍ أُغلقت متاجرُه وأسواقه منذ زمن، فقام هؤلاء من جديد يزرعون في كلّ ركن من تاريخنا قنابل وألغام يفجرونها في حاضرنا هنا وهناك لتأكل الأخضر واليابس.

أمور تناقلتها وسائل الإعلام واستدعت لها الماضي من إثارةٍ لخلافاتٍ تاريخية طُويت وانتهت ورجع الناس فيها إلى أمنهم، كالحروب القبلية والحضرية، وداخل السور وخارج السور، ومن يجمع بين أكثر من جنسية، والمشاكل العائلية التي لا يخلو مجتمع منها، وغيرها من الخلافات التي انتهت ومضت.

والملاحظ دائماً فيها طرح المواضيع التي تتناول الانفصال وتشويه صورة الوطن واستغلال كل واردة وشاردة في التاريخ للإساءة لهذا الوطن، وللأسف أغلب هذه المواضيع تحريضية، لا تثمر إلا الفتنة، ولا تزرع إلا الفرقة.

ماذا نستفيد من نبش صراعات الماضي:

ما ذا يستفيد الناس في يومنا هذا في تونس وليبيا والجزائر والمغرب من وراء العودة إلى نبش تاريخ ووقائع الحروب العربية لأفريقيا من خلال إحياء وقائعها في الجانبين الأفريقي والعربي، واستعداء العامّة على تاريخ مضت عليه

قرون وقرون؟

فهل يعلم هؤلاء المروجون أنّ إثارة الفتنة ما هي إلا تحريك لخنجر الغدر في جرح الضحية، وهل يعلم أنّ هذا من عمل المفسدين والمرجفين، وهذا هو دأب خوارج هذا الزمان، وقد استغل المفسدون التاريخ أسوأ استغلال حيث احتفظوا به لزرع الفرقة والخلاف بين الناس، وفتح المجال لهم ليرعبوا الناس ويرجفوا بينهم.

أخاف على وطني من النباشين:

إن نبش الماضي (لا أقول نباشي القبور ولكن نباشي التاريخ) وإعادة المواضيع التي أكل الدهر عليها وشرب وتناستها الأذهان والقلوب وصفا من غيومها الجو، وانقشعت سحائبها من السماء لهو ضرب من التخريب والإفساد في الأرض، وليس صوابًا، فما الفائدة من إعادة بحث موضوع معاوية رضي الله عنه، وتشعب الحديث فيه، إلى أين ستوصلنا هذه الأحاديث، وما فائدة نبش الماضي، وما هي النتيجة على واقعنا سوى إثارة الفتن.

الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها:

إن العقلاء هم أكثر الناس ضررا في خضم اعتلاء صوت الجهل والعنف، والأمة والوطن الخاسر الأكبر في ارتفاع أصوات أبنائها، فالرعاع وسمومهم الخبيثة خسارة للوطن وهم من ينتصر عند إثارة الفتن، فإياكم أن تستدعوا التاريخ بما فيه من مثالبه ومشاكله البشرية لتحيوها وتثيروا حولها الفتن، ففي كل زمان هناك مشاكل تحدث، وزمن يمحو ويُنهي، فلماذا نعترض على عفو الزمان، فكم من مشكلة انتهى مكانها ووقتها حينما انتهى زمانها وحدثها، وتنطفئ نار الغضب فيها.

نعم إن الخاسر في زمن الفتن واعتلاء الصوت هم العقلاء، فلولا استدعاء معركة الجمل وصفين لما انقسمت الأمة إلى سنة وشيعة، ولو رضي اللاحقون

بما اجتمع عليه السابقون لكـان ذلـك أولى، وفي قـصة مقتـل عـثمان ﷺ مثـال واضح على ذلك، فقد فاز بها تجار الفتنة من السبئيين وخـسـرت الأمـة، ففـي (صباح يوم الجمعة ١٨ من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ)، كان أهل الفتنـة يفكـرون بشكل حاسم، وسريع في قتل عثمان ﷺ ، وتبدأ قـصة مقتلـه ﷺ في سـنة أربـع وثلاثين - السنة الحادية عشـرة من خلافة عثمان - عندما أحكـم عبـد الله بـن سبأ اليهودي خطته، ورتب مع جماعته السبئيين الخروج على الخليفـة وولاتـه، فقد اتصل ابن سبأ اليهودي من وكر مؤامراته في مصر بالشياطين من حزبـه في البصـرة والكوفة والمدينة، واتفق معهم على تفاصيل الخـروج والـشغب، وأن يقوموا في نهاية خطتهم بمهاجمة عثمان في المدينة، وحمله على التنازل عن الخلافة وإلا يقتل، وقرروا أن يأتوا من مراكزهم الثلاثة: مصر والكوفـة والبـصـرة في موسم الحج، وأن يغادروا بلادهم مع الحجاج، وأن يكونوا في صورة الحجاج، وأن يعلنوا للآخرين أنهم خارجون للحج، فإذا وصلوا المدينة تركوا الحجـاج يذهبون إلى مكة لأداء مناسك الحج، واستغلوا فراغ المدينة مـن معظـم أهلهـا المشغولين بالحج وقاموا بمحاصرة عثمان تمهيداً لخلعه أو قتله.

وفي شوال سنة خمس وثلاثين كان أهل الفتنة عـلى مـشارف المدينـة، وكـان عبد الله بن سبأ يـسير مـع هـؤلاء مزهـواً مـسـروراً بنجـاح خطتـه اليهوديـة الشيطانية، لكن عثمان ﷺ التقى بهم وناقشهم فـاقتنعوا ورجعـوا إلى بلادهـم، وتبين لمشعلي الفتنة أن خطتهم قد فشلت، وأن أهدافهم الدنيئة لم تتحقق، لـذا خططوا تخطيطاً آخر يذكي الفتنة ويحييها يقتضي تدمير ما جرى من صلح بـين أهل الأمصار وعثمان، فزوروا كتباً على لسان عثمان وعليه خاتمه يأمر عامله في مصر بقتل وفد مصـر إذا رجعوا، فرجعت الوفـود ودخلـت المدينـة وبـدؤوا بحصار الخليفة، وجاء المسلمون ينصرونه ويشيرون عليه بقتـالهم، وهـو يـأمر الناس بالكف عن القتال ويأمر من يطيعه ألا يقاتلهم، فكان صبر عثمان حتـى

قتل من أعظم فضائله عند المسلمين، وقدمت الأخبار إلى المتمردين بأن أهل الموسم يريدون نصرة عثمان، فلما أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصار إليهم قالوا: لا يخرجنا مما وقعنا فيه إلا قتل هذا الرجل، فيشتغل بذلك الناس عنا، وفي آخر أيام الحصار وهو اليوم الذي قتل فيه نام فأصبح يحدِّث الناس: ليقتلني القوم، ثم قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، ومعه أبو بكر وعمر، فقال النبي ﷺ : يا عثمان أفطر عندنا، فأصبح صائما وقتل من يومه، وهاجم المتمردون الدار فتصدى لهم الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد ابن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص، ومن كان من أبناء الصحابة أقام معهم، فنشب القتال فناداهم عثمان: الله الله، أنتم في حل من نصرتي، فأبوا، ثم دخل عليه رجل من بني سدوس، يقال له: الموت الأسود، فخنقه، ثم أهوى إليه بالسيف، فاتقاه عثمان بيده فقطعها، فقال عثمان: أما والله إنها لأول كف خطت المفصَّل، وذلك أنه كان من كتبة الوحي، وعلى أثر قطع اليد انتضح الدم على المصحف الذي كان بين يديه يقرأ منه، وسقط على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ (١).

ولما تم قتل عثمان نادى منادي القوم السبئيين قائلا: إنه لم يحل لنا دم الرجل ويحرم علينا ماله، ألا إن ماله حلال لنا، فانهبوا ما في البيت، فعاث رعاع السبئيين في البيت فساداً، ونهبوا كل ما في البيت، حتى نهبوا ما على النساء، وبعدما أتم السبئيون نهب دار عثمان، تنادوا وقالوا: أدركوا بيت المال، واقتحم السبئيون بيت المال وانتهبوا ما فيه، وحقق الخوارج السبئيون مرادهم وقتلوا أمير المؤمنين.

وهكذا الأمة تخسر عند اعتلاء صوت الفتنة والضوضاء والفوضى والخاسر العقلاء والوطن دومًا.

---

(١) البقرة: ١٣٧.

إن ما يثار من أكثر من (٦ سنوات) في بلدي الكويت يدخل في هذا الإطار، وهو استدعاء التاريخ في حروب ومشاكل حدثت في زمن محاها الزمن وأنهاها، وأنبت الناس نباتًا خارج بيت الفتنة، وابتعدوا عنها، فلو أخذنا بهذا المنهج واستدعينا حروب الكويت منذ نشأتها إلى زمننا هذا ونبشنا التاريخ الذي حدثت فيه هذه الحروب، والتي قد تكون طبيعية ومنسجمة مع زمانها، ونتنة ومرفوضة حين إحيائها في زماننا، فما قد يكون مقبولا في زمن الجهل يكون مرفوضا في زمن العلم، فلماذا نستدعي تاريخًا في زمن الجهل لنضعه في زمن العلم، ونسلط عليه الأضواء زمن حدث، عندما كانت وسائل الإعلام لا تعدوا أن يصيح الصائح بأمر الأمير أو الخليفة في الطرقات، بينما اليوم أصبحنا في زمن تسلط الفضائيات على حدث في بقعة صغيرة لا تعدو كيلو مترات محددة ليراها الناس في جميع المعمورة، فهل هذا هو العقل، وكذلك التركيبة السكانية، فما يستدعى من خلافات بين القبائل في أرضنا جريمة، وكذلك ما يستدعى من خلافات عائلية قديمة وإثارتها وإحياء الفتنة فيها جريمة، الخاسر فيها هو الوطن وعقلاء المجتمع وعامة الناس وبسطاؤها، والرابح فيها تجار الفتن والحروب.

ولو أننا لم نستدع التاريخ وارتضينا بما تراضى عليه الناس واستقر أمرهم لم تحدث عندنا هذه الأمور التي حدثت، وهذا في المسائل الصغيرة لا الكبيرة، أما في المسائل الكبيرة التي عصفت بالأمة وتم الاستدعاء لها إلى زمننا هذا فهي مسألة الإمامة في الأمة والتي قد تكون حدث فيها شيء من الاختلاف، ولكنها اليوم انتهت واجتمعت الأمة على أمرها. فانقسام الأمة اليوم إلى سنة وشيعة هو استدعاء لتاريخ قد انتهى، وكما قال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- كما في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني ومنهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما: (تلك دماء طهر الله منها يدي فلا أحب أن أخضب بها لساني).

ولو أن الأمة لم يظهر فيها السبئيون الذين كانوا دائما في استدعاء التاريخ لما أصبح عندنا هذا التشرد اليوم الذي تقسمت فيه الأمة.

وإن ما يثار اليوم في الإعلام المقروء والمرئي واستدعاء التاريخ الذي انتهى العقلاء والمشاكل فيه وما تعارف المجتمع فيه على الرضا بعرفهم فيما يتعلق بجنسية المواطن وتعددها أو غيرها من الأمر أصبحت عرفا فإبطال هذا العرف وإثارة المشاكل في إطاره من خلال إثارة إعلامية فهو تأجيج وإثارة للغبار السياسي في المجتمع وفي بلدي، وكذلك حينما يتم الخلاف بين مواطن ومواطن، ثم تفتح بعد ذلك ملفات الخلافات والتاريخ التي طويت وانتهت ورجع الناس إلى أمنهم.

وقد ورد في البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف فبينما أنا في منْزِلِهِ بِمِنى، وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها، إذ رجع إلي عبد الرحمن فقال: لو رأيت رجلاً أتى أميرَ المؤمنين اليوم فقال: يا أمير المؤمنين هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً؟ فو الله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة، فتمَّتْ، فغضب عمرُ، ثم قال: إني -إن شاء الله- لقائم العشية في الناس، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم.

قال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإنَّ الموسمَ يجمع رعاعَ الناس وغوغاءَهم، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالةً يطيِّرها عنك كل مطيِّر، وأن لا يعوها، وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهِل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة، فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس، فتقول ما قلتَ متمكناً، فيعي أهلُ العلم مقالتَك، ويضعونها على مواضعها.

فقال عمر ﷺ: والله -إن شاء الله- لأقومنَّ بذلك أوَّلَ مقامٍ أقومُه بالمدينة) [(١)] .

ففي هذه القصة العظيمة بيانُ فقهِ الصحابة -رضي اللهُ عنهم، وحرصُهم على سلامة الأمة من الفتن، وذلك بحفظ الأمور العظام عن العوام والرَّعاعِ؛ لأنهم لا قدرةَ لهم على حلِّها، ولا فهمها، بل ربَّما أدى علمهم بها إلى الفتن، ولذلك أشار عبد الرحمن بن عوفٍ ﷺ على عمرَ ﷺ أن يحفظَ ما يريد قولَهُ عن عامة الناس، ويخصَّ به أهل الفقه والشرف حتى يعوا مقالته ويضعوها على مواضعها، واستيعاب عمر ﷺ لذلك، فلمَّا رجعَ المدينة ذكر ما أراده للناسِ، وبهذا الفقه العظيم صار الصحابةُ- رضي اللهُ عنهم- أماناً للأمة من الفتن، فلمَّا ماتوا أصاب الأمة ما أصابهم.

والملاحظ الآن عكس هذا تماماً، فإن كثيراً ممن يزعم الإصلاح في هذا الزمان يتكلَّمون بكل شيء في كلِّ مكانٍ دونَ تمييزٍ، ودون نظرٍ لعواقب الأمور، فهم يستدعون التاريخ وحروبه وخلافاته لا للعبرة والعظة، بل للفرقة والخلاف، فما يكاد أحدهم يسمع خبراً ولا سيَّما الأخبارَ المتعلقةَ بمصالح الأمةِ، وأحوالِ أولياء الأمور إلا وطار به، ينشره في كل مجالٍ متاحٍ عن طريق الإنترنت، وعن طريق الإذاعة أو عن طريق القنوات الفضائية، وحتى عن طريق المجالس، ففي أيِّ مكانٍ يهذي به، دون أدنى تثبُّتٍ، أو نظرٍ، وما درى كم يفسد هذا الخبر على الأمةِ من أمورٍ.

منهج كريم منه ﷺ لوئد الفتن في أولها:

كأن الرسول الأكرم محمد ﷺ حيا بيننا وهو يلعن مَنْ يوقظ الفتنة بين المسلمين ربهم واحد وقبلتهم واحدة، لقد اشتعلت الفتنة في زمن النبي ﷺ بتذكر التاريخ، واستدعيت أحداثه وحروبه لإحياء جاهلية الزمن أو جاهلية النفس البشرية.

(١) أخرجه البخاري (٦٨٣٠) .

فالأوس والخزرج أبناء عمومة واحدة، وهما قبيلتان قحطانيتان من قبائل الأزد يجتمعان في أب واحد هو (حارثة بن عقل) ويجتمعان في أم واحدة هي (قيلة)، ويرجع نسبهم إلى كهلان، جاؤوا من اليمن ونزحوا إلى المدينة بعد أن تفرق أهل اليمن، ولعلهم من ذلك ورثوا الرقة التي في قلوبهم؛ فالنبي ﷺ لما جاءه أهل اليمن قال: «**أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا، الإيمان يمان والحكمة يمانية**»[١].

قدموا فأقاموا مع اليهود في المدينة التي كانت تسمى يثرب، ثم توسع الأوس والخزرج في المزارع وصار لكل بطن من بطونهم مواقع كثيرة، حينئذ خطط اليهود للتسلط عليهم بالتفريق بينهم وضرب بعضهم ببعض، فتحالفت كل قبيلة من اليهود مع واحدة من القبيلتين الأوس والخزرج تمهيداً لإيقاع الفتنة بينهم، فتحالف بنو النضير وبنو قريظة مع الأوسيين، وتحالف بنوقينقاع مع الخزرجيين، وبدأت كل فئة يهودية تسعر النار في حليفتها على الطرف الآخر وتذكي العداوة والشقاق بينهما، ونجحت الخطة الماكرة واشتعلت الحروب الطاحنة واستمرت قرابة مائة وعشرين عاماً في أيام تسمى (بعاث)، ولم تنته حتى جاء الإسلام فأطفأها، وقد اشتهرت هاتان القبيلتان بالأنصار لأنهم من نصروا نبي الله، محمداً ﷺ وقد آخى الرسول بينهم وبين المهاجرين.

اشتعلت الفتنة مرة بينهم بسبب استدعاء الماضي ، وذلك فيما أوردته السيرة أن شاس بن قيس اليهودي كان حريصا على رد الناس عن الإسلام وكان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم، مر يوما على الأنصار الأوس والخزرج، وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال: قد اجتمع بنو قيلة، والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا من قرار،

(١) أخرجه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥١).

فأمر فتى شابا من اليهود، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بعاث أي يوم الحرب الذي كان بينهم وما كان فيه، وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الأشعار، ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، أي قال أحد الحيين: قد قال شاعرنا كذا، وقال الآخر: قد قال شاعرنا كذا، وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة، أي قالوا: تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت، فنادى هؤلاء: يا للأوس، ونادى هؤلاء: يا للخزرج، ثم خرجوا إليهم وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال: «**يا معشر المسلمين، الله الله**- أي اتقوا الله- **أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وألفكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم**» فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فبكوا، وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾[1]، فبعد أن وحد النبي ﷺ بينهم ثارت في نفوسهم الطيبة البشرية حول التنازع على الرياسة، خلافات كادت تودي بالأمة لولا تدخل المصطفى ﷺ.

يا للمهاجرين ويا للأنصار:

وجاء في البخاري أن: رجلين من المهاجرين والأنصار تشاجرا فَقَالَ الأَنْصَارِي: يَا لَلأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِي: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَسَمِعَ ذَاكَ رَسول الله ﷺ فَقَالَ: «**مَا بَال دَعْوَى جَاهِلية**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ المَهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإنهَا مُنْتِنَة**»[2]، فعندما تدخل الرسول ﷺ لفض الخلاف الذي طرأ فجأة بين عدد من الصحابة وتنادوا

(١) آل عمران: ٩٩.
(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤).

بالنصرة لأهل بيتهم وقرابتهم وقريتهم، فقال أحدهم: يا للمهاجرين، وقال الآخر: يا للأنصار، كان الحسم النبوي يتجه إلى أكثر عنصر يمكن أن يسبب خلافاً أو نزاعاً أو انقساماً مستمراً داخل تركيبة المجتمع الإسلامي الحديث، ألا وهو التعصب للقبيلة أو القرية، فقال ﷺ: «**أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟ دعوها فإنها منتنة**».

هذه الدعوة جاءت على الرغم من أن مصطلحي المهاجرين والأنصار اللذين تداعا بهما الصحابيان هما مصطلحان من أعظم المصطلحات الإسلامية، ومن منا لا يعرف المهاجرين والأنصار وفضلهم الكبير على الإسلام، ولكن عندما نادى المهاجر يا للمهاجرين ونادى الأنصاري يا للأنصار وأريد بذلك التحزب، واستدعاء الماضي، وسمع ذلك النبي ﷺ فقال: «**ما بال دعوى الجاهلية**»، فعندما أثار اليهود المنافقون حمية الأرض فأشعلوها فتنة بين المهاجرين والأنصار، فتنادى القوم يا للمهاجرين ويا للأنصار مع أنها صيحات فيها مكرمة، ولفظ المهاجرين والأنصار من الألفاظ التي تعتز بها الأمة مع ذلك جاء النبي ﷺ ليقول: أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، فكلمة الأنصار والمهاجرين من أسمى الكلمات والمصطلحات التي وجدت بعد الهجرة في عالم الاجتماع، ومع ذلك جعل النبي هذه الصيحة دعوى الجاهلية وانتماء جاهلي، ولو ثارت الفتنة وتأخر النبي لخسرت الأمة وتأخر الركب وتبعثر الجهد.

ملف مزدوجي الجنسية:

أما موضوع ازدواجية الجنسية مثلاً وهو من الملفات التي يستدعى لها التاريخ لإثارة الفتنة فإن ما يبثه البعض مثلاً من ازدواجية الجنسية والتجنيس والاتهامات فإن مكانها القضاء ولا يحق فيها كيل الاتهامات جزافاً، وإن كانت هناك مزاعم عن تضرر طوائف أو قبائل فإن بالإمكان مقاضاتهم قضائياً،

وموضوع التجنيس الذي يردده البعض حقيقي، وليس من صنع الخيال، فهناك كثير من الكويتيين متجنسون، سواء عن طريق الأب، أو الجد، أو جد الجد، لكن من تجنس بحق أو من دونه أعطانا عمره، والله يرحمهم برحمته، ونحن أولاد النهاردة كما يقول إخواننا المصريون، وما بيننا اليوم أبناء وأحفاد أولئك الأجداد، ولدوا هنا، وترعرعوا هنا، وهم كويتيون وفقًا للقانون، ولقد مرت عقود على هذه العملية، نشأت فيها أجيال، واندثرت فيها أجيال أيضا، ولذا من غير المنطقي والأخلاقي أن نستدعي ذلك الماضي لكي يعاير بعضنا بعضا، فلا داعي لنبش الماضي أو التنصل من الانتماء لإرضاء غرور مدّعي الحسب والنسب، وخاصة أن التجنيس كان فيه ضرورة النسب والمصاهرة وغيرها من الظروف والأحوال.

الفهرس

هذا الكتاب

مجموعة من المسائل السياسية والاجتماعية فيها نوع من الاستشكال نطرحها كعناوين واستطرادات فكرية، نتحدث من خلالها عن عدة اتجاهات:

الاتجاه الأول: يتناول الأحداث السياسية التي عصفت بالمنطقة، وذلك بتناول الدولة والمقاومة بين الواجب والواقع، ومنهج أمريكا بين الخليج العربي والخليج الفارسي، وأحداث غزة ، ثم نعرج على حماس ومرحلة جديدة في حربها مع إسرائيل، والنجاحات الإسرائيلية العشرة، والمشهد العربي بين الارتباك والاشتباك .

والاتجاه الثاني: نتناول فيه أهم ما يتعلق بالهجوم على مبادئنا وقيمنا ، ذلك من خلال الحديث عن الحرب المعلنة على الأسرة المسلمة، والصراع السياسي والخلط بين ثوابت الدين والاختلاف السياسي المصلحي، وثوابت الأمة ومبادئها بين التأصيل من جهة والممارسات اليومية من جهة أخرى.

ثم نهتم في الخاتمة بذكر إشكالية تعامل الحركات الشعبية مع الأنظمة الحاكمة والتبصر والتثبت قبل إنكار المنكر .

والاتجاه الثالث: نتناول فيه أهم ما يتعلق بالعولمة وخطرها على الفكر الإسلامي، وكونها استعمارا بأشكال جديدة، ونوعا من الغزو الجديد .

وهي حوارات مهمة رأينا أن تكون حوارا حيا له أهداف واضحة متناسبة مع إشكاليات الأمة ومشاكلها وهمومها ؛ من أجل إثراء الحوار وهي ملك لكل كاتب ولكل محاور.

